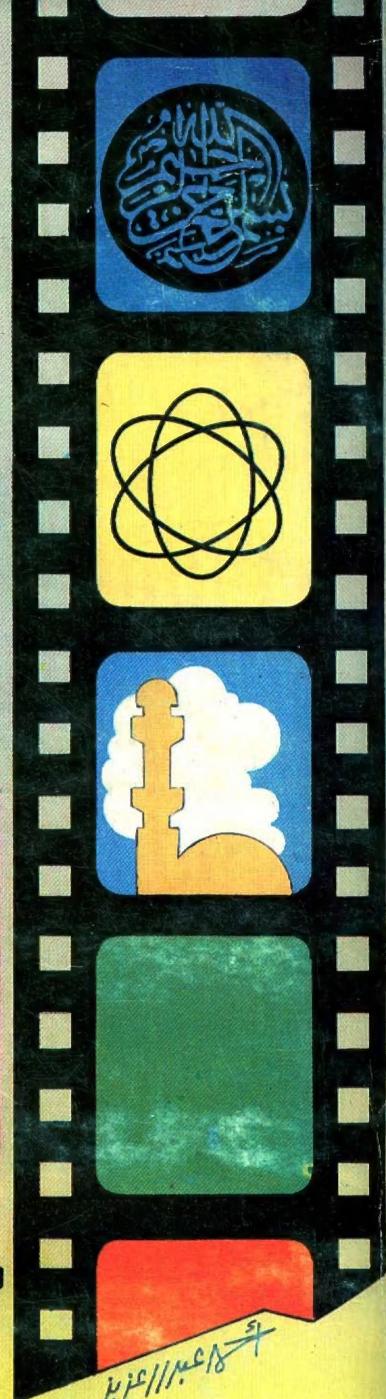
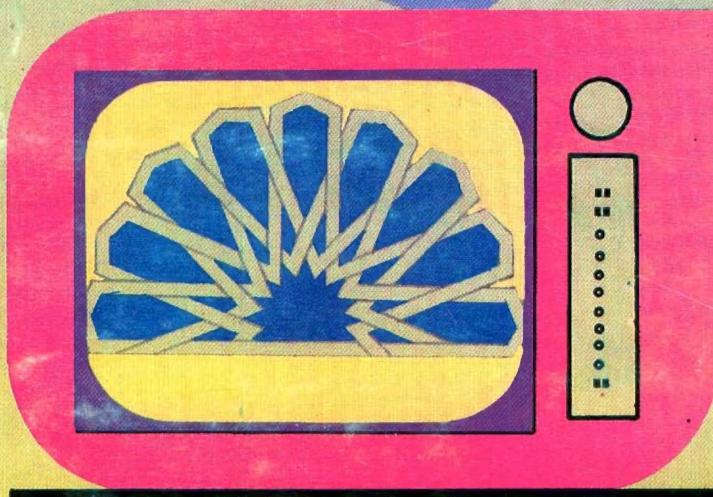
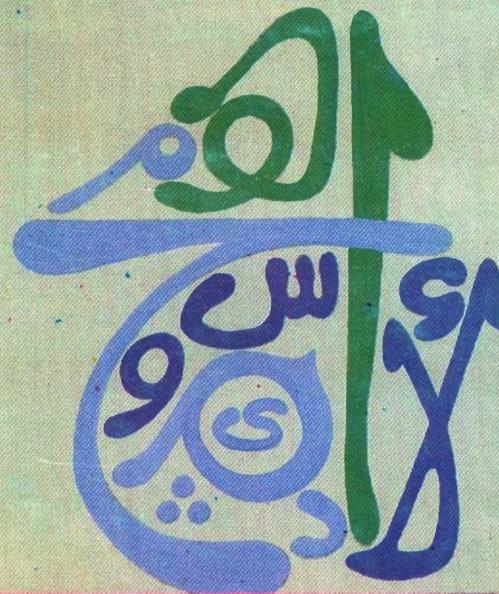


مَوْسُوعَةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ



# سِرِّ الْمَلَكِ الْمُبَارَكِ وَالْعَلَمِ

وَالقَضَائِيَا وَالْمَصْطَلَحَاتُ الْمُعاَصِرَةُ

دَارُ الْإِعْنَاصِمَةِ

الباحثون

موسوعة العلوم الإسلامية

الصلة بين الحج والعمر

والقضايا والمتطلبات المعاصرة

أفراد المجتمع

دار الأعْتَصَمِي

# آفاق البحث

٢	.....	دخل الى البحث
		الباب الأول
٩	.....	التغريب دعوة مسمومة
١١	.....	كتبت نبوءة جب
١٤	.....	في ضوء انصحوة : من التغريب الى الأصالة
١٦	.....	ماذا تتطلع اليه حركة التغريب
		الباب الثاني
١٧	.....	الاستشراق في خدمة التغريب
		الباب الثالث
٢٥	.....	التبشير الغربي والنصرى العالمى
٣٠	.....	حقائق جديدة عن التبشير
		الباب الرابع
٣٣	.....	ادباء الفرق والدعوات الهدامة
		الباب الخامس
٣٨	.....	التعليم والثقافة وال التربية
٤٥	.....	اسلمة التعليم
		الباب السادس
٥٢	.....	في مواجهة المؤامرة
		علم مصحح المفاهيم ودحض الشبهات
		الباب السابع
٥٨	.....	اسلمة القوانين
٦٠	.....	قضايا الشريعة - نظرية النسبية الأخلاقية وفقد
٦٣	.....	فساد نظرية علم الجريمة
٦٣	.....	قصة الاسلام والسياسة
٦٤	.....	مقارنة الشريعة والقانون الوضعي

## الباب الثامن

### اسلمة الاجتماع

٦٦

## الباب التاسع

٧١

القرآن الكريم : مدخل الى صياغة اسلامه للعلوم

٧٢

اسلمة العلوم

٧٥

صياغة العلوم الاجتماعية صياغة اسلامية

٧٦

نظريه النفس الغربيه ليست على

## الباب العاشر

٧٩

### اسلمة المعرفة

٨٣

## الباب الحادى عشر

٨٦

## الباب الثانى عشر

٩٢

اسلمة مفهوم الحضارة

٩٨

## الباب الثالث عشر

اسلمة كتابة التاريخ

١٠٢

## الباب الرابع عشر

اسلمة منهج الفلسفة

١١٠

## الباب الخامس عشر

اسلمة الأدب

١١٤

الادب العربي

١١٩

المدرسة الاسلامية في الأدب

١٢٢

لماذا لا يكون الأدب العربي عاليا

الحداثة

## الباب السادس عشر

١٢٩

اسلمة الاقتصاد

١٣٥

## الباب السابع عشر

اسلمة التصوف

١٤٠

## الباب الثامن عشر

اسلمة علم النفس

١٤٥

## الباب التاسع عشر

اسلمة التراث

١٤٩	الباب الحادى والعشرون
١٥٧	الفصل الأول : مدخل الى البحث
١٦١	الفصل الثاني : الفلسفة المادية
١٦٣	الفصل الثالث : علم الكلام
١٦٥	الفصل الرابع : المنطق اليونانى
١٦٦	الفصل الخامس : الاستدقاق
١٦٧	الفصل السادس : المعتدالية
١٦٩	الفصل السابع : العصرية
١٧١	الفصل الثامن : السلفية
١٧٣	الفصل التاسع : العلمانية
١٧٥	الفصل العاشر : الاعلام
١٧٨	الفصل الحادى عشر : الثورة
١٨١	الفصل الثاني عشر : الآثار
١٨٢	الفصل الثالث عشر : الأدب الشعبي

\* \* \*

## أسلامة المناهج والبرامج هو المنطلق الحقيقى للمجتمع الإسلامى الجديد

ونعلم تماماً : أن هذا الانحراف الأخلاقي الذي يمسو هؤلئنا ومس حيائنا سيؤدي آئى تدمير هذه الأجيال الجديدة من الشباب التي يؤمن بناؤها على كلمة الله حماية هذا الوطن ، والدفاع عنه وعمر الله .. . ونؤمن تماماً بأن هذه الفذر التي تواجه مجتمعنا من نقص في الأموال والثمرات . وانقطاع المطر وما يحصل به من هارك المحسين . وفساد التربية .. . إنما يرجع الى التقصير في طاعة الله العزوجل . والانسغال بهذه الفتايات العاجلة عن الاتصال بالله ببارك وتعانى ، واداء حقه في الزكاة . وفرضه في الصلاة والصيام وغيرها . ولقد توند الله ببارك وتعالى الأمم التي هرمت عن طاعته وتعالت عن الالتزام بشرعيته بالهزيمة في الدنيا ، والضربات المتواترة لخسر شوكتها . ونحن أمة إسلامية مؤمنة نقطع الى رضاء الله ، وتلتمس مرضااته بشامة مجتمع كريم ، بعيد عن الربا وعن الفساد ، ونسير على الطريق الموصى بالأن الله اوى الجادة .. فعلينا أن نستبه تماماً الى هذه الأخطار الخطيرة بنا ، ونحن في مصر ندورة للآلهة الإسلامية كلها ، وشرفت لنا أن نخطو الخطوات الواقة نحو أقام المجتمع الريانى وقد ذلت هنا أسبابه ووسائله ، وأمامنا عبرة التاريخ والأحداث مما مسى ، ولأنه لمن يجب ما قبله . حسبي الله ببارك وتعالى أن ينقد أقصادنا ، ويفتح لنا من فضله عباءة بانها اذا التمسنا طريقة يرضى عنها ، وإذا أخذنا بالأسلوب الذي أربىنا الذي أمر به والذى حين أخذت به آئمة الإسلامية إنقذها من الأخطار التي تحيط بها ، وأمدتها بالقدرة والتمكن في الأرض .

إن هذه الصحوة الإسلامية هي عطاء حذيقى لهذه الأمة بكل مقاليس علماء الاجتماع ، وقدى في عيون عدائها ، الذين لا يريدون لها أن تخرج من مرحلة الحصار الذى تبرى بها . فعليها أن تنتمس الأصالة والعودة الى المتابع ، ونلتقط أسلوب الربانى الأصيل الذى أقذ هذه الأمة من قبلى من كل أزمة مرت بها في غارات الصليبيين والقتار والفرنجة . عندما عادت الأمة الى

كان اسئلة في ندوة الاعتصام عن المنطق الحفيهي  
لتصحيح مسار مجتمعنا في مواجهة هذه التحديات  
التي ظهرت على الساحة ، والسلبيات التي تبرز نتيجة  
البرامج والمؤسسات والأفلام والمسرحيات التي تسرف  
كثيراً في عرض قضايا وافدة ليست من مجتمعنا ، والتي  
تركت كثيراً على الجريمة والجنس ، وما يتصل بتعاطي  
المخدرات ، وعدم الأمانة في التجارة ، وانتشار المرشوة  
واغتصاب الفتيات ، والجشع في الحصول على الارزاق  
والانفاق المسرف الفاسد . . . كل هذه المشاكل لا يمكن  
أن تحل إلا عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية التي  
تقوم على مجتمع سليم نقي ، وعزن متزين الفهم  
الصحيح . . .

أن تطبيق الحدود هو وقایة من الجريمة لا عقاب عليها، وأن الإسلام يعول على همایة المجتمع من السقوط في الأزمات والآثار .. وإنما أراد الإسلام صد الناس عن الخطأ لا عقوبته ، فالشرعية الإسلامية تعلم أهلها أن ينتقلاً موارد كسبهم ، وأن يحسنوا اتفاقهم ، بعيدها عن الأشراف والترف المزائد ، وعن الغل والبخل . وذلك حين يحتملهم من شارب الخمر والربا ، والتحلل الاجتماعي والفساد الاباحي .

ان علينا ان نقيم المنهج الربانى في نقوسنا وبيونا  
وأن نكم الناهنج بالثقافة الإسلامية ، وأن نجرى  
تعاملاً في إطار العدل بعيداً عن المربا ، وعن أساليب  
الفهلوة والشطارة التي ان حققت بيه عاجلاً فهو سحت  
حرام وسوف تتقاذنه الأهواء ، ثم يكون حسابه يوم  
القيمة عسراً .

ان مجتمعنا يجب أن يدخل الى نطاقه الخوف من الحساب في الآخرة . وأن يقيم نظرته وتعامله على أساس الالتزام الأخلاقي والمسؤولية الغربية . ولابد من أداء حق الله في هذا المال . وحق الله هنا هو حق المجتمع في الحقيقة ..

معطيات بكرى : منها : الطاقة والثروة ، والتفوق البشري  
مثل امة بكرى ، وقاره عظمى هي قارة الاسلام .

ان ترسيد هذه المعطيات التي بين ايدينا ، وتوجيهها  
لخدمة المجتمع ، وبناء جوافهه ، وتحريره من عوامل  
ضعفه ، وما يحتوته من اخطار . ابرزها الحظر الذى  
يرمى الى القضاء على التماسك الاخلاقى والقوة اليمانية  
الحقيقة التي تستطيع ان تحمى الامة ، وتحافظ عليها .  
وقد تكشفت امامنا خططات الاعداء واصحة . وكلها  
ترى الى التهاون ، وتعويق نهضتنا ( ولو ان القرى  
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ) .

ان علينا اليوم ان ندأ الخطوات الى الاصالة ، والى  
المجتمع الرباعى ، وامم ما يجب ان يبدأ به هو « اسلامه  
الناهجه » (ناهجه التعليم والتربية .. وناهجه التسلية  
والترفيه وناهجه الاقتصاد والمجتمع والسياسة ، وأن  
نعد الخطوات التي مطعناها في مثل المصارف الاسلامية  
وتحصيل وجهة المرأة ، وبناء الثقافة الاسلامية في نفوس  
الشباب . ولنحث ثوابتنا ومجتمعنا من هذه البرامج  
الواضحة . وخاصة ما يتعين بالرقص والجريمة والجنس .  
فان بعض الشباب المنحرف يدوم بمغامرات يعتمد فيها على  
ما رأى من هذه المسلسلات والافلام . وفي عشرات من  
الممسلسلات المثارة في المجتمع الاسلامي قد فضلت حل  
الوسائل والوسائل لاتها قاصرة عن ان تصل بالنفس  
الانسانية الى منهج الله تبارك وتعالى في فطرته واصالته  
وسلامة وجهه ، فهي أقوى وأنضج وأعمق من المنهج  
البشري الذي لن يحقق شيئاً سوى الهلاك والضياع .

فإنتم من الله تبارك وتعالى الوجهة ، ولنلتجأ اليه  
ليكشف الغمة عنا ، ولنكن من الذين اذا جاءهم بأس الله  
تضرعوا اليه ، ولنجنوا الى حمايته .. اللهم انا نستعينك  
ونستهديك ونؤمن بك وننوكل عليك ، ولا نقف من هذه  
النفر التي تحيط بنا موقف الغفلة واللامبالاة ، والا فقد  
حق علينا اننقذ الجبار .

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسيانا او اخطأنا » .

امه عز وجل ، وانتقمت منهجه . ولقد جربنا كل المناهج  
وفشل جميعها ، ونكسرت النصال على النصال ولم  
يعد امامنا — نحن والانسانية كلها — الا هذا الطريق :  
طريق الله المستقيم الحالى الذى تقدى قوى حيرة الان  
تحبون ببىها وبينه . انه يحول دون مطامعها ومصالحها .  
ولنن هذه الامة مؤهله اليوم ، كما كانت مؤهله في  
هذا ارثه ومعلمه ان يتحقق على بيها الضي  
ببىها جميعا . ان هذه الامة التي امك منهج ريانيا  
لربما لا يبور ابدا ان تتحدى ظهريا تم تنطع على مناهج  
بشرية فاسقة بيت اضطرابها وعجزها .. اتنا مطالبون  
بسم الله امته الاسلام الى العالم لته . وليس  
هناك من طريق يفتح امامنا اباب لهذا الا ( اسلحة  
التعييم ) الموجهة الى بناء الانسان . واملاك القدرة على  
الردع لان فوة تحاول ان تسيطر على اي موقع في قارة  
الاسلام ، وان تكون قادرين على مواجهة المؤامرات  
القفرية التي تخفي في الثقافة والصحافة والمسرح ..  
وادوات التسلية والترفيه ، وعلاقت  
مفاهيم غير اسلامية وغير عربية في الاجتماع ، وعلاقت  
الرجل والمرأة . والتعامل الاقتصادي . هذه امة لها  
منهج دينها ، ريانى المصدر ، انسانى الوجهة ، يمكنها  
من ان تهار ذاتيتها ، او تصاب بالاضطراب ، ولا بد  
في الحضارات والایديولوجيات التي تختلف تماما عن  
منهجنا وحضارتنا ، اتنا سوف يحاكمنا التاريخ ،  
ويحكم علينا حكم شديدا اذا ما تغافلنا عن حماية امتنا  
من ان تنهار ذاتيتها ، او تصاب بالاضطراب ، ولا بد  
من حماية هذا الشباب من الانهيار تحت تيارات الجريمة  
والجنون الذى تطربها وسائل التسلية والترفيه . فضلا  
عن المخدرات ، ووسائل تدمير الشخصية ، واحتواها .  
ولا بد ان تقوم الجامعه الاسلامية التي تمكن الامة الاسلامية  
من مواجهة الاعظار ، ورد الحقوق للآفانيات التي تعانى من  
فقدانها ، ومواجهة الماجدة التي تقرير في البلاد الاسلامية  
حيث يذهب الغرب الى اغاثة غير المسلمين . كما يحدث في  
اثيريا ، ولا بد من عقد الخناجر على اعادة القدس التي  
انتزعتها اسرائيل ، ويجب ان لا تغفل بالتحلل والترف  
والامن الكاذب عن الاعظار التي تواجه امتنا وتعمل على  
احتياحها واحتواها والسيطرة عليها ، وبين ايدينا

( ٢ )

الاسلامية وهى قضية ( اسلامة المعرفة ) حيث يحتاج الأمر  
في الغرب الى جهود كبيرة لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن  
امتنا الاسلامية ، خاصة في مجال مدرسى العلوم الاجتماعية  
والانسانية هناك .

ولقد لفت نظرى الى خطورة هذا الموضوع الذى  
تناوله هذه الدراسة ما كتبه رجال المعهد العالمى للتفكير  
الاسلامى حيث يقول الدكتور طه العلوانى : ان هناك  
قضية بكرى ذات علاقه وثيقه جدا بتكوين الشخصية

صالحة لقيادة الإنسانية لذك فان على المسلمين أن يطروا للعالم البديل الثقافي عن هذه الثقافة الخطيرة الدلالة .

ان الثقافة الإسلامية ثقافة متوازنة بين الفرد والجماعة وبين العقل التجربى والعقل المعرفى ن العالم كله اليوم في حاجة الى :

## المعرفة الإسلامية

وان حاجة غير المسلم الى المعرفة الإسلامية لا تقل ابدا الى حاجة المسلم نفسه الى المعرفة الإسلامية التي تعرف معنى الحياة واهدافها وتعرف معنى الموت وغايتها فلا تكون الحياة في نظر الانسان شيئا لا معنى له كما اوحى بذلك الثقافة الغربية او شيئا ينبغي ان يتخلص الانسان منه ولو بالجنس والانحراف في المخدرات والمسكرات والسعى وراء العدم .

واعتقد ان ( اسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية ) هي التي تشكل المادة الثقافية للانسان ويمكن ان يتم بسلامية مناهج هذه العلوم وفق الخطوات التالية :

أولا : تصنيف آيات العلوم الكونية على العلوم الإنسانية المعاصرة التي تعتبر خلاصة ما وصل اليه الانسان ( وتوزيع احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم وسائل ما صح من سنته الشريفة عليها ) .

ثانيا : العمل على استقراء وتنبئ ما ورد في تراثنا الاسلامي بعد تيسير الاطلاع عليه .

ثالثا : الحصول على خلاصات الفكر المعاصر بطريقة موسوعية نافذة بعيدة عن نظرى السرقة والانهيار ١٠١ هـ .

وبعد فقد كانت خطوة أسلامة العلوم والمعرفة والثقافة هي حلقة ضرورية في تطور الفكر الإسلامي من اليقظة الى الصحة وصولا الى النهضة ولابد من الاشارة التاريخية الى أن هذا الخط قد تحدث عنه ويسار عليه كثيرون في مقدمتهم جارودى ورشدى فكار وكان رائد هذه الأول الإمام حسن البنا .

هذا وبالله التوفيق - ق ٠٠٠

ويحدد مفهوم أسلامية المعرفة بمعنى تقديم المعرفة الإنسانية بكل جوانبها من منظور اسلامي لتحقيق عاليات وأهداف اسلام وبناء النفسية والعقلية المسلمين .

ان الثقافات الغربية المعاصرة مستمدة من تراث مزدوج بين التقليد والحداثة وقد ادى ذلك التردد والازدواج الى كثير من التناقضات والمواضيع الثقافية والفلسفية المضطربة التي لم تكتشف بسهولة لأن الثقافة الغربية اليوم هي ثقافة الانسان الغائب المسيطر على العالم الحديث . لقد جعلت هذه الثقافة الانسان الفرد محرر الدائرة في كل شيء وجعلت منه ومن لذاته ورغباته جوهر كل موضوع ومقاييس كل شيء وهذه الثقافة مستمدة من فلسفة أفلاطون وهي فكرة فصل المادة عن الروح واعتبار الجسد أفكاك للروح وعيها أن تعلم بشيء على الذكاء منه والتخلص من صواغته كما جعلت من المطلق الارسطي وسيطها للمعرفة فاصبح هذا المطلق مصدر العلم والمعرفة فصاغت هذه الثقافة حياتها صياغة خاصة جعلتهم لا يحلمون بشيء الا بالسيطرة على الدنيا كلها من خلال السيطرة على كل الوسائل والغايات الإنسانية التي تخدمها ولم يعد لحملة هذه الثقافة من هدف ظاهر او باطن في الحياة الا النمو الاقتصادي والتفوّذ السياسي والعسكري الذي أصبح خطرا يهدد العالم بالفناء ، وقد يقول قائل :

وأين موضع ثقافتنا الإسلامية من الثقافة المعاصرة ونحن نعلم أنها استمدت منها الكثير .

نقول : لاشك أن في الثقافة الإسلامية المعاصرة مزيجا ثالثا هو الجانب التجربى في ثقافتنا وعلومنا العربية ، ذلك أن ( بيكون ) الذي عرف في هذه الثقافة بأنه أبو المنهج التجربى لم يكن الا تلميذا من تلاميذ العلماء المسلمين تلهمه عليهم في الاندلس ، فهم الذين أخذوا من ثقافتنا شيئا قائما وهو الجانب التجربى وأضاعوا وأهملوا ( الحكم ) التي كان علماؤنا ينشدونها مع العلم التجربى فأخذوا الوسائل وخلوا عن الغايات فلا غرابة اذا ما تحولت هذه الثقافة الى وسائل تستند طاقات الانسان وجهده في طلب العلو في الأرض والاستعلاء على خلق الله لتبليه روح النطاع لديهم ، ومن وراء هذا النطاع أصبح لكل حى على ظهر المعمورة الآن أربعة أطنان من المتجررات في وقت تموت في العالم شعراً من الجوع او سوء التغذية .

هذه الخصائص للثقافة الغربية تجعل منها ثقافة غير

# الباب الأول

## التغريب : دعوة مسمومة

أفاء الله عليهم من هذه الأحقاد والأطماع التي صببها عليهم أعداؤهم وأن يدركوا أن طبيعة أعدائهم تدفعهم دائمًا إلى أن يتآمروا على الإسلام كي يقضوا عليه وقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى بقوله :

« وَدُكْثِرَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرْدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِدًا مِنْ عَنْدِ أَنفُسِهِمْ »

ولاريب أن من أكبر أخطائهم محاولة تخدير المسلمين بين الإسلام والعلمانية أو القول بأن الإسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بمجتمع المسلمين ، والاسلام قادر على أن يقدم منهجه الأصيل المرن الواسع الأفق ، أما العلمانية التي يدعون إليها فإنها تجارة خاسرة وتجربة بايرة، وأنها قد عجزت في مجتمعاتها أن تقدم الحلول ، ويتطلع الغربيون اليوم إلى تجربة جديدة ونظام جديد بعد فشل الرأسمالية والماركسيمة على السواء وليس أخطر مما يطرحه التغريب اليوم من التهارات الهادمة والمذاهب الفكرية المعادية للإسلام ، وهي التحدى الحقيقي الذي يواجه الشباب المسلم الذي ليس له خلقة إسلامية أصيلة ، حيث يعطيهم التغريب صورة مشوهة عن واقع الإسلام والحقيقة أن هذا الواقع الذي يعيشه المسلمون ليس هو الإسلام ولا هو حجة عليه ، إنما هذا الواقع جاء ثمرة الخروج عن نظام الإسلام ولا ريب أن الكشف عن مخططات التغريب يقتضي منا العمل على مواجهة التغريب : وأن على الأمة وبناتها محاربته بكل الأسلحة ولاريب أن الدعوة إلى الأصالة والتجدد في إطار الأصالة ، هو السبيل الأمثل لإنجاحه بمستقبل الأمة وحمايتها من الذوبان في حضارة الغزاة . ولا ريب أن المحافظة غير الجمود ، وأن هناك فارقاً واسعاً بين التجديد والتحديث في إطار الأصالة وبينهما في إطار التغريب وليس صحيحاً ما يقال من أن المحافظة هي الجمود أو أنها تجعل الأمة معرضة للوقوع في شرك المغربين .

\* \* \*

والتغريب في أبسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ، ومحاولة غرس مبادئ التربية الفربية في نفوس المسلمين حتى يشببوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية ويستهدف تحقيق ذلك إيجاد شعور بالنقص في

هو مصطلح صكه هامتون جب في كتابه الذي نشره ١٩٣٠ تحت عنوان ( وجة الاسلام ) وترجمته الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ) ولخصه الدكتور محمد حسين هيكل في ملخص السياسة الأسبوعية ١٩٣٢ وبدأت الكتابة عنه عام ١٩٤٧ في مجلة الاخوان المسلمين ، وكان ذلك لأول مرة تدرس هذه القضية .

ويصور بعض الباحثين التغريب بأنه استلاب واغتراب عن التراث ، بين الإنسان وجماعته أو بين الإنسان وتاريخه ، ولذلك فإن من الضروري استرجاع الإنسان العربي المسلم المعاصر لهويته الضائعة عن طريق العمل على قهر شتى أسباب الاغتراب .

ومن شأن الاغتراب أن يقضى على شعور الفرد بانتمائه لنفسه والقابل للاغتراب هو امتلاك الذات ، ووعي الفرد لذاته من حيث امتلاكه استقلالاً ذاتياً وقدرة على الفصل في مصيره الشخصي في إطار التاريسي الخارجي .

واللظف المقابل للاغتراب هو الهوية أو الذاتية ، ويعنى الاغتراب أيضاً تعبيراً عن الحرمان والضياع عندما يجىء المستعمر غيسراً من الجماعة أرضها وحضارتها ولغتها وشخصيتها .

قال جاك بيرك : إن الاستعمار قد سلب تلك الجماعة عاداتها وتاريخها ووجودها الحضاري وانتزع منها صميم طبيعتها فلقد بذلت الجماعات إلى عالم غريب من الأشياء والمعانى والدلائل فلم تستطع أن تتحرر بعد الاستقلال السياسي من تلك الغربة .

والسر في الاغتراب في المجتمع الإسلامي : أنه مجتمع متقطع من صميم ماضيه غائب عن حاضره وإن كان يعيش بجهد ومشقة في سبيل بناء مستقبله .

وان ما يدور حول الأصالة والمعاصرة ، هو تعبر عن أزمة الاغتراب ، ويحث عن الشخصية المستقلة والتحرر من كل آثار الاستعمار » .

ويعمل التغريب على استغلال وجود النقص النفسي من أجل تدمير الشخصية المسلمة ، ولذلك فإن على المسلمين أن يعملا على تحرير موراثهم الحضاري التي

الاسلامية) وفرض القانون الوضعي الذي يهدم الاخلاق ويحطم الاسرة ويزلزل المجتمع ويدخله في مرحلة التحلل . خامسا : اشارة النعرات الاقليمية والقوميات والعصبية واحياء التاريخ القديم السابق للإسلام . سادسا : هدم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم .

سابعا : انكار دور المسلمين على الحضارة خلال ألف عام وأنثرهم على صناعة التجريب .

ثامنا : طرح نظرية وحدة الحضارة العالمية لصهر الحضارة الاسلامية في اطار الحضارة الغربية .

تاسعا : كتابة التاريخ الاسلامي من وجهة نظر تقول ان القرامطة والزنج دعاة الى العدل الاجتماعي .

عاشرًا : فرض التجربتين : الليبرالية والماركسيّة اللتين سقطتا بعد أن مر بهما المجتمع الاسلامي ولم يعد أمام المجتمع المسلم إلا أن يعود إلى منابعه .

حادي عشر : طرح نظرية دارون كمدخل إلى الالحاد وتدمير الشخصية الانسانية والتشكيك في قضية الخلق القرآنية ، وقد تكشف لالعالم كله انك انها نظرية باطلة وأن الانسان الأول كان يمشي على قدمين منذ ملايين السنين .

ثاني عشر : طرح نظرية فرويد التي تقول ان الانسان حيوان وتحكمه غرائز الجنس .

ثالث عشر : فرض دوائر المعارف البريطانية والفرنسية والامريكية ودائرة المعارف الاسلامية المليئة بالسموم من أجل تقديم مفاهيم خاطئة بالنسبة للإسلام والنبي وعلاقة اليهود بفلسطين .

نفوس المسلمين والشرقيين علمة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التاريخ الاسلامي ومبادئه الاسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عن اهله وانتقاد دور الذي قام به في تاريخ الثقافة الانسانية والروحية التي تمثل في ماضي هذه الامة مع توهين القيم الاسلامية والغض من تدرة اللغة العربية وقطع اوصال الروابط بين الشعوب العربية والاسلامية .

ويقول أصحاب هذه الدعوة ان للمسلمين والعرب قيمًا ومثلاً وذاتية خاصة تحول بينهم وبين الاندماج في الامم الأخرى تخلق منهم قدرة قوية على مقاومة الفوضى الاجنبى والغاصب ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة الا بضم هؤلاء في بوتقة الفكر الغربي واخراجهم من قيمهم لينصهروا في قيم الغرب وابراز اهداف التغريب : العلامة دون قيام (وحدة الفكر) التي هي مصدر وحدة الامة وبلطة العقول والفنون بعشرات من المذاهب والدعوات وتعزيز الفوارق الثقافية والاقتصادية في الامة الواحدة بما يحول دون قيام الوحدة الجامعية .

### ماذا استهدف التغريب :

أولا : القضاء على وحدة الامة الاسلامية باسقاط الخلة الاسلامية .

ثانيا : التعليم هو الخنجر المسموم الذي طعنت به الامة فنحن ما اوتينا الا من قبل التعليم والصحافة .

ثالثا : فرض الاقتصاد الغربي والنظام الريوى وتعزيز ثروات الامم .

رابعا : اسقاط القانون الربانى للبشر ( الشريعة

\* \* \*

## كذبت بنوءة (جب) بعد خمسين سنة وارتفعت أعلام الصحوة الإسلامية وتحطم أحلام التغريب

الإسلام وعلت صيحة : التحرر من التبعية للنظريات الغربية الوافدة .

(أولاً) كشفت البقظة عن المراجع الزائفة : دائرة المعارف الإسلامية والمنجد والموسوعة الميسرة ، وأعلنت أن الأغاني والفال ليلة وكتب المحاضرات ورسائل أخوان الصفا كلها مراجع زائفة .

(ثانياً) كشفت البقظة أخطاء طه حسين ، سلامة موسى ، ساطع الحصري ، جرجى زيدان ، على عبد الرزاق ، أمين الخولي ، لويس عوض وكشفت عن فساد النظريات التي طرحوها .

(ثالثاً) سقطت مدرسة جبران خليل جبران ودعوات كتابة العربية بالحروف اللاتينية والفرعونية والعادية ، وفساد عبارة (التنوير) وعصر التنوير فهو كامنة يهودية !!

(رابعاً) أعيد اعتبار السلطان عبدالحميد وموقفه المشرف من الصهيونية ، وتحرر موقف ابن خلدون - والمتين ، وعمر الخيام بعد أن سبقت الاتهامات لتدمر كيانهم الأصيل .

خامساً : تكشف فساد وجهة الحضارة الغربية وأنها المركب الغارقة ، والغربيون اليوم هم الذين يقولون بانهيار الحضارة ، ثبتنجلر كشف ذلك منذ أربعين عاماً وجاء بعده الكس كاريل وجارودى وتبين أن هزيمة الحضارة الغربية ترجع إلى سبب واحد : هو غياب بعد الالهي للحضارة والعلم والبعد الأخلاقي للمجتمع والاقتصاد كما تبين فساد فكرة الحوار بين المسيحية والإسلام لأنها لم تقم على أساسها الصحيح وهو ايمان التنصير كما تكشف زيف الكتب المقدسة مصدر التشier ، كما ظهر اعتراف الغرب بفضل حضارة الإسلام .

سادساً : تكشف هزيمة القانون الوضعي ، وفساد نظرية العلمانية وتتأكد أن مفهوم الإسلام الأصيل (دين ودولة) منهج حياة ونظام مجتمع هو المفهوم الصحيح وقد سقطت قلعة الاقليمية والقومية والماركسيّة (سابعاً) تبين فساد دعوى (جيل العمالقة) نجد تكشف أن هؤلاء العمالقة لم يكونوا إلا قنطرة بين الفكر

يقول الإمام ابن تيمية : « بن لم يجادل أهل الباطل حتى يقمع باطلهم لم يكن أوفي للإسلام » ونحن نؤمن بأن المدافعين عن الحق خالصاً لوجه الله لا يخلو منهم عصر أو جيل حتى يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها وقد واجهت الأمة الإسلامية في هذا العصر سعوم مثار وشبهات مطروحة ونظريات ومذاهب ومحاولات للتأمر والخداع ترمي كلها إلى صرف المسلمين عن المنهج الرباني إلى منهج البشرية الوافدة فإذا تعلقوا به وتركوا منهجم أحاطت بهم دائرة الاحتواء وصهروا في بوتقة الأمم وفقدوا ميزتهم الحقيقية وذاتيهم الخاصة التي أقامها لهم القرآن بحيث يكونون حملة لواء التوحيد إلى البشرية كلها إلى ما شاء الله .

ومنذ أكثر من خمسين عاماً كشفت مخططات الفوضى الأجنبي مؤامرة التغريب التي تعمل على تغيير طبيعة المجتمع الإسلامي ليخضع للحضارة الغربية ويستسلم أمام المفاهيم الوافدة المستمدّة من مصادر ثلاثة : من الفكر الوثنى اليونانى ، ومن الفكر الرومانى المادى ، ومن الفكر المسيحي الغربى الذى يختلف عن المسيحية المنزلة . تكشف هذا بظهور كتاب وجهة الإسلام (للمستشرق هاملتون جب وزملائه ١٩٣٤) يدرسون كيف وصل التغريب بالعالم الإسلامي وما هي العوامل التي تمكن من الإجهاز عليه وتغريبه كلية وفي ذلك عبارة واضحة يتسائل جب عن المستقبل : مستقبل التغريب فيقول : إلى أى مدى أصبح العالم الإسلامي غربياً ويجيب على ذلك مستعرضاً نفوذ الثقافة الغربية في العالم الإسلامي بلداً بلداً . ثم يعقب على ذلك بقوله :

نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن : إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته . مالم يطرأ على الأمور عوامل ليست في الحسبان فتتغير اتجاه التيار » .

كتب هذا هاملتون جب في الأيام نفسها التي كانت فيها البقظة الإسلامية تشق طريقها لتواجه مختلف شبهات الاستشراق والتغريب مواجهة حاسمة . ومن ثم كان لها دورها الواضح في تصحيح ما دسته الشعوبية والعلمانية والعلمانية والماركسيّة من سعوم في تاريخ

الغربي واللاسلكي الاسلامي وأنهم لم يزيدوا على أنهم نقلوا نظريات الغرب دون أن يتبينوا صلاحيتها أو فسادها ودون أن يلادموا معها تقييماً يؤصلها ، كذلك فقد كذبت الواقع أن يكون أسطو معلم المسلمين كما يدعون .

ثالثاً : تبين أن هناك انقطاعاً حضارياً بين الاسلام والمعصر الجاهلي وأنه ليس هناك ارتباط بين الفرعونية والبابلية والفينيقية وبين عصر التوحيد وتبيّن أن أول تاريخ العصر الحديث هو ظهور الاسلام وليس سقوط الدولة الرومانية .

رابعاً : تبيّن أن المنهج الفلسفى لديكارت أخذ عنصراً من نظرية الامام الغزالى التي أوردها كتابه : (المقدّس من الأضلال ) وقد وجد في النسخة المترجمة إلى الفرنسية تعليق لديكارت يؤكد هذا المعنى .

وأن نظرية التجربة التي قدمها فرنسيس بيكون مأخوذة من الرسالة للامام الشافعى .

ومن العجيب أن طه حسين الذي يفترض أنه درس الغزالى لم يتبين ذلك وظن أن ديكارت هو صاحب النظرية .

ومن العجيب أن يقول أحد الكتاب المعاصرین الذين درسوا في الأزهر أنهم تعلموا مفهوم حركة التاريخ من ماركس بينما نجد أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا الذي سبق ماركس بأربعة عشر قرناً قد قدم مفهوم حركة التاريخ الذي سبق به كل المفكرين المعاصرين .

خامس عشر : مسألة التبادل الثقافي بين عالم الاسلام والعالم الخارجي مسألة تحتاج إلى يقظة تامة فنان استيراد الافلام المشبعة بالجنس والجريمة التي تغزو مجتمعاتنا اليوم هي من الامور الخطيرة التي يجب التنبه لها . كذلك يجب الاحترام من نقل معلومات البلاد الاسلامية إلى الغرب عن طريق اللجان المشتركة .

سادس عشر : فساد فكرة الدورات التي يحاول أن يطرحها الفكر الباطل ، وهي فكرة التناقض القديمة في اسلوب جديد المسلمين لا يؤمنون بهذه الفكرة ويررون أنها من الباطل الذي يجب كشفه .

سابع عشر : يتجدد الكلام عن القومية بعد أن سقطت سقوطاً شنيعاً وفي هذه المناسبة يجب أن نذكر قوله كمال المشرين الغربيين (زويم) : أن انتصار الاستعمار الحقيقي هو هدم (الوحدة الاسلامية) واحتلال القومية محلها وما عابنا الا أن نتفاخ في هبّق القومية فتقاد لها الشعوب وهذا هو الانتصار العظيم » .

فليعتبر بهذا اولو الابصار .

حادي عشر : ان محاولة تفسير التاريخ الاسلامي بمفاهيم علمانية او قوية او مادية هي محاولة فاشلة ولن تجد في هذه المرحلة من حياة الامة الاسلامية اى قبول لها فالقول بأن الحروب الصليبية هي صراع بين العرب وأوروبا كما يحاول (محمد عماره وعبد العظيم رمضان) هو قول باطل تماماً ولا دليل عليه ، فمتي كانت هناك عروبة تصارعها أوروبا في هذه الفترة وكلمة العروبة لم تظهر إلا منذ سبعين عاماً؟!

جاء الشیخ سعید بن عبد الوهاب فانجح الله قصده وارتبط  
النهج الربانی بالحكم فقامت دولة عايشت الاحداث وكان  
ظهوراً مجدداً عام ١٩٢٦ بعد سقوط الخلافة العثمانية  
وقد قرأتنا فکرة جب في مطالع الصبا وعايشنا الاحداث  
في مواجهة التغريب .

ولقد كانت صیحة الامام حسن البنا في العصر  
الحادیث هي الرد الحقیقی على مؤامرة ( هاملتون جب )  
وقد قطعت البیقotte الاسلامیة مراحلها في تصحیح  
المفاهیم حتى ظهرت صیحة العودة الى الله ١٩٦٧ بعد  
ضیاع القدس وقدمت هذه المراحل ثلاثة مظاہر کبریٰ :  
١ - عودة المرأة المسلمة الى البيت و الى الحجاب .  
٢ - ظهور المصارف الاسلامیة التي خرجت عن  
دائرة الربا .  
٣ - تطبيق الشیعیة الاسلامیة في باکستان  
و السودان .

٤ - غلبة مفهوم الاسلام الجامع : دینا و دولة و نظام  
مجتمع ومنهج حیاة و نحن في العقد الاول من القرن  
الخامس عشر المھرجی نتطلع الى :

\*\*\*

- ١ - نهج اسلامی للأدب و تاریخه و النقد و القصّة .
- ٢ - منهج اصیل للفن الاسلامی و العمارة  
الاسلامیة .
- ٣ - منهج اسلامی اصیل للنفس و الاجتماع  
و الأخلاق .
- ٤ - أن تكون اللغة العربية النصحي هي لغة  
المسلمين جميعاً .
- ٥ - أن يقوم نظام التربية الاسلامية ، فان الخنجر  
الذی طعن به المسابقون هو نظام التعليم الغربی  
العلماني .
- ٦ - ان يقوم نظام العلوم التكنولوجیة في العالم  
الاسلامی على اللغة العربية و في نطاق الاسلام .  
و هکذا كذبت نبوءة هاملتون جب وقد نشأ فعلاً  
الجيّل الذي قاوم المؤامرة و حطّبها تماماً .

هذا وبالله التوفیق ،

ثامن عشر : تجب البیقotte التامة ازاء دعوین :  
البهائیة والقادیانیة « والقادیانیة العاملة بالاحدیة »  
فكلاهما تدعو الى استناظ فریضۃ الجہاد فی سبیل الله  
و تدعو الى عالمیة الادیان و هي فتنۃ يراد بها هدم الاسلام  
و قد تبین و لاء البهائیة للمنظمات الصهیونیة و هي اشیه  
بالماسونیة والروتاری واللیونز کما تبین و لاء القادیانیة  
والاحدیة الى النفوذ الغربی والصهیونیة اخیراً .

تاسع عشر : فساد نظریة تطویر الشیعیة ، و هي  
نظریة علمانیة مرتبطة بالایدیولوجیات البشریة ، حيث ان  
الشیریعة الاسلامیة ربیانیة المصدر ، قد وضعتها الحق  
تبارك و تعالیٰ فی اطیرها الواسعة المرنة لتكون صالحة  
للمجتمعات البشریة فی مختلف البیئات والعصور ، فھی  
تختلف عن الفکر الانسانی الذي یعکوره النقیس و الفساد  
و یحتاج دائیها الى اضفافه و الحذف و انما تتطور فی الاسلام  
الوسائل ولا تتطویر القيم الثوابت و هنـاك مجال  
للمتغيرات .

عشرون : فساد فکرة التفرقة بین العلم والدين  
و قولهم ان للعلم میدانه وللدين میدانه و هذه نظریة غریبة  
مرتبطة بالمیسیحیة التي لم يكن لها نظام مجتمع ، ایما فی  
الاسلام فانه لم یحدث صراع بین العلم والدين على مدى  
هذه العصور المتواتیة ذلك لأن العلم نشأ فی کثف الاسلام  
الذی هو ليس دینا بمفهوم الالاهوت الغربی ، والعلم فی  
الاسلام جزء منه و خاضع لمنهجہ و اخلاقیاته و تقوم  
الحضارة الاسلامیة علی اسلامیة العلم الذي یخدم  
البشریة و یقدم لها بایصلحها و یرفع عنها اخطار العصر  
الذریة والهدر و جنینیة التي تهدد العالم فی كل لحظة .

هذا وینکر الاسلام ما یسمی بالصدفة فکل حادث  
تم بقصد وغاية وحاشا لله أن یقع شيء بالصدفة في ملك  
الله . و ليس في الاسلام ما یسمی بالطبيعة التي صنعت  
کذا وانما الصانع في الاسلام هو الله تبارك و تعالیٰ  
والطبيعة مخلوقة لله تعالى ، و اذا كان في الغرب اليوم  
تيار یسمی مراجحة الذات تعییراً عن الشک فی الكتب  
المقدسة و فی نظام القيم الراهن وبحثاً عن نظام جدید اکثر  
ملاءمة لها ، فاننا في الاسلام نقيم نظام ( العودة الى  
التابع ) وهو صلب دعوة مدرسة الاصالة التي حمل  
لواءها الامام احمد بن حنبل حتى صاغها الامامین ابن تجیمیة  
وابن القیم فی منهج اصیل ، هذا النهج لم یتوقف عن ان  
یحمله المیاهدون جيلاً بعد جيل ، فلم یخل منه جيل حتى

\*\*\*

# في ضوء الصحوة الإسلامية من التغريب إلى الأصالة

كان الهدف هذه المرة هو «الاسلام» نفسه فمدد الكشفت هذه القوى انه هو (العروة الوثقى) وأنه روح الارادة القادرة على المقاومة وصد العدوان ، ومن هنا كانت محاولة التغريب الramatic الى تعریف الاسلام من مضمونه الأصيل وهو (الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وتعریف العقول والقلوب المسماة منه .

وقد كشفت مخططات التغريب عن الوسائل كما  
كشفت عن الغايات ، الوسائل الرامية الى تمزيق وحدة  
السلميين حتى لا يجتمعوا في كيان موحد وقد اشار  
( هامilton جب ) الى بعض هذه الوسائل .

أولاً : اشار الى الرابطة العامة الوثيقة بين عناصر المجتمع الاسلامي والتي نشأت من العقيدة والثقافة الدينية المشتركة وهي التي تؤلف بين الجماعات الاسلامية في الشعور والرأي والصلحة وكان لابد لهم هذه الرابطة من خلق الفرق والاحزاب والهيئات ذات الولاء الغربي والشرقي ، والسياسي ، والاجتماعي ، والاقايمي والقومي مع الترکيز على الاقايمات وعلى القبليات واحياء النزعات القديمة التي اندثرت سواء الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية ، أم المعتزلة ، والباطنية ، أم ادخال الفرق الجديدة كالشيوخية والوجودية والفرويدية .

ولكى تقضى على التعاطف الاسلامى الذى يجمع  
الشعوب ظهرت الدعوات الى تاريخ قومى لدى قطر  
عربى يمتد الى تاريخ ما قبل الاسلام مع ان الاسلام حين  
جاء قضى على هذا التاريخ وأعلن المؤرخون قيام  
(الانقطاع التاريخي) بين ما قبل الاسلام وما بعده .

**ثانياً** : اشار الى الرابطة الدينية وعمقها ، وتلك دعوة الى احلال روابط اخرى تتعلق بالوطن والقومية وغيرهام حل هذه الرابطة والعمل على اعلاء شأن (الاتجاه العلماني ) القائم على الروابط الاقتصادية والسياسية اى العمل على توهين هذه الرابطة المقدسة واحلال روابط اخرى بدل منها واقامة نظم جديدة في تأليف الحكومة وتكوين المجتمع وهي الليبرالية والديموقراطية الغربية .

ولاريب أن أحياء الثقافات القومية والإقليمية المتداة إلى تاريخ كل بلد قبل الإسلام يحدد تلك الخلافات

كشفت حركة التغريب والغزو الثقافي هدفها منذ خمسين عاماً بكتاب المستشرقين الخمسة وعلى رأسهم هاملتون جب ( وجهة الاسلام ) ولكن عملية التغريب نفسها كانت قد بدأت قبل ذلك منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ - ١٨١٦ ه تقريباً اي في مطلع القرن الثالث عشر بعد أن دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى التوحيد الخالص بوقت طوويل يزيد عن خمسين عاماً ومعنى هذا أن نهضة الاسلام بدأت من داخله وليس من خارجه كما يدعى المدعون ، وكانت هذه الريدة سبباً في التنبيه والوعي لخطر حركة التغريب ، يبدو ذلك واضحاً في كلمات عبد مكرم والشيخ الدردير ، ولقد كشفت مجلدات ( وصف مصر ) التي كتبها المستشرقون الفرنسيون عن أن المجتمع الاسلامي كان في أعمقه سليماً وكان النظام الاسلامي قائماً ليس في مصر وحدها بل في العالم الاسلامي لم يحجب الا بعد الاحتلال البريطاني الذي قطع لاول مرة استمرارية هذا النظام منذ ظهور الاسلام .

ان حركة الغزو الثقافي والتغريب التي قادها الغرب لم تكن تستطيع ان تعزل المجتمع الاسلامي عن قيمه الا بالاحتلال والسيطرة العسكرية وفرض القيادة والmakers الغربيين وعزل القوى الصادقة الایمان عن الحركة . والعمل ، كما حدث بالنسبة للمجاهدين الذين عارضوا النفوذ الاستعماري في مصر والجزائر وتونس والهند . ويكتب الذين يدعون بأن المجتمع الاسلامي قد تقبل النموذج الغربي تقليلا اختياريا فقد كان المجتمع الاسلامي يمتلك منهجا تطبيقيا واسع الانق من الاطر ، قادرًا على استيعاب مختلف وجوه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وان كان المسلمين قد أصيروا بالجمود والتخلف بعد جولة الف سنة من اضاءة العالم وبث روح الحضارة والتقدم فيه ، ولكنهم كانوا قادرين عن طريق مصلحיהם الذين انطلقوا في دعوات تحمل طابع مقاومة الاستبداد وتطهير العقيدة ، والقضاء على الجريمة الصوفية ان يستعيدوا كيانهم وعطائهم للانسانية ولكن النفوذ الاجنبي الذي هزم في الحروب الصليبية ، والذى استيقظ على المنهج العلمي التجربى الاسلامى سرعان ما امتلك اراده القوة والسيطرة ويسى في جولة جديدة للسيطرة على عالم الاسلام .

محاولات استعمال الاساليب الواحدة التي لم تتحقق الا اطالة امد الاغتراب والعجز عن امتلاك الارادة ولن يستطيع النموذج الغربي او الماركسي ، ان يسيطر احدهما على هذه الامة الناضجة التي تعرف ان منهجها اعظم المناهج واقدرها على العطاء ، ليس للامة الاسلامية وحدها ، بل للبشرية جبعا ، هذه الامة لن تخدع وان خدع افراد منها احتقونهم المدرسة التغريبية و كان لهم بعض النفوذ في بعض المجتمعات ، ولكن الى قدر قصیر وامد محدود ، ولن يستطيع شئ ماعدا الاصالة والفتراة ان يستقيم ويتمد ويذوم ، ولابد للزيف ان ينهار وأن ظن البعض لبريقه ولعائه فترة انه ممتد ومستمر – لقد تكشفت للامة الاسلامية ان « التغريب » يهدف الى تشویه الذاتية الاسلامية المتميزة ، ولذلك حاربته الامة بكل الاسلحة ، وظهرت مؤسسة تصحيح المفاهيم والمراجعة الشاملة الدخائل التي دخلت على الفكر الاسلامي خلال فترة النفوذ الغربي والماركسي وعلت الدعوة الى اسلام الاعلام والعلوم والفن والعمارة واستجاشت المشاشر في مختلف البلاد الاسلامية بالدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وقاوست اقلام الدعاة والمفكرين الاسلاميين بالردد على الشبهات المثاره ومواجهمة التحديات فكشفت زيف ( ساطع المصرى ) في مفهوم القومية و زيف ( على عبد الرزاق ) في مفهوم الدين والمجتمع و مفاهيم طه حسين في الفصل بين الادب العربي والفكر الاسلامي ونظرية الشك الفلسفى و مفاهيم آخرين في الاقتصاد الريوى ، والقانون الوضعي و مفاهيم الدعوة الى العافية والفللkor وتحديد النسل ، و مفاهيم الماسونية والباطنية والشيعوية و مختلف دعوات لطلفي السيد واويس عوض و زكي نجيب محمود و حسين فوزى و توفيق الحكيم كما كشفت عن ان جيل الرواد والقمم الشوامخ لم يكن هؤلاء التغريبيون و انما كان هذا الجيل ممثلا في محمد ابن عبد الوهاب والسنوسى والمهدى و جمال الدين ومحمد عبده و رشيد رضا و حسن البنا و عبد العزيز جاويش والذين الرافعى و محب الدين الخطيب و شكيب ارسلان و الشعالى و عسال القابى و مالك بن نبى و المودودى والنذوى و عشرات . اما ان تكون القمم الشوامخ هى لطفي السيد و طه حسين و زكي نجيب محمود فهذا لا يقرره احد من المنصفين .

لقد مرت فترة الابهار ومضت الى غير رجعة ، وسقطت دعاوى الاقايمية واللبرالية والماركسيه والقومية المتغيرة ، وعادت مفاهيم العلاقات بين العروبة والاسلام وبين العدل الاجتماعي والاسلام وبين الشورى والاسلام الى حقيقتها .  
ان موقف المسلمين من الحضارة الغربية الان ،

ويعمقها ويصبح على حد قوله ( وبذلك يختلف معنى الوحدة الاسلامية في هذا العصر الحديث اختلافا تاما عن معناها في العصر الوسيط ) .

**ثالثا :** غزو المقول العربية والاسلامية بالامكار الغربية حتى تقطع القنوات التي تستقى كلها من نبع واحد ، والتى تؤدى الى هدف واحد .

ويقول هاملتون جب ان هذا العمل سيعمل على زلزلة بناء المجتمع الاسلامي و تقويض اركانه .  
هكذا تصورت حركة التغريب أنها قادرة على احتواء المجتمع الاسلامي و صهره في بوتقة الحضارة الغربية بقطبي اوصاله عن الاسلام جملة والحاته بالتيارات الغربية جملة وقد غفل هؤلاء الخبراء عن شئ أساسي يكاد يكون من جوهر اسرار الاسلام التي يفاجئ بها دعاء التغريب دائما وفي كل موقع ، ذلك هو قدرة المجتمع الاسلامي وهو في مرحلة الضعف والتخلف على الصمود في وجه الغزو الذي يريد ان يقتله او يدمره او يحتويه ، تلك خاصية شديدة الخطورة تكن في صميم المجتمع الاسلامي ولا تظهر الا في وقتها المحدد وهي بالقياس الى وقائع التاريخ يمكن اعتبارها قانونا قائما او سنة من سنن المجتمعات والحضارات .

تلك هي قدرة المجتمع الاسلامي الى الانبعاث من داخله وقدرته ايضا على رفض الجسم الغريب والانطواء على نفسه في حالة الضعف حتى لا تنفذ اليها السهام .

ولقد كان المجتمع الاسلامي قادرًا على ان يستجيب للتطورات العالمية وللمتغيرات الجديدة دون ان يفقد ذاتيته او تنهار شخصيته ، وقد ظهرت خلال هذه السنوات هذه الحقيقة في وضوح وجلاء ، يقول جب :  
( لا يستطيع مجتمع ان يبقى منعزلا عن وسائل المدنية الحديثة ) نعم ولكن المجتمع الاسلامي له قدرة خارقة على ان يأخذ ما يتناسب مع حاجته دون ان ينضر ، وهو يعرف ما هو في حاجة اليه وهو العلم التجربى والتكنولوجيا ، أما اسلوب العيش ( بما يتعلق بالثقافة والأخلاق والعادات والقيم ) فهو لا يستبدل قيمه و اخلاقاته و اذا انحرف تحت تأثير اى ضفت فانه سرعان ما يتعارض مع الاصالة والنظرية الصحيحة ، و سرعان ما يصحح مساره ، والمجتمع الاسلامي في القرن الرابع عشر المجرى من بكلنا التجربتين الغربيتين : اللبرالية والماركسيه ، و تأكى عقمهما و عجزهما عن العطاء ، وهو يقف من النفوذ الغربي موقفا واضحا ، وقد تكشفت له الان ابعاد المخططات : كما يؤمن بأن اسلوب الاسلامي في معالجة مختلف التحديات التي تواجهه – ليس هو اسلوب الامثل نحسب ، ولكنه اسلوب الوحيد الان بعد ان فشلت

ان المنهج الاسلامي اليوم يدرس في مجال ( حوار الحضارات ) ويجري الاستعانة به في سد ثغرات الحضارة الغربية المتهزة التي توشك أن تنهار فليس الأمر الان هو أن نأخذ ولكن هو أن نعطي .

ان فكرة التغريب ( التحرر من سيادة الدين اهى فكرة مسمومة وهي ليست فكرة الغرب وحده ولكنها فكرة القوى الأخرى ( الشيوعية والصهيونية ) ولكن المجتمع الاسلامي الان يؤكد سيادة منهج الله ويتطلع الى فجر جديد يشرق في ضوء القرآن .

ليس أسوأ من رأى مفكري الغرب أنفسهم فيها ، وليس موقف المسلمين من الاسلام الآن هو جمود على ماضٍ زاخر أو تاريخ باهر ، وإنما على « منهج حياة ونظام مجتمع » رباني المصدر واسع الاطر ، قادر على العطاء . لا تستطيع المتغيرات والأحداث أن تعيده ، ولا يستطيع تغير البيئات أن ينال منه ، ليس شأنه شأن المناهج البشرية والإيديولوجيات العصرية ، التي تحتاج إلى الاضافة والمحذف ، والقى لا تستطيع العطاء في كل البيئات أو العصور .

\*\*\*

## ماذا تتطلع إليه حركة التغريب

( من تقرير جب عام ١٩٣٠ )

على التوحيد الخالص والعدل الاجتماعي والاخاء البشري وقد تراجع التغريب اليوم في دعوه الى صهر المسلمين في بوتقة الحضارة الغربية وظهر دعاة التغريب يدعون الى الجمع بين تراث المسلمين وبين عصرانية الغرب ، وهي دعوى يرددوها كثيرون في مقدمة زكي نجيب محمود ويرفضها المسلمون الذين يؤمنون بأن البناء يجب أن يكون على الأساس وأن المسلمين لا ينتقدون ولكنهم يعرضون الوافد والتراث جميعا على مقاييس القرآن فكل ما يصادمه يجب أن يبعد ، وأن كثيرا من التراث كتب في ظروف ترجمة الفلسفية اليونانية وغلبة الفكر الباطني والوثني ولذلك فهو مردود ، أما بالنسبة للفكر الغربي الحديث فان المسلمين ينظرون اليه ويراجعونه ولكنهم لا يعتقدونه لأن لديهم ( مناهج اسلامية كاملة ) في مخالفة جوانب السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والأخلاق والنفس وغيرها وهي مختلفة تماما مع الايديولوجيتين الغربية والماركسيّة وتتميز عليهم بميزات اهمها :

- ١ - أنها ربانية المصدر .
  - ٢ - أنها واسعة الأفق مرنة قابلة لمواجهة متغيرات العصور والبيئات .
  - ٣ - أنها جامحة لشطري الانسان : الروح والمادة .
- وليست قاصرة على الفكر المادي وحده .

ان تقرير هامilton جب الذي أعده ليرسم مخطط لحركة التغريب والذي ظهر عام ١٩٣٠ انما كان يرمي في الأساس الى القضاء على الوحدة الاسلامية واحلال القوميات بدلا منها كأساس لعمل التغريب كله .

وقد نسى جب أن الاسلام وحدة سياسية ووحدة عقائدية فكرية وأنه ان كانت قد انهزمت الوحدة السياسية فان الوحدة العقائدية الفكرية قد بقيت . وقاومت محاولات التغريب وعادت الى مفهومها الأصيل وأنه عندما سقطت الوحدة السياسية عن طريق سقوط الخلافة ما تهار المجتمع الاسلامي بفضل وحدته العقائدية وقد أحل المجتمع الاسلامي وحدات جديدة لمقاومة النفوذ الاستعماري أما بالنسبة لاتجاه العالم الاسلامي الى المدنية الغربية وقد جعله ( جب ) عاماً لا قومياً في التغريب فان المسلمين قد أصبحوا يفرقون تفرقه واضحة بين اسلوب العيش الغربي وبين المدنية القائمة على التجريب والتكنولوجيا وهم يرفضون اسلوب العيش الغربي ويطلبون بأن يحصلوا على التجريب ليبنيوا حضارتهم من جديد على أساس قرآنية اسلامية وأنهم مهمما سيطرت عليهم اسلوب المدنية المادية في الطعام والمسكن والتنقل وغيرها فانهم يفرقون تماماً بين قبول ذلك وقبول فكر الغرب القائم على المسيحية واليهودية والفكر اليوناني والروماني ولا يقبلون بأسلوب الارجانون الروماني القائم على العبودية والرق ، ويؤمنون بمفهومهم الاسلامي القائم

\*\*\*

## الباب الثاني

### الاستشراق في خدمة التغريب

من طبيعته الخاصة وجوهره الذاتي ورسالته الحقيقة وذلك لاحتواء المسلمين وفهمهم دفعاً لأن يكونوا «تابعين» للحضارة الغربية العالمية يقبلون وجهتها وينصرون فيها ويسلمون مقاليد بلادهم وأمتهن لأمبراطورية الربا العالمية - والاستشراق ليس علماً بأي مقياس علمي ، وإنما هو عبارة عن (أيديولوجية) خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو متركة على أوهام وافتراضات . فالدارس لأعمال المستشرقين لا يحتاج إلى جهد كبير ليرى تعمدهم في تزييف الحقائق واللجوء إلى سينط فاسد ، ومغالطات ، وقطع للنصوص ، مع وضع أهداف مبكرة يطلبونها ويحاولون بالبحث إيجاد ما يساعدهم على تأكيدها وهي تستهدف في غايتها رسم صورة مشوهة سقية عن الإسلام في نظر القارئ الغربي وإلى زلزلة عقيدة الإسلام وتبينها في عين أبنائها من المسلمين فغاية الاستشراق إن مشتركة : ذلك لأنه نشأ في أحضان الكنيسة وفي رحاب وزارات الاستعمار فجمع بين الغايتين ، مما صد الغربي المطلع إلى الإسلام عنه وفسد نظره المسلم نفسه لدينه .

وبذلك صد الاستشراق في الغرب كثيراً من مفتوحى الثقافة والعقول حتى لا يقعوا في أسر الإسلام ، بعد أن استشرى الحديث في الغرب بعد هزيمته في الحروب الصالية عن أمانة المسلمين وعدالتهم ورحمتهم ، وحسن أخلاقهم .

ولما كانوا يعرفون أن مواريثهم ضئيلة قليلاً تائهة ، هي مجموعة من الأساطير والخرافات فقد أزعجهم ذلك القدر الضخم من العطاء العلمي والروحي والثقافي الذي قدمه الإسلام للبشرية وخشوا على وجودهم فبادروا إلى النيل منه وتزييفه وإثارة الشبهات حوله .

وقد حرص رجالهم على وضع مخططات ترمي إلى احتواء العالم الإسلامي كله والسيطرة عليه ومن ذلك دعوتهم إلى القومية وإلى الاشتراكية وإلى تشوييه

#### أولاً : آثار الاستشراق :

وصل النفوذ الأجنبي بعد الحروب الصالية في معركته مع الإسلام وعالمه إلى حقيقة مؤكدة ، وهي أن هذه الأمة لا تغلب عسكرياً لأنها تملك منهاجاً يحول دون الهزيمة وإن الإسلام ربى أبناءه خلال أربعة عشر قرناً على الجهاد في سبيل الله والدفاع عن البيضة والرابطة في التغور وحماية الحدود في آيات هي بمثابة الأمر الأعلى الذي يصدع له المسلمين (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوك ) .

ومن هنا دفعهم تأثيرهم على تدمير هذا السد الفولاذى القوى القائم في النفس المسلمة بتوهين هذه القيم التي قام عليها الإسلام وإثارة الشبهات حولها وأذاعة السيموم والاحقاد حولها في محاولة ماكرة خبيثة تحت اسم تقديم علوم المسلمين إلى المسلمين عن طريق الأساليب الحديثة والجامعات والبعثات وخلق أجيال جديدة تتربي في بيئتهم وتتصدر عن كتاباتهم ويمكن لها النفوذ الأجنبي في بلادهم ومن هنا نشأ «الاستشراق» بهدف تسييس منابع الفكر الإسلامي ، والترااث واللغة والتاريخ وإثارة الشبهات حول القرآن والسنة والسيرة والفقه وعلوم الدين بهدف خلق روح التخاذل وتهوين القيم وضرب النصوص والتشكيك في المفاهيم الجادة والحدود القائمة .

لم يعمل الاستشراق بمفرده في سبيل المخطط الذي كان يرمي إليه وإنما أعادته قوى مختلطة أهمها مؤسسة التبشير التي بدأت في مدارس الدراسات الأجنبية وتنوعت أساليبها حتى سيطرت على التعليم في البلاد الإسلامية وحورت مناهجه وأوضاعه حتى جعلته علماً مقصوصاً الجناح مجرداً من مفهوم الإسلام الأصيل الجامع بين التعليم والتربية والقائم على بناء الفرد المسلم مقدمة للأسرة المسلمة ، فالمأمة المسامة فالدولة المسلمة .

وقد كان الاستشراق نفسه منظمة ذات هدف واضح يعمل بالتشييق مع الاستعمار والنفوذ الأجنبي من ناحية ومع التبشير من ناحية أخرى في سبيل تحقيق غاية كبرى هي «تغريب» الإسلام والمسلمين بخارجه

هذا عن الأثر السياسي للاستشراق في العالم الإسلامي أما الأثر الفكري فقد درس المستشرقون العلوم الإسلامية بهدف تدميرها من الداخل وتخصص كل منهم في علم معين : جولدسيهير ( علوم القرآن ) وشاخت ( الشريعة الإسلامية ) ومرجليوث ( سيرة الرسول ) لويس ماسينيون ( التصوف والحلاج ) كيف ترون رجالاً مثل ماسينيون ينفق أربعين سنة على بعث تراث الحلاج ليجدد هذه العسوم التي قتلت من أجلها وهي دعوه إلى وحدة الوجود واتحاد المخلوق بالخالق وتأممه مع القراءطة . وقد أفسد مرجليوث مفهوم علاقة القرآن بالشعر الجاهلي ، وزيف علاقة الخلافة بالنظام الإسلامي وخلط جولدسيهير مفهوم التدوين والسنّة . وأفسد شاخت العلاقة بين المعرف البدوي والشريعة الإسلامية وقد كانوا دعوة إلى احياء ادب الفسق والفجور ( أبو نواس وبشار بن برد ) وكتابات الباطنية . نهم الذين أعدوا طبع كتاب رسائل أخوان الصفا ، وأحيوا ابن عربى والحلاج وابن سبعين والسمورى .

وكانت دعوتهم الباطلة إلى ربط المسلمين بالفلسفة الغرقتية بدعوى ارتباط أجدادهم بالفلسفة اليونانية وهي دعوى عريضة كذبها وقائع التاريخ فلم يقبل المسلمين في صدر الإسلام عندما ترجمت الفلسفة اليونانية أو الفارسية أو الهندية مقولاتها ورفضها علماء الإسلام وكشفوا عن الفوارق العميقة بين منهج الحياة الإسلامية القائم على العدل والأخاء البشري والتوحيد وتحرير الإنسان من عبوديته للأصنام والآوثان وعبوديته لغير الله بينما يقوم الأرجانون الذي تحمله الفلسفة اليونانية على سيادة المسادة في أعلى منصة السيادة وعبودية العباد ، والاقرار بالرق ، أقر به أرسطو وأفلاطون واعتبروه أساس الجمهورية بل لقد بلغوا في ذلك مبلغاً جريئاً متطرفاً إذ قالوا لو أن عبداً وصل مكان السيادة لظل سيداً . لذلك رفض الإسلام فلسفة اليونان وأعلن رفضه لها لأنها تتعارض مع قيمه وعداته وأساس التوحيد الخالص الذي سوى بين البشر ، ( كلهم آدم وآدم من تراب ) .

هذا وقد كثف علماء الإسلام فساد الفلسفة اليونانية وزيحوا وجهتها وكان للأئمة الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية كتابتهم الدحضة لفساد هذه المترجمات .

وقد جاء الاستشراق ليبني على هذه المخططات التي هدمها المسلمين ، فاحياءها من جديد لاثارة الشبهات وتسفيه الآثار .

الوحدة الإسلامية الجامعة والتأممه على دولة الخلافة الإسلامية لتمزق تلك الجبهة الموحدة وفرض نفوذهم الإقليمي على كل منطقة ومحاولة إقامة وجود وتاريخ وكيان خاص لكل منها مستمد من تاريخ ما قبل الإسلام وبذلك أحيوا دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والأشورية والبابلية في العراق والبربرية في المغرب والزنوجية في إفريقيا بهدف تقطيع أواصر العالم الإسلامي وقد أكد أكثر من مستشرق بأن التركيز على القوميات من أكبر أهداف عملهم ومنذ ذلك اليوم تحدثت الدراسات عن الأدب المصري والأدب السورى ، والحضارة العربية والحضارة الإسلامية ، وعن الثقافة المصرية والثقافة السودانية ، وهكذا جرت المحولة بفضل الأدب والثقافة والفكر في هذا العصر الحديث عن منطلق الفكر الإسلامي وتفصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي وهذه مؤامرة خطيرة ، يجب الوقوف في وجهها بينما هي ( وحدة ) من وحداته لا تنفك عنه .

وجاءت القضايا السياسية لتدرس في كل قطر على حدة ، ويكون لها وجهة نظر مختلفة ، وتمزقت جبهة الأمة الإسلامية في إقليميات وقوميات ، كان من شأنها سقوط الوحدة الإسلامية الجامعة إلى حين وتبنت الدعوات المرتبطة بالعرق والدم والعنصر ، وظهرت الدراسات تتحدث عن النحو العربي والبلاغة العربية في كل قطر على حدة بينما هي مما لا يمكن فصله أو تجزئته وتنافس المسلمين الشخصية الواحدة فقال عنها هؤلاء انه تونسى وقال الآخرون بل جزائرى ، وقال آخرون انه ولد في جنوب ليبيا ( كذلك فعلوا بأكثر من شخصية ) وقالوا ان الفارابى تركى والغزالى فارسى ، ونسوا حقيقة أساسية هي أن العقل الإسلامي وحده هو الذي كون هذه الشخصيات وكون آثارها وأن اللغة العربية والقرآن والسنّة هم مصادر هذه الأعمال حيث لم يكن يعرف المسلمين في عصورهم المزدهرة مثل هذا الخلاف بين العربي والفارسى أو التركى بل هو مما رماهم به عدوهم . بل كان المسلمين وحدة واحدة لا يملكون جواز سفر إلا من لا اله الا الله وقد جال ابن بطوطة أربعين قطراً دون أن يوقفه أحد منذ خرج من الأندلس حتى بلغ جاوة .

تلك هي مؤامرة الاستشراق الكبرى التي هدمت وحدة المسلمين وفتحت الطريق أمام غزو قوبية أخرى خارجة على وجودهم ومزقت العالم الإسلامي كله إلى قوبيات وأسقطت الخلافة الإسلامية ومكنت للإقليمية التي ما تزال تصر على انفصالتها ، وكانت الأطروحة الكبرى وهي الماركسية من أخطر ما حمل دون وحدة المسلمين وأسلمتهم إلى ولاءات مختلفة بين القوى الغربية والماركسية .

الحق المزعوم في العودة إلى فلسطين وتشويه الفتح العربي .

ثالثاً : الاستشراق الماركسي : فيحاووه احتضان الدعوات الهدامة كالقراططة والزننج ووصفها بأنها حركات عدل اجتماعي وحرية ، وقد أفردت لذلك رسائل وأطروحتات كثيرة استهدفت ضرب مفهوم العروبة الأصيلة والاسلام وأحياء مفهوم الشعوبية والباطنية القديمة . وعمد الاستشراق الماركسي إلى تفسير التاريخ والتراث الاسلامي تفسيراً ماركسياً مع قصور النهج الماركسي في تفسير جوانب الاسلام المعنوية والروحية وقد حرص الاستشراق على احياء الاسرائيليات القديمة وأحياء كثير من الروايات الم موضوعة والحكايات المنسوبة التي هدفها كبار الباحثين المسلمين وفي مقدمتهم الامام ابن كثير وقد ارتفعت الصيحة في السنوات الأخيرة إلى تحرير التراث الاسلامي من هذه الاساطير التي جاءت نتيجة اعتماد بعض المفسرين على روایات جاءت في التوراة والكتب القديمة وهناك مادة تدرس لتنقية هذا الجانب تسمى ( الدخيل في كتب التفاسير ) .

وبالجملة فقد ركزوا اعسالهم في موسوعة ضخمة هي دائرة المعارف الاسلامية ، ولم يتوقف فسادهم عند هذا الحد بل توسع في دوائر المعارف الأجنبية ( البريطانية والأمريكية ) ودائرة لاروس الفرنسية وكان آخر هذه الاعمال كتاب اليونسكو عن الاسلام المليء بالسموم والذي عجزت الدوائر الاسلامية خلال سنوات ثلاث عن ردهم عليه وتصححه وهم يراوغون في مكرد بالغ .

ولقد جاءت مرحلة خطيرة في الكشف عن سموه الاستشراق ، حين بدأت الدراسات الغربية عنه لتعريته .

ثانياً : دراسات غربية عن الاستشراق ..

ويقول ادوار سعيد في كتابه الخطير عن الاستشراق :

أن الفكر الاستشرافي يتميز بنظرية استعلاء على الشرق يرى فيه الدونية .

ويدعو ضمناً أو صراحة إلى ازدرائه وأن مجموع الكتب التي عالجت الشرق العربي والتي صدرت بين ( ١٨٠٠ - ١٩٥٠ ) وتقدير بحوالى ٦٠ ألف كتاب تقريباً تتميز كلية بالعدوانية وأن الطلاب الذين يدرسون في أوروبا ، خصوصاً في الولايات المتحدة هم ضحايا هذا الاستشراق الذي يسود الجامعات هناك وبما أن الاستشراق يعلمهم فيما يعلمهم أن العقل العربي يتميز بالدونية عند مقارنته

وقد وزعوا شبهاتهم في ميادين مختلفة من الفكر الاسلامي : حقائق الاسلام ، تاريخ الرسول ، القرآن الكريم ، اللغة العربية ، التراث الاسلامي ، السنة ، الحضارة ، الشريعة الاسلامية ، التاريخ الاسلامي .

وبالرغم من أن الاستشراق كلّه جبهة واحدة في مواجهة الاسلام ، الا أن هناك ثلاثة تيارات استشرافية تعمل متساندة ، ويتميّز كل منها بأغراضه الخاصة .

(أولاً) الاستشراق الغربي : الذي بدأ مع النفوذ الاستعماري في العالم الاسلامي ويرمى إلى خلق مفهوم العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، وتبشير الربا وهو الذي تركز في التعليم والثقافة والصحافة وأقامت قواعده الرامية إلى تقليل الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وحصره في العبادات والمساجد ، وفتح الطريق أمام الأنظمة الليبرالية والرأوية الاقتصادية والتسوّلية الوضعيّة التي مهدت للجريمة والاباحية واستشراء الفساد الخلقي والاجتماعي رغبة في هدم الاسرة والمجتمع .

(ثانياً) الاستشراق اليهودي : وقد بدأ منذ وتنبّه لتشويه حقائق العلاقة بين الحنيفة الابراهيمية ، واسماعيل وبين اليهودية والمسحية والاسلام . وقد فرض اليهود أنفسهم على حركة الاستشراق منذ البدايات لتحقيق أهدافهم في الفيل من الاسلام وأضعافه والتشكيك في قيمه لاسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكراً أو لا ثم دولة .

وقد ركزوا على دوائر المعارف الأجنبية ( البريطانية والانجليزية ) ولاروس وغيرها لتسهيل عناصرها المتعلقة بالنبي صلی الله عليه وسلم والاسلام وما يتصل باسماعيل عليه السلام بوصفه جد العرب والتشكيك في رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز وتشويه وعد الله تبارك وتعالى لابراهيم وذرته ومحاولة حصره في ( اسحق ) باعتبار ان اسماعيل ليس الا ابن احدي الجواري ( مع ان السيدة هاجر كانت اميرة وابنة ملك وقد أهداها ملك مصر لابراهيم ) .

ويجري الاستشراق اليهودي في هدم كل عناصر العروبة الحقيقة ذات الجذور الأصيلة في تربة فلسطين قبل وصول اليهود اليها وأثنائها وبعدها .

\* \* \*

وبالجملة فقد هدت الاستشراق الصهيوني الى اعطاء القارئ الغربي والفرد المثقف في العالم أن فلسطين كانت يهودية قبل الاسلام ، واعطاء الصهيونية

### ثالثاً : شبكات حول أساليب البحث ..

ان خطبة العهل التي تقوم عليها الدراسات الاستشرافية التي تفرض على ابنائنا المبعوثين الى جامعات الغرب (أمريكا وأوروبا) لا تقوم على أساس علمية حقيقة ، وإنما تقوم على مصادر غير موثوقة بها ، فهم يبدأون عملهم بخطبة مسبقة وينتقدون من النصوص ما يحقق أهدافهم .

يقول الدكتور فؤاد سيسكين : إنهم يفترضون على التاريخ الإسلامي ويظلمون الإسلام حقه ويفسرون بن أهميته وفعاليته ، وينكرون النجزات العلمية العربية وينكرون تأثيرها المباشر عليهم ، وقد كشف هذا الباحث مؤامرتهم في الصمت والتجاهل للمصادر الإسلامية وبين أثر العلوم العربية مثل الفيزياء والكيمياء والفلك والطب على العلوم في أوروبا وأنه لولا وجود العالم العربي وحضارتها لتأخرت نشأة العلوم في أوروبا لبضعة قرون إذا كان هذا ممكناً في الأصل . وعندئذ إن الغرب بدا يأخذ ويقتل العلوم العربية منذ القرن العاشر الميلادي واستمر حتى القرن الخامس عشر واستطاع خلال ذلكأخذ ما أنتجه العرب والمسلمون وبالتحديد عن أهم أربعة مراكز هي إسبانيا ومقلية والقدسية وطرازون على البحر الأسود ، .

ويعنى اصرار الاستشراف الغربي على انكار دور المسلمين في بناء الحضارة الحديثة هدقاً واصحاً هو أن يظل العرب والمسلمون يعتبرون أنفسهم « أتباعاً » للحضارة الغربية وينشأ ناشئهم ليتعلم أن الغرب هو الذي صنع علوم الطب والفلك والتجريب والرياضة والنفس والأخلاق والاجتماع بينما الحقيقة التي يحاولون اخفاها عنه هو أن آباء هم الذين انشئوا المنهج العلمي التجريبي الذي صنعت به أوروبا هذه الحضارة المعاصرة ، وقد شهدت عشرات الابحاث الدسم بهذه الحقيقة ، ولكن الاستشراف مايزال يخفي عن المسلمين حصيلة ضخمة من التراث الإسلامي مودعة في مكتبات الغرب تزيد عن ربعمليون مولت تكشف عن الدور العظيم الذي أداه المسلمون في بناء المناهج العلمية والاجتماعية والاقتصادية جمعياً .

وحيث يحجب الاستشراف هذا التراث كلّه ويابي الاعتراف بخدمات الإسلام للعلوم الحديثة يهتم بالتراث الصوف الفلسفى ، والفكر الباطنى للفلسفات اليونانية الأفلوطينية والفنونية الشرقية وكل مايثير إلى أن الفكر الإسلامي له صلة بالفكر اليوناني ويسرفون في الاعجاب بالمعزلة والتصوف الفلسفى لأنهم يرون دعاته من أتباعهم ويكرهون أهل السنة والجماعة الذين حرروا الفكر الإسلامي من التبعية أمثال الغزالى وابن تيمية

بتتفوق العقل الأوروبي وبسمات ثابتة جامدة متخلفة تتناقض مع الحضارة الحديثة ( ولما كان هذا باطلاً في حقيقته ) ولكن يلقن ويفرض على ابنائنا الذين يدرسون في الغرب فاته يؤدي إلى خلق احساس في النفس العربية بالاقتناع بعظمة الغرب وازدراء قيم أمتها ودينها .

ويؤكّد أدوار سعيد بأن الهدف من الاستشراف ودراسة المتخصصين الغربيين للشرق الأوسط هو خدمة ( النفوذ الغربي الاستعماري ) اي أن الهدف هو فرض المصالح الغربية على العالم الإسلامي وأن المعرفة لاتكون في فراغ وإنما تنشأ على العلاقات السياسية والاجتماعية السائدة .

ويترتب مع هذا أن هؤلاء النفر من الخبراء بشطون البلاد العربية والاسلامية لم يكونوا مراقبين محايدين فهم خدام للاستعمار وعملاء للسيطرة الغربية ( فهم من ناحية ينظرون إلى العرب والمسلمين نظرة عنصرية امبريالية شوقينية ) ومن ناحية أخرى قد سمحوا لخبرتهم بالعمل في سبيل الاضرار بالشعوب ، وأنهم يقذمون صورة العالم الإسلامي اليوم – في مرحلة صحوته – وكذلك وثبة معادية للغرب وإن لهذه الصورة تأثير كبير على صانعي السياسة الأمريكية فضلاً عن محاباتهم لإسرائيل في صراع الشرق الأوسط .

\*\*\*

والاستشراف دائمًا في الجانب المعادى للأمة الإسلامية ، لخدمة إسرائيل والمستشرق ( مرورجر ) يذهب في التضليل إلى حد الادعاء بأن منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي لا تشكل مركز قوة سياسية ، أو أن هناك ما يشير إلى أنها ستصبح قوة سياسية ذات أهمية وذلك بهدف تخدير الخلق الغربي فلا يتاثر بتشريد شعب فلسطين ولا بظلم الصهيونية وتحركتها المريمية وفي ثانويات أمريكا يدرس للطلاب أن الإسلام دين صهراوى أنسسه تاجر عربي اسمه محمد وإن العرب مازالوا يركبون الفوضى .

ولقد كان لليهود تأثير على بعض المستشرقين لتغيير الحقائق ، وقد تبعهم بعض كتاب العرب الذين أنكروا وجود شخصية عبد الله بن سبأ ، وذهب سيدنا ابراهيم الى مكة المكرمة وبناء البيت .

ومونتجمرى وات ينكر دور اليهودية في التحرير على غزو الخندق ، وبيثل هو ومكسيم رنسون ، وبروكمان ، وفيسير ، وفيليپ حتى ، وبرنارد لويس عصابة تخدم أهداف الصهيونية في تزييف حقائق التاريخ الإسلامي .

موضوعيا الى أبعد حد ، ويرجع ذلك الى أن الاسلام يختلف مع المسيحية في مجالات التفاؤل الغربي وحرص الاستشراق على أن يخدم الاستعمار والحلولة دون قيام الدولة الاسلامية القادرة على امتلاك ارادتها .

#### رابعا : سموه ثورة في مجالات البحث :

وإذا كان المستشرقون قد اطلقوا في سخط خطير قائم على الافتراء في مختلف جوانب العلوم الاسلامية — نهم يرتكرون سموهم واحتقادهم على الاسلام وأهله بتحريف النصوص لبترها ولإغناطها لخدم أفكارهم ، فقد تصدى للرد عليهم عدد كبير من علماء المسلمين وكشف زيفهم ولم تترك مسألة واحدة مما أثاروه دون تعرية وهناك عشرات الكتب الدراسات في هذا الشأن :

#### ١ - الاستشراق والاسلام :

وقد رکزوا على الاسلام ظنوكروا الرسالة الخاتمة كما انکروا الوحي والنبوة ونظروا اليه على أنه مأخوذ من كتبهم ، ولو فهموا حقيقة الأمر لوجدوا أن اديان السماء تتباينا يسلم بعضها الى بعض وأن دين موسى ودين عيسى بن بعده حلقات من الحنيفية السمحنة دين ابراهيم مسلمة الى الرسالة الخاتمة : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهي متکاملة كالراحل يسلم بعضها الى بعض حتى يكون الاسلام خاتمة قالأصول العامة لدين الله في العقيدة واحدة فلما عجب يثير المستشرقون الشبهات : ثبتهات مصدرها هذا الالقاء في الأصول وأن تبين بعد أن وجده المقارنة مفقود من حيث أن القرآن كتاب سماوي وغيره من الكتب قد أصابها التحريف وانقطعت عن السلسلة حين رأى رؤساؤها الاستقلال بها وقتلها من الدين الى القومية .

ويذهب المستشرقون الى فهم الاسلام فهم ماديا خالصا فهم ينکرون الوحي وينکرون النبوة وينکرون المصدر الرباعي للقرآن وهم في ذلك يصدرون عن مفهومهم المحدود للاديان الأخرى حيث يوصف الانجيل بأنه من كلام الرسل وحيث تختلط المفاهيم في العلاقة بين الالوهية والنبوة .

وفى عشرات المواقع التي شكل فيها المستشرقون حول الاسلام رد علماؤنا ودحضوا الاكاذيب على نحو واسع تستطعون الالمام به من عشرات المؤلفات .

#### ٢ - الاستشراق والرسول :

نماذج انتقلت الى شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نجد بحور المخطط المسموم الذي حمل الاستشراق لواءه في مراحله المختلفة بهدف الوقوف عند نبوة سيدنا عيسى عليه السلام وانكار ما بعد ذلك .

انهم يحيون الاعتزال والتضوف الفلسفى الاباحى ويکرمون أبا نواس وابن عربى والحلاج واخوان الصفا وبشار بن برد .

ولقد كان لإشراف اليهود على الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الاوربية والامريكية اثره في نوعية الانتاج والدراسة التي يقوم بها الطلاب العرب والمسلمون والموضوعات والمنهج وقد رفضوا رسائلهم التي حملت غذرا هم الخالص والزموهم بالاعتماد على مصادر الاستشراق ومن لم يقبل طرد شر طردة .

وهم في الجامعات العربية والاسلامية مازالوا يفرضون مراجعهم : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلة الآسيوية ، مجلة الدراسات الشرقية ، مجلة العالم الاسلامى ، المنجد ، الموسوعة العربية ( كولومبيا ) .

وقد وضع تماما بأن كتابات الاستشراق تقوم على عناصر ثلاثة :

أولا : تأثير الوجودان المسيحي على فهم مسائل الاسلام وأثر الخصومات القديمة التاريخية .

ثانيا : طبيعة الاستعلاء الغربي على الاسم نتيجة ما يسمى صلف الجنس الابيض صانع الحضارة .

ثالثا : ( وهو اهمها ) وهو العجز عن الاستيعاب وجهل البيان العربي والبلاغة القرآنية والنبوية .

وقد تکثفت في السنوات الأخيرة حثائق كثيرة منها فساد الدراسات الاستشراقية لافتقارها الى كل خصائص المنهج العلمي والأمانة العلمية وذلك بسبب تعصب الكتاب البارزين اليوم الذين جندهم الصهيونية على الاسلام وافتراطهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وانکارهم الوحي المنزل عليه وعجزهم عن ادراك اعجاز القرآن وجهلهم باللغة العربية وأسرار بلاغتها فضلا عن موافقهم المعروفة في تأييد اليهود والصهيونية ضد العرب والاسلام .

بينما تقسم الدراسات الاسلامية عن المسيحية بال موضوعية من حيث الامانة العلمية التي تستمد من القرآن الكريم الذى كرم السيد المسيح عليه السلام وأمه تکريما عظيما ومع ذلك كفر من قال بالالوهية وبالثالوث وكذب ادعاء اليهود قتله او صلبه ، بل ان الدراسات العلمية الحديثة للتوراة والاتجاه بصورتهما المحرفة تثبت ان القرآن الكريم حق لا ريب فيه وتد ظهرت في الغرب اليوم دراسات تكشف عن زيف مصادر الكتاب المقدسة الموجودة الان بين ايدي اليهود والنصارى ( بوکای ) وقد تبين للباحثين ان الاستشراق لا يفقد الموضوعية الا في دراسة الدين الاسلامى اما حين يتصل بالديانات الوضعية كالهندوسية وغيرها فانه يكون

وفي الوقت نفسه عممت حركة الاستشراق الى استخدام التراث الاسلامي استخداماً سيئاً فقد بدأت المؤامرة على التراثمنذ وقت بعيد وهي ترمي الى الاستيلاء عليه بأى ثمن ونقله الى دوائر الغرب ثم كانت محاولة ابراز الجوانب الضعيفة والمضطربة والمتعلقة بالخلاف والصراع بين الفرق الاسلامية وكل ما يتصل بما يشك في العقيدة الاسلامية وخاصة دعوات الباطنية والقراطمة والحلاج وابن عربى والشهوردى .

#### ٦ - الاستشراق والسنّة :

ان موقف الاستشراق من السنّة هو موقفها من القرآن ومن سيرة الرسول عامة فان السنّة هي جزء من حياة الرسول وهي تفسير للقرآن فلابد أن تناولها هجمة الشبهات وتصل اليها سوم التحريف ، وموالى التزييف .

ويقول العالم الفرنسي المسلم ( اتيان دينيه ) انه من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته ، ومن هنا نجدهم يرمون السنّة بكل اتهام ويدعون أن تأخر تدوين الحديث كان له اثره في زيادة السنّة ونقصها ، ويرمون بذلك الى اضعاف الثقة باستظهار السنّة وحفظها في الصدور ، وهو عمل يرسى الى وصم السنّة كلها بالاختلاق والوضع .

#### ٧ - الاستشراق والحضارة الاسلامية :

ذلك وجهت حركة الاستشراق الى الحضارة الاسلامية كثيراً من الاتهامات والشكوك والشبهات فهم لا يطلقون اسم الحضارة الاسلامية عليها بل ينسبونها الى العرب حتى يثروا الخلافات ويوقعوا بين المسلمين والعرب .

ويدعون أن الحضارة العربية حضارة سطحية ظاهيرية ويزعمون أن أصولها راجمة الى المدنية الاغريقية، ويردها البعض الآخر الى الموالى المستعربين، وتجاهلوا أن الحضارة الاسلامية نبات جديد صنعته القرآن وأن مصدرها هو المنهج العلمي التجربى الذى بدا بقوله تعالى ( قل انظروا ماذا في السموات والارض ) وهم بهذا الادعاء يشوهون تاريخاً امتد الف سنة وينكرون اثر الاسلام والقرآن على تقدمهم .

#### ٨ - الاستشراق والشريعة :

ولما كانت الشريعة الاسلامية هي الغاية الكبرى من الاسلام فقد كان لابد للاستشراق من توجيه الشبهات اليها ومحاولة البحث عن ثناقضات يستطيع من خلالها أن يصل الى بث اهوانه وأحقاده وقد حاولوا ايهام المسلمين بأن الشريعة الاسلامية سبب تأخرهم وعائق

وجرت محاولتهم في نسبة ماقديمه الرسول عن طريق الوحي الى قومه على أنه مأخوذ من هذا الأعمى أو ذلك ، في محاكمات كاذبة من امثال لقائه بالراهب بحيرا أو ورقة بن نوفل أو قيس بن ساعدة وما تستطيع الأدلة الساطعة أن تقف أمام هذه التقولات وهم في هذا المجال يتعرضون ، لتعذر زوجات الرسول وللروحى ويحاولون تصويره بصورة الامراض النفسية والعقالية .

#### ٣ - الاستشراق والقرآن :

اما موقفهم من القرآن فهو موقف زائف : يقوم على الخصوصة والانكار وذلك طبيعى ازاء موقف القرآن من اضاليل اليهود والنصارى وتحريفات التوراة والانجيل ، وعندما نراجع مكتبته المستشرقون عامة نجد أن هناك اجماعاً على الوقوف في وجه القرآن وانكار مصدره الربانى والقول بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم وبجرىء هذا الرأى تعصباً ضد القرآن ونبهه او عجزاً عن فهم الوحي في تقدير الباحثين الذين يعتمدون النظرية المادية او في التشابه مع موقف الفكر المسيحى الذى يرى أن الانجيل ليس كتاباً من السماء واتماً هو من عمل الرسول .

#### ٤ - الاستشراق واللغة العربية :

ولما كانت اللغة العربية هي مدخل القرآن الكريم فقد ترکزت الحملة عليها والدعوة الى نشر العامية واتخاذها لغة للكتابة والتعليم بدليلاً من الفصحي وجرى اتهامها بالقصور وعدم الكفاية العلمية وادعاء صعوبة نطقها وصعوبية كتابتها في محاولات ماكرة للفصل بين بيان القرآن الكريم وبين أسلوب الكتابة العربية وقد جرت محاولاتهم الماكرة حيث استطاعوا في كثير من البلاد التي دخلها الاسلام ان يحولوا دون انتشار العربية معها فتوقفت الفصحي ، عند مداخل كثير من الاقطان الاسلامية واستقلت عامياتها مع اللغات الاجنبية من اجل حصار لغة القرآن .

#### ٥ - الاستشراق والتراث :

ذلك وجه الاستشراق مدفعته الثقيلة الى التراث الاسلامي في موقفين متعارضين :

( الاول ) التنكر لقيمة هذا التراث وتصويره بأنه مختلف وأنه لا يستطيع أن يعطى العصر الحديث شيئاً نافعاً وينكر أنه كان لهذا التراث فضل على الحضارة المعاصرة .

( الثاني ) بعث الجوانب الضعيفة والمختلف عليها ودعوات الباطنية والزنج والقراطمة وغيرها من الجوانب المضطربة والتي لا تتفق مع جوهر الاسلام .

في بحر التاريخ الإسلامي العريض الجياش المليء بصور البطولة والحيوية والقوة والذي كان قادراً على العطاء الدائم للأجيال المتعددة وهم يرتكرون على دراسة الجاهليات والحضارات القديمة ودراسة الفتن الأهلية والخلافات المذهبية وسط انتشار الانقسام القليلة التي هي من طبيعة الأمم الكبرى ويقوم عملهم على أساس دراسة الروايات المختلفة والنصوص المتعارضة وضرب بعضها ببعض لاثارة الشبهات ولاريبر أن بعض دعوات المفتيقية والأشورية والفرعونية إنما استهدفت تمزيق وحدة المسلمين والغض من شأن الإسلام .

وبالجملة فإن عمل الاستشراق يستهدف ( كما يقول الدكتور مصطفى السباعي ) إلى :

- (١) اختصار النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم .

- (٢) تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً .

- (٣) أساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف .

- (٤) تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكىون به في التاريخ الحديث : ومن كتب التاريخ ما يحكىون به في تاريخ الفقه ، فهم يصححون ما يقوله الدميري في كتاب الحيوان ويكتذبون ما يرويه مالك في الموطأ .

وأبرز أخطائهم :

- (١) انكار الوحي والنبوة . (٢) التقليل من عظمة الحديث التاريخي الإسلامي . (٣) وصف الفتوح بالطابع والاسترزاقي . (٤) عدم القدرة على تقدير الجانب المعنوي العقيدة الإسلامية وأثرها في الأحداث والفتح . (٥) عدم الاقتناع بأن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع . (٦) الاتفاقي المسبق على ترويج الأكاذيب عن الإسلام وأضفاء الصفة العلمية على هذه الأكاذيب مما يشغل المسلمين بموقف الدفاع انشغالاً يمنعهم من اتخاذ موقف البناء والتنبؤ لنواتح الكتب القديمة . (٧) الادعاء بأن الإسلام دين سيف وفتح (٨) وأن الإسلام يتعدد بتنوع شعوبه ، وأن لكل عصر إسلام ، وأن الإسلام دين فردي شخصي . (٩) محاولة تشويه مكانة المرأة في الإسلام . (١٠) القومية العربية مصطلح استخدم بهدف إبعاد الشعوب المسلمة عن مبادئها الإسلامية بهدف غزو العالم الإسلامي وتمزيقه .
- (١٠) تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامي

أمام تقدمهم ونهوضهم وقد أثاروا الشبهات حول نصوصها وعرضوا لما أسموه ( تطوير الشريعة بتطور العصر ) وغير ذلك من المحاولات الباطلة التي عرفت عن الشرائع الوضعية التي تحتاج في كل عصر إلى تغييرها بينما نجد الشريعة الإسلامية شريعة ربانية منزلة قد وضعها الشارع الأكبر محققة لقيام مجتمع الامن والمسكينة وجعلها ذات إطار واسعة وافية وقدرة على تقبل تغيرات العصور والبيئات وهي من أجمل ذلك لا تحتاج إلى تطور لأن أساسها الثابتة راسخة البنيان ، ثم هي قادرة بعد ذلك على تقبل التغيرات .

وقد وجهت عشرات الشبهات والاتهامات إلى الشريعة الإسلامية بهدف الغض من قدرها وتشويهها في نظر أهلها وفي نظر الناظرين إليها من خارج المجتمع الإسلامي وقد باعث شبهاتهم بالفشل .

## ٩ — الاستشراق والأدب :

حاول الاستشراق وضع الأدب العربي في مجال الاحتواء الغربي بتطبيق نظريات الأدب الفرنسي وهي نظريات مادية تقوم على أن الإنسان خاضع للبيئة والعرض ، وأنه مجبر وليس له إرادة ، وأنه حيوان مادي يخضع للجنس أو لقمة العيش وأهتموا من الأدب العربي بآعمال الإباحيين أمثال أبي نواس وبشار والفال ليلة وليلة وكليلة ودمنة ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وكتاب الزهرة لأبي بكر الأصفهاني ( وقد طبعت هذه الكتب بمطابع الآباء اليسوعيين في بيروت ) بهدف اشاعة الفساد والاباحية في المجتمع الإسلامي ، وهي أعمال لا تتنى بطبع الأدب العربي الحقيقي المستمد من القرآن والسنة ويحاولون وصف عصر الإسلام بأنه عصر التوسيع بادعاء أن العصر الجاهلي هو العصر البطولي . وفي محاولة لاثارة الشبهات بأن الإسلام لم يقم بأى تغيير حقيقي في المجتمعات .

## ١٠ — الاستشراق والتاريخ ..

وقد جرت المحاولات المستشرقين حول تزييف تفسير التاريخ الإسلامي وأخضاعه لمناهج وآفادة تفسره مادياً واقتصادياً أو تخرجه من منهجه الأصيل ومفهومه الأساسي ، وبذلك تبدو صورة التاريخ الإسلامي أئمamas المسلمين ممزقة مضطربة ، وبذلك يفقد الهدف الأصيل من دراسته ولما كان التاريخ عامل هاماً في عوامل بناء الأمم وتربية الأفراد فقد كان حرص المستشرقين على انسداد هذه الغاية وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الخلافية من هذا التراث وخاصة ما يتعلق بالفرق السياسية وصور التناقض والخصوصية وكلها صور لا قيمة حقيقية لها

نعرف أبعاده ومعالمه حتى لا نسقط في هوة الاحتواء والانصهار في دائرة الأهمية العالمية ولنعلم ان الاستشراق والتغريب والغزو الثقافي انما يستمد قوته من ضعفنا . وبقاء وجوده مشروط بعجزنا عن معرفة ذاتنا وحماية كياننا .

ثم انه علينا ان نقف في حذر أزاء المصطلحات التي يقدمها الاستشراق والتغريب ويرمى بها الى سهرنا في بوتقة الغرب المعاصر المنهاز الذى مر بمرحلة غروب حضارته وسقوطها . ويجب ان نفرق بين التغريب والمعاصرة ، وبين التحدي والتغريب ، فالمعاصرة ان تعيش الامة العصر ، وتنجذب معه بجواهر عقيدتها وقوماتها وقد دفع الاستشراق في افق الفكر الاسلامي اطروحات القومية والاقليمية والعلمانية والديمقراطية والاشتراكية وقد فشلت جميعها واحدة بعد واحدة ، ورفض الجسم الاسلامي الحى ، هذا العضو الغريب ونحن مطالبون اليوم برد كل اطروحة مضاللة والعودة الى سفهوم الاسلام الجامع .

باطلقة كلمة ( المذهب الحمدى ) لاعطاء الانطباع بأن الاسلام دين بشري من صنع محمدى الله عليه وسلم وليس من عند الله . ( 11 ) يخلطون بين الاسلام كدين وتيين التاريخ كواقع ، اى بين الوضع القائم في العالم الاسلامي اليوم ، وبين منهج الاسلام الريانى . ( 12 ) محاولة تفسير الاسلام في مجال الاجتماع والتربية والأخلاق . وكل هذه اضاليل واكاذيب كشفنا زيفها في دراستنا الجامعية ( مقدمات العلوم والمناهج ) . وبعد ،

فماذا كان هدف الاستشراق هو محاولة صياغة العقل الاسلامى على أساس غير اسلامي فان علينا في مواجهة هذه المؤامرة الخطرة ان نعرف مصادرنا الحقيقة ، وان ننتمس بها والا ننخدع بدعوى المستشرقين .

وفي كلمة واحدة يجب أن نعمل ما وسعنا في سبيل الحفاظ على الذاتية الاسلامية وعلى التميز الخاص وأن

\* \* \*

# الباب الثالث

## التبشير الغربي والتنصير العالمي

### التخطيط والعمل :

من خلال هذه الالقاءات دبرت الخطط لقاومة الاسلام ، والعمل على كسر شوكته بهدف زعزعة عقيدة الشعوب الاسلامية بالتشكيك والتنصير . وتركت اعمالهم على الاقليات الاسلامية ومجتمعات اللاجئين ، واستغلال اوساط البوس والحرمان ، واستغلال الحاجات الناتجة عن عدم الاستقرار .

وقد ابتكرت طرق مستحدثة لهذا الغرض منها طبع الملايين من الكتب وتوزيع المنشورات المشحونة بالعداء والبغضاء والافتراء على الاسلام والمسلمين ، وترتيف الآيات القرآنية والاحاديث النبوية او تفسيرها تفسيرا خاطئا يتنق وخططها وتحريفها واخراجها عن معانها الصحيحة .

كما اجأت هذه المنظمات الى طبع اشرطة كاسيت تسجل عليها تلاوات شبيهة بتلاوة القرآن الكريم في المضمون معادية له ناسخة لتعاليمه ، كما انشئت اذاعات خاصة تروج هذه الافكار في مونت كارلو وصوت الغفران ومركز النهضة .

وقد جرى عمل مسابقات عن طريق المراسلة بعرصه الجوائز المادية والفنية ولوحات مكتوب عليها عبارات منقوله من الاناجيل ، ونتائج حاصل ، وحافظات نقود .

ومن اخطر هذه الاعمال القيام بمراسلة المسلمين عن طريق صناديق البريد وذلك بالحصول على عنوانين المسلمين من ادلة الهاتف او ادلة الشركات التجارية ، وازعاجهم بارسال نشرات مسمومة ، بل لقد تكشف ان هناك تسللا متصلا الى المجتمعات الاسلامية خفية حيث وجدت خلايا سرية لبث السموم والافكار النصرانية في بعض العواصم العربية .

وقد تكشف في الفترة الاخيرة ان هناك مركزا لمنظمة دولية في بازل سويسرا وأن المنظمة فروعا في المانيا والنمسا ولبنان ، هي منظمة الشيسية النصرانية التي ظهرت الى حيز الوجود قبل السبعينيات أسسها ( فالتر غاشمرمان ) الالماني الجنسية ، وتمكن فالتر من جمع الاموال من الاعضاء العاملين في الارساليات ومن بعض المؤيدن في سويسرا والنمسا والمانيا ، وقد قامت المنظمة

تمر قضية « الارساليات التبشيرية » بمرحلة جديدة اشد خطورة بعد ان علا صوت « الصحوة الاسلامية » تلك هي مرحلة الحرب غير المعلنة التي تظهر هذه السنوات من خلال المنظمات الجديدة التي تشكلت في البلاد الغربية وتأسست لها فروع في لبنان وغيرها . وأخذت نشراتها ومطبوعاتها تنشر الان بشكل واسع ومكثف ، في مختلف أجزاء العالم الاسلامي . وخاصة في المغرب والسودان والعراق ومصر والأردن والكويت وال سعودية .

ويمكن القول بأن مرحلة « التبشير الغربي » التي شاهدها العالم الاسلامي في فترة سابقة خلال اكثر من مائة عام تقريبا قد تحولت الى « مرحلة التنصير » العالمية ، بعد ان تكشفت خيوط عريضة متعددة تتصل بهذا التطور ، ومن ابرز هذه العوامل :

١ - ظاهرة الحوار .

٢ - ظاهرة تنظيم الأسرة .

وقد رأينا في السنوات الاخيرة كيف كانت رحلات البابا يوحنا بولس الثاني الى افريقيا والى جنوب شرق آسيا بهدف تكثيف تلك المحاولات التبشيرية ، اضف الى هذا : المحاولات التي جرت من اجل تبرئة اليهود من ذم المسيح مخالفة بذلك عقيدة جميع النصارى ، ومن قبل رحلة البابا بولس السادس الى فلسطين ولقاوه مع البطيريك اثاغورس على جبل الزيتون في مدينة القدس ١٩٦٤ ، وفي ختام مجمع الفاتيكان الثاني ( ١٩٧٤ ) في كنيسة القديس بطرس في روما رفع الحرمان المتبادل بين الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية الصادر عام ١٠٥٤ م وفي عام ١٩٦٤ تنازل الفاتيكان عن عدد من الالاهات التي كانت في رعايته وعهده في روما ، فنفت ذكرة القديس اندراؤس الى كنيسة كريت ، وذكرة مار سبا الى كنيسة القدس ، وذكرة القديس مرقص الى كنيسة الاسكندرية ، وانشئ معهد طنطور المسكوني في القدس ، وخصص للدراسات التي تدعو الى وحدة الكائس النصرانية في كنيسة واحدة ، ثم كانت رحلة البابا يوحنا بولس الثاني الى ترکيا ، وتقاوه بالبطيريك المسكوني ديميتريوس الاول حيث صدر بيان مشترك لازالة جميع العقبات لتحقيق وحدة الكنيسة النصرانية .

( الثانية ) بالنسبة للنساء والأطفال : وذلك بتوجيهه العمل من خلال النساء اللاتي يعملن كقيادات دينية أو قيادات في المجاليات وتقديم البديل النصرانية لكي تحل محل تلك التأثيرات التي تنتقم على المرأة حريتها في المجتمع المسلم .

كما اقترحت التوصيات : بناء وزرع الكائس التي تهتم بالمتصرفين واعداد الترتيبات الخاصة بهم والشعائر الدينية ، كما اشار المؤتمر الى ضرورة اقتحام تجمعات المسلمين في أمريكا الشمالية .

### القيادة العامة :

ومن ناحية أخرى فمان الفاتيكان ( وهو القوة الأولى العاملة في مجال التنصير في الوقت الحاضر ) بالاشتراك مع الهيئات البروتستانتية والأنجليالية وغيرها يشرف على أكثر من مليون من رجال الدين الكاثوليك الموزعين على العالم كله بالإضافة إلى مئات الآلاف من دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العليا والجامعات ( سواء العلمانية منها أو الخاصة بأعداد المبشرين والرهبان ) وتقدر ميزانية الفاتيكان السنوية بـ ألف مليون دولار توضع تحت تصرف البابا مباشرة .

وليس الفاتيكان وحده هو الذي يقدم ملايين الجنيهات في أنحاء إفريقيا وجنوب شرق آسيا تحت اسم « خطة إعادة هذه المجموعات إلى الصليب » خلال عشرين عاما ، ولكن مختلف النحل النصرانية تدرج بـ مبالغ ضخمة في ميزانياتها لتحقيق هذا الهدف باسم البحوث العلمية تارة والمساعدات الاجتماعية أخرى وبالرغم من اختلاف جنسيات بعثات التنصير ، إلا أنها تتفق على الهدف والتنافس فيما بينها لتحويل أكبر عدد ممكن من المسلمين إلى النصرانية ، وهذه الجماعات كلها مدعومة من المجلس العالمي للكائس والبابوية في روما ، وتقسم أعمالها - ظاهرا - على التبشير والتعليم ومساعدة الفقراء .

وهي تعتمد أساسا على المساعدات الطبية والصحية في بناء المستشفيات والمستوصفات لمساعدة المرضى من المسلمين وصرف الدواء وعلاج الأطفال والنساء ، ومن ثم تبدأ بالاندساس بين المسلمين في حالة الضعف وال الحاجة ، وفي مساعدات اجتماعية هدفها الظاهر إنساني والحقيقة تنصيرى .

وهناك مشروعات نوادي الشباب ورعايتها ، وذلك عن طريق تقديم السمم على شكل قنصل وكتب ونشرات تروج لأفكار التحلل من الولاء الإسلامي أو لا ثم التشكيك في مبادئ الإسلام وقيمه ، ثم الترويج لأفكار

بانشاء مركز لطبع الكتب النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين ولا يزال الفرع اللبناني يواصل نشاطه وعمله التخريبي بقيادة القسسين سليم يعقوب وزميله في مدرسة تبرلوفنا وقد جند الطبيب السويسري الذي ضبطت خليةه بالعاصمة السودانية عام ١٩٧٩ وقد ضبطت عند مداعمة هذا المركز ٢٠٠ ألف كتاب من الكتب المعاذية للإسلام والداعية إلى الردة ، كما ضبطت كميات من الأشرطة التي سجلت عليها أحاديث مناوئة للإسلام ، إلى جانب أجهزة مقدمة للتسجيل والطباعة وقد حملت هذه الكتب المضبوطة كمحظى على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتلاوات مقرانية محرفة ، وكانت المنظمة قد أودعت أموالا طائلة في البنوك السودانية بالعملات الصعبة لخدمة هذه الأعمال .

وقد جاء هذا التحرك في إطار المؤتمر الذي عقد في أمريكا ( في ولاية كولورادو بأمريكا ) تحت اسم « العمل على اكتشاف وتحديد المسؤوليات (النصرانية ) في أمريكا الشمالية تجاه تنصير المسلمين » وهو امتداد لمؤتمرات أخرى عقدت لهذا الغرض في لوزان عام ١٩٧٤ تحت اسم « تنصير شعوب العالم » وقد عمد هذا المؤتمر الأمريكي الأخير إلى تقديم استراتيجية جديدة للعمل في مواجهة المد الإسلامي ، وذلك بأن يكون الهجوم على الإسلام مستمدًا من القرآن نفسه ، كما اتطرق على إنهاء الجو المتشدد مع المسلمين وايجاد جو ودي يمكن من النفوذ إلى قلوب المسلمين .. وقد جاء في توصيات المؤتمر تحت عنوان « التنصير » .

« يجب بذل الاهتمام الكافي والتركيز بقوة على زرع جاليات نصرانية في قلب العالم الإسلامي ، وهم سيحاولون بدورهم تطوير وايجاد وسائل منهجية جديدة أكثر ملائمة عند تقديم الانجيل للمسلمين ، ويجب الاهتمام الشديد باستخدام الآيات القرآنية ذات الصلة بهذه الموضوعات ، وخاصة في المراحل الأولى لعملية التنصير .

وقالت التوصية : تزداد يوما بعد يوم فاعلية الدور الحيوي الذي تؤديه الاتصالات الفعالة الميسورة لنشر النصرانية وتدريسيها ، وستكون مراكز الابحاث مخولة لاعداد ابحاث موسعة من خلال التركيز على شرائح وعيينات من العالم الإسلامي ، وكذلك يكون من واجبها اعداد المواد الازمة الغرض نفسه ، على أن يكون ذلك من خلال قناتين :

( الأولى ) بالنسبة لل المتعلمين : وذلك يربط المشاعر بالإنجيل والقصص التي وردت فيه تسهيلًا لتناول تلك القصص وتيسيرًا لنشر الانجيل .

السوداء حيث رسم الاستعمار خطأ دفاعيا ضد الاسلام يمتد من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسي حيث تبدأ بارتريرا ( الشعب المسلم الذى قدمته أمريكا هدية للحبشة ) ثم الحبشة وجنوب السودان وأوغندا وتشاد والنiger وينتهي في نيجيريا التي خطط الاستعمار بسيطرتها الى شطرين بنيجيريا وبيافرا وقد نشأ مخطط الاستعمار وتصدع حتى قال أحدهم :

« ان عمامة بيضاء في القارة السوداء أخطر علينا من ألف قبضة ذرية » وقد أشار الدكتور عمر فروخ الى ما تفعله البعثات التبشيرية في افريقيا :

توضع البعثات التبشيرية في السنغال ( مثلا ) مع عدد من الأسر السنغالية الفقيرة عقدا تقدم بموجها تلك البعثات التبشيرية الى الأسر السنغالية مساعدات عينية ضئيلة ، من أرز مثلا في كل شهر على أن يكون لها حق اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها ، ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبورة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه اذا هي خالفت شروط العقد ( بطلب استرداد ابنها مثلا ) .

وتحتار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبيا دون الخلسة من العمر ترسله الى مدرسة تبشيرية طبعا وينقطع الصبي عن أهله وينشأ نشأة نصرانية ثم يرسل الى فرنسا لاتمام تعليمه العالى ، بعدها يعاد الى السنغال ليستخدم في الأغراض التي تتوافق هوئ فرنسا ، وحينما يعود الصبي السنغالي الذى أصبح رجلا نصرانيا فرنسيا الى السنغال يعطى حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف .

مثال ذلك كلمة سانجور معناها سان جورج ( القديس جورج ) رئيس الجمهورية السابق نصراني ولكن ابويه وأخوه مسلمون .

وقد كثر المرتدون في افريقيا وقد عملوا بارادة المستعمر فيهم وكانوا عيونا لهم وأيادي في وطنهم .

وفي القسم الجنوبي من السودان ، وقد كان معظم أهله من الوثنيين البدائيين ، فقد ترك للمبشرين الكاثوليك أو البروتستانت يقومون فيه بالتعليم أو بالتبشير تحت ستار التعليم ومنذ عام ١٩٢٦ جعلت الحكومة الانجليزية المقديمة على السودان تعطى المبشرين اعانته من ميزانية السودان مساعدة لهم على التعليم .

كذلك حمل ملوك الحبشة النصارى في القرن التاسع عشر المسلمين الأقباط بالقوة على اعتناق النصرانية أو مغادرة الحبشة ، وفي آخر الأمر سمح

النصرانية والتنصر ، بالإضافة الى المدارس ورياض الأطفال ، وتدريجا الى المعاهد والجامعات ومراكم البحوث وقد أصدرت هيئة التنصير العالمية عددا من المؤلفات على كل مسلم ان يعرفها ويحمى منها شباب الاسلام ، ومنها ميزان الحق وتنوير الافهام في مصادر الاسلام ، والباكرة الشهية في الروايات الدينية ، ودعوة الحق ، وأصول اليسان ، وكتاب الصليب في الانجيل والقرآن ، وكتاب دين المسيح لم ينسخ وكتاب شخصية المسيح في الانجيل والقرآن .

وقد ترجمت هذه الكتب الى اللغات الأجنبية كالانجليزية ، كتاب ميزان الحق الذى الفهـ الدكتور فاندر اوصله بالفارسية وطبع عام ١٨٣٥ وقد تصدى الشيخ رحمة الله الهندى — للرد على كتاب ميزان الحق في كتاب اظهار الحق . الذى طبع في الهند أولا ثم في مكة المكرمة ، بعد مناظرات علنيه بينه وبين المؤلف فاندر لم يقصد فيها البشر و Herb من الهند .

ولا ريب أن كتاب المسلمين مدعاون الى تحض الشبهات والباطل التي تقدمها هذه الكتب للناس .

وماتزال تصدر في البلاد العربية مؤلفات تبشيرية بين الحين والحين منها كتاب مبادئ الحرب الروحية تأليف يعقوب ويلسون وتعريب وليم غطاس ، وهو كتاب يطعن بالحدث والتقصي ، ليس ضد المسلمين العرب بل ضد كل ضمير حى في العالم فهو دعوة الى تبليغ الانجيل بالقوة وتكتشف الكتابات على ارتباط وثيق بالصهيونية من جهة والشيوعية من جهة أخرى .

\* \* \*

وإذا تينا نظرة في خفية فاننا نجد أن موقع كثيرة في العالم الاسلامي اليوم تواجه هذه الحملات المنظمة فقد أشارت مجلة « ذا شارش هرلد » الى مقال بقلم الأب الروحى جون بيوتون ( ١٩٧٩/٩/٢١ ) يتحدث عن التبشير في منطقة الخليج العربى فيشير الى نشاط واسع في عمان ( مسقط ، مطرح ، روى ) وفي الكويت وفي البحرين ، ويرجع الى التاريخ القديم منذ تسعين عاما عندما قدم البشر « زويمر » الى هذه المنطقة فواجهته القوى الاسلامية بكل عنف فلم يجد مجالا لنشر دعوته .

وفي افريقيا نجد صورة أخرى فازاء انتشار الاسلام في القارة ، واعتنق الوثنيين له باعتباره الدين المرتبط بالحرية والكرامة ، تجد المحاولات المبنولة في سبيل التنصير ، وانفاق الملايين لبناء الكائس الضخمة ، وهناك محاولة ايقاف انتشار الاسلام في ربوع القارة

الجواسيس في افريقيا الان وان الثلث من هؤلاء السود الذين هم في اطراط يتولون الاعمال المصرية الهامة .

ويشير تقرير سنوى انه بعد ان تحررت افريقيا من قبضة المستعمرات الوربيين قاتلها تحكم الان بواسطة المثقفين المتمميين الى قبائل الاقليات الصغيرة الذين تلقوا تعليمهم في الغرب رالذين هم من نتاج المدارس التبشيرية النصرانية والمدارس اللاهوتية هؤلاء هم الحكم غير المسلمين للأراضي الاسلامية في افريقيا .

وفي اطار مخططات التنصير العالمية تأدى مؤامرة جنوب شرق آسيا ، حيث يوجد الان عشرون الف بشير يملكون امكانيات ضخمة في الحركة والانتقال ، فضلا عن اهتمامهم البالغ بانشاء المدارس والمستشفيات لجذب الاهالى واغرائهم وهكذا يواجه المسلمين في ارخبيل الملايو ١٢٠ مليون مسلم اخطر عملية تنصير ويتسلل العمل التنصيري الى صفوف المسلمين تحت شعار : (من الكنيسة الى المجتمعات ) ، وقد وضع هذا المخطط ثلاثة آلاف تبسيس وسبعين ألف متقطع من جنسيات اوربية مختلفة من خلال عشرة آلاف كنيسة ، حيث يسيطر القساوسة والمبشرون على ادارات بعض الجمعيات والمعاهد الزراعية والمستشفيات الكبرى ودور الابيات ، بالإضافة الى وسائل الاعلام وهم يملكون اهم الصحف الكبرى وبعضاها يوزع اكثر من مائة وخمسين ألف نسخة يوميا .

وتتخذ حركة التنصير في اندونيسيا نفس الاساليب التي تتبع في افريقيا ، وهى الاتصال بالاسر التي تضم عددا كبيرا من الاطفال يعرضون عليهم احتضان طفل او طفلين ، بحجة مساعدتهم ، وهم بدورهم يتولون تربية هؤلاء الاطفال وتعليمهم والاتفاق عليهم مع اعطاء مساعدات مالية لهذه الاسر ويتربون للمدارس النصرانية احتضان هؤلاء الاطفال وحثهم على التنصير ليشبوا وقد تشعوا بالنصرانية واعتنقوها دون ادنى مقاومة او اختبار .

وفي اندونيسيا عدد كبير من المدارس والجامعات يشرف عليها ويدبرها نصارى على مستوى كبير من الثقافة ، ومن وراء ذلك كله قوى التنصير العالمية التي تخطط لخوض الاسلام من ارخبيل الملايو .

والخطر الثاني الذى يهدى المسلمين في اندونيسيا انتشار الذهب الباطنى الذى لا يؤمن بالقرآن ولا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد جرت محاولات لادراج الباطنية كدين بين الاديان لتقليل نسبة المسلمين في اندونيسيا حيث يوجد اكثر من ٤٠ مليون مسلم ليسوا على مستوى جيد في فهم الاسلام ، ومن ثم

الحكومة الحبشية للولايات المتحدة الامريكية بانشاء محطة اذاعة تبشيرية في اديس ابابا اسمها صوت الانجيل ، راضف الاستعمار الامريكي البريطاني ارتيريا الى الحبشة وأخضعها للأسرة النصرانية الحاكمة . وانخذت الجمعيات التبشيرية في ( اوغندا والكونغو ) قرارا بتقنية اللهجات المحلية واللغة الانجليزية واقامة كافة العرائيل في وجه نشر اللغة العربية وعملت على عدم استخدام اللغة العربية في الجنوب السوداني اذ انها ستفتح الباب امام انتشار الاسلام وتعريف الجنوب كما منعت صنع الملابس العربية وارتدائها .

كما تقرر الحد من هجرة التجار الشماليين وبنهم من التواجد في جنوب السودان وبعد خمسة عشر عاما من الصراع بين الحكومة والاقليات النصرانية ومن ورائها الدول المستعمرة والكنيسة تحقق الانتصار الكامل للقوى الكنيسة المدعومة حاليا بتوقيع اتفاقية جنوب السودان ( اتفاقية اديس ابابا ١٩٧٣ ) التي تحظر اي نشاط اسلامي الدعاية المسلمين فياقليم الجنوبي وتعترض بالقوات المتمردة كهواز نظامية وأن تكون اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية الوحيدة فياقليم الجنوبي .

وفي العام الماضى زار البابا يوحنا بولس الثاني افريقيا « زار زائير والكونغو وكينيا وغانا وغواتما العلية » على حسنه تعبير المعلم على الزيارة ، « على قرع الطبول ، وعاد على قرع الصليب » وقالت التعليقات أن سعي الفاتيكان كان للحد من انتراض النصرانية في افريقيا ، وان الخطير الحقيقى يأتى من الاسلام والدعاية المسلمين يستغلون كل المغريات (حقيقة او مصطنعة ) لاوصول الى وجдан الشخص الافريقي ، وهم يحاولون تصوير النصرانية على أنها دين الجبارية الذى لا يأخذون المسحوقين بعين الاعتبار بل انهم هم أنفسهم السبب الحقيقى في وجود هذا الانسحاق .

وت تلك الكنيسة الكاثوليكية حسب احصائية ١٩٧٦ مليونا ونصف مليون كنيسة في جنوب افريقيا ، وهناك من الفرق كلامفنسن من تملك عشر طائرات ارسالية تنقل الاطباء والادوية والمرضات لعلاج المرضى في الاحراش ، كما انشئت ١٥ مستشفى بلغ عدد الاسرة فيها ( ١٧٧٦ ) و ١٠٩ عيادة ومخزن ادوية ، ونجد راديو اذاعات الانجيل في الحبشة يغطي كافة افريقيا والسودان المجاورة بكل اللغات واللهجات التي تتنطق بها هذه المناطق ، والظاهرة الخطيرة ان وراء المبشرين تكمن ظاهرة التجسس وان احد الاباء ( اب سميث ) رفع تقريرا عن زيارته لافريقيا ذكر فيه ان ١٥٠ من

**ثالثاً** : أن القوى النصرانية تعلم حق العلم أن مخططاتها كلها منهارة رلكلها تواصل عملها دون يأس ، ليس أصلًا في ادخال المسلمين في النصرانية ولكن بهدف اخراجهم من الاسلام .

**ثالثاً** : أن الصحوة الاسلامية التي تواجه العالم الغربي اليوم بمحاذير مختلفة تجد من القوى الاستعمارية سحاولات متعددة لاحتواها ، ومن بينها ذلك المخطط الجديد الذي يرمي الى تنصير المسلمين في مختلف أنحاء العالم .

ولما كانت خطط التنصير لا تهتم الى الحق ولا تزيد وجهه الله فانه لابد أن تواجه هزيمة تكشف زيفها ومن ذلك جماعة القساوسة الذين أسلموا في السودان وكان اسلامهم مصدرًا لدخوله . ٤٠ شخصاً – من الذين سبق ادخالهم الى المسيحية – الى الاسلام بينما ينتظر سائلاً شخص آخر لاتهامه اسلامهم .

يقول الشس جيمس ( الذي أصبح تجذيب سليمان ) اننى من ابناء قرية كدرو غرب مدينة كادو قلى بالإقليم كردفان اكملت تعليسي ثم توجهت الى الخرطوم حيث يعيش شقيقى الابكر ، ولما عجزت عن دفع مصروفات المدارس الحكومية هداني تفكيرى للذهاب الى مدارس النصارى حيث اعتادت تلك المدارس تعليم ابناء المسلمين والنصارى على اليسوء وونروا لى العلم والسكن واللبس ، وواصلت المسيرة رنلت شهادة اكتسحه في الاقتصاد ، وفي نفس الوقت تعمقت في دراسة الالاهوت وأصبحت قسيساً ، وخلال الفترة التالية كنت أتسوّم بالتبشير حول الخرطوم لجذب القراء والمحاججين الى النصرانية ، وكانت الحكومات والجماعات تدقق علينا المال للقيام بهذه الرسالة الى ان جاء يوم اختلت فيه مع كبير القساوسة في سائل روحانية ومادية ، وكانت هناك بعثة من الكنيسة الرسولية من كندا وأمريكا الشمالية علمت بالخلاف غاتصلوا بي واعلموني بمبادئهم وسافرت معهم الى الولايات المتحدة وكندا وعدت لكون كبير القسس للكنيسة الرسولية بالسودان وصرت اجذب اليها معظم الذين ادخلتهم الى الكنيسة الكاثوليكية واستطعت ان ادخل الى النصرانية حوالي ١٤ الف شخص من المسلمين والنصارى واللادينيين .

وفي السنوات الأخيرة راودتني بعض الشكوك والتساؤلات عن كينونة هذه النصرانية التي لها أربعة أناجيل أو خمسة ، من أين جاءت هذه الأنجليل ، ولماذا تختلف كلها في النقطة الواحدة ، وهل يعقل أن يكون المسيح عليه السلام قد قال كلماً متعارضاً لمجموعات مختلفة وهو الرسول من عند الله ؟

يكون من السهل جذبهم الى المذاهب الباطنية او الى النصرانية ( من بحث للاستاذ على مختار الامين ) .

## الحوار

وفي كل موقع من أرض المسلمين تعمل حركة التنصير العالمية وفق مخطط مدروس ، وقد كانت قصة الحوار بين النصرانية والاسلام من الداخل الخطيرة التي أخذت تتحرك من خلالها في المنطقة العربية في السنوات الأخيرة ، وقد قرر الدكتور عمرو فروخ أن محاولة الحوار تقوم على جمع نفر من المثقفين ذوى الكلمة المسموعة في قومهم ، على مناقشات علنية لا تمت بظاهرها الى ( التبشير ) وإن كانت غايتها الحقيقة زعزعة العقائد بجر الناس الى القول والرذ ثم النقاد من خلال الأخطاء والجمل المتشابهة الى التأثير على ذوى التفوس الضعيفة .

وقد بدأت دعوة « الحوار » ١٩٦٢ بناء على توجيهه من الكنيسة الكاثوليكية بين النصارى وغير النصارى وغاية الحوار هي زعزعة العقائد على السنة اشخاص معروفيين في قومهم ، وال الحوار كالمعاهدات ينطوي بالغاتهم فيها من كان أقوى يداً وأرفع صوتاً وقد أدرك المخلصون أن الحوار هو وسيلة جديدة من وسائل التبشير الديني والسياسي معاً وكان الجمع المskونى الثاني ( ١٩٦٦ ) قد تقرر اعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار ، رجال دين يعرفون كيف يصغون الى الآخرين وكيف يفتحون قلوبهم لجذب حاجات النفس الإنسانية كما يسمونهم : « رجال دين من طبعهم ان يوقدوا الاهتمام في النفوس ويكونوا سلعيين للايمان النصراني » .

أما ظاهرة تنظيم الأسرة فترى الى تقليل الانجاب بحجة ان ذلك سيزيد عدد الجائعين والمعراة والمرضى والفترا ، بينما تعطى الجوائز السخية للاسر النصرانية الغربية والشرقية لتشجيع زيادة النسل ومع ازدياد الهجرة اليهودية الى ارض فلسطين المحتلة ، كل هذا من باب التأمر على النسل الاسلامي ، وقد كتبت ابحاث عديدة في كشف زيف هاتين الدعويين وفساد وجهتها .

ويمكن أن نضاف الى ذلك في باب الدراسة التحليلية لمؤامرة التنصير العالمية مجموعة من الحقائق :  
**أولاً** : ان الصهيونية العالمية من وراء خطط التنصير كما أنها من وراء خطط الماركسيه بهدف تزييق وجهة العالم الاسلامي والنيل منه ، والتأثير على مفهوم الاسلام ووجهته الحقيقة ، والمعروف ان الصهيونية قد احتوت مخططات النصرانية منذ وقت بعيد .

وسيظهر دينه على الدين كلّه ولو كره الكافرون .

١ - لم يمكن الله أعداءه من المسيح عليه السلام في محاولة قتله وصلبه ، « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبهه لهم » النساء .

ولكن النصارى آمنوا بظاهر الحادث وهو صلب الشبيه ثم جاءه هذا الجهاز الكنسي برئاسة يوحنا بولس الثاني ، ليتصنم العداء المتبادل بين الكنائس والمذاهبنصرانية من جانب ثم ، بين النصارى واليهود من جانب آخر ، ليواجهوا حركة المد الإسلامي متعاونين . بينما تجري محاولة تمويه هذه الحركات بما يسمى الحوار الإسلامي المسيحي .

٢ - إلا أن هناك مخططاً حديثاً يهدف إلى تفتيت المسلمين وانداتهم بالجملة عن طريق التجويع باستغلال مواسم الجفاف في مناطق مختلفة من القارة ، واستغلال عزلة الدول الإسلامية الغنية عن إبناء دينهم في القارة ، والاجهاد على أي حاكم يعارض المخطط الصليبي الاستعماري ، حيث يطبع به انقلاب دموي لا يأس من أن يبيد في وجهه الملايين المسلمة الفقيرة ، ثم يأتي الغوث باسم الأمم المتحدة ، في ثوب معونة أطعمة واكسسواء ، يوزعها المبشرون ودعاة النصرانية الذين يلبسون ملابس الاطباء والباحثين الدوليين التابعين لوكالات الغوث التي يرأسها .. ٤٤ أغا خان المسلم اسمها ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

٣ - طائفة مسيحية تؤمن بعودة المسيح في المستقبل ، ومعنى افتقتـ - مستقبلون ، وسبقهـ لأنهم يعتقدون العودة يوم السبت .

٤ - والاسلام واضح ليس قسمة بين باطن وظاهر ، وكل نحلة تخرج الاسلام عن حقيقته فهي باطلة كالقاديانية والاحمدية والبهائية والقراطمة .. الخ .

وهكذا أصبحت حياتي هو اجس وذهبت إلى أخوانى ونوابي الأحد عشر رؤساء المراكز التبشيرية حول العاصمة الخرطوم أبشـهم مـافـ نـفـسـىـ منـ شـكـوكـ وـكـانـتـ النـتـيـجـةـ انـهـمـ دـخـلـواـ مـعـىـ فـيـ تـلـكـ الشـكـوكـ ، وـلـمـ نـجـدـ لـهـاـ حـلـاـ وـاـخـرـاـ قـرـنـاـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ لـنـرـىـ مـاـهـىـ رسـالـةـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ ، وـقـرـانـاـ الـقـرـآنـ فـوـجـدـنـاـ فـيـهـ خـلـفـ مـاـهـوـ عـنـدـنـاـ فـيـ الـأـنـجـيلـ فـرـازـادـ شـكـوكـنـاـ ، وـاـخـرـاـ قـرـنـاـ التـقـدـمـ بـتـسـعـةـ عـشـرـ سـؤـالـاـ إـلـىـ المـلـقـ الـتـعـلـيمـيـ الـسـعـوـدـيـ بـالـخـرـطـومـ ، تـقـضـمـ عـدـدـاـ مـنـ الـقـضـيـاـ فـيـ الـإـسـلـامـ وـالـنـصـرـانـيـةـ لـمـ تـنـضـحـ صـورـهـاـ فـيـ أـذـهـانـنـاـ وـتـعـارـضـتـ وـتـقـارـيـتـ الـاقـوالـ بـشـائـهـاـ ، مـثـلـ صـلـبـ وـبـوـتـ وـقـيـامـ السـيـدـ الـمـسـيـحـ وـمـاـ جـاءـ فـيـ شـائـهـاـ فـيـ الـأـنـجـيلـ الـأـرـبـعـةـ وـفـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـقـضـيـةـ الـعـذـرـاءـ وـالـتـثـلـيـثـ فـيـ الـنـصـرـانـيـةـ وـكـذـلـكـ أـسـبـابـ تـحـرـيمـ لـحـمـ الـخـنـزـيرـ وـشـرـبـ الـخـمـ وـحـيـاةـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ وـفـسـخـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ وـتـعـدـ الـمـذـاهـبـ وـالـطـوـافـ .

واستمر الحوار على مدى ستة أيام وفي ختام الحوار انضحت لنا الصورة أنا وزملائي القيس وتعرفنا على الحقيقة وهدانا الله إلى نور الاسلام ، وغيرنا أسماعنا وعدنا إلى السودان ربنا الدعوة إليه في مناطقنا السابقة ونحمد الله أن عاد إلى الاسلام اربعون شخصاً ويتناقض آخرون اشهار اسلامهم وأكثر من مائتين للحوار والمناقشة استعداداً للدخول في الدين عند الله المزيد .

وهكذا يتكشف التامر على الاسلام وتنطلق موجات جديدة من الضوء من هذه الدائرة المظلمة ، وصدق الله العظيم « أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصووا عن سبيل الله ، فسيفقوها ثم تكون عليهم حسرة لم يغلبون » الأنفال : ٣٦ .

وسوف تتحطم هذه المؤامرة على صخرة الاسلام لعاتية وسيكشف الحق تبارك وتعالى نوره للعالمين :

( ٢ )

## حقائق جديدة عن التبشير

وذكر أن هذه البعثات انفقت حوالي ملياري دولار لهذا الغرض وذكر أن ٣ ملايين اندونيسي قد تحولوا عن الاسلام وأن ٢٥٠ الفا في دول افريقيا قد تحولوا كذلك . كما ظهرت احصائيات تبين أن ملياري دولار تتفقها بعثات التبشير لتحول فقراء المسلمين عن دينهم ، وان ١٥ جماعة مسيحية في الشرق غير الجماعات السرية تعمل لـم تنصي المسلمين في الدول الأوروبية والدول

قدم الدكتور عبد الجليل شلبي حقائق جديدة عن التبشير فأشار إلى أنه عقد في الكويت مؤتمر ضم ١٥٠ من علماء المسلمين ( في ٢٨ دولة ) لمناقشة أوضاع المسلمين الفقراء في مختلف دول العالم ، وقد عرضت على المؤتمر تقارير تفيد أن أعداداً كبيرة من المسلمين في الدول الفقيرة يتربكون دينهم ويتوجهون إلى ديانات أخرى تحت تأثير الأغراء المالي الذي تقدمه البعثات التبشيرية المختلفة

(سادساً) اهداه البوئات من ورق مزوق مقوى في أحد واجهتها آيات من الانجيل واشادة بال المسيحية .  
(سابعاً) اهداه لوحات فنية تجسد عقيدة التثليث .

كذلك أصدرت المطبع في الغرب عدداً من الكتب في التبشير والتفسير منها كتاب عنوانه (أشرك مسلماً في عقلك) نشرته مطبعة مودي في شيكاغو بالولايات المتحدة عام ١٩٧٥ ، مؤلف الكتاب مبشر عريق : (تشارلز ر. بارس) قضى خمسة وأربعين عاماً في مجتمعات إسلامية واستخدم كافة الوسائل في تحقيق أهدافه التبشيرية ، مسرح أعماله في دولتين : إفريقيتين : الجزائر وتشاد ، ركز في الجزائر على البرير ، كما ركز على الفئات العرقية الصغيرة لاثارة التلاقل داخل الوطن الواحد ، مضمون الكتاب : كيفية الدخول في جدل مع المسلمين عبر اجراء مقارنات بين القرآن والانجيل وبين المسيحية والاسلام ، خاصة في النقط المتشابهة بينهما وذلك من طريق دراسة مبادئ الاسلام واللغة العربية ومعرفة الواقع الاجتماعي والظروف وهو يتقدم النصح للمبشرين بضرورة تعلم اللغة العربية بدراية تمكنهم من التعرف على الكلمات والمصطلحات التي تتردد بين المسلمين ومنها : (الخبز والصلوة والإيمان ، الشرك ، الزنا ، القتل) في محاولة اظهار المفارق في المفهوم بين الديانتين وتشكيك المسلم في المفهوم الاسلامي ، والهدف هو تشكيك المسلم في عقيدته وملء قلبه بالحرب والشبهات .

ولقد اخبرني الشيخ يوسف البرى أنه اكتشف اثناء تواجده سنة ١٩٧٠ م ، ١٣٩١ هـ بالجزائر ، مركزاً من مراكز التبشير بفرنسا .. ومركزه برسيليا ، بمقاطعة بروفنس ، ويقوم هذا المركز بارسال كتيبات مسلسلة ، شعارها : صوت النبوة ، نور لهذه الأيام (فوا دى نروفيت) ، (لوليت بورست جور) .

وتتناول هذه الكتيبات قصص الآباء ومن خاللها يتم الهجوم على تعاليم الاسلام ، ومعطيات القرآن الكريم ، مؤكدين على أن التوراة والانجيل لم يحرفا لفظاً ، وإنما تم التحريف في شروح بعض الآباء .. وترسل هذه الكتيبات مقرؤة .. مطبوعة ، أو مسموعة مسجلة على أسطوانات ، على عنانوين شباب لا يعلمون سر اختيارهم ، وينتهي الكتيب بأسئلة ، ويطلب من القارئ الإجابة عنها ورسالتها على صندوق البريد الخاص برسيليا ، ليحصل على جائزة مع ضمان وصول الكتاب التالي من السلسلة اليه ، وفيهما ينکرون اسماعيل ، ويؤكدون أن الذبيح اسحاق .. الخ .

الاسلامية نفسها وقد قتل المبشرون في يوم واحد (٤٥٠٠) شخص في اندونيسيا لأنهم رفضوا الدخول في المسيحية .

وقد تطورت وسائل التبشير فنشأت جماعة الكرمل (ناجي الكرمل عمدة التبشير والاستشراق) وجمعيات الأخوة وبدأ المبشرون يدرسون اللغة العربية وأوضاع الدول وتقاليدها وعاداتها وجماعة النبي (دبكث) وهناك خمس عشرة جماعة في الشرق الأوسط وقد اتخذ المبشرون عام ١٩٧٨ عددة قرارات من أخطرها العمل على تنصير المسلمين الموجودين في الدول الأوربية والدول الاسلامية نفسها ويستخدم المبشرون وسائل عديدة للضغط على الأفراد ومع ذلك غاية في مقابل واحد يدخل المسيحية يدخل خمسة أفراد الاسلام .

وتوجد في اندونيسيا المسلمة ٩٨١٩ كنيسة بروتستانية و٣٨٩٧ قسيس ، و٨٥٠٤ مبشر ، وهناك أيضاً ٧٢٥ كنيسة كاثوليكية (٢٦٣ قسيس) ٥٣٩٣ مبشر وتقدم الهيئات التبشيرية خدمات ميدانية لثلاثمائة الف اندونيسي : ٤٣ مدرسة بها ٤٣٠ طالب ، ٦٠ كتاباً سنوياً ، طبع مئات الآلاف من الانجيل ، صحيفات ، مطار ، أسطول سفن وطائرات .. الخ .

وأشارت الصحف الى أنه عقد في ١٩٧٨/١٠/١٥ بولاية كولورادو بأمريكا الشمالية مؤتمر التنصير المسلمين حيث قدم المؤتمر أربعين بحثاً تناولت جوانب نظرية ودراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الاسلامي دون استثناء بما في ذلك الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا وحضر المؤتمر ١٥٠ مشتركاً يمثلون انشط العناصر التبشيرية في الجامعات والكتائس والمؤسسات البروتستانية الامريكية الأخرى ، وكان مؤتمراً ملقاً لم يسمح لغير المشركين فيه بحضور اى جلسة من جلساته وقد قام كل المشركين بقراءة البحوث جميعاً وكتابة تعليقاتهم عليها مسبقاً .

وفي سبيل نشر مخطط التبشير الغربي تقوم هذه المؤسسات على :

(أولاً) : توجيه اذاعات باللغة العربية الى بلدان المغرب من فرنسا وأسبانيا وسويسرا والمانيا وغيرها .  
(ثانياً) توجيه آلاف الرسائل البريدية باللغة العربية والفرنسية .

(ثالثاً) اصدار مجلات متعددة ترسل الى مختلف البلاد الاسلامية يتضمن دروساً وآيات من الانجيل وقصصاً ومحاورات ودراسات حول الكتاب المقدس .

(رابعاً) : توجيه دعوات للاشتراك في دراسة الكتاب المقدس بالراسلة لنيل شهادة في معرفة الانجيل .

(خامساً) اهداه نسخ فاخرة في حجم كتاب الجيب وأصغر الانجيل يوحنا بالعربية والفرنسية .

العمل بالفرائض وتنبيل أيدي النساء والاختلاط غير المشروع بهن ، واعتبار المشروبات الكحولية أمراً متقلاً والاستهانة بالحلال والحرام والسخرية من الطهارة والالتزام الديني والخلقى .

وتمجد احدى الصحف شاعراً لانه انتحر ويعتبر ذلك قمة الرفض والصمود والثبات على المبدأ ، هذه المفاهيم تسرّبت الى حياة المسلمين عبر الاداب الغربية والفنون الواجهة فهدمت الكثير من قيم مجتمعاتنا وتقاليدها . وهذا ما يريده المنصرون المنشقون معهم من رجال السياسة .

\* \* \*

ولا يتوقف التبشير عن الاشارة الى ما يسميه خطراً الاسلام واثارة الرعب في الغرب ليتخذ موقفاً متشددًا مع صحوة المسلمين ونهضتهم . فيقول البشر الكاثوليكي ( جيردنر ) أن الاسلام يقف على أبوابنا من ساحل الشمال الافريقي ، يواجهه أوروبا بل يلامسها حقيقة على طرق المتوسط عند هرقل وفي القسطنطينية ، هذه الكتلة الصلبة من المسلمين المتدة من افريقيا الشمالية الى غرب ووسط آسيا ، انهم كخابور ثابت لا يتخالل ، يفصل الغرب المسيحي عن الوثنية او الشرق المتخلف ، ولو امكننا ان نحل مشاكلنا في اليابان او كوريا او الصين او متشوريا والهند فان هذا الخبر الضخم المعادى والغريب وغير المتعاطف قد يمزق الشرق والغرب المسيحيين الى نصفين فاصلا الشقين تماماً وعازاً اياهما عن بعض .

ويعلق على هذا الاستاذ / عبد الفتاح الفاوى أحد كتاب الاسلام فيقول :

ان ماتفعله منظمات التبشير ليس له الا معنى واحد هو أنه خوف من الاسلام ، فهم يعرفون ما الاسلام وما دعوته وكيف يجذب الناس اليه بدون دعاء او مبشرين ومن ثم فهم يقاومون الاسلام ، ويحاربون الاسلام بهذا التبشير ولذلك فانهم لا يعندهم الدخول في المسيحية بقدر ما يعندهم صد الناس عن الاسلام ، وان تجراناً وأردناً أن نصوغ لهم مبدأ غليس الا : لا تدخل الاسلام وكن على أي دين شئت ، ولذلك فانهم اكبر ما يحاولون اخراجهم من دينهم الى المسيحية . ان الغرب يستخدم في التبشير والدعوة الى المسيحية كل امكاناته المادية والتكنولوجية ورصد لهذا العمل الميزانيات ، في الجانب الآخر نجد الاسلام يقاوم هذا العمل لا بأعمال الدعاية من الحكومة الاسلامية ولكن الاسلام يقاوم ذلك ببنائه و هيكله وقوامه .

\* \* \*

كما اخبرنى ايضاً ان الاب غوركى بأفغانستان نشر كتاباً بعنوان : ( الخبز والملح ) بالفرنسية والعربى معاً ، قصى فيه قصة الشاب غفار المسلم وكيف ان المسيح تليس تدينه لـ اشاركم الخبز والملح ثم يقص قصة الشاب المسعى ، وبعدها يدعو اسرته والاقارب الى النصرانية .. وكان الرهبان الذين يحملون الجنسية الجزائرية يوزعونه في خلائهم على ضيوفهم المسلمين من شباب الجزائر الذين يستضيفونهم في الأديرة .

\* \* \*

وأشار الدكتور نجيب الكيلاني الى تفسير علم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والمناهج الفلسفية والعلمية بصفة عامة في التأثير على الرأى العام الاسلامى وذلك من خلال مسرحيات ومقالات ونصوص سينمائية تحمل في طياتها الدعوة الى اعتناق النصرانية والتغير من الاسلام وغيره من الديانات ومن اهم ما يعمدون اليه التركيز على مناهج التربية والتعليم والتقليل من شأن اللغة العربية والاشادة باللغات الأجنبية ونشر المصطلحات والمناهج الغربية وتشجيع تعلم اللغات وتقديم المنح الدراسية والمساعدة للوصول الى المناصب العالية وفتح الافق أمام المخدوعين من الكتاب والقاد والفنانين .

ولقد كانت ( القصة ) هي المجال الخصب للدعوات التنصيرية وفي مقدمتها قصة ( دراكولا مصاص الدماء ) بعد أن أهيل عليه التراب يرفع يده بالصلب ، وتصوّر القساوسة والرهبان بصورة ملائكة فريدة ، فهم يخوضون الاخطار دون خوف ويقتلون المشكلات ويحرص ابطال التحمة على تلمس مشكلات المجتمع والاحتياجات الملحة للناس ، وفي نفس الوقت النيل من مختلف العقائد والديانات المنافسة واظهارها بمظهر الانحراف والجمود والدجل .

بينما يرسمون صورة عالم الدين الاسلامى في ادبنا العربي بصورة فردية ، بخلاف رجل الدين في الغرب الذي يرسم على أنه سلطان الامل والرجاء في الدول المتخلة والمتقدمة .

ويرمى ( الادب التنصيري ) الذي يشجعون على ترجمته الى اللغة العربية على :

1 - توهين عرى الالقاء بين المسلم وتراث العقيدة والسلوك . 2 - التهديد لفاهيم غربية أشد التصاقاً بالاتجاه الديني والنصراني .

ومما يؤدي الى التماس السلوك الغربي المنافق لعقيدتنا في السهرات والاختلاط وحفلات الرقص وتجاهل

## الباب الرابع

### احياء الفرق والدعوات الهدامة

وتعمل سرا وعلانية على افساد تراث المسلمين العربي والثقافي ، وبما يختلفون فيه من آراء ويدرسوا من معتقدات وما يحدثوا من شبكات وقد وصف الإمام ابن الجوزي (الباطنية) : بأنهم قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة ، ومحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكارهم البعث وان كانوا لا يظهرون ذلك في أول أمرهم .

(ب) وكان أبرز هذه الدعوات الهدامة المنطلقة من ايران والهند : البهائية والقاديانية . فالبهائية ظهرت في ايران ، بدا البهاء دعوته بأنه المهدى ، ثم ادعى الالوهية . قال إن جميع الديانات جاءت مقدمات لظهوره وانها ناقصة لا يكملها الا دينه وأنه هو المتصف بصفات الله ، وهو مصدر افعال الله وأن اسم الله الاعظم هو اسم له وأنه هو المعنى برب العالمين وكما نسخ الاسلام الاديان التي سبقته تنسخ البهائية الاسلام .

وقد قام البهاء بتأويلات القرأن العظيم غاية في الغرابة – والباطنية بتنزيلها على ما وافق دعوته الخبيثة وان له السلطة على تغيير احكام الشرائع الالهية واتى بعبادات مبتدةعة يعبد بها اتباعه .

وقد تبين لعلماء المسلمين بشهادة النصوص الثالثة فساد عقيدة البهائيين الهدامة ، ولاسيما قيامها على أساس الوثنية البشرية في دعوى الوهية البهاء وسلطته على تغيير شريعة الاسلام وخروج البهائية والبابية عن شريعة الاسلام واعتبارها حربا عليه وكتف اتباعهما كفرا بواحد سافرا لا تأويل فيه .

وقد تأكّدت علاقة البهائية باليهود في احتضانها لها في حيّا منذ ظهور عباس البهاء وترويجها لها في فلسطين المحتلة ، كما عقد مؤتمر البهائيين العالميين في فلسطين المحتلة منذ سنوات وقد تبين ان البهائية وهي الاحياء للفكر الوثنية واليهودية القديمة والفارسية الجوسية توضع في قالب جديد .

(ج) واصطنعت القوى الاستعمارية في الهند (القاديانية) وفق سخطط مدروس يرمي – كما يقول الدكتور أحمد خليل – الى تأسيس طائفة جديدة تدعى بها

(ا) كان من اكبر اهداف التغريب والغزو الثقافي عن طريق مؤسسيه (التبشر والاستشراق) احياء الدعوات الهدامة القديمة والفرق القديمة ومن ثم ظهرت البهائية ، القاديانية (الاحمدية) الباطنية ، والماسونية وجددت في الباطنية ممثلا في الاسماعلية والنصرية نشاطها .

وكذلك كانت محاولة احياء الماضي الفرعوني والاغريقي والجاهلي وتجسيده وبعث الاساطير واعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والجوسية رباطنية واحياء عشتروت وزيوس وباخوس ، بهدف : ١ – هدم التصورات الاسلامية واخراجها عن مفاهيمها الأصيلة .

٢ – التشكيك في المقولات الاسلامية ومحاولات اخضاعها لمفهوم الوثنى الماسوني القديم والحديث الذي يختلف عن مفهوم التوحيد الاسلامي .

٣ – التزييف والتلفيق المتعتمد لهذه البطولات والمواقت واخضاعها الى مقاييس ومفاهيم العلوم الاجتماعية والفلسفية الماسية .

وقد كان من الضروري العمل على كشف المخططات الواحدة التي تعمل للقضاء على الشخصية الاسلامية بنشر الاحاد والانحلال الخلقي ومن ذلك دعوة تحديد النسل والاختلاط بين الجنسين والدعوة الى العامية واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

وأغلب هذه الفرق تقول بالحلول وتأول القرآن ، وقد كانوا خير عون للمستعمرين وقد استغلوا في القديم والحديث ضد الجماعة الاسلامية يكيدون لهم ويفتكون بهم وقد استغل الاستعمار هذه الفرق وأدمها بالقوة حتى رفعت الباطنية رأسها ورأس أحد قادتهم (أغاخان) جميع مسلمي الهند وتكلم باسمهم وترى روح الاستعمار واضحة في البهائية والبابية والقاديانية .

كما عمّد التغريب والغزو الثقافي الى احياء الشعوبية القديمة بهدف هدم الاسلام من خلال انتقاد العرب واللغة العربية والبيان العربي ونشأت مدرسة شعوبية جديدة تهاجم كل ما هو عربي او اسلامي ،

تفسيير القرآن في خدمة أغراضها ونواياها وتنفيذ  
مؤامراتها الحاقدة على الإسلام ومحاولة تشكيك  
المسلمين في عقيدتهم السمححة وهي تستهدف أساساً :  
١ - قطع صلة هذه الأمة ب الماضيها وخير أيامها  
وأفضل رحلتها .

- ٢ - فتح الباب امام الادعية ومدعى النبوة .
- ٣ - الخروج على النبوة الحمدية على صاحبها

٤ - خلق روح اليأس في نفوس المسلمين من ناحية مستقبلهم بما يدفعهم إلى الاستسلام أيام خطط العمار والاحتواء التي يقوم بها القوى الثلاث: الغربية والماركية والصهيونية .

والمعروف أن القابضات بعد هلاك غلام احمد انقسمت فرقتين . فرقة قالت بنبوته وفرقة قالت بولايته وللفرقتين مارب سياسية خطيرة وليس من شرق المسلمين .

وقد أشار الدكتور محمد اقبال الى أن القاديانية مؤامرة مدروسة ترمي الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة مناسبة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وقد امتد خط القاديانية بطابعها اللاهوري ، الذى خدع كثيرا من الناس واتسع نطاقها واستفحلا خطراها وخاصة في باكستان نفسها ففرعت الأحزاب والهيئات تطلب الحكومة يجعلها اقليه غير اسلامية وأصدر القضاء أكثر من حكم بأن القاديانيين غير مسلمين مع بطلان التزوج بينهم وبين المسلمين ثم جاء قرار ١٧٤ سبتمبر ١٩٧٤ (١) من البرلمان الباكستاني حاسما قاضيا باعتبار جميع الفئات القاديانية : أقليات غير اسلامية (٢) واعتبار اتباع الميرزا غلام احمد سواء كانوا من فئة القاديانية او من فئة الlahoriya اقليه غير مسلمة بموجب الدستور ، وان اي رجل لا يؤمن بالنبوة المطافة لحمد صلى الله عليه وسلم وعلى انه آخر الرسل او اي شخص يدعى النبوة في اي معنى او شكل للنبوة وبای تفسیر لکلۃ النبوة ليس بمسلم وان من يؤمن بادعاء اي مدع للنبوة او يعتبره مجددا دینیا يكون غير مسلم بموجب الدستور (٣) (القاتون ) .

وتنشر القاديانية في افريقيا في ٩ دول بمفهوم اعداء الاسلام ، واكبر مراكز القاديانية في غانا ٢٢ مركزاً - ١٦٥ مسجداً ( ونيجيريا ٢١ مركزاً - ٢٢ مسجداً ) وسيراليون ٩ مراكز - ٤٤ مسجداً ( وكونيتيا ١٩ مركزاً - ٤ مساجد ) وتنزانيا ( ١١ مركزاً ) اوغندا ( ٥ مراكز - ٩ مساجد ) . وقد تحدثت اخطار الدعوبين على الوحدة الاتية :

نبوة جديدة مناسبة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،  
اما تعمير كفرا بنصوص القرآن الصريحة ، وقد كان من  
اعمالهم دعوتهم الى نحلتهم باسم الاسلام مع بقائهم في  
مجتمع المسلمين كأنهم جزء منه وفتح باب المجادلة  
والمناظرة لاحادث صراع عنيف في وسط المسلمين وجعل  
هذا الجدل موجها لاحادث خلاف بين المسلمين .

وقد أعلن القاديانيون ولاءهم للمستعمر البريطاني  
واعتبروا ذلك جزءاً من إيمانهم ، ومن هنا اعتبرهم  
المستشرقون من الحركات الإسلامية الاصلاحية مع  
النحو الذي ذهب إليه براون في كتابه ( طوالع الاسلام )  
الذى تابعه فيه بعض كتاب الاسلام البارزين الذين لم  
تتبين لهم الاغراض المسمومة التى تخفي وراء الدعويين  
المبطلين وأن الحركتين قد نشأتا في أحضان النفوذ  
الأجنبى واستهدفتا ضرب الاسلام في اعظم قيمه  
الأساسية وهى فريضة الجهاد وحاولت هاتان الفرقتان  
بث الفتنة وزعزعة العقائد وإثارة الشبهات والشكوك  
وأضعاف شوكة المسلمين وتثبيط عزائمهم في مقاومة  
النفوذ الأجنبى والحيلولة بينهم وبين الكشف عن حقيقة  
عذبائهم .

وقد حاول الاستعمار اعداد هذه الدعوات لتحمل  
لواء الولاء له قبل خروجه من البلاد المحتلة ، ولكن  
تكون عاملًا من عوامل تمزيق وحدة المسلمين والحلولة  
دون قيامها ، ومن ثم مكنت بريطانيا للقاديانية في الهند  
وخصصت لهم امارة تسمى الربوة داخل باكستان ،  
ومكنته من تسلم المناصب السياسية العليا في الدولة  
والجيش فأصبحوا عاملا خطيرا في مواجهة أهل السنة  
والجماعة وضرب مفهوم التوحيد الخالص .

وقد أشار غلام أحمد القادياني في ختام كتابه (شهادة القرآن) الى حقيقة ، وتقنه فقال : لقد قضيت معظم عمرى في تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها والفت في سفهوم الجهاد ووجوب طاعة اولى الامر وقدمت في ذلك من الكتب والنشرات ، او ضم بعضه الى بعض للاخرين خزانة وقد عشت حياتي احابيد بلسانى وقلتى لاصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية واتنادى بالفاء فكرة الجهاد الى يعنى بها معظم رجالهم .

ولما رأى القاديانيون ومن وراءهم فساد الدعوة وسقوطها . حاولوا استنقادها بظهور الدعوة الاحمدية التي تختلف كثيراً من دعوى غلام القادياني تخففاً ظاهراً خادعاً ، وأية ذلك أن الترجمة التي قام بها الاحمدية ( محمد على الlahورى ) مليئة بسموم القاديانية وملينة بالتحريف والتشويه لمعانى كتاب الله سعى استغلال

وانها في اهدافها الحقيقة السرية ضد الاديان جميعاً لتهدمها بصورة عامة ، وتهدم الاسلام في نفوس ابنائه بصورة خاصة ، وانها تحرض على اختيارة المتنسبين اليها من ذوى المكانة المالية او السياسية او الاجتماعية او العلمية او اية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لاصحابها في مجتمعاتهم ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها .

وانها ذات فروع تأخذ اسماء اخري تمويهاً وتحوياً للانتظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الاسماء اذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما وتلك الفروع المستوره باسماء مختلفة من ابرزها منظمة الاسود (الليونز) والروتاري الى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى تماماً مع قواعد الاسلام وتنافقه مناقضة كلية ، وقد تبين للعلماء بصورة واضحة – العلاقة الوثيقة لل MASONIE باليهودية الصهيونية العمالية والتى بها استطاعت ان تسيطر على نشاطات كثير من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم ، ولذلك ول كثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبسياتها الخبيثة واهدافها الماكرا قرر الجميع الفقهى ( الرابطة العالم الاسلامى ) في قرار له ( نشرته جريدة الندوة في ٥ ذى القعده ١٤٥٥ هـ ) اعتبار الماسونية من اخطر المنظمات الهدامة على الاسلام وال المسلمين وأن من ينتمي اليها على علم بحقيقةها واهدافها ( معتقداً جواز ذلك ) فهو كافر « وذلك في ضوء حكم الشرع في التمييز بين من يرتكب الكثيرة من المعاصي مستبيحاً لها وبين من يرتكبها غير مستبيح فالاول كافر والثانى عاص فاسق » .

وقد اشارت ابحاث كثيرة جادة الى ان الماسونية تعمل على التشكيك في العقائد والنيل من الاديان واثناعية الكفر والاحاداد والارهاب ومن ناحية اخرى تدعو الى الاباحية والفساد والرجس والانحلال والتفسخ الخلقي ولذلك فقد أقاموا نوادي المرأة في فرنسا وهى نوادي لا يدخلها العضو المتنسب رجلاً كان او امراة الا عارياً كيوم ولدته امه ، وكذلك قامت نوادي لتبادل الزوجات ليس في الرقص فحسب وانما في ممارسة الجنس لكسر الرتبة والتتويج كما يدعون ، كما شجعوا اقامة البلجاجات وأحوال السباحة المشتركة ووصلات الرقص المخطط المعلقة ، وترى الماسونية في هذا العمل خدمة للصهيونية العالمية التي ترى ان انهيار الاخلاق في العالم وسيطرة الشهوات والغرائز الجنسية والانوثة في لقمة العيش والحرص على جمع المال ، كل هذا

أولاً : انكار ختام النبوة والرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : انكار فريضة الجهاد .

ثالثاً : تأويل آيات القرآن الكريم على نحو مخالف لطبيعة الاسلام ولخدمة دعاهم .

رابعاً : التحالف بين اليهودية والبهائية والقاديانية في درب الدعاة المخلصين على مستوى العالم الاسلامي وقد احتلوا كثيراً من كراسي الدراسات الاسلامية في الجامعات الغربية لبث آرائهم الفاسدة .

خامساً : الاعتقاد بالتناسخ .

( د ) ولم يتوقف التغريب والفسو الثقافى عن بث الدعوات من داخل المجتمع الاسلامي بل اثار دعوات أخرى خارجية كان في مقدمتها « الماسونية » التي تبين أنها منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعطنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان ، ولكن مبادئها الحقيقة التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محظوظاً حتى على أعضائها الخواص الذي يصلون بالتجارب المديدة الى مراتب عليا فيها ، وأنها تبني صلة اعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الارض على اساس ظاهرى للتمويل وهو الاخاء الانساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والمذاهب ، وأنها تجتذب الاشخاص اليها من ينتمي ضمهم الى تنظيمها بطرق الاغراء بالمنفعة الشخصية على اساس ان كل اخ ماسوني مجنداً في عون كل اخ ماسوني آخر في اي بقعة من بقاع الارض يعينه في حاجاته واهدافه ومشكلاته ورؤيه في الاهداف اذا كان من ذوى الطموح السياسي على اساس معاونته في الحق والباطل ظالماً او مظلوماً ، وهذا اعظم اغراء تصلط به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال ويقوم الاحتفال بانتساب عضو جديد اليها تحت مراسم واشكال رمزية ارهابية لارهاب العضو اذا خالف تعليماتها وأن الاعضاء يتربكون احراراً في ممارسة عباداتهم الدينية ويستفيدون من توجيههم وتلقيهم في الحدود التي يصلحون لها ويبيرون في مراتب دنيا ، اما الملاحدة او المستعدون للارهاد فترتقى مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتهم ومبادئها الخطيرة .

وقد تبين أنها في اصلها وأساس تنظيمها يهودية الجنوبيه ويهودية الادارة العليا العالمية السرية وصهيونية النشاط وأنها ذات اهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغيرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة او خفية في العالم .

وتحتهدف الماسونية الى اكراه المسلمين على قبول (العلمانية) في التربية والتعليم والتشريع وأخيراً في الأسرة والعلاقات بين الأفراد منها عن طريق ما يسمى بتنظيم النسل واقتباس شرع الناس بدلاً من شرع الله في علاقة الرجل والمرأة .

وتوج الماسونية لنقل المسلمين من سحيط ايامهم  
بالياسلم الى ذوبانهم في عالمية يقودها رأس المال في  
الدول الصناعية والفكر الاشتراكي في النظم المركسية .

ومن وراء المسؤولية الزعماء أصحاب الصناعة والسيطرة ، وترمى النوادي المتنوعة – إلى احتواء أكبر عدد من المثقفين الوطنيين وأصحاب التفوز السياسي ورجال القانون والفكر والصحافة ليشرروا بروح الأهمية والهيومزم ( المذهب الانساني المسؤول ) بين مواطنين لخدمة هذا الفرض البعيد المدى .

وأقد تردد القول بأن الروتارى هىواجهة  
الماسونية وحاولت بعض الجهات إنكار ذلك، القول  
بأن الروتارى منظمة للخدمة الإنسانية ولا صلة لها  
بالماسونية وذلك خطأ . فان أهداف المنظمة غامضة ،  
وانها ذات تنظيم دقيق ومتكم ويقول مارون في  
كتابه عن الروتارى ان المجموعة الأولى التي اشتراك  
في تأسيس الروتارى كانوا اعضاء في محافل ماسونية  
وقد كان من مقررات أول مؤتمر صهيوني في بال  
١٨٩٧ غزو المنظمات السرية واقامة ديانات جديدة من اخطرها  
وأشدتها انتشارا الماسونية وسرها الامين الليون كلوب  
وساعدتها الايسير الروتارى كلوب وجمعية شهود يهوه  
والدرمون وغيرها .

( ه ) **البيوجا** : ومن الدعوات الوافدة ( البيوجا )  
وهي من الطقوس الهندية التي جرت محاولة نشرها  
واداعتها في البلاد الإسلامية والعربية وهي مستمدّة من  
تعاليم البوذية والترفاندا والافكار الغامضة ، ولها  
صلات بالملاسونية والتناسخ وتراث الغنوصية القديم  
بدعوى الوصول إلى الصفاء العام من خلال حركات  
حسدية معينة .

وتتأتى المهاريشى لتوسيع نطاق الدعوة الى  
الاتناسخ ، وهى بمثابة دين جديد وقد وصفت بأنها  
بنت الصهيونية العالمية ، وأن نشاطها البارز الذى  
قامت وتقسم به فى أنحاء مختلفة من العالم لترويج  
تعاليمها يتذكر فى مخالفتها للشريعة الاسلامية وتحذير  
الدول والشعوب الاسلامية من خطورتها وأصول هذه  
الحركة وذورها وعناصرها ورميمها ونظمها الramia  
الى حكم العالم هى وليدة الصهيونية العالمية وهى  
نظم تهدف الى التخلل بين كل علاقة روحية ويتزعمها

يمهد لها الطريق للسيطرة ويسط النفوذ على العالم .  
وسائل الحركة الصهيونية لتحقيق ذلك واضحة  
في ( بروتوكولات صهيون ) عن طريق تقويض دعائم  
الاسرة بالاباحية وعرض الافلام الخليعة الماجنة ،  
والازياء الفاحشة المتعددة ، والمجلات والكتب الجنسية  
المهيجة والقصص الغرامية المثيرة والصور العارية في  
أوضاع شتى والهدف من هذه الكتب هو افساد الاخلاق  
وترويج الاباحية واستغلال الجنس لتحقيق الارهاب  
الطاللة وفي نفس الوقت التمهيد لسيطرة امبراطورية  
الربا .

ويقول مستر جورج روبنسن الانجليزي المسؤول  
كتام أسرار أكاديمية ( ايدينبرغ ) في كتابه عن المسئونية  
باليلى :

«لقد حصلت لى الوسائط التى مكنتنى منذ خمسين سنة أن أتبعد الدسائس التى دسها البعض على الدين بحجة مناهضة الخرافات وعلى السلطات بحجية تحرير الشعوب من العبودية فوجدت أن كل هذه الدسائس مرتبطة مع الماسونية التى ايس لها من غاية سوى دك أركان الديانات وتفويض أساس كل الدول ولو نجحت وسائل الماسونية لجعلت الدين مستيقعاً من الدم وشعلة من النار ، ولهذا القول مصدقه في كثير من البلاد التى تمت فيها السيطرة على الحكم لساسين أو صهيونين أو شيوخين أو ذيول شيوخين ، وليس ما يحدث في فلسطين ولبنان وأفغانستان وغيرها ببعيد ، اذا اذاقوا الناس الامرين فهم يمثلون عملة نقدية ، فالساسونية تمثل قيمها المادة التى صنعت منها العملة ، والصهيونية والشيوخية كلتاها يمثلان وجهى العمالة ». .

ويمكننا أن نجمل ما خططه المسئولية للقضاء على الاسلام في الماضي والحاضر في الآتي :

أولاً : الدعوة الى الشعوبية والاقليمية والتي هي أول فصول المؤامرة على الاسلام .

ثانياً: مهاجمة العرب حملة لواء الاسلام وأصحاب  
الدوامة الاسلامية بمهاجمة تاريخهم وأسلوب حياتهم  
وطمس ذاتهم وكيانهم ومهاجمة فكرة الشرف العربي ،  
والعرض الاسلامي والطعن في نظرتهم الى المروءة  
ومهاجمة القيم العربية والفضائل الخاتمة التي تتمثل  
في نهضوم الشرف والكرامة .

رابعاً : مهاجمة التاريخ الإسلامي وتزييفه وطمسه  
والدس فيه والافتراء عليه .

خلساً : الطعن في أصول القيمة الإسلامية وجزورها ( عبد المنعم مبارك حسن ) .

والى اعتناق عقيدة تجدد الفكر الباطنى والفنومى والاساطير وهى جماع شذرات من علم النفس ومبادئ اليوغا والنظم الاكاديمية وشطحات التصوف الهندى ، جمع هذا الخليط وأخذوا يشوشون به عقول الناس المسذج وقلوبهم .

وهي نحلة من نحل الوصول الى الحق عن طريق الياطل بالتأمل الذاتى وهى نظريات قديمة حاول الدعوة اليها كثيرون وفشلوا وقد استطاعت هذه الدعوة عن طريق المارجون والحسينيين وحقن الهرويين ان تسيطر على عقول عشرات الآلوف من الشبان الامريكيين والاوربيين بدعوى التخلى عن الآلام ويكتب هذا الفكر حقيقة أساسية ان هداية الانسان لا تأتى مطلقا عن طريق الفكر التجاوزى المهاريشى ، وإنما تأتى عن طريق الوحي والنبوة ، الوحي الذى يربىهم بريق الحق والنبوة التى تقدم القدوة .

( قل ان هدى الله هو الهدى ولكن اتبعت اهواهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصیر )  
 ( وكذلك اوحينا اليك روحنا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الایمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وأنك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ماف السموات وماف الارض الا الى الله تسير الامور ) .

ان البشر بدون هدى الله لا يستطيعون حل مشكلاتهم وتقابل مبادىء المهاريشى مع مبادىء الماسونية وتحدى أهداف اليهود في الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

الهندوس ( ماهايش يوغى ) المهاريشى ، الذى يدعى الى تحقيق حلم الفلسفه فى ايجاد المجتمع المثالى ، وأن زعيمها يمكنه التحكم بالظواهر الطبيعية حسبما يريد ، وقد أمضى وقتا طويلا فى الولايات المتحدة بعد الهند حيث ركز على مجموعات الهيبين بصورة خاصة اسماء ( التركيز الذهنى ) عبر حلقات الجنس والحسينيين وسائل ا نوع المخدرات ثم انتقل الى سالزبورج فى النمسا والحركة حکومة تسمى حکومة العالمية وتضم 11 وزيرا منهم 4 نساء وتسمى حکومة عصر التنوير العالمية وتضم كل الدساتير والأديان والثقافات ويحمل شخص ( ماهايش يوغى ) طابع الدجل والاستغلال والانحراف ويصفونه براسبوتين العصر ، ويحمل بأن يمسك زمام العالم عن طريق حکمة الحشائين وهدفه العمل على تقويض المبادىء السماوية فى صفوف الشبان والشابت ونشر الاباحية والانحلال .

وقد أصبح اليوم شخصية عالمية بارزة ، بل أصبح قديسا ورسول سلام له اموال موزعة فى مؤسسات دولية وقد اقسام معاهد علمية فى بعض عواصم العالم منها اكاديمية لعلوم الهندوس الدينية ومعهد للقانون الطبيعي ويتبنى دعوته الفلسفه الهندوسية ويعتقد على قوه قانون الطبيعة .

وتعنى فلسفة المهاريشى الاعتماد على الذات والاستغناء عن الله ( تبارك وتعالى ) وعن الوحي والنبوة ، وهو يقسم مذهبة هذا كبديل للإسلام ، وتلك اضاليل الدعوات الهدامة ، وهى الاعتقاد بأن البشر يستطيعون أن يهدوا أنفسهم بأنفسهم .  
 ويعنى القول بأن المهاريشى يدعى الى دين جديد

## الباب الخامس

### التعليم والثقافة وال التربية

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في لغتهم وبرزت دعوى العamiات في مختلف أنحاء الوطن العربي وغيرت الابجديات في بعض الأقطار الإسلامية فانما مرد ذلك إلى مناهج التعليم التي خدعت العرب والمسلمين بدعوى عظمة اللغات الأجنبية ودخول اللغة اللاتينية إلى المصحف فلماذا تبقى العربية العجوز .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم الإسلامي لللاقتصاد فانما يرجع ذلك إلى أن المسلمين العرب درسوا في مدارس الارساليات وفي المدارس الوطنية الموجدة في العالم أن الربا هو القاسم المشترك الأعظم على كل الأنظمة والمشروعات .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم السياسي الإسلامي فانما يرجع ذلك إلى تلك الصور الزاهية التي قدمت لهم في مدارسهم وجامعتهم عن الديمقراطيات والليبرالية والجماعية وغيرها من أنظمة الغرب مخدعهم .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم للعلم فانما يرجع ذلك إلى تلك القرارات المدرسية والجامعية التي ترد العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء وتاريخ طبيعي وتكنولوجيا إلى علماء الغرب وحدهم متجاهلة ذلك الدور الخطير الذي قام به المسلمين والعرب في بناء الطابق الأساسي من منشأة العلم وأنهم هم الذين قدموا المنهج العلمي التجريبي إلى البشرية كلها .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في مفاهيمهم الاجتماعية فانما مرد ذلك إلى مناهج التعليم الذي يدرس المجتمعات الغربية وفهم مدرسة العلوم الاجتماعية . الذي يقوم على انكار فطرية الأسرة وأصلة الدين وثبات الأخلاق ويدعو إلى التطور المطلق وإلى الجبرية الاجتماعية ، كل ذلك يدرسه أبناء المسلمين في مدارسهم ومعاهدهم وجامعتهم على أنه حقائق مقررة ، لا على أنه نظريات مؤقتة مرتبطة ببياناتها وعصورها ، قابلة للخطأ والصواب لأنها من نتاج عقليات بشرية تخطيء وتصيب .

هذا هو الخطأ الواضح من وراء الخنجر الذي طعن به المسلمون . ومفهوم هذا الخطأ فراغ النفس الإسلامية في العالم الإسلامي كله من حيث أنها قد

ما هو الخنجر المسوم الذي طعن به المسلمين ؟ . ذلك هو السؤال الذي تلخ الأحداث المتواترة في العالم الإسلامي على القائه وتطلب الإجابة عنه ، وهو تساؤل مقدم اليوم على كل سؤال ، لقد تحدث المصلحون عن مقاتل متعددة أصيبي المسلمين بها في كيائهم وذكرواها وأولوها اهتمامهم وبحثوا أمرها ، ولكنهم لم يركروا كثيرا على « الخنجر » الذي طعنوا به في هذه المقاتل ، وأولى لهم أن ينتزعوه من جسمهم أولا قبل أن يعالجو مكانه النازف بالدم ، ذلك لأنهم إذا لم ينتزعوه فسوف يظل ينزف ولن يكون جدوى شيء ما من اصلاح أو تصحيح أو تحرير أو علاج ، إذ لابد أن يبدأ العمل من نقطة أولية :

هي نقطة الخنجر ، ذلك الخنجر في تقديرى وفيما وصل إليه اعتقادى واعتقاد الكثرين من العاملين في دراسات التغريب والغزو الثقافى هو « التعليم » وسا يتصل به من شأن التربية والثقافة ، هذا هو الخنجر المفروض في الجسد الإسلامي ، وما يزال ينزف دما ، ولقد كان المستعمرون غالية في الدهاء عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الارساليات والسيطرة على أجهزة المعارف والتخلص من المناهج والقرارات والكتاب التي كانت تدرس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي والبلاد العربية ، الأزهر والزيتونة والقرويين وبساعدهم الحديث ورجالها والعاملين بها ، وأخلال مناهج جديدة ومقررات جديدة ، وإذا كان يرمي إلى هذا بدنلوب في سحر قان البلاد الإسلامية قد عرفت عشرات من أمثاله وأنساده .

وإذا كانت سفاهيم الثقافة الإسلامية التائمة على الكتاب والسنة قد انحسرت في بيوتنا ومجتمعنا فانما مرد ذلك كله إلى هذا الخنجر المدفون في أعماق الجسم الإسلامي .

وإذا كان المسلمون قد طعنوا في شريعتهم فأقصيـت عن مجال التطبيق في مجتمعاتهم وحل محلها القانون الوضعي فانما مرد ذلك إلى التعليم الذي خرج أجيالا تحقر الشريعة وتؤمن بعظمة قانون نابليون .

ونرى كل العناصر مؤدية الى بناء عمل واحد متسا  
نفرق بين التربية او الاخلاق او الاقتصاد او الاجتماع او  
السياسة او الفن .

كذلك فنحن في واقعنا القائم يجب أن تكون نظرتنا  
ممتدة إلى يوم أن يبعث الله تبارك وتعالى رسوله بهذه  
الرسالة من ناحية وإلى اليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء  
حتى وإن نعرف أن روابطنا بالأمم ليست حديثة وإنما هي  
قديمة جداً ، وليس اقتصادية أو سياسية أو دينية  
 وإنما هي كل هذا .

ولنعرف الحقيقة الكبرى التي رسماها القرآن وهي  
أن عالم الاسلام تكون من قلب عالم اهل الكتاب وهو  
منذ وجد صراع معه وسيظل كذلك الى أن يرث الله  
الارض ومن عليها .

هذا هو التحدى القائم الذى يجب أن يظاهر  
حياة المسلمين وحضارتهم ولا يغيب عنهم لحظة ، ذلك  
أن الأمم لا تموت الا اذا فترت عنصر التحدى أو الطموح  
ولقد كانت أزمة المسلمين في مرحلة ضعفهم وتخلفهم هي  
فقدان عنصر الطموح والاستنامة الى ما وصلوا اليه ،  
هناك اندفع العدو الذى يرقبهم وينتظر منهم لحظة  
غفلة فنال منهم .

« وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفَقَّلُونَ عَنِ الْسَّلْحُكْمِ  
وَأَمْتَعْنَكُمْ فِيمَلِأُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً » مَلِيَّاً خَذَ الْمُسْلِمُونَ  
بِالْحَذْرِ لِيَجْعَلُوَا التَّحْدِي نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ ، هَذَا التَّحْدِي  
الَّذِي هُوَ صُورَةً سَفَارِيَّةً لِهُدُفَّ مُحَمَّدٍ يَتَكَرَّرُ تَحْتَ اسْمَاءٍ  
مُخْلَفَةً فِي التَّارِيْخِ مِنْ حَرُوبٍ صَلَبِيَّةٍ فِي الْمَشْرُقِ إِلَى  
حَرُوبٍ الْفَرْنَجِيَّةِ فِي الْمَغْرِبِ إِلَى حَرُوبِ الْقَتَارِ إِلَى  
الْاسْتِعْمَارِ الْحَدِيثِ إِلَى الصَّهِيُّونِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ إِلَى الدُّعَوَاتِ  
الْهَادِمَةِ شَبَوْعِيَّةٍ وَإِيَّاهِيَّةٍ وَالْحَادِيَّةِ وَوَثَنِيَّةٍ وَسَادِيَّةٍ .

ونحن نعرف أن معركة حاسمة دارت بين الاسلام والغرب هي معركة الحروب الصليبية ، وقد عاشها المسلمين بالمقاومة والجهاد مائة عام وانتهوا منها بالنصر ، ولكن هل كان هذا هو نهاية الشوط بالنسبة للغرب ، وهل توقف طموحه للسيطرة على ارض الاسلام وببلاد الاسلام ، ان شيئا من ذلك كله لم يحدث ، لقد استمرت المؤامرة واطردت وتبلورت في مفهوم جديد .

كان ذلك المهموم يتصور أن المسلمين قد غلبو  
الغرب وهزموه لأنهم متقدمون حضارياً وعسكرياً فلابد  
من هزيمتهم حضارياً وعسكرياً ، فانقض الغرب على  
ميراث المسلمين ونقل منهج العلم التجربى وانطلق  
وسيق به المسلمين حتى كانت معارك الدولة العثمانية  
مع الغرب في آخرها تمنى دائماً بهزيمة المسلمين لامر

انحصرت عن بيوتها مفاهيم الثقافة الإسلامية القائمة على القرآن والسنة ، وضفت القدرة التي تبني الشباب ، فانها تسلم الى المدرسة شبابا غضبا ، يحس بالفراغ في مجال وجوده وعاقفته وفكرة ، فلا يجد الى مفاهيم الاسلام سبيلا ، ثم اذا به يلتقي ب تلك المفاهيم التي تصور له فكر الغرب على صورة العقيدة ، وتملا نفسه بحب تاريخ الغير ، وترفع في نظره شأن لغة الغرب وتقدم له العلم والاقتصاد والقانون والاجتماع من نتائج مجتمعات اخرى على انه هو الفكر الانساني والثقافية .

وأين الفكر الإسلامي في ذلك كله والمسامون لهم منهج حياة كامل ولهم مفهوم جامع للحياة والمجتمع والسياسة والاقتصاد والتربية .

هذا كله ما لا يزال ضائعاً ولا يزال ناقصاً ولا يزال  
مهملاً.

ومن هنا مان هذه النفس المسلمة التي عجزت عن أن تملأ فراغها الروحى والفكري بمقدراتها وقيمها لا تلبث أن تملأه بآى شيء ، وبما يقدم إليها زاهيا برأسا في كتب ملونة مزخرفة ، بينما هي تعجز عن أن تجد من مذكرها ما يرد عنها الخطر أو يصحح لها الخطأ أو يزيل عن نفسها الشبهات .

تلك هي القضية الأولى أيها السادة في التحدى الخطير الذى يواجهه المسلمون اليوم في كل مكان ، ومن هذه النقطة نصل الى كل قضية وكل أزمة ، وكل موقف ، ومن خلال الطريق الطويل استطاعت قوى الصهيونية والاستعمار والشيوخية أن تحقق ما وصلت اليه لأنها استطاعت أن تثبت فكرها في النفس الإسلامية وأن تحتويها وأن تنقلها من دائرة الإسلام المرنة الجامحة المتكاملة الوسطوية إلى دائرة الغرب المغلقة القاتلة .

ومن هذه النقطة نصل الى كل ما تطمعون فيه من  
وحدة وتقدير وقيام امة الاسلام في ارضها بدورها الريادي  
الانسانى العالمى الذى هو مفروض عليها والذى هو حق  
في اعناقنا جميعا والذى يجب ان نلقى عليه ( الله ) تبارك  
وتعالى صادقين والا فنحن آثمون مأخوذون بجريرة  
الذنب لا سمع الله .

لكى نفهم هذه القضية الكبرى أعمق فهم لابد أن  
نبحث عن أبعادها الى أقصى مدى ولا نقع في الأخطاء  
التي فرضها علينا نفوذ الدائرة المغلقة بان ننصر البحث  
على ماهو أيماننا من واقع لأن كل واقع أيماننا لابد أن  
يكون متصلا ببعاد أخرى غير منظورة في المكان أو  
التاريخ ونحن في الإسلام نؤمن بالتكامل والنظرية الجامحة

واحد هو أن الغرب استحدث أساليب في الصناعة والذريء عجز عنها المسلمين .

غير أن الغرب لم يقف عند هذا في صراعه ومؤامراته ولكنه وصل إلى مقطع الامر كله وذلك عندما قرر أن المسلمين منها تخلعوا في ميادين الصناعة والعلم فسوف تبقى لهم عقidiتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والتى تدفع بالوفهم إلى ساحات الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الحق ، وعن الأرض ، وعن العرض ، اذن فالمعركة يجب أن تبدأ أولاً من هذه النقطة الخطيرة ولابد من تزيف هذه العقيدة وامتصاص ما فيها من قسوة وجهاد وأيمان يفقد المسلمين هذا المرء الخطير الكامن في نفوسهم . وقد تصور الغرب أن المسلمين عندئذ يصبحون قطيعاً من السائمة التي تنطوي وتقهر ومن هنا بدأت معركة اطلق عليها أسماء كثيرة .

( التبشير ، الاستشراق ، التغريب ، الفزو الثقافي ، الاحتواء ) .

\* \* \*

### الوثيقة الأولى :

لقد وضعت الخطة منذ وقت مبكر وإن لم تكتشف إلا بعد سنوات طويلة وكانت أولى علاماتها المستكشفة في وصية لويس التاسع بعد هزيمته في المنشورة بما يمكننا من القول بأن نهاية الحروب الصليبية كانت بداية الخطط الجديدة للغزو الثقافي والفكري ومحاولة دحر الإسلام لكن بعد العجز عن دحر أمته .

وتعود وصية لويس التاسع أخطر وثيقة في هذا الاتجاه فهي التي فتحت الباب واسعاً أمام عملية التبشير والاستشراق .

وعلى أثرها مباشرة بدأت حركة أوروبا المعرفة إلى ترجمة القرآن والتعرف على الإسلام وبذلت نواة التبشير والاستشراق في المعاهد الأوروبية : دراسة اللغة العربية والإسلام والقرآن بمفهوم الرد عليه وانتقاده وإثارة الشبهات حوله .

وقد ظاهر هذه الحركة عملية « سرقة » التراث العربي الإسلامي من البلاد العربية والإسلامية بواسطة القناصل والتجار . وأستباحكم العذر في أو أقول « سرقة » لأن عملية الاستيلاء على الفكر الإسلامي في الاندلس أيضاً كانت « سرقة » بالرغم من أن المسلمين كانوا يؤمنون بأن العلم للجميع حتى العلم التجريبي الذي هو الآن من أسرار الأمم الحديثة والتي عجز المسلمين والعرب خلال قرن ونصف قرن في الحصول على أصوله ومعادلاته .

اما المسلمين فكانوا يعلمونه في جامعات الاندلس وجزيرة صقلية في حرية تامة ، غير أن الغرب في تناهى حقده لم يقف عند هذا الحد ، بل انه عزل الموقع الإسلامي كله وصادره بما فيه وأخرج منه المسلمين اخراجاً ، وكذلك فعل في الاندلس حيث احرزت اوروبا كل ثمرات النتاج الاسلامي العلمي والفكري بأرضه ومعامله ومعاهده وحوائطه ولم تبق للمسلمين حتى مجرد القراءة على استثناف تجاربهم وهم في ارض أخرى هاجروا اليها .

لقد عكف لويس التاسع بعد هزيمته في المنشورة خلال محبسه في دار ابن لقمان يفك ويستعرض هذه الحملات الصليبية المتواترة على بيت المقدس ودمشق ومصر وكيف هزمت هزيمة منكرة وكيف هزيت حملة في طلنا النيل ، وسيق إلى الاعتقال ، وكيف كان المصريون والعرب والمسلمون يقاتلون ببسالة عجيبة في الدفاع عن بلادهم خلال سبع حملات متواترة ووصل إلى نتيجة حاسمة : هي أن المسلمين لا يهزمون مادام فكرهم باقياً ومادامت عقidiتهم قائمة ، ذلك لأنها تدفعهم في قوة إلى الاستشهاد في سبيل حماية الذمار ومقاومة الغاصب وتطهير الأرض من دنس الفرازة ، والإسلام يجعل القتال في سبيل تحرير الأرض ديناً وعقيدة ولذلك فإن سبيل الغرب إلى الانتصار على المسلمين والسيطرة على أرضهم يجب أن تبدأ أولاً من « حرب الكلمة » ولابد من أن تقوم في الغرب قوى من الباحثين والدارسين يترجمون القرآن ويدرسون العربية ويعملون على القضاء على تلك المفاهيم القوية التي تتصل بالجهاد في سبيل الله ، فإذا استطاع الغرب أن يفعل ذلك فقد استطاع أن يقضى على القوة الروحية والنفسية القائمة وراء تلك المقاومة الجباره وعندئذ يمكن للغرب السيطرة على العالم الإسلامي ، ومن هذه النقطة بدأت حرب الكلمة بالتبشير والاستشراق والتغريب والفزو الثقافي والسيطرة على التعليم والتربية والثقافة والفنون والصحافة وقد استطاعت هذه الخطة أن تتحقق للغرب انتصاراته التي يمكن أن يطلق عليها اسم ( الاستعمار الغربي الحديث ) ولا ريب أن وثيقة لويس التاسع تتصح بهذه الاتجاه الخطير وتدعوه اليه .

ولقد بلغ لويس درجة القداسة في نظر الغرب لأنَّه حمل الصليب وحارب به في مصر ثم كانت حملته التاسعة المشهورة على تونس ،

وإذا كانت الحملات الصليبية قد توقفت منذ استعاد المسلمين عسكاً بقيادة الأشرف خليل عام ١٩٠ هجرية ١٢٩١ ميلادية وعلى اثر ذلك قادت الدولة الإسلامية العثمانية الكبرى بعد تسع سنوات لا غير من

تونس والجزائر ومراكنش ، وأعمال أخرى في المناطق الإسلامية في الهند وفي جاوة وأندونيسيا والفلبين .

\*\*\*

### الوثيقة الثانية :

اما الوثيقة الثانية فهي تقرير من أحد معاهد الارساليات بقلم الاستاذ نبيه أمين قارس يكتشف فيه ابعاد الخطة كلها وهي في نظرنا وثيقة تطبيقية لخطط لويس التاسع يقول : « بينما كان الشرق الأدنى مطحها لافتار بناء الامبراطوريات كان أيضا مطمح انتشار جماعة أخرى من الناس تنشد أن ينجز عن طريق ( الكلمة ) ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق المسيح . وبعبارة أخرى تنشد احتلال مهد المسيحية وأخضاع العالم كله للمسيح . ان هذا الحلم المسيحي قديم — قدم المسيحية ذاتها — وهو يستمد وحيه الدائم من الوصية العظمى كما سجلها أبو البشرىن ، القديس بولس » .

ولعل سبب سيطرة هذه الوصية كرها أخرى على عقول المسيحيين يعود إلى اليقظة الدينية التي عمّت انكلترا في أواخر القرن الثامن عشر ، واليقظة الدينية المقابلة لها في الولايات المتحدة التي تمثلت فيها سمي بروح انكلترا الجديدة وعلى ذلك فقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ظهور كثير من الجمعيات التبشيرية التي كرست نفسها لحمل الانجيل إلى جميع البشر ، ويمكن أن يضاف إلى هذين العاملين عامل آخر هو ازدياد المطامع السياسية والاقتصادية في ممتلكات رجل أوروبا المريض ( يقصد الدولة العثمانية الإسلامية ) ومن المحتل أن يكون لهذا العامل الأخير علاقة ب اختيار الشرق الأدنى ميدانا مفضلا لنشاط التبشيرى .

ومن أهم هذه الجمعيات التبشيرية التي ظهرت في هذه الفترة : الجمعية التبشيرية الكنيسة التي أسست في لندن عام 1799 والمجلس الأمريكي لندوبي البعثات التبشيرية . وقد أرسل المجلس الأمريكي بعد تسع سنين من تأسيسه أول مبشرية إلى الشرق الأدنى وكانت المشكلة الأولى التي واجهت أولئك المبشرين هي اختيار مركز ملائم لهم . وقدم سوريا 1823 مبشرون آخرون وانطلقوا إلى بيروت وكان غرض البروتستانت أن يتمكنوا بالاشتراك مع كنائس الشرق الناهض من كسب الكفار ( أي المسلمين ) إلى دين المسيح غير أنهم سرعان ما وجدوا أن الإسلام لم يكن قد فقد سيطرته على قلوب المؤمنين وصمّ المبشرون منذ البداية على

سقوط الحروب الصليبية وهزيمة أوروبا ؛ هذه الدولة التي استمرت حتى عام ١٣٣٧ هجرية الموازية لعام ١٩١٨ الميلادي أى أنها استمرت تحمل لواء الإسلام خمسة قرون ونصف القرن .

نقول اذا كانت الحملات الصليبية قد توقفت منذ عام ٦٩٠ هجرية فان أوروبا لم تتوقف فقد استأنفت حركتها مرة أخرى بعد وقت قصير حين تدافعت بعد سقوط الأندلس على الطريق الأفريقي من ناحية الغرب دون توقف : الأسبان والبرتغال ومن ورائهم الانجليز والفرنسيون والهولنديون .

اما في أفق البلاد العربية فان عام ١٨٣٠ م كان هو علامة الخطر حين بدأت فرنسا في غزو الجزائر وامتدت المعركة إلى تونس فمصر والسودان . منذ ذلك اليوم بدأت طلائع التبشير تعمل وأخذت حركة الاستقرار تزدهر وكانت بؤرة العمل هي ساحل البحر الأبيض الشرقي : في مواجهة الشام من الشرق واستانبول من الشمال ومصر من الجنوب .

وانتقلت المطبع وبذات المدارس وتصارعت توى البروتستانتية الأمريكية والكاثوليكية الفرنسية على تقديم مناهجها .

ثم جاءت حكومات الاستعمار في كل البلاد العربية فأخذت مناهج مدارس الارساليات ونفذتها توا .

وفي عديد من مصادر تاريخ اللقاء بين الشرق والغرب نجد اشاره الى وصية لويس التاسع الذي كان أول من أشار الى تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعركة جنودا للغرب .

وإذا كانت الحروب الصليبية منذ بذات ١٢٩٩ م وانتهت ١٤٩٩ فان انسحاب المسلمين من الأندلس انتهى ١٤٩٣ م وكان ذلك بعد أن استولى محمد الفاتح على القسطنطينية عام ١٣٥٤ م ( ٨٥٧ هجرية ) في ظل ذلك كله بدأ العمل توا على انشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي يتذمها نقطة ارتكان له ويعقلها لمعركته العقلانية الفكرية التي تستهدف حصار الاسلام والرثوب عليه .

ولقد اختيرت هذه الاراضى على شاطئ البحر الابيض الشرقي مسرحا لهذا العمل منذ ذلك الوقت وتحرك العمل بين بيروت والقاهرة والقسطنطينية . في نفس الوقت الذى كان فيه عمل مماثل يتحرك في

#### الوثيقة الرابعة :

وهذه الوثيقة يقدمها عميد المبشرين في البلاد العربية في الثلاثينيات ( وهي أخطر مراحل تاريخ العالم الاسلامي الحديث فهي مرحلة تكوين الاسس والقواعد والخطط التي خرجت من بعد نتائجها الخطيرة ) .

يقول صمويل زويمر في تقريره في مؤتمر المبشرين ( سنة ١٩٢٤ ) : في كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل **وجهان نحو النشر والصغرى من المسلمين** وموزواً فبياً بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا على كل عمل سواء في الأقطار الاسلامية فان تنور روح الاسلام في الناشئ الحديث يتبدىء بالكرا من عمره فيجب والحالة هذه ان يؤتى بالنشر الصغير من المسلمين قبل ان يتکامل نمو عقليتهم وآخلاقهم وحينئذ يستعصى على البشر ولم يزل التعليم التبشيري هو افضل طريقة للوصول الى قلوب المسلمين ) .

ويعد في المؤتمر التالي بعد عشر سنوات عام ١٩٣٣ فيصور ما تحقق من نتائج وما يجب التأكيد عليه في المرحلة القادمة في مؤتمر المبشرين في القدس : ان مهمة التبشير الذي ندبتم دولة المسيحية للقيام بها في البلاد الحمدية ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية فنان في ذلك هداية لهم وتكريما . وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلمين من الاسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتقد عليها الامم في حياتها وبذلك تكونون انت بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية .

هذا ما قيتم به خلال الاعوام المائة السابقة خير قيام .

لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكلاس والجمعيات والمدارس المسيحية تلك التي تهيمن عليها الدول الاوروبية والامريكية . ولذلك جاء النشر الاسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظام ويحب الراحة والكليل ولا يعرف اهمية في دنياه الا الشهوات فاذا تعلم فللسهوهات و اذا جمع فللسهوهات و اذا تبوا اسمى المراكز فعلى سبيل المثال يوجد بكل شيء .

وفي الوقت نفسه تقول المبشرة ( انيليجان ) :

« ليس ثمة طريق الى حصن الاسلام اقصر مسافة من هذه المدرسة ، ان المدرسة اقوى قوة لجعل

استعمال سلاح الكلمة حيث فشل استعمال السيف وفسبيل هذه الغاية اسسوا المطبعة الامريكية اولاً في مالطة ١٨٢٢ ثم في بيروت ١٨٣٤ واخذوا يفتحون مدارس للبنين والبنات بصورة منتظمة حتى بلغ عدده هذه المدارس ثلاثاً وثلاثين في أقل من هذا العدد من السنين وعكفوا على انجاز تلك المهمة العظيمة : مهمة اعداد ترجمة عربية صالحة مقروءة للتوزارة .

وعدوا فوق ذلك حمل لواء الحرية الدينية بصورة خاصة والمطلقة بصورة عامة .

\* \* \*

#### الوثيقة الثالثة :

ومن الجزائر تقدم هذه الوثيقة : من قلم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي نشرها في الفتح عام ١٩٣١ .

« ان هؤلاء الأوروبيين الفاتحين المبعدين للأحرار المخربين للديار مازالوا يحرمون عبادهم من كلمة الجهاد ويعذبون ذكراءه فضلاً عن فعله من اعظم الذنوب وهو آية الهمجية والتعصب الديني المقوت ، وبلغ ببعضهم الامر ان حرموا على المسلمين تفسير آيات الجهاد في كتب الفقه وبعیني شاهدت صحيحة الاذن التي حصل عليها شيخنا محمد بن حبيب الله الشنقيطي رحمة الله في مدينة المشرية قسم وهران من الجزائر وفيها ان الاذن بتدريس علوم الدين مقييد بان المدرس لا يفسر اي آية او حديث يدل على الجهاد والا يدرس شيئاً من ابواب الجهاد في كتب الفقه ولما راجت دعاء هؤلاء في الشرق صار المسلمين ينفرون من لفظة **الجهاد** » .

ويعد المبشرون ان اولى فرصهم جاءت بعد سقوط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ حيث امكن منذ ذلك الوقت تفسير الدولة العثمانية وتوسيع بعثات التبشير على النحو الذي حقق تنفيذ مناهج التعليم على النحو الذي رسمته مخططات الفزو حتى ليقول الدكتور زويمر زعيم المبشرين وكثيرهم في الشرق في مثل هذا التاريخ الذي نقلنا فيه وثيقة الجزائر تقريراً ملائكي :

— ان السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن — اي منذ عام ١٨٨٢ تقريراً — على برامج التعليم في المدارس الابتدائية اخرجت منها القرآن ثم تاريخ الاسلام وبذلك اخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية . ناشئة مضطربة مادية لا اغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً فعلاً الدين كرامة ولا للوطن حرمة .

وكان الدكتور وطسون مدير الجامعة قد أعلن قبل ذلك بقليل قاتلاً :

أن المعتقدات الإسلامية آخذة في الانحلال وأنها غير ملائمة للحالة الحاضرة وأن الجيل الناشئ الذي تتصل به نزاهة مهتماً كل الاهتمام لا بالاسلام ولكن بالسائل المادية والاحياد ، ونحن نسر حين نستطيع أن نجعل فتى مسلماً يقبل مبادئ المسيحية وروح المسيح .

وقال الدكتور وطسون :

وأننا نراقب سير القرآن في المدارس الإسلامية ونجد فيه الخطور الداهم ، ذلك أن القرآن وتاريخ الإسلام هما الخطيران العظيمان اللذان تخشاهم سباباً التبشير .

\*\*\*

#### الوثيقة السابعة :

وهناك وثائق تشهد على أصحاب المخطط نفسه ، ذلك أنه عندما بدأ حركة التغريب التي تضم التبشير والاستشراق في تقدم خمسة من المستشرقين لدراسة العالم الإسلامي كله وقدموا تقارير شاملة عن مختلف الأقطار نشرت تحت عنوان هوزر إسلام ( المترجمة وجة الإسلام ) .

وفيها يتحدث كثيرون هامليون جب عن التعليم فيقول وهي وثيقة أخرى نقدمها للباحثين :

« إن إدخال طرائق جديدة في البلاد الإسلامية كان سيطلب نظاماً جديداً في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية ، وإن إصلاح التعليم على هذا النحو لم يكن في ذلك الوقت يخطر على بال السلطات الدينية الإسلامية ، ولكن هذا الفراغ ملأته هيئات أخرى فقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية ولا سيما في تركيا وسوريا ومصر وذلك يرجع غالباً إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة . وربما كان أكثرها عدداً المدارس الفرنسية وقد كانت المدارس الاتجليزية في الإمبراطورية العثمانية أقل منها في الهند وكانت المدارس الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية .

هذه المدارس صافت أخلاق التلاميذ وكانت أذواهم والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي فصاروا في سبيل حياتهم مستعدين للتاثير

الناشئين تحت تأثير الدين المسيحي ، هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم » .

\*\*\*

#### الوثيقة الخامسة :

وهناك وثائق أخرى حية : تمثل في أمراء وأحداث أما في عام ١٩٠٩ فقد ثار الطلاب المسلمين في أحدى المدارس الارساليات الكبرى لاجبارهم على الصلاة المسيحية يومياً فأصدرت هذه الكلية بياناً قالت فيه :

« إن هذه الكلية مسيحية أسيست بأموال شعب مسيحي هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليجدوا تعليمياً يكون الانجليز من مواده غيرعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ وكل طالب دخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقاً ماذا يطلب منه .

ثم جاء النص الآتي : « إن الكلية لا تؤسس للتعليم العلماني ولا لبث الأخلاق الحميدة ولكن من أولى غالياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة وأن تكون مركزاً للنور المسيحي » .

\*\*\*

#### الوثيقة السادسة :

قد كشف ذلك طالب عربي معروف هو عبد القادر الحسيني ( اتنين كاظم باشا الحسيني وبطبل معركة القسطنطينية فيما بعد ) الذي وقف في حفل توزيع дипломات بالجامعة الأمريكية في أحدى العواصم العربية ( القاهرة ) على النصبة وفي يده الشهادة التي أخذها ثم اتجه إلى الحاضرين وكانوا عليه القوم و قال :

« إن هذه الجامعة تظهر أمام الناس في مظهر المدرسة العلمية ولكنها في الحقيقة بؤرة افساد العقاد الدينية وهي تطعن في الدين الإسلامي ولذلك لا يصح لل المسلمين أن يبقوا أولادهم بها » .

كان ذلك يوم ٢٧ مايو عام ١٩٣٢ .

ماهنت ز الدنيا للحدث وأسرع المبشرون الأستاذة يمزقون الدبلوم من يد الطالب وينهرونه ولم يلتف عبد القادر أن نشر قصته في الصحف وأعلن عن الكتب المقررة التي تهاجم الرسول والاسلام وحاولت الجامعة أن تتنصل وتقول أن هذه الكتب ليست مقررة .

بالمؤثرات التي فعلت معلمها أيام الطفولة ( اي التعليم على الطريقة المسيحية ) .

وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة إلى أبعد حد من ذلك بانماء التعليم العلماني تحت الاشراف الانجليزى في مصر والهند ولعل هناك نصيبا من الحق في التهم التي ترمى بها هذه الدارس الأجنبية من أنها مفسدة لقومية التلاميذ وان كانوا لا يستطيع القول بأن التطورات السياسية التي اعتبت ذلك في البلاد الإسلامية ايدت هذه التهمة .

ولكن الذى فعلته بلا ريب أنها ربت في التلاميذ خروجا على الانظمة الاجتماعية وأضفت من هذه الوجه سلطان النزعة الاسلامية القديمة على التلاميذ وأخلت في بناء المجتمع الاسلامي أداة هامة وقطعت بعض الاواصر التي كانت تربطه وتحفظه » .

وقول ( جب ) راسما خطة المستقبل : « لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة ان يترك في المسلمين ولو من غير وعي منهم اثرا يجعلهم في مظهرهم العام لا يدينين الى حد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثير في كل ما تركت حاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من آثار » .

هذه صورة سريعة الخجر الذى غرس في جسم الامة الاسلامية جاءت بعد خمسين عاما محققة للهدف مكونة للأجيال التي أرادها الاستعمار .

تحقق هذا منذ أن دعا اليه لويس التاسع وحدهه غلادستون عندما وقف في مجلس العموم البريطاني ومعه المصحف الشريف وقال : انا لا نستطيع أن نحكم المسلمين مادام هذا الكتاب باقيا في الأرض .

ثم جاء كروم و قال : جئت لأمحو ثلاثة : القرآن والكعبة والازهر . وجاء تقرير لورد دوفرين الى اللورد جرانفيل وزير خارجية انجلترا بعد الاحتلال البريطاني لمصر محددا الخطوة التي توقف نمو الازهر و تركز على التعليم المدنى وترفع من شأن العافية وتخفض من شأن القرآن . قال دوفرين في تقريره الذى نشرته المقطف في المجلد السابع ص ٦٦٨ : « اخال ان امل التقدم في مصر ضعيف طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ، لغة القرآن ، كما في الوقت الحاضر حالة كونها لا تتعلم اللغة العربية الدارجة لأن نسبة اللغة المصرية الدارجة إلى لغة القرآن كنسبة الايطاليانى إلى الالاتينى والأغريقى القديم ، وعربية الفلاح لغة قائمة بذاتها وقواعدها خاصة بها و اذا لم توجد الاحتياطات الفردية

للحصول على النتائج المقبلة في المدارس العديدة التهذيبية التي أشرت اليها يستمر الجيل الجديد كسابقة وغير صالح لخدمة وطنه سواء كان للقيادة العسكرية او في الصنائع او في الخدمات وتبقى عبارة مصر للمصريين كما كانت اسما بلا مسمى » .

ولقد كانت مهنة كروم واضحة ومستمرة فهو دائم في كل عام أن يردها :

« في مصر جيل جديد يختلف عن اجداده في اشياء كثيرة فيمكن ان تحدثه نفسه يوما بان يمسد الى تلك الاركان القديمة يدا لا تعرف حرمة القديم فیكون اشد عليها من يد حكمة تمدها اليوم طبقا لارشاد قوم لا شأن لهم في الامر ( يعني الانجليز ) لأنهم لا يدينون بالدين الاسلامى ، فإذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالاجدر ببناء اليوم ان يشرعوا في الاصلاح ويلاقوا الامر قبل حلوله » .

هذا في مصر ، والتاريخ يحفظ مثله في تونس والمغرب والجزائر لكرورها ودليوبها : وفي كل بلد اسلامي كروم ودليوب يجرى على نفس الخطة وينفذ نفس المخطط .

ويعلق اللورد لويد ( المندوب السامي في مصر ) بعد كروم بعشرين عاما في كتاب له تحت عنوان ( مصر منذ أيام كروم ) على خطة التعليم فيقول :

« ان التعليم الوطنى ( في مصر ) عندما قدم الانجليز كان في قبضة الجامعة الازهرية الشديدة القبض بالدين والتى كانت أساسياتها الجانة تقف حاجزا في طريق اي اصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون قدرا عظيما بن غرور التعصب الدينى فلو اسكن تطوير الازهر لكان هذه خطوة جليلة الخطير فليس من اليسير ان يتصور لنا اي تقدم طالما ظل الازهر متمسكا بأساليبه هذه ولكن اذا ان مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فعندها يصبح الامر محصورا في ايجاد التعليم اللادينى الذى ينافس الازهر حتى ينافس له الانتشار والنجاح » .

وقد حقق الاستعمار هذا تماما حين فرق التعليم في العالم الاسلامى الى دينى ومنفى فجيد الاول وحجب خريجيه عن مناصب القيادة ودفع الثاني دفعة قوية الى الصراع والتعارض والخصومة واعلاه في خبث ومرارة شديدين .

وجملة القول في هذا ان الخنجر الذى طعن به المسلمين قد وضع بذكاء في موضع القلب وقصد به أن تكون المناهج كلها وخاصة في العقيدة والتاريخ واللغة

بازمة المسلمين والعرب اليوم إنما مرده إلى هذا الخنجر المفروش قرباً من القلب وهو ما يزال ينづف بغزارة . إن شدكم الله أن تبحثوا عن السبيل الذي يمكنكم من اقتلاعه وتضييد جراحه . ١١ .

قائمة على أساس فلسفة الغرب وفلسفته واعلاء شخصيته وتاريخه ، وحتى يكون تاريخ المسلمين وعقيدتهم ولغتهم هي موضع احتقار شبابها ومتقفيها . أحدهم عن النتائج خاتم تعلمونها وإن كل ما يتصل

\*\*\*

( اولا )

## أسلمـة التعليم

٤ - شاملاً لكل جوانب الحياة ٥ - موحداً للطاقات البشرية . ٦ - عالياً ايجابياً متقائلاً فعولاً . إن كل ما يسر بنا في المجتمع الإسلامي من أزمات إنما يعود إلى أننا مازلنا محاصرون بمنهج الغرب التعليمي المفرغ من قيم الإسلام الحقيقية : القائمة على الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ولذلك فانتا مطالبون أن تستكمل هذه الفجوة بالدراسة الإسلامية التكميلية التي يفرضها علينا ديننا وهي اثراء وجذبنا الإسلامي وعقلنا بنقاش القرآن والسنة وما كتبه علماء المسلمين مما يحقق لنا الغنى والسعادة في مجال معرفة ربنا وديننا والمخاطر المحيطة بنا والمؤامرات التي تدبر لنا حتى نتجنبها وأن نقف من الفكر الوائد المترجم والمقرر في المدارس والجامعات بوقف الحذر واليقظة فنفرضه دائمًا على مقررات الإسلام وفي ضوئها نرفض منه ونقبل وفي مجال الكتاب الإسلامي اليوم ثروة ضخمة معروضة لل المسلم تمني ثقافته الإسلامية وتقدم له المؤشرات الحقيقية والاصيلة للمفهوم الإسلامي الجامع .

وهدف التعليم الإسلامي هو بناء الشخصية الإسلامية المؤمنة بالله العارفة لدورها وهدفها في الحياة : تعمير الأرض وفق شريعة الله واقامة المجتمع الرباني في وفق منهج الله . ودفع الحياة كلها على طريق عبادة الله ، احلاً لحلائه وتحريماً لحرامه ، وفي مقدمة ذلك التعرف على سفن الله في الكون والعلم بخواص المادة وطرق الاستفادة منها في خدمة العقيدة ونشر حقائق الإسلام وتحقيق الخير والفلاح للناس ، وتجهيز عمليات البحث والاكشاف كلها لخير الناس ومتعمقهم .

وهكذا تلتقى علوم الشريعة مع علوم التجريب ( الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس ) في مفهوم الإسلام لأنها تتحرك داخل إطار الإسلام وبمفهومه مترنة بأحكامه وتعاليمه سواء على المستوى العام أم على مستوى التخصص لفقهاء الأمة .

ان نقطة البدء في تحرير المسلمين من التبعية الأجنبية ومن الفكر الوافد هو أسلمه مناهج التعليم حتى تنطلق من مفاهيم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكل عمل في مواجهة التغريب والغزو الثقافي ينطلق من غير هذا المنطلق لا يمكن أن يؤدي إلى النتيجة الحاسمة ، ذلك أن المسلمين في الأساس قد أحبط بهم من ينطلق مناهج التعليم الذي قدمته لهم الارساليات التبشيرية تحت أسماء زاهية وخادعة : وهي مناهج علمانية مفرغة من الدين والأخلاق والمسؤولية الفردية والجزاء الأخرى فانتقلت تلك الاجيال الحائرة التي تضطرب بها الحياة اليوم في العالم الإسلامي من شرقه إلى مغربه وما جرت من ازدواجية في الثقافة واللغة والنظرية العامة للحياة وأختلاف النظميين التعليميين المتصارعين ( النظام الإسلامي الأساسي والنظام الغربي الوافد ) لاختلافهما في الغاية والمنهج والتقاليد والظروف ودخول العقل الإسلامي تحت طائلة التبعية التي أخرجته فعلاً عن أصلته فقد انطلقت مناهج التعليم التي تدرس بمقتضاهما العلوم والأداب والفنون في البلاد الإسلامية من منطلق العلمانية والمادية وإنكار الغيبيات ونسبة الأمور إلى الطبيعة بدلاً من الله تبارك وتعالى واترار نظرية دارون الباطلة ومفهوم التحليل النفسي لفرويد والتفسير المادي للتاريخ الذي هو قسمة الآن بين النهجين الليبرالي والماركسي وكذلك انحراف الفكر الأصيلة في العلاقات بين الرجل والمرأة ، أباً وزوجة ومحاولات اخضاع الفنون والأداب لمناهج التجريب والنظرية المادية مع اختلاف النظرة إلى العلوم الإنسانية التي لا تخضع لهذه المناهج . ومن هنا فقد تزايّدت الأخطاء وارتقت الاصوات إلى إعادة بناء نظام التعليم الإسلامي . لاعادة تكوين الشباب المسلم ، ولما كان المسلمين الآن قد عقدوا العزم على الخروج من دائرة الاحتواء والتبعية والمحصار فلابد من العمل على بناء نظام تربوي أصيل يقوم على مفهوم الإسلام لنفسه : ١ - رياضيـا . ٢ - ثابت الأسـس . ٣ - موافقـا للنـفـطـرـة .

## أسس المنهج الإسلامي للتربية والتعليم

ما في الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق صالح الأمة وتلبية حاجات الجماعة دون الالتفاف في الانحراف والنتائج الضارة التي نشأت من تطبيق القوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعاصرة : الرأسمالية والشيوعية على السواء والعنایة بدراسة الثقافة الإسلامية في جميع مراحل الدراسة والدراسة الجامعية بصفة خاصة ، والكليات العسكرية بما يبين عظمة الإسلام وشموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمه وأصلاحه لحوال البشر في كل زمان ومكان ، وعرض أمجاد التاريخ الإسلامي في شتى المجالات وما قامت به الأمة الإسلامية من إنجازات إنسانية مادية وسياسية وعسكرية وحضارية ، استحققت بها أن تكون ( خير أمة أخرجت الناس ) وبيان فضل النظم الإسلامية على النظم البشرية الجائرة المنحرفة في القديم والحديث سواء كانت نظما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مع العناية بعرض الانحرافات القائمة في الحضارة المعاصرة بشقيها الرأسمالي والشيوعي مع ما يقابلها من نظم قوية في الإسلام ، مع ضرورة تصنيف العلوم إلى نوعين :

١ - العلوم القائمة على الوحي المتمثلة في علوم القرآن والسنة وما يستتبعها مع ملاحظة اللغة العربية التي هي مفتاح فهم القرآن والسنة .

٢ - العلوم الأخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب وعلوم الأداب والاجتماع والتربية ، وما إلى ذلك من العلوم المكتسبة مع اتخاذ الخطوات الكثيفة بتعريف التعليم في كل المراحل وخاصة في البلاد العربية وتكوين مدرسة إسلامية لها معايير خاصة بها حتى تستطيع القيام ب النقد الأداب الدخلية على الفكر الإسلامي ، وتحقيق نوادر المخطوطات واستنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية يتنقّل منهاجاً والإسلام لاحلالها محل العلوم الاجتماعية الغربية ورفض فكرة ترقيع وتلقيع العلوم الاجتماعية بالصيغة والافكار الإسلامية ، وتدرس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم في تطوير هذه العلوم علمياً واجتماعياً ومنجزاتها وتأكيد الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبي في البحث العلمي الذي قامت عليه النهضة العلمية الأوروبية المعاصرة .

( المؤتمر العالمي للتعليم الإسلامي - ١٣٩٧ )

ويقرر الباحثون : أن كل نظام تعليمي يحمل في طياته فلسفة مبنية من تصور معين ولا يمكن فصل أي نظام تعليمي عن فلسفته المعاصرة له ومن ثم فإنه لا يجوز أن تتحذف فلسفة أو سياسة تعليمية . أو تربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الإسلامي وهو ما يحدث الآن حين الأخذ بالنظم غير الإسلامية لأنها في النهاية تصادم التصور الإسلامي وتناقضه وفي الوقت ذاته فإن للإسلام تصوراً عاماً شاملاً ينبعق من أساسه هذا التصور الخاص المتميز ، أما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منها في التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصادم هذا التصور ولا تناقضه . ومصادر المعرفة في التصور الإسلامي نوعان :

( أولهما ) : الوحي في الجوانب التي يعلم الله سبحانه أن الإنسان لا يهتدى فيها إلى الحق من تلقائه نفسه والتي لا تستقيم فيها الحياة على وجهها إلا بمقدرات ثابتة عند اللهحيط بكل شيء علمًا .

( ثانية ) : العقل البشري وأدواته في تفاعله مع الكون المادي ، نظراً وتأملاً وتجربة وتطبيقاً في الأمور التي تركها الله العليم الحكيم لاجتهداد هذا العقل وتجاريه بشرط واحد هو ( الالتزام ) القائم فيها على الأصول العامة الواردة في شريعة الله المنزلة بحيث لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ولا تؤدي إلى الشر والضرر والفساد في الأرض من أجل أن تتحقق التربية غايتها وأهدافها بتوجيهه ضرورة التوسيع في قراءة القرآن وحفظه ابتداءً من المرحلة الابتدائية مع التوسيع التدريجي في التفسير والفهم والاكثار من مدارس تحفيظ القرآن والاهتمام بالعلوم الإسلامية وزيادة دروسها ، وأن يكون دراسة الفقه الإسلامي موصولة بالواقع الحاضر ومشكلاته وقضاياها ، مع التوكيد على حقيقة هامة هي أن الحلول الإسلامية واجبة التطبيق بشكل متكامل في المجتمع الإسلامي كما تكون دراسة الشريعة بكل فروعها هي الدراسة الأساسية في كليات الحقوق مع عقد مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية عند الحاجة وعلى أيدي نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الإنسان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على إبراز

## في مواجهة أزمة التعليم :

تتركز أزمة التعليم المعاصر في العالم الإسلامي في أنها وافدة وليس أصيلة الجذور وقائمة على سهوم تقبل فساد المجتمع وأضطرابه وزيقه ويرجع ذلك إلى خلو التعليم المعاصر من الأخلاق والتقييم ، فقد أصبحت النظم التربوية المعاصرة على قدر من الجمود والتحجر مما يدعو إلى الفائدة من أساسها وأحلالها بنظم تربوية حديثة ، واختصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات ومقدار دورها التربوي ، واختصار هدف الطلاب من التعليم على الحصول على جواز مرور إلى العمل ، وفشل نظام المناهج المحددة في ترتيبة النشء وفشل نظام الامتحانات كأسلوب للتقييم ، وخطر الفصل بين المواد الإنسانية والعلمية ، وانقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة والمجتمع ، وافتقارها إلى النظرة الإنسانية الشاملة . وفقدان القيمة الحسنة والعجز عن فهم طبيعة النفس البشرية وضعف النية الأخلاقية والتربية الدينية : ويطلب هذا :

\* \* \*

### (ثانياً)

#### اسلمه التربية

ولقد حرص النفوذ الاجنبي على فصل التعليم عن التربية ومن ثم سقطت هذه الأجيال المتلاحقة في أزمات الترقق النفسي والانفصال الشبكي .

ويتميز الفكر التربوي الإسلامي بخصائص أساسية دفعت المسلمين إلى طرق أبواب المعرفة بأنواعها ولم يقتصر على علم دون آخر .

ويقوم الفكر التربوي الإسلامي على خصائص خمس :

- ١ - الاصالة . ٢ - الفاعلية والإياب .
- ٣ - الشمولية والتعامل . ٤ - التوازن .
- ٥ - الأخلاقية .

وتحتمل أصالة المنهج الإسلامي قوتها من نظرته الخاصة إلى الإنسان وسماحته وعلاقاته مع العالم المادي والمجتمع ، من خلال النظرية الجامعية للكائن البشري على أنه كريم على الله استخلف في هذه الأرض ، ومن

دخلت أساليب التربية القرن الوافدة ( ديو ) وغيره إلى أفق التعليم المعاصر في البلاد الإسلامية بمعاهيم علمانية وعصرية ، ترمي إلى خلق أجيال مفرغة تفريعاً تماماً من الصلة بالله والتماس أخلاقية الإسلام في التعامل الاجتماعي ، ومن ثم خرجت الأجيال المعاصرة كلها غير ذات هوية واضحة في علاقتها بالله تبارك وتعالى والناس والمجتمع وبالرغم من أن العالم الغربي يعلم أبناءه الديانة المسيحية ويقيم منهجه الاجتماعي من داخلها فاننا لا ندرس الإسلام الا على أنه دين عبادي يحصر العلاقة على الانسان مع الله تبارك وتعالى وتحجب مفهوم العلاقة بين الانسان والمجتمع . ومن هنا فقدت التربية القومية في بلادنا عنصراً هاماً من عناصر التربية الإسلامية .

والإسلام في مجال التربية يتعامل مع الانسان في كيانه الجامع : عقلاً وروحاناً وجسداً وهو بهذا يمتاز عن النظريات الحديثة من ناحية المضمون ومن ناحية التكامل الجامع .

الدرجات وبعد أن تضافت المواد المعقدة التي لا يستند منها الطالب شيئاً بعد مغادرة المدرسة ، وما تزال مدارسنا قاصرة على تربية الشباب تربية تمكّنهم من حسن التعامل مع المجتمعات وبالنسبة للفتاة فلابد من تعليم خاص بها تختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن تعليم الفتى لأن المهمة تختلف .

ولابد أن تتحقق المدرسة هذه المهمة التربوية التي هي العلاقة بين الكل والجزء ، فال التربية هي الاطار الذي تتحرك فيه وسائل التعليم وترسم لها وجهتها ، ولما كانت التربية الإسلامية قائمة على بناء الشخصية القادر على فهم مسؤوليتها ازاء المجتمع والآية والحياة وهي أداة لبناء الإرادة التي هي عماد الكيان الإنساني القادر على حمل المسؤولية بالصدق والاستقامة والعدل ، فان التربية تعنى خلق الوعاء القادر على تلقى التعليم في الإنسان والمسلم يتعلم ليكون علمه نافعاً لبناء مجتمعه وحياته ول التربية كيانه النفسي والاجتماعي فالعلم النافع هو وحده الذي يقيم كيان الفرد والأسرة والامة كلها .

وفي ضوء هذا الایمان يتلقى المسلم العلوم الرياضية والطبيعية ويأخذ من آخر معطيات البشر فيها دون تحرز لاته مطالب بأن يكون قوياً وقادراً ومتقدماً . ومن العجز أن يكون مختلفاً ومتاخراً وهو في مجال العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يتعلّق بالقانون والتربية وما يتصل بالأخلاق والنفس فما تقدّم أصول هذه المفاهيم الأساسية من ثقافته الإسلامية الأصيلة التي تشكلت منذ أربعة عشر قرناً ذلك لأن هذه العلوم الإنسانية مما لا ينقل من وطن إلى وطن ولا من أمة إلى أمة فكل أمة تثاقلتها الخاصة والذاتية ولها طوابعها النفسية والاجتماعية التي شكلت عليها أصول آدابها وثقافتها .

ومن هنا فلابد أن نعتمد مفهوم الإسلام في الفارق بين التربية والتعليم ، فمصطلح التعليم مصطلح ضيق وأقل شمولاً وأضيق مدلولاً ، أما التربية فهي تشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية حيث يتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الأخلاقية وايقاظ المشاعر السامية والخلق الجميل .

وإذا كان هدف نظريات التربية الغربية هو كسب الرزق وتحقيق الذات وابجاد المواطن الصالح فإن هدف التربية الإسلامية أكبر من ذلك وأبعد من أنه « تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى » فإن قضية الایمان هي القضية الأولى للمسلم والعبودية لله تحررنا من العبودية كلها .

ويؤكد الدكتور خورشيد أحمد في منهجه الذي

هنا كان التلازم الوثيق بين النظرة الخاصة إلى الإنسان وبين طبيعة النظام الاجتماعي الذي ينبعق فيه ، وعدم التوقف عن الایمان بالجانب المحسوس من الإنسان والحياة ، وهذا هو الفارق العميق بين النظم التي بنيت على أساس الاهتمام ، بالمحسوس ، وأغفال الجانب الروحي ، ومن ثم أهملت التوحيد والعقيدة والأخلاق وهذه هي سمة الشمولية أما ( الأخلاقية ) فانها تجعل أعمال المسلم ليست غاية في ذاتها وإنما هي طريق للوصول إلى الله وكل عمل لا يراد به الوصول إلى الله جل شأنه عمل باطل .

أما ( التوازن ) فهو الذي يجلب السعادة والطمأنينة والطريق الصحيح والشريف والحمىة من الفساد والانحلال والاباحية .

أما النظم الواقدة القائمة على الانشطارية وانكار الأخلاقية فقد جرت على المسلمين الويلات والمحن وبين ثم فقد المجتمع الإسلامي معالله ولم يعد اسلامياً ولا غربياً لأن الغرب لا يسمح له الا بالفشل وسوء الأخلاق ومن ثم تعرضت الهوية الإسلامية للخطر ، ومن ثم كان لابد من إعادة صياغة المسلم وبناء عقيدة على أساس منهج الله من جديد .

ومما امتاز به نظام التربية الإسلامية بمفهوم الشواب والعقاب التي تتجاهلها النظريات المطروحة فتدفع الناس إلى السقوط في الموبقات دون خشية المسؤولية والجزاء الأخرى .

ولقد كشف الباحثون وجوه التقصير في منهج التربية الواقدة القائم على أساس ( تعليم بلا تربية ) وأبانوا كيف كان من منهجها استثناء الجرائم التي تنتشر اليوم بين الشباب الجامعي وخريجي الكليات . لعد أصبح طلبة الجامعات رؤساء عصابات تتقحم البيوت وتتفتح الخزائن ، لقد أدى الخضوع لانظمة الغرب في جميع مجالات الحياة عامة وفي المجال التربوي بشكل خاص إلى فقدان « هوية الأمة » اذ لم تعد لها هوية خاصة تبيزها عن غيرها من الأمم ، بل لم تبق أمة واحدة كما كانت في ظل الإسلام بل أصبحت أمماً وشعوب مختلقة متلازرة ومتخاربة .

وإذا كانت المدرسة لا تؤدي واجبها في التوجيه الأخلاقي كما اعترف به عدد من المسؤولين عن التعليم فذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه واننا في حاجة إلى ( تربية المربين ) الذين هم القدوة والمثل الأعلى للطلاب والذين يجب أن يختاروا على نحو دقيق بحيث يكونون نماذج في الخلق والسمحة وتوجيه ابنائهم إلى الصلاة ومعرفة الله وحسن التعامل مع الناس ، بعد أن طفى سباق

أعلنه لبناء نظام تربوي جديد للعالم الإسلامي على  
عدة نقاط هامة :

أولها : الا تقتصر التربية الإسلامية على نقل  
المعرف والعلوم التي حصلها السلف وإنما واجبها ان  
تمد الإيجاب الجديد بالمهارات الالزمة لكتسب معارف  
علوم جديدة واكتشاف حقائق عن طريق السمع  
والبصر والرؤى .

ثانيا : ان المفهوم الإسلامي للذين يرتكز على  
الإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقى  
للمعرفة لانه العالم بكل فرد وهو الذى منح الإنسان  
معرفة الاشياء ، وأن اصطناع الحاجات في الحياة  
لأهداف الحياة هو المفهوم الذى يشكل الايديولوجية  
لنظمانا التربوى والتعليمى ، فواجب النظم التربوى  
التعليمى أن يخرج رجالا ونساء وفق الاهداف التي  
حددها الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم وهى معرفة  
الله وصفاته وأركان الاسلام والإيمان .

ثالثا : ارتباط التعليم والأخلاق : ودورهما في  
تكوين الشخصية الاسلامية ان كلًا من التعليم وتنشئة  
الأخلاق عملية مرتبطة بالآخر فالتعليم من الكتب  
وتحصيل الحكمة العملية والقيم الاخلاقية عملية واحدة  
متصلة بالحلقات في تكوين الشخصية الاسلامية .

### فالتعليم والأخلاق وجهان لحقيقة واحدة

وقد ركز القرآن على أن من وظائف النبي تعليم  
الكتاب والحكمة وتنزكها التقوس وتكامل هاتين  
الوظيفتين في التربية معناء ترابط التعليم وعملية  
التربيه في عملية واحدة تتم في آن واحد .

رابعا : الاسلوب الاسلامي في التربية هو الاسلوب  
الذى يسد حاجة المجتمع الاسلامي الايديولوجية والمادية  
والเทคโนโลยجية بطريقة تجعل المسلمين يصبحون قادة  
العالم الاسلامي ليس لأن المسلمين حقا طبيعيا في أن  
يكونوا قادة للبشر وإنما لأن الاسلام ينشر النور ويهدف  
لإعادة تركيب نسيج الحياة البشرية على أساس تقوى  
الله ومساواة البشر وأخوتهم بالعدل وهذا يخالف بنية  
النظام العالى اليوم الذى ترکز على الالحاد ومصالح  
الصفوة المختارة واستغلال الانسان للانسان .

خامسًا : أن تكون التكنولوجيا في خدمة المثل  
العليا .

ولابد من استحداث نظام جديد يختلف عن  
المفهوم الالحادى ومصالح الصفة واستغلال الانسان  
للانسان ، فهذه هي المهمة التي وكل الله تعالى بها  
المسلمين لتحقيقها ويترتب على ذلك اعادة بناء الفكر  
الانسانى بناء جديدا وان يسبقوا الآخرين الى اكتشاف

المعارف والعلوم وأن يكبحوا جماح التكنولوجيا  
ويخضعونها لخدمة المثل العليا .

ومن هنا فان العالم الاسلامي في حاجة الى نظام  
تربوي جديد وليس امامنا طريق آخر لبقائنا كمجتمع  
متميز عن باقى المجتمعات سوى تحقيق هذا الهدف ،  
لابد ان تلتزم جميع الدول الاسلامية بتنفيذ استراتيجية  
التربية والتعليم الاسلامي بأن يبدأ التعليم في المنزل  
ويستمر في المسجد والمدرسة والكلية وينبغي تدريب  
الوالدين وخاصة الامهات على تربية الابناء تربية  
أخلاقية اولية في المنزل حتى تشرب عقول الاطفال  
حب القيم الأخلاقية .

ولابد من اعطاء أهمية كبيرة لتلاوة القرآن وسيرة  
الرسول واتمام دراسة جميع تعاليم الاسلام الاساسية  
في المرحلة الثانوية وتنمية روح محبة الرسول والصحابة  
وأن يكون المجتمع المدرسي مشبعا بروح الفضائل  
الاسلامية وأن تدرس جميع المواد بطريقة يمكن معها  
شرح وجهة النظر الاسلامية ، وأن تنمو روح البحث  
عن المشكلات الاكاديمية وغيرها من وجهة نظر اسلامية  
وبالجملة فان هدف التربية الاسلامية :

- ١ - المحافظة على نظرية الناشيء ورعايتها .
- ٢ - تنمية مواهبه واستعداداته كلها .
- ٣ - توجيه هذه الفطرة وهذه الموهاب نحو  
صلاحها وكمالها .

٤ - التدرج في هذه العملية على خطط متدرجة .  
ان التربية الاسلامية لابد أن تستضيء بنور  
الشريعة الاسلامية وتسير وفق أحكامها .

ابرز : خصائص التربية الاسلامية هي التكامل  
والاخلاقية والايام بالله تبارك وتعالى .

أولا : فهي تربية عقلية روحية جسدية بحيث  
تشمل الانسان بكل جوانبه وهي توجه العقل  
والوجودان الى التعرف على وجود الخالق المبدع ،  
وغياثها اخلاقية فيها يكون الانسان حيرا يستخدم علمه  
وحياته في سبيل العطاء للغير والمجتمع وأن يكون العالم  
للحياة والتركيز على أخلاق التربية : التي ترسى الى  
تطهير النفس من الرذائل وتنمية روح العطاء والبر  
( مقداد يالجن )

ثانيا : تكوين عقيلة علمية مؤمنة يعتزون لعقله  
اسلامية وينظرون بمنظار الاسلام الى الكون والحياة ،  
تقوم على البصر والبصرة معا والبصرة هي اسم  
الادرار التام الحاصل في القلب وتكونين روح الالتزام  
بالعلم والمسؤولية العلمية امام الله تبارك وتعالى .

## أسلمة الثقافة

القائم على عقidiتها وأخلاقها ونظرتها للحياة وانتمائتها ،  
وحالاتها الروحية والمعنية والوجودانية .

ومن هنا فنحن مطالبون بأسامة الثانة وتحريرها من التبعية الغربية والوافدة التي تحاول أن تختفي على تميزنا الخاص الذي يشكله الإسلام في الدرجة الأولى وبأكبر قدر من التميز .

ولا يحول هذا دون التوسيع في مجال العلوم والتكنولوجيا على أن تحول هذه المادة لتنصهر في مفهوم الاسلام نفسه وتحترك في دائرته دون أن تطغى فتتغير طابعه أو تقصر عن العطاء بما يصل به المسلم الى أرقى درجات التقدم العلمي .

ولا ريب أن هذا التوازن بين الحفاظ على القيم الذاتية وعلى التقدم العلمي يحقق التوازن الحقيقي الذي تتسم به الثقافة الإسلامية إذ لا بد من تدعيم المعنى الروحي وتكامل القيم حماية للامة من الغزو الثقافي .

اما دعاوى التفريسيين من ان هناك تناقض بين  
حماية الشخصية الاسلامية من الغزو الفكرى وبين  
قبول التليفزيون والاذاعة والطائرة والكمبيوتر . فان  
هذا لا يجحى عليه بغير ابتسامة السخرية ، اذ ان  
المسلمين يعلمون ان الادوات لا تحارب وان المسلم  
يقبل كل تقدم علمى وكل انجاز حضارى شريطة ان  
يستعمل فى مضمون اسلامى فليس الاله الا الفزو  
الفكرى ولكن ما يدخل اليها من مفاهيم مغربية .

ليست الادوات الحضارية المستحدثة من الغزو  
الثقافي وانما هي معطيات مشاعة بين الامم تملؤها  
ثقافاتها وقيمها .

وليس في هذا الفهم من عيب وليس في حماية شخصية أمتنا من الاحتواء في دائرة التغريب والغزو الثقافي من يأس ولكن البأس كل البأس هو الاستسلام له وليس الذين يحافظون على شخصية الأمة وثقافتها أناس مغالقون يخشون على حياتهم من العلم ونوره ولكلهم هم الغيورون الواسعى النظرة والافق .

ومن هنا فنحن في دعوتنا الى اسلحة الثقافة  
نطالب أجهزة الاتصال بالتحرر من دورها السلبي  
والتعريفي فقد أصبحت برامج التلذيفيون والموضوعات

ثقافة أى أمة هي خلاصة عقidiتها وجوهر فكرها وقيمها ومن ثم فإن الثقافة العربية لابد أن تكون اسلامية الانتماء والتوجه ، وأن يكون هناك اتصال موصول بين العصور حتى لا ينفصل العصر الحديث في تقضياءه ولا تحدياته . وهو الخطر الذى تواجهه الثقافة العربية الاسلامية الاليوم في ضوء التحديات الواحدة فنحن مطالبون بأن نضع مناهج تعبر عن ارادتنا ومن ثم يجب أن تسترد الجامعة والصحافة أمانة الالتزام الاسلامي فقد بادها المستعمر على أنها مؤسسات بلا هوية ودراسة فكر الاغريق والرومان وغيرهم دون أن ندرس فكر الاسلام وحضارته أو درسها درسا مشوها في معالمه علينا بالدرس المقصود لكي يكون المواطن المسلم خصما عنيدا لثقافة دينه .

ولابد من اعادة النظر في مناهج الثقافة وأن يكون منطلقاً لعقيدة الاسلامية والالتزام بالدفاع عن قيم الاسلام فتصبح الثقافة العربية (نسبة الى اللغة) تستمد وجودها الراهن من التعاليم الاسلامية وترتبط بالاسلام ارتباطاً لازماً وشاملاً ، فالبلاد العربية تمثل وحدة ثقافية تقوم على وحدة الدين ووحدة التراث ووحدة اللغة هذه الوحدة هي الدرع المتنى الذي حفظ للعرب سماتهم العامة التي استمدوها من القرآن وحفظ لهم كرامتهم ، كما كانت المركب الاساسي للتحرر والانطلاق وهي التي مهدت وتمهد لوحدة شاملة وتعنى الوحدة الثقافية — كما يقول دكتور ابراهيم حسان — اذابة الفوارق (التصورية والحسية والسلوكية) بين المجتمعات والاستفادة من ضرورة الترابط الوجوداني الذي تبنيه العقيدة الاسلامية في خلق ترابط وتعاطف .

وإذا كان العلم لا وطن له فان الثقافة لها وطن .  
ومعنى هذا أن ثقافتنا مستمدّة من عقيدتنا وقيمنا  
وكيفية تناولنا للأمور .

وتكون الثقافة في جوهرها هي ما تؤدي إلى تكوين رؤية خاصة يرى بها الكون والانسان وتدخل في خصائصها اللغة العربية وأدابها ضمن العناصر التي تكون ثقافة الانسان المسلم .

ويكون دور العلوم والمعرفة تغذية هذا الوجдан بما يقدمه ويدعمه دون أن يقضى على تميزها الخاص

الرسائلات الموضوعية لتحقيق الأصالة وتبنيها عن طريق استيعاب وسائل التربية الثقافية ..

رابعاً : بربط القرآن دائماً بين المعرفة أو الثقافة والنتائج العملية المترتبة عليها من حيث النفع أو الضر .

خامساً : يربى القرآن العقل والبصيرة على الكفاءة وفي رؤية الوحدة من خلال الكثرة وتلمس الرباط الموحد الذي ينظم ما يبدو متناقضاً متبيناً .

سادساً : يربى القرآن في المسلمين مملكة النقد النزيه مع الدقة والأمانة في نقل أو رواية أقوال الغير وضرورة التفرقة الحاسمة بين العلم والظن .

سابعاً : الربط بين جانبي الفكر والوجود مع تأكيد أهمية الربط بين النظرية والتطبيق .

ثامناً : أن العقيدة الإسلامية التقية لم تكن يوماً حجر عثرة في سبيل تطور الحياة الإسلامية وأن عقيدة القضاء والقدر لا تؤدي إلى الجمود أو الموقف السلبي .

( محمد كمال جعفر )

المنشورة في الصحف والمجلات التي تسهلك أجهزة الاتصال مواد وافية يصدرها علينا من العالم الخارجي ولا تشارك في استنباتها في بيئتنا العربية وأصبح الاتجاه الجماهيري يخضع لصناعة ضخمة تملكتها شركات غير وطنية وهي صناعة تسيطر عليها التكنولوجيا المقدمة التي لا يملك منها إلا القليل .

\* \* \*

( ٢ )

لابد من مراعاة هذه القواعد :

أولاً : الطابع المميز الثابت لهذه الثقافة والخصائص الجوهرية .

ثانياً : القرآن هو المصدر الأول لقوميات الأصالة في الثقافة الإسلامية مشروحاً بقول وفعل وحال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : أن تحديد المذاهب الأصيلة للثقافة يوفر

\* \* \*

## الباب السادس

### في مواجهة المؤامرة

#### علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات

وهذا ما دعوتو المفكرين إلى اقراره والعمل به حتى يكون هذا القرن الخامس عشر هو الذي يحمل راية الحسم في هذه القضية بخارج المسلمين من ظلمات شبّهات التغريب والغزو الثقافي وادخالهم في عصر «الرشد الفكري» والمواجهة الحاسمة لهذا الركّام الضخم الذي طرحته المحاولات الخطيرة التي نسقها الاستشراق والتبيّن تحت ظلال النفوذ الغربي والماركسيّة والصهيونية لاسداد جوهر الاسلام وتميّعه ومحاصرة مفاهيمه القائلة على التوحيد والعدل والاخاء الإنساني والجهاد واحتواه وصهره في بوتقة الفكر الاممي العالمي بهدف القضاء على «روح الاصالة الاسلامية» وعلى ازاحة تلك «الذاتية الاسلامية» ذات الطابع الخاص الذي يتميز به المسلمين وفكرهم «صبغة الله ومن اصدق من الله صبغه ونحن له عابدون» .

ذلك لأن دعوة النفوذ الاجنبي الغربي بقواته المختلفة : ماركسيّة وصهيونية دائماً موقنون بأن المسلمين لا يمكن أن يهزم الا بعد اخراجهم من قيمه وذاته وكيانه الخاص الذي صنعته به الاسلام . ولذلك فان محاولة «التغريب» نفسها واصحة من اسمها وهي : العمل على تغريب المسلمين في عقائدهم واخلاقهم وقيمه . وهم يؤمنون بأنهم اذا استطاعوا ذلك ، فقد المسلمين خاصتهم التي حققت لهم الثبات مع الزمن والاستمرار في الوجود والقدرة على مقاومة كل عدو باع غاذا خرج المسلمين من ذاتيّتهم ذاتوا في الاممية وانهتى امرهم واصبحوا صورة مكررة رديئة للبشرية الضالة .

وصدق الله تبارك وتعالى حين قال : «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» ..

هذا الخطر الخطير الذي يتجمع كل قوى اعداء الاسلام على العمل له هو اقتلاع هذه الذاتية ومحو هذا الخاصية التي احتصروا بها والتي صنعوا لهم الاسلام

على طريق سيرة الفكر الاسلامي الجادة عبر القرون الطويلة بالاحتكاك مع الثقافات المختلفة التي حاولت أن تحظى به أو تحرف به عن مفاهيمه وقيمته عمل رجال الاسلام على الوقوف في وجه هذا الخطر مدى العصور بتحرير مفهوم الاسلام الأصيل الجامع من كل المفاهيم الباطلة وتصحيح مساره ، وقد امتدت هذه المعركة زمناً طويلاً وجاهد في سبيلها اعلام كثيرون في مقدمة الشافعى وابن حنبل والفالزى وابن تيمية وابن القيم وكثيرون . وفي العصر الحديث وبعد أن سقط العالم الاسلامي في براثن النفوذ الاجنبي الا اجزاء قليلة منه ، عمد النفوذ الاجنبي الى احتواء الفكر الاسلامي باثارة هذا «الفكر البشري الوثني والباطنى» مرة اخرى واعادة طرحه في افق الفكر الاسلامي فأعاد مجدها كل السّموم والتحديات والانحرافات التي بثتها الباطنية والمجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التحلل والانحراف والزنقة والاباحية التي عرفت في عصور ما قبل الاسلام .

وقد اجتمع هذا الركّام في العصر الحديث تحت اسم «التغريب والغزو الثقافي» وعملت قوى الاستشراق والتبيّن على اذاعة هذا الفكر المسموم عن طريق : المدرسة والجامعة والصحافة ودوريات الثقافة .

و Jennings له الكثير من أصحاب الاسماء اللامعة والضيّائر الخرية .

ولقد عملت حركة اليقظة الاسلامية خلال القرن الرابع عشر المجرى المنطوى على مواجهة هذه الشبهات .

وقد قاتلت في ذلك بدور كبير واستطاعت ان تدحض زيفها وان تقدم المفهوم الاصيل ولذلك فقد حق على اهل الدعوة الاسلامية في مشرق القرن الخامس عشر ان يتميزوا «منهج المواجهة مع الفكر الوافد» على ان يصبح علمـاً كاملاً له أصوله ومناهجه وأن يدرس في الجامعات والمعاهد كائناً هذه الحقائق التي وصل اليها المخلصون الابرار في مختلف المجالات .

وأدخل الإسلام البشرية في عصر التحرر من الظلم والعبودية والرق . وفتح لهم القرآن باب البحث العلمي وصولاً إلى « المنهج التجريبي » الذي قام به المسلمين والذي هو عباد الحضارة المادية المعاصرة .

وعلينا أن نعلن بدون مواربة أنفول الحضارة الغربية لأنها خرجت عن منهج الله وان البشر تتطلع إلى شروع الحضارة الإسلامية مجددة بعد أن توقفت عن العطاء .

ثالثاً : تعميق المفاهيم الجديدة التي بذلت تشق طريقها في عالم الغرب كأشفة عن فساد التفسيرات الدينية التي قام بها الإخبار والرهباني خارجين برسالات الله عن طريقها الحقيقى وعن تسلسلها الطبيعي ، واعطائهما حجماً أكبر من حجمها الحقيقي وخاصة ماكتبه في العصر الحديث علماء اللاهوت والدكتور موريس بوكاى عن التحليل العلمي للكتب المقدسة التي في أيدي الناس ومدى اضطرابها وبشربها ومعارضتها للحقائق التي كشف عنها العلم بينما يلقى القرآن بهذه الحقائق فيثبت أنه من عند الله .

رابعاً : تأصيل المفاهيم التي أصبحت الآن بمثابة الحقائق والتي تقرر أن العلم لا يستطيع أن يقول الكلمة الأخيرة لا في مسؤولية الإنسان ولا في حقيقة الكون وأنه ليس إلا أدلة من أدوات التعرف على مجموعة متواضعة من الحقائق تفسر « ظاهر الأشياء » وأن نظرية دارون التي كانت منطلقاً للفكر المادي قد تكشف زيفها وأثبتت العلم وكشفت الأرض عن الجماجم والظامآن التي دحضت فرضية الصلة بين الإنسان والقرد فقد عبرت هذه الجماجم عن استقلالية كل عنصر منذ خلقه الله جل وعلا وإن الإنسان منذ خلقه الله ومشى على الأرض كانت تامة مثلما هي اليوم قائمة مبنونة وبذلك تساقطت كل ما رقتبه هذه النظرية الضالة وتبين فساد نظرية التطور الدائم كما تبين فساد نظرية الثبات الدائم ، وأقر العلم بأن هناك ثوابت وأن هناك متغيرات كان الإسلام قد سبق فاعلن عنها منذ خمسة عشر قرناً . وكيف أن القرآن حمل مفاهيم واضحة عن أول الخلق والحياة على وجه الأرض وقد جاءت الإبحاث العلمية لتصدقها وتؤكدها .

خامساً : تعميق الوثائق التي تقدمها علماء الغرب في الكشف عن عظمة الشريعة الإسلامية وخصوصية الفقه الإسلامي وعمق عطائه في مختلف مجالات الحياة فقد أنهت المؤتمرات القانونية والفقهية أبحاثها منذ قرابة خمسين عاماً بقرارات وواضحة الدلالـة في سلامـة الشريـعة الإسلامية وكـمالـها وقد تـبيـن لـعلمـاءـ الغـربـ منـ كـوـزـهاـ ماـ أـذـهـلـهـمـ وجـعـلـهـمـ يـعـتـرـفـونـ رـاغـمـينـ بـأـصـالـةـ هـذـهـ

والـتـىـ هـىـ مـصـدـرـ قـوـتـهـمـ فـىـ حـيـاتـهـمـ وـفـىـ قـدـرـتـهـمـ عـلـىـ مـقاـوـمـةـ كـلـ دـعـوـاـنـ وـأـدـاتـهـمـ فـىـ أـدـاءـ رسـالـتـهـمـ الـمـرـجـعـةـ للـبـشـرـيـةـ بـتـبـلـيـغـ كـلـمـةـ اللهـ تـعـالـىـ إـلـىـ الـعـالـمـيـنـ .

هـذـاـ خـطـرـ أـهـمـ كـثـيرـاـ فـىـ نـظـرـ القـوـىـ الـمـخـلـفـةـ عـنـ اـمـتـلـاـكـ ثـرـوـاتـ الـمـسـلـمـيـنـ لـاـنـ هـذـاـ عـلـمـ «ـ التـفـرـيـبـ »ـ سـيـمـكـنـهـمـ مـنـ اـمـتـلـاـكـ نـفـوسـ الـمـسـلـمـيـنـ وـأـرـاحـهـمـ فـيـقـوـدـوـنـهـمـ كـيـفـاـ شـاعـرـاـ وـاـذـ تـمـكـنـوـاـ مـنـهـاـ فـلـنـ تـصـبـعـ ثـرـوـاتـ الـمـسـلـمـيـنـ وـحـدـهـاـ مـلـكـاـ لـهـمـ بـلـ سـيـصـبـعـ الـمـسـلـمـيـنـ أـنـفـسـهـمـ عـبـيـدـاـ لـقـوـىـ الـأـمـمـيـةـ الـمـسـيـطـرـةـ الـآنـ .

وـلـذـكـرـ خـانـ هـذـاـ مـنـهـجـ الـذـىـ دـعـوـتـ إـلـىـ اـقـرـارـهـ لـيـكـونـ عـلـىـ قـائـمـاـ بـذـاتـهـ إـنـاـ يـسـتـهـدـفـ هـذـهـ الـأـمـورـ :ـ أـوـلـاـ :ـ كـشـفـ زـيـفـ هـذـهـ النـظـرـيـاتـ وـالـاـيـدـلـوـجـيـاتـ الـمـثـارـةـ وـالـمـطـرـوـحةـ فـىـ اـفـقـ الـفـكـرـ الـاـسـلـامـيـ عـلـىـ أـنـهـاـ «ـ عـلـمـ »ـ وـالـقـىـ تـدـرـسـ فـىـ بـعـضـ الـجـامـعـاتـ وـالـمـعـاهـدـ عـلـىـ أـنـهـاـ «ـ حـتـائقـ مـقـرـرـةـ »ـ ،ـ بـيـنـمـاـ هـىـ لـمـ تـنـلـ بـعـدـ الـدـرـجـةـ الـعـلـمـ مـنـ حـيـثـ اـنـهـاـ «ـ فـرـوـضـ »ـ اـفـتـرـضـهـاـ عـقـلـ بـشـرـ يـخـطـىـءـ وـيـصـبـبـ ،ـ وـلـذـكـرـ فـيـهـ لـيـسـتـ صـالـحةـ مـجـتمـعـاتـهـ وـعـصـورـهـاـ ،ـ وـلـذـكـرـ فـيـهـ لـيـسـتـ صـالـحةـ لـتـكـونـ مـنـهـجـ حـيـاةـ لـغـيـرـ عـصـرـهـاـ اوـ بـيـئـتـهـاـ وـهـىـ لـنـ تـصـلـحـ لـتـصـدرـ إـلـىـ أـمـمـ أـخـرـىـ تـخـتـلـفـ مـنـ حـيـثـ الـعـقـيـدـةـ وـالـشـرـيـعـةـ وـالـاخـلـاقـ .ـ

وـعـلـىـنـاـ أـنـ نـكـشـفـ تـلـكـ الـحـقـائـقـ الـتـىـ وـاجـهـتـ كـلـ هـذـهـ الـاـيـدـلـوـجـيـاتـ مـنـ حـيـثـ عـجـزـهـاـ عـنـ تـحـقـيقـ الـجـمـعـ الـاـمـثـلـ مـنـ نـاحـيـةـ وـمـنـ حـيـثـ أـنـهـاـ لـمـ تـبـلـغـ اـلـقـلـيلـاـ مـنـ الـزـمـنـ حـتـىـ اـحـتـاجـتـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ الـاضـافـةـ وـالـحـذـفـ وـعـلـىـنـاـ أـنـ نـبـيـنـ مـدـىـ الـفـرـقـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ الـمـنـهـجـ الـرـبـانـيـ الـخـالـدـ الـذـىـ لـاـ يـعـتـورـهـ النـقـصـ مـهـمـاـ مـرـتـ الـدـهـرـ اوـ اـخـتـلـفـ الـبـيـئـاتـ لـانـهـ مـنـ صـنـعـ الـعـالـمـ الـقـدـيرـ الـعـلـيمـ بـالـبـشـرـ فـىـ اـعـقـمـ اـعـمـاـقـ نـفـوسـهـمـ وـمـطـلـبـهـمـ وـاهـوـاـهـمـ وـقـدـ جـاءـتـ رسـالـةـ السـمـاءـ وـحـدـهـاـ الـقـادـرـةـ عـلـىـ عـطـاءـ الدـائـمـ الـذـىـ لـاـ يـتـوقـفـ .ـ

ثـانـيـاـ :ـ كـشـفـ مـحـاذـيرـ هـذـهـ الـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ مـرـحـلـةـ التـدـهـورـ وـالـأـفـوـلـ :ـ وـالـابـانـةـ عـنـ انـحـرـافـهـاـ الـخـطـيرـ عـنـ مـنـهـجـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ وـالـتـعـرـيفـ بـالـأـثـارـ الـخـطـيرـةـ الـتـىـ اـحـدـثـهـاـ مـنـ حـيـثـ اـوـقـعـتـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ «ـ الـازـمـةـ »ـ وـالـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ التـسـرـقـ وـالـانـهـارـ وـالـتـحـلـلـ بـاـنـدـفـاعـهـاـ وـرـاءـ شـهـوـتـيـ الـبـطـنـ وـالـفـرـجـ الـتـىـ يـمـثـلـهـاـ مـنـهـجـ الـرـاسـمـالـيـةـ وـالـفـروـبـيـةـ وـالـمـارـكـسـيـةـ جـمـيـعاـ .ـ

وـكـيـفـ جـاءـتـ الـحـضـارـةـ الـإـسـلـامـيـةـ لـلـبـشـرـيـةـ مـحـرـرـةـ اـيـاـهـاـ مـنـ عـبـودـيـةـ الـعـقـيـدـةـ الـوـثـنـيـةـ وـعـبـودـيـةـ الـإـنـسـانـ الـلـاـنـسـانـ وـكـيـفـ سـقـطـتـ حـضـارـاتـ الـمـادـيـةـ وـالـإـبـاحـيـةـ وـالـالـلـاحـادـ الـتـىـ عـرـفـتـ بـالـفـرـعـونـيـةـ وـالـرـوـمـانـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ .ـ

مصدر التصرفات البشرية ، وتبين لهم فساد التفسير المادى للتاريخ وكشفت الابحاث العلمية عن ان للتاريخ مصادر متعددة وان الاقتصاد هو في الدرجة الثالثة او الرابعة ومع ذلك فالبشرية الضالة مازالت متشبثة بضلالها وتجر وراءها عالم الاسلام .

سابعا : علينا ان نصحح مفهوم قدرة الله عز وجل واحيائه في مختلف العلوم والثقافات بعد ان عمد الفكر الغربى الى انكار الله تبارك وتعالى صانع كل شيء وانكار النبوة والبعث والجزاء ومسؤولية الفرد في الحياة والتزامه الخلقي وعمد الى تصوير الحياة بصورة مادية خالصة وتجاهل جانب الروح والمعنيات الغيبية وعالم ماوراء المادة وقد تبين له فساد ذلك كله وجاء تجربة الذرة محظما لكل هذه النظريات مادية التي تختلف الان مايقرره العلم التجربى الذي أخذ يؤمن بعالم الغيب ويرى من يوجد الله تبارك وتعالى الخالق القادر القائم وراء هذا الكون كله يديره ويدبره لحظة بعد لحظة وبعد احظة ويعرف علماء الفلسفة المادية هذه الحقائق العلمية التجربية ولكنهم سادرون في غيهم يضللون الناس ويسخرون من الاصلية والفطرة ولقد أدخلت الفلسفة المادية البشرية في حيرة شديدة بانكارها لعالم ما وراء المادة ولا يخرج لها الا بالايمان بالله الواحد الاحد ، ذلك هو منطلق الفطرة الذي يهدى الى مسؤولية الفرد في بناء المجتمع الربانى على هدى من الالتزام الخلقي .

ثانيا : علينا ان نكشف فساد مفهوم القوميات الواقف الذى طرح في افق الفكر الاسلامي للقضاء على مفهوم الوحدة الاسلامية والوحدة الفكرية الجامعية القائمة على أساس لا اله الا الله والمستمدة من مفهوم القرآن الاصليل ، هذا المفهوم الضال المظلم الذى فتح الباب واسعاً لابناء الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية والبربرية والذى يستهدف في العصر الحديث انبات افكار بائدة فضى عليها الاسلام الذى اعلن الانقطاع الحضارى في مختلف اجزاء عالم الاسلام عن كل ما سبقه من دعوات سواء كورش في فارس او طوران في تركيا او وثنية العرب او تيصرية الروم . لقد كانت نظرية القومية العربية بمثابة مؤامرة استهدفت تمزيق الوحدة الاسلامية السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت مترابطة تحت كلمة التوحيد ولقد تجاوز المسلمين الي يوم مرحلة الوطنية والقومية وكشفوا زيف هذه الاطروحة الفاسدة ، التي تصد بها دعاتها الى القضاء على رابطة التجمع الاسلامي في مواجهة التفؤذ الغربي الزائف .

تاسعا : يجب أن يكشف علم تصحيح المفاهيم عن نتيجة التجربة التي خاضها العالم الاسلامي في مواجهة

الشريعة ، بل انهم لم يتوقفوا عن ان ينتقلوا منها الكثير ويطبقوها تحت اسماء مختلفة وقد اعترفوا بفضل الاسلام أساسا على القانون المعاصر الذى نقل أغلبه من فقه مالك حين نقله علماء نابليون الى الغرب لأول مرة .

وكيف ان الغرب الذى يعترف بفضل هذه الشريعة الفراء مازال يحشى بين المسلمين وبين تطبيقها فى مجتمعاتهم ويفرض عليهم القانون الوضعي وهم من زوالها عاجزين عن التحرر من رقعة هذا القيد الاسيف .

ولقد تبين للغربيين اليوم عن طريق اعلام من مفكريهم بما لا يدع مجالا للشك انه لا يصح للانسان ان يشرع لنفسه ول مجتمعه وأنه لابد من « جهة أعلى » هي التي تشرع له ، وأنه حين يخضع الانسان [قانون بشري فانما يكون قد خضع للاهواء وللظن وهو ما يؤدى الى تدمير المجتمعات وهم يرون دمار حضارتهم اليوم نتيجة ذلك ومع انهم يكتشفون هذه الحقيقة فانهم سازوا ساردين وراء مناهج وأيدلوجيات لم تستطع أن تحقق لهم مطامع الروح ولا سعادة المجتمع ، هذه الأيدلوجيات التي يتراوحون فيها بينا وشمالا بين الديمقراطية والرأسمالية والاشتراكية وبين الفردية والجماعية ، وقد تبين لهم فساد هذه الأيدلوجيات وعجزه من الاستجابة للحقيقة .

سادسا : علينا ان نستأنف البحث الذى بدأ في العالم اليوم بحثاً عن منهج اقتصاد جديد بعد ان أعلن فشل وهزيمة المنهج الاقتصادي المعاصر وعجزها عن العطاء فالعالم اليوم حين يطالب بمنهج يجد فيه الرحمة والمساواة ويتخلص به من استقراطية الرأسمالية ودكتاتورية الماركسية لن يجد الا الاسلام فهو الذي يستطيع ان يعطيه ماهو في حاجة اليه .

وكما تبين لهم فساد منهج اقتصاد العالم فقد تبين لهم فساد نظريات فرويد ودوركايم وغريزير التي اوصلتهم الى اضطراب الاسرة وانتشار الجريمة وحوادث الاجهاض واستشراء الاباحية وامتهان كل القيم بما ظهر من حركات الوجودية والهيبية والمرى الجماعى ، ومع ذلك فهم سادرون في غيرهم ، يحاولون الانتقال من المادية الاباحية الى نظريات الروحية الاباحية في مقاومات البوذية والشيوخية واليوغا والفنوسيات الشرقية .

ولو كانوا يبحثون عن الحق لما عدوا الاسلام الذى يجدونه واضحاً لهم وفي طريقهم قبل ان ينتقلوا من اقصى الغرب الى اقصى الشرق .

ولقد تبين لهم فساد نظرية فرويد في الجنس وكشفت الابحاث العلمية عن انه ليس الجنس وحده

الاسلام من ذاتيته الخاصة وميزته المفردة .. وذلك في محاولة لتضليل المطبعين اليه كمنفذ للبشرية من وهدتها الحانقة وازمتها العسيرة ، والراغبين في التماس الاسلام كمنهج حياة بعد ان عجزت الايديولوجيات الغربية عن العطاء .

( ٢ )

### وبعد :

فإذا تقرر هذا المعنى فيحق لنا أن نضع خطوطا عامة لمنهج هذا العلم :

« علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات عن طريق الاصالة الاسلامية » وقد سبقنا الى ذلك علماء أجلاء في مثل هذه الازمة التي نمر بها واجهوها بكل قوة وبيقة ووضعوا اصول المقاومة والواجهة لكل حملات التشكيك وشبهات التغريب وعليها أن نقتفي طريقهم تحريرا للفكر الاسلامي من دخائل التشكيك والشعوبية وكشفا عن الاخطاء الشائعة التي بلغت من كثرة ترددتها أن أصبحت كالسلمات وتصحيح المفاهيم وتطبيق عالم الجرح والتعديل على الكتاب الذين خدعوا الكثيرين من حيث بريق الشهرة وضجيج الدعاوى والاعلان ، هؤلاء الذين يكونون خصومة عميقة لفكر المسلمين وان كانوا يخدعون بالدعوة الى التقدم والمعاصرة وهم لا يتركون فرصة تمر دون النيل من قيم فكرنا وذاتية امتنا ويهدمون كياننا وين قبل رد ابن تيمية على المناطقة ورد الغزالى على الباطنية والفلاسفة ورد ابن حزم على الفرق وقدم ابن الجوزى كتاب تلبيس اليهود كمنهج في هذا المجال كما كتب القاضي ابن العربي كتاب العواسم من القواسم ، وفي العصر الحديث ظهرت كتابات كثيرة في هذا المجال فقد رد جمال الدين الافغانى على الدهريين وكشف محمد عبده فساد تفسيرات النصرانية وجل رشيد رضا شبهات النصارى ودحض ولی الله الدهلوی في كتابه حجة الله البالغة كثيرة من شبهات اليهود والنصارى .

ومن الحق أن يقال انه قد أصبحت هناك ضرورة قائمة لهذه الواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم يقوم على اساس تحرير قضايا الفكر ودراسة المصطلحات السارية المتداولة وكشف وجهة نظر الفكر الاسلامي فيها وابراز مفهوم الاسلام القيم المختلفة وهو مفهوم يختلف قطعا عن مفاهيم الفكر الغربى والفكر الشرقي جميعا لهذه القيم .

ولا شك أن الدعوة الى تصحيح المفاهيم هو عمل كبير الاهمية في مطلع القرن الخامس عشر الهجرى : هذه المرحلة الخطيرة الخامسة في حياة امتنا بوصفها انتقالا من اليقظة الى النهضة ومن التبعية الى الرشيد الفكرى ، وذلك يتطلب القاء نظرة واسعة على

التبعية للنظام الديمقراطي الليبرالي الرأسمالي الغربى وفي مواجهة التبعية للنظام الماركسي الاشتراكي البليشفى وكيف ان المجتمع الاسلامى قد لفظ كلتا التجربتين بعد ان جرى شوطا في اصطناعهما واحدة واخرى واحدة كمحاولة للعصيرية والتقديمية وكيف ان هذه التجربة حملت معها الهزيمة والنكبة للبلاد التي اجرت هذه التجربة وكانت نهايتها تلك النكسة المروعة التي اودت بثروات الامم ومقدراتها وكانت ان تحصدتها حصدوا لولا ان علت صيحة الاصالة والتماس المتابع التي دعت المسلمين الى استخلاص التجربة الغربية بشقيها والابيان بأنه لا سبيل امام الامة الاسلامية الا طريق واحد هو طريق الله بالحق الذي دعا اليه الاسلام .

« وان هذا صراطى مستقىما فاتبعوه ولا تتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله ذلکم وصاكم به » .

هذا كله هو منطلق ذلك العلم الذى يطلق عليه علم تصحيح المفاهيم وتحرير القيم في مواجهة شبهات التغريب والغزو الثقافى . فان علينا نحن المسلمين ان نكشف زيف هذا الاتجاه المضلل الذى تردد فيه البشرية وان نحرر أنفسنا اولا من اصر هذه الفلسفات التي تحاول احتواء الفكر الاسلامى . هذا واجبنا اولا ، ان نقدم هذه الحقائق الى قومنا المسلمين وقد طرحت هذه النظريات كلها في افق فكرهم ، وتسألهم : هل يسيرون وراء ضلال الغرب وهواء ؟ وهل يؤمنون بالحضارة الغربية وهى في مرحلة الانهيار ؟ وهل يخضعون لهذه الايديولوجيات المتصارعة المتهالكة ؟ ان هناك قوى ضالة مضلة ماتزال توقى النار لتجرى الناس بهذه الاهواء المضلة وتدفعهم دفعا الى اتون الشهوات الصاحبة ، وهناك اقلام مسمومة تحاول ان تحطم كل القيم ، وان تزيف حضارة الاسلام وتشير الشبهات حول القرآن والسنۃ وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام وهى تروج لمفاهيم زائفه وافكار باطنية ، وتحيى من التاريخ تلك الشخصيات الشاذة الغريبة الضالة والمنحرفة امثال الحلاج والسمهورى وابن عربى وابى نواس ويشار وهناك من تخصص في تشویه الشريعة الاسلامية والادعاء بأنها موقوتة او من يحاول سهامجة اللغة العربية ويدعو الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية وماتزال هذه المخططات تجري مجرى الدم في فكرنا الاسلامى عن طريق الجامعة والصحافة والثقافة ويساول الاستشراف والتشكيك من خلال هذه المراكثر وعن طريق مخططات متعددة متغيرة اخضاع ثقافة الاسلام وفكرة و تاريخه ولغته الى ما يسمى باسم « التقارب » او « الحوار » ولا ريب انه ليس هناك تقارب حر ولا حوار اصيل ، وانما هناك هدف بعيد من وراء ذلك هو تجريد

لقد كان هدف حركة التغريب ( الاستشراق والتبيه ) هو العمل على الحط من شأن العرب وال المسلمين في أنفسهم و تشجيع العamiات جرياً وراء تفكك عروة وحدة الفكر الجامع ، ولقد جرت محاولات كثيرة لفصل الأدب العربي المعاصر والفكر العربي المعاصر عن أصولهما الإسلامية ومصادرهما الأصلية ثم تبين أن هذا العمل كان عسيراً بل مستحيلاً .

كما جرت المحاولات لتدمیر الشخصيات البالغة في تاريخنا وفكرنا وخاصة أولئك الذين حرروا الإسلام من التبعية كما جرت لاعلاء شأن أبي نواس وبشار والحلاج وعمدت إلى اتهام الفكر الإسلامي بانتهاص الحرية وعرضت حياة ابن رشد والشهوردي أمثلة على ذلك ، واتصلت الشبهات بختلف مبادئ الفكر سياسية واجتماعية كما ظهرت عشرات الكتب تحاول أن تفرض مفهوماً زائفاً وخطأنا في سبيل خدمة هدف تدمير الذاتية الإسلامية المتميزة ، وتبنيها واحتواها وصهرها في أتون الفكر العالمي والأممي .

وجرى البحث لاعلاء شأن كتب المحدثات والنسوادر والأساطير التي يردددها الرواية الكذابون المزيفون ، وجرت المحاولات لأن تكون هذه الكتب مصدراً علمية يعتمد عليها في استخراج صورة للمجتمع الإسلامي وقد شدد الدكتور طه حسين وصحبه على الأغانى والفاليلة وغيرها من الكتب الفاسدة لتكون مصدراً لتصوير الحياة الاجتماعية الإسلامية .

كما نسقت الشبهات المضادة للإسلام وأقوال خصوصه في موسوعات أهمها دائرة المعارف الإسلامية والموسوعة الميسرة والمنجد وقد وضعت في أيدي الباحثين منهم يلجناؤن إليها في كل وقت دون معاناه ، غير أنهما بمدى الخطأ الذي يحيط بها والهدف البعيد الذي يراد من وراء نشر هذه الشبهات الزائفة ووضعها في قالب علمي خطير .

وقد وجهت هذه الموسوعات من أجل خدمة الساسة اليهودية العالمية والصهيونية والتلמודية من أجل دعواها الزائفة ولذلك فانها في سواد القدس وفلسطين وابراهيم وأسماعيل واسحق تقدم تحريفات خطيرة تختلف عن مفهوم الإسلام الأصيل المستمد من القرآن الكريم .

ولقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الشبهات والخطاء إنما يراد بها القضاء على ذاتية الإسلام والمسلمين وأخراجهم من قيمهم ومزاجهم النفسي وإثارة

الخطاء الكثيرة التي ترددت في العصر الحديث وتضمنها الابحاث والمؤلفات والكتب الدراسية المقررة والمفاهيم التعليمية المختلفة التي حاول التفهود الأجنبي والاستعمار الفكري فرضها ودعمها وتعيمها وقتلها وتجديدها كلما بللت واعطائها صورة الحقائق الأساسية التي لا تقبل الشك بينما هي زائفة ليس لها أصل علمي تعتمد عليه أو سند تاريخي يضمن الثقة بها وقد شجع على ذيوعها سقوط فكرنا في مرحلة التقليد والتردد البيغاني دون وعي حسي أو تقليل واع أو محاذير يقطنة لكمات وخصوص هذه الأمة وهذا الفكر .

ونحن لا ندعوا إلى حرب أو خصومة أزاء ما يقال ولكن نطالب بالنظرية الحذرة اليقطة حتى لا نخدع ولا يدلس علينا بالزائف من القول أن ينقص حقنا وحقائقنا .

علينا أن نواجهه في وضوح :

— شبهات التبيه والاستشراق ..

— شبهات بروتوكولات صهيون والاسرائيليات الجديدة .

— شبهات المذاهب والدعوات المادية والاباحية الوثنية التي صيفت في قوالب علمية براقة خادعة وإن كانت لا تستطيع أن تصمد أمام ضوء الحقائق الإسلامية الكاشف الذي يعرها ويفضح خبيثتها ..

ولقد كان الفكر الإسلامي ولا يزال — استمداداً من مصادره الإسلامية القرآنية — على المحجة البيضاء ولكنه أصيب بالانحراف والاضطراب حين انتصر أهله عن أصوله القائمة على التوحيد والحق والعدل وترتبط المعنوي والمادي معاً .

ولقد واجه الفكر الإسلامي عملية الغزو الفكري والثقافي منذ قديم واستطاع بعد معركته الأولى التي امتدت قرنيين كاملين في مواجهة الباطنية والمجوسية وأخوان الصفا والفلاسفة أن يتحرر من كل هذه الزيوف وأن يستعيد طابعه الأصيل وذاته الحقة بعد حرب عنيفة مع الوثنيات اليونانية والمجوسية والهنديّة التديّنة واستطاع أن يحطم مفاهيم الاعتزال والفلسفة الالهية والجبرية الفلسفية وأن يقيم مفهوم التوحيد الخالص مفهوم أهل السنة والجماعة .

وهو اليوم يواجه نفس الموقف ويحتاج إلى تجمع واع أصيل لاداء هذه الرسالة ، وهو قادر على ذلك ويحظى بكل المؤامرات التي تراد به ، متفتح الآفاق لكل الثقافات والمفاهيم يأخذ منها ويرفض على قاعدته الأساسية العميقية الجذور ، وهو بقوته الذاتية المستمدّة من القرآن قادر على كشف الزيف ورفض الخطأ ودحض الشبهة .

جميعاً بأن هناك أكثر من مائة مؤلف أجنبي ملئ بالخطأ والسموم وهي متداولة في جامعاتنا ومكتباتنا وهي معارضة تماماً لمفهومنا الإسلامي الأصيل وان هناك علماً ما تدرس في جامعاتنا ومعاهدنا عن علوم النفس والاجتماع والأخلاق والسياسة والاقتصاد ، فكل ما تدرسه جامعاتنا معارض تماماً لمفهوم النظرة الإسلامية الحقة وهو ليس علماً ولكنها فروض فلسفية بشرية تخطىء وتصيب فعليينا أن تقوم هذه القوة القادرة على كشف هذا الزيف كله وتحطيم هذا البناء الزائف ، وهدم هذه الدائرة المظلمة التي حاولت أن تحتوى شبابنا وأمتنا وتردها عن الاصالة الإسلامية ..

هذا والله ولى التوفيق ،

اليأس في قلوبهم وتشكيكهم في مقدراتهم وتشويه معالم فكرهم وأدبهم ، وما تزال هذه الحملات مستمرة لم تتوقف بصورها المتعددة وبمقدارها الكثيرة .

والهدف هو محاولة التأثير على النفس الإسلامية وأفساد ثقتها لتعيمها ودفعها إلى طريق اليأس والشك والنظر بعين الانتقاد إلى مقوماتها التي هي مصدر قوتها والتي هي الطريق الوحيد الذي يجب أن تسلكه في سبيل دحر عدوها ورد عدوانه في مختلف مجالات الفكر والسياسة وال الحرب وهي المنطلق الحقيقي للقوة والنصر والحرية وافتقاد المسلمين مكانهم الحقيقي فوق هذا الكوكب من أجل هذا كله أدعوا إلى الإعلان عن علم جديد نجند له كنایاتنا ومقدراتنا ولنكون ملوكاً لنا

\* \* \*

# الباب السابع

## أسلمـةـ القـوانـين

ويكشف عن مدى الفوارق العميقة بين متطلبات القانون الوارد وبين متطلبات الاسلام .

وقد تبين لرجال القانون الغربيين من خلال عدد من المؤشرات التي عقدت خلال نصف القرن الاخير تميز الشريعة الاسلامية بطابع مختلف عن القانون الغربي والتي تقوم أساسا على الایمان بالله وعلى المسؤولية الفردية وعلى الایمان بالجزاء الاخروي والبعث . وأبرز ما تمثل في الاحكام الاسلامية التي تنفرد بها عن باقي الشرائع هي الایمان بحق الله ورقبته . فعقد البيع مثلا اذا استكمـلـ أركـانـهـ وـ شـرـائـطـهـ فـقـدـ يـكـونـ عـقـدـاـ قـانـونـياـ صـحـيـحاـ يـتـرـبـ عـلـيـ آـثـارـهـ بـيـنـ الـمـعـاـتـقـدـيـنـ بـشـرـطـ أـنـ يـكـونـ التـنـفـيـذـ مـرـاعـيـاـ فـيـهـ رـقـابـةـ اللهـ تـبـارـكـ وـ تـعـالـىـ فـاـذـاـ لـمـ تـرـاعـ فـيـهـ تـعـالـيمـ اللهـ فـهـ نـافـذـ دـنـيـوـيـاـ وـ مـسـتـحـقـ لـمـ اـخـذـهـ اللهـ أـخـرـوـيـاـ وـ هـكـذـاـ كـلـ حـكـمـ اـحـكـامـ الشـرـيـعـةـ اـلـاسـلـامـيـةـ يـوـجـدـ فـيـهـ الـعـيـنـيـاـ مـعـاـ :ـ الـدـنـيـوـيـ وـ الـدـيـنـيـ وـ يـكـونـ الـواـزـعـ الـدـيـنـيـ أـعـظـمـ وـ اـزـعـ يـكـفـلـ اـطـاعـةـ الـقـوـانـينـ وـ تـنـفـيـذـهـاـ سـرـاـ وـ عـلـانـيـةـ وـ هـذـاـ هـوـ اـبـرـزـ الـاـصـوـلـ الـتـىـ تـنـفـرـدـ بـهـ الشـرـيـعـةـ اـلـاسـلـامـيـةـ .

ثانيا : تميز القانون الاسلامي : 1 - بالعدل بين القريب والبعيد ( كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقرئين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهمما ) .

2 - العدل بين العدو والصديق ( ولا يجرمنكم شئان قوم على الا تعذلو : اعدلوا هو أقرب للتقوى ) .

ثالثا : كذلك يقوم القانون الاسلامي على أساس فكرة متممة وقوية تهدف الى تقويم الاخلاق ، واذا كان كل نظام قانوني ينطوى على عنصر خلقى فان فكرة تهذيب الاخلاق التي ينطوى عليها النظام الاسلامي لم تكن نتيجة تطور بطيء بل أنها شرعت مع المبادئ الجوهرية للنظام القانوني فهى تشكل جزءا مكملا لكيانه .

رابعا : فقد جاءت احكام الحدود والقصاص رادعة تحول دون وقوع الجريمة أساسا وليس عقوبة لها

( ١ )

تختلف منطلقات القانون الوضعي الغربي الوارد عن الشريعة الاسلامية في مصادر كثيرة أساسية ابرزها

١ - ان الشريعة الاسلامية من عند الله تبارك وتعالى ٢ - وأنها تؤسس مجتمعا من نقطة البدا .

٣ - وأنها تقرر أن بني الإنسان جيئوا من أصل واحد لا فضل لجنس على جنس وان التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح وأن القانون يسوى بين الناس جيئوا .

وهذه العناصر في مفهوم القانون الاسلامي ( الشريعة ) تختلف اختلافا واضحـاـ عـنـ مـفـهـومـ القـانـونـ الغـرـبـيـ الوـارـدـ المستـمدـ منـ مـفـاهـيمـ الـحـضـارـةـ الـرـوـمـانـيـةـ الـقـدـيـمـةـ وـ الـتـىـ تـعـلـىـ شـائـنـ طـبـقـةـ السـادـةـ وـ الـأـمـرـاءـ عـلـىـ طـبـقـاتـ الـشـعـبـ الـأـخـرـىـ وـ الـتـىـ تـقـرـ الرـقـ اـسـلـاسـاـ لـلـجـمـعـ وـ الـتـىـ تـجـعـلـ القـانـونـ حـكـراـ عـلـىـ طـبـقـةـ السـادـةـ وـ حـدـهـمـ وـ لـيـسـ عـلـىـ سـائـرـ الـوـاطـنـيـنـ .

فضلا عن ان الشريعة الاسلامية هي مقررات ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع الزمن ( مع وجود المسائل النوعية والمتغيرات ) باختلاف القانون الوضعي الخاضع دائما للتطور حسب متغيرات البيئات والعصور .

وقد أرسى القرآن العظيم قواعد الاسلام على وحدة الخالق ووحدة الخلق ووحدة النفس البشرية ووحدة الدين الحنيف ووحدة الإنسانية ووحدة الكون ووحدة التشريع وأن المال كله لله والناس مستخلفون فيه .

ولما كان المسلمون قد خضعوا خلال فترة الاستعمار والتنزف الاجنبي للقانون الغربي الوارد بعد ان حجبت احكام الشريعة الاسلامية فان التجربة التي تمت في المجتمع الاسلامي قد اثبتت عجز القانون الوضعي عن اقامة المجتمع السليم ، وكانت عاملات هاما في تدمير الاسرة وتحطيم عوامل وحدة المجتمع ولذلك فان المسلمين مطالبون اليوم بتحرير أنفسهم من قيود القانون الوضعي والعودة الى اسلامة القانون ليس بتنقية القانون السادس من مخالفاته الصريحة للشريعة ولكن بالعودة الى أصل الشريعة نفسه الذي ينقدم القانون

بعد وقوعها وهذا ما تتميز به الشريعة الإسلامية على  
ثرائنا الأرض وقوانينها قاطبة .

خامساً : ان القصاص لا يقف عند حد من وقع  
منه الاعتداء مباشرة بل يتعداه الى من كان لنفوذه  
وسلطانه دخل في هذا الاعتداء .

سادساً : العدل يجب ان يصل الى الناس بلا  
تمييز وقبل ان يطلبوا واعفاء صاحب الشكوى حتى من  
اثمان الورق الذي يكتب عليه شكواه .

سابعاً : ان اقلية الحدود هي عبادة الحاكم  
في اقامة الحدود عبادة وكل من لم يقم الحدود فقد تخلى  
عن هذه العبادة ( ولكن في القصاص حياة ) والاسلام  
يجعل العقوبة في جرائم الدماء لشفاء غيط المجنى عليه .  
فقد أعطاه الله حق القصاص وحق العفو بخلاف القوانين  
الوضعية فانها لا تعطى المجنى عليه حق العفو عن  
الجاني .

ثامناً : الجمبع بين المصالح المادية وال حاجات  
الروحية ، والجماع بين المصلحة الخاصة والمصلحة  
العامة والتوفيق بين المصالح المتنافرة والجماع بين  
الثبات والتطور .

تاسعاً : تفطية الشريعة الإسلامية لكل جوانب  
حياتنا : تربويها وقانونها وثقافياً واقتصادياً وسلاوكياً  
وقد جاء الاسلام حاكماً على الناس والمدنيات ولم  
يحيى ملوكاً بهم فليس الاسلام مطية ذلولاً لانحرافات  
الحضارة والمجتمعات الحديثة .

عاشرأ : وحدة جميع المجالات التي يشملها  
التشريع ( الدولة - الاسرة - الاقتصاد - العلاقات  
الاجتماعية ) في مجال الاخلاق ترتبط هذه الوحدة بتربية  
المسلمين وقتاً لم يلادىء وأسس اخلاقية ثابتة موحدة  
في الاخوة والرحمة والسخاء والكرم وغيرها من امهات  
الفضائل والقيم الاسلامية وذلك ليجد المسلمون انفسهم  
على طريق واحد وعلى مسيرة واحدة لان تحكيم شريعة  
الله في كل الشئون هو مصدر الوحدة الاسلامية الحقيقة  
لان الوحدة الاسلامية وحدة فكر وعقيدة ودين .

### ( ثالثاً )

#### الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي

الشريعة الإسلامية هي الاصول الثابتة التي لا  
تتغير من الاسلام وهي ملزمة لانها من صنع الله تبارك  
وتعالى ، أما الفقه الاسلامي فهو التفسير الذي قدمه  
المسلمون بما يحقق مطابقة الشريعة الاسلامية لمجتمعاتهم

وعصورهم وقد احتوى القرآن على متن احكام الاسلام  
كلها في الجملة ثم جاءت السنة النبوية والسيرة النبوية  
فاوضحت كل ذلك وشرحته وبينته للناس :

**( وَنَزَّلْنَا إِلَيْكُمُ الْذِكْرَ لِتَبَيَّنَ لَنَا مَا نَزَّلْنَا لَيْهِ )**

وقد بذل الفقهاء الجهد والطاقة في سبيل الوصول  
الى الحق والصواب والعدل والمصلحة ، واتفق كل من  
المشرعين على أن أصول الاحكام : الكتاب والسنّة  
والاجماع والقياس . ولما كانت الاحكام الواردة في  
القرآن والسنّة اكثراً احكاماً كليّة فقد واجهت الآئمة بعد  
الفتح حالات كثيرة جديدة لم تكن معروفة في جزيرة  
العرب فوضعوا لها الاحكام ، ومن ذلك في العراق  
مسائل الرى الناشئة عن نهرى دجلة والفرات ( واجهها  
ابو حنيفة وتلميذه ابو يوسف ومحمد ) .

وفي مصر واجه الشافعى مشاكل الرى الناشئة  
عن النيل فضلاً عن مشاكل المعاملات والحيزات ،  
وبالنسبة للآئمّة التي دخلت تحت حكم الاسلام كالقرن  
والروم فقد كانت لهم عادات خاصة فإذا دخلها الاسلام  
كان لابد أن يعرضوها على الآئمة ليقوموا بدورهم  
على أساس الأصول الكلية للإسلام ويفتروها أو يحكموا  
ببطليانها وقد عرفت الشريعة الإسلامية بخصائص  
أساسياً : أهمها ..

١ - المساعدة والدقة في بناء الاحكام .

٢ - الدروس على التوازن في الحكومة بين الفرد  
والجماعة .

٣ - تجريد الاحكام من كل عصبية وعاطفة  
فكرة العدل والحق المطلق .

٤ - مرنة المصادر والاصول .

وكل هذا قد اكسب الشريعة صفة الخلود وقابلية  
الاستجابة لتفطية جميع الحاجات التشريعية تبعاً  
لمصلحة الآمة في مختلف مراحل نموها ، وعلى أساس  
المحافظة على اصالتها وروحها في تطورها وتطور  
الانسان الشامل .

\*\*\*

( ٢ )

أصول الشريعة الإسلامية جاء بها القرآن  
وفصلتها السنة النبوية ثم جاء دور الفقه ، وهو العمل  
الذى قام به الفقهاء الذين فصلوا هذه الشريعة وفتواها  
واستبطنوا الاحكام الاسلامية العقلية من القرآن والسنّة  
وقد مضى هذا العمل في نماء حتى جاء الائمام الشافعى

نرى الخلافات بين الفقهاء كانت تدور حول تفسير الآيات القرآنية أو صحة الأحاديث النبوية أو مواقعات المجتمعات المختلفة بين مجتمع كالدينية ومجتمع كالعراق والشام وبصرى وتدل كثرة مذاهب الفقهاء الإسلامي على سعة المحاولة لتكيف الأحداث من وجهة نظر الإسلام وقد جاء الخلاف بينهم نتيجة رغبة الفقهاء في ضرورة الحرص علىبقاء الجماعة الإسلامية آخذة بالاسلام في منهاج حياتها اليومي .

\* \* \*

فوضع قانوناً للاحكام اطلق عليه بعد ذلك ( علم اصول الفقه ) أصبح من بعد بمثابة المنهج الذي تسير عليه أعمال الفقه الإسلامي ، وهو العلم الذي يبحث في الأدلة الشرعية وفي طرق استنباط الأحكام منها .

وقد نشأ الفقه الإسلامي بعيداً عن المؤثرات الأجنبية التي تختلف روح الإسلام اذ نشأ في كف الجمر الإسلامي العام ، وهو يعبر عن أربع محاولات العقول تعاليم الإسلام وحياة المسلمين في الأقطار المختلفة ، لذا

## قضايا الشريعة

( ١ )

### نظيرية النسبية الأخلاقية وقضية تطوير الشريعة

ويقول ابن القيم : ان الاصل في العنود كلها انما هو العدل الذي بعثت به الرسول والشارع جل شأنه نهى عن الربا لما فيه من الظلم ، وعن الميسر لما فيه من الظلم ، وكلها اكل أموال الناس بالباطل ، وكل معاملة نهى عنها الاسلام فهي ظلم ، واغتصاب لثمرة جهود الآخرين وكل معاملة أجازها فهي عدل . هذا هو المبدأ الذي يراد تطويره لكي يوافق الفلسفة النسبية ، ثم ( الايثار ) كيف يمكن تطويره فالإسلام يقدم مناهج اجتماعية متكاملة تضمن لجماعته حياة انسانية كريمة ، وخاصة حقوق الشيوخ والمعتدين وجميع الفئات التي لا تستطيع ان تعمل ، يوجب على الحاكم المسلم ان يأخذ لهم حقوقهم من أصحابها اذا لم يبارروا الى تقديمها طوعية واحتيارياً ولا يقف الاسلام عند حدود ذلك بل يدعو الى مزيد من البذل والعطاء ، الى حيث البذل مع الخصاصة او العطاء مع الحاجة ، هذا هو المبدأ الظاهري تطويره بفية انساح المجال للأخلاق النفعية الفردية الانانية التي تستسود اليوم المجتمعات الاوربية ، هذه هي دعوة المذكورون من تطبيق الشريعة والداعين الى استيراد نهج الحياة الاوربية .

« ان صيحة تطوير الشريعة ، تغيير الأخلاق ، تطوير العقائد ، الفداء الثواب ، صيغات ترددت أصداوها في العالم الإسلامي ، وهي ليست بالفلسفة الحديثة او المعاصرة فقد كانت تمثل لباب الفلسفة السوفيسطانية التي ظهرت قبل سocrates والتي انكرت وجود الحقيقة العلمية كما انكرت القيم الأخلاقية الثابتة الدائمة المطلقة .

ارتفعت الصيحة عن طريق كتابات العلمانيين والتفسيريين حول دعوى تطوير الشريعة في جملة دعواهم الى تطوير الدين وتطوير اللغة وغيرها وهي قضايا غربية متصلة بالفكر الغربي الذي اثار كثيراً من القضايا المرتبطة بمفهوم المسيحية الغربية وعلاقتها بالمجتمعات الاوروبية وصلة الكنيسة بدورات العلم والحكم فيها وهي قضية يقف منها الاسلام موقفاً حاسماً فالاسلام دين رباني عالمي خالد قام على أسس واسعة قادرة على متابعة ، تغيرات المجتمعات والعصور ومن ثم فإنها تستطيع استيعاب مختلف الظروف والظروف دون ان تخرج عن اصولها الاصيلة وثوابتها القائمة فعلاً ، وانما تجري الحركة دائماً في اطار الثبات .

وعلاقة الشريعة الإسلامية بفلسفة التطوير بمفهومها الشامل — كما يقول الدكتور احمد عبد الرحيم ابراهيم — هي علاقة تضاد ، ذلك ان الشريعة جاءت لتنقى الى الابد في حين تصر فلسفة التطور الشامل على نبذ كل ما يمتد الى الماضي والبقاء كل الحقائق الثابتة كما جاء في الماركسي الشيوعي ١٨٤٨ .

لقد كشف لنا المنهج الإسلامي عن طابعين : ( الاول ) هو التشريع وجوهر العدل ( خذ ثمرة جهلك وتحمل تبعه اخطائك ) .

( الثاني ) الأخلاق وجوهره الايثار وشعاره اعط غيرك من ثمرة جهلك . ( من عمل صالحًا فلنفسه ) ، ( الا تزر وزرة أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى ) .

الأخلاقية مثل القيم الرياضية في ثباتها ورسوخها أما في الشرق الإسلامي فقد شكلت فلسفة التطور تياراً قوياً استمد الطاقة من فلسفة دارون وفلسفة أوجست كونت (الوضعية النطامية) والفلسفة الماركسية وحركة الاستشراق المعادية للإسلام ، وفي الوقت نفسه أدار أنصار التطور ظهورهم لكل المذاهب الأوروبية التي تقول بثبات الأخلاق واطلاقها وثبات القيم الإنسانية الأساسية وثبات التشريع بعما لذلك وتجاهلوها تجاهلاً تاماً ، ولقد كان واضحًا منذ البداية وحتى اليوم أن أنصار التطور في الشرق الإسلامي لا هدف لهم سوى إحلال الأفكار والنظم والقيم والتشريعات الأوروبية محل الأفكار والنظم والقيم والتشريعات الإسلامية وقد أدركوا أن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا إذا نجحوا في اقناع الناس بأن النطوير الذي جاء به (دارون) مبدأ كوني شامل وليس خاصاً بعلم الحياة وبأنه ليس سوى مجرد نظرية ظرفية بل حقيقة تجريبية ، عملية ، وعلى هذا يجب أن يخضع له الفكر والاعتقاد والتشريع والأخلاق ، وأن يطبق على كل علم وأدب وفن بما في ذلك تفسير القرآن وعلوم الحديث فيؤخذ من كل شيء ويترك بميزان التطور الكوني الشامل ولم يذكر أنصار التطور حيواناً واحداً تحول من نوع إلى نوع ، بفضل الانتخاب الطبيعي ، ولم ير الناس أى تطور من أى نوع كان في الاحياء الموجدة على ظهر البسيطة من آلاف السنين ، والسؤال : (كيف ظهر الإنسان عقب ظهور القردة) لا يزال يتردد حائراً على السنة العلماء وبالرغم من كل هذه الحقائق اندفع نفر من أدبائنا وكتابنا اندفعاً حاسياً إلى تبني (فلسفة التطور) الشامل وجرى في أثرهم عدد من علماء الدين استهواه العبارة السهلة التي تقول أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وجرت أقلام عديدة بعبارات مثلها أو قريبة منها ، فقال قائل : أن الإسلام دين لين يستطيع أن يوفق بين روحه وبين كل مظاهر الحياة وأن نجد في نصوصه ما يسأير الأطوار المختلفة التي تخطتها البشرية في عصورها المختلفة ، وقال القائلون أيضاً : أن من الممكن أن نوفق بين الإسلام وبين حضارة الغرب وثقافته على اختلاف الأصول والوصول على أساس أن التطور هو روح الشريعة الإسلامية ومن هؤلاء ضياء كوك الب (تركيا) اسماعيل مظهر (مصر) والغالبية الساحقة من أساتذة الفلسفة وعلماء الاجتماع ، وجميع من اعتنوا الفلسفة الشيوعية التي أعلنت الغاء الدين وكل الحقائق الثانية مع الغاء الملكية الفردية في المانعسو الشيوعي ١٩٤٨ ولكن الحقيقة لم تعد من يعرفها ويتبعها ويدافع عنها .

وقف في الواجهة : جمال الدين الأفغاني ، محمد رضا آل العلامة الأصفهاني ، الدكتور بشارة زلزال ،

ومعنى ذلك أن كل شيء ينبغي أن يتغير بل يجب أن يتغير تبعاً لتفسير القوى الحاكمة والمؤثرة في المجتمع ، والنظم والتشريعات ليست استثناء من هذه القاعدة فالتفير والتبدل والالغاء والتطویر بعض منها ، ثم ماتت الفلسفة السوسيطانية النسبية واقتصرت على انقضائها مذاهب أخرى شيدتها سقراط وأفلاطون وأرسطو تعترف بثبات الحقائق العلمية والقيم الأخلاقية ، وفي العصر الحديث بعثت الفلسفة النسبية في ثوب جديد على يد (تشارلز دارون - ١٨٨٢) وتحت اسم جديد وفي مجال جديد هو علم الحياة (البيولوجى) قال دارون : إن الإنسان شكل متتطور عن القردة والقردة شكل متتطور عن حيوانات أرقى وهي بدورها شكل متتطور عن كائنات أرقى ويتسلسل التطور حتى ينتهي إلى أدنى أشكال الحياة ومع الحملة على الأخلاق ، ويعتبر المناهضون للحقائق الثابتة والقيم المطلقة كما توهم أعداء الدين في الغرب والشرق أن نظرية التطور هي السلاح الذي الذي يمكن أن يسبق أعداءهم ويفتح الباب على مصراعيه لفلاسفتهم النسبية التي تناولت بتطور كل شيء ، وتدين بالعداء والمقت لكل ثابت وللدين على وجه الخصوص ، وإذا كان العلم يقول أن كل شيء يجب أن يتغير ويتطور فإن على الدين أن يستجيب لنداء العلم ، هذه الاستجابة تبدأ بقطعياً الأجزاء التالية من الدين وهي : التشريع الديني والأخلاق الدينية واحلال الشريعة الوضعية والأخلاق الوضعية محلها وإذا اقتنعوا بهذه الخطوة الأولية تيسّر اقتناعهم بالخطوة النهائية وهي نبذ الإيمان بالله وبالكتب السماوية ، ونيتشة أبرز ممثل للفلاسفة النسبية في مجال الأخلاق وأعدى أعداء الدين . وأخلاقيات الدين ، وقد اتسمت فلسفة التطور بالطابع الحماسي الانفعالي حتى وجدنا (ارنست هيكيل) العالم البيولوجي يزور الأجنحة ليثبت وجود تشابه بينها وتبعد ذلك يثبت وجود تتشابه بين أنواع الحيوانات في الماضي الصحيح ، وبذلك تنتصر فلسفة التطور وقد كشف زيف هيكيل ، ولم تجد الفلسفة النسبية في الأخلاق (وفلسفة نيشة أحد مذاهبيها) رواجاً كبيراً لدى فلاسفة الأخلاق ، وقد أرسى عمانوئيل كانت (١٨٠٢) قواعد الأخلاق الثابتة المطلقة قبل ظهور دارون ورفض فكرة نسبية القيم وتطورها رفضاً مطلقاً فالأخلاق عند كانت لا يمكن أن تلزم أحداً إلا إذا كانت مبادئها ثابتة لا تتغير . « ومن هنا فإن تطوير الشريعة فكرة غريبة ثبتت أفلاسها » .

« فقد انتهت الفلسفة الأخلاقية الأوروبية المعاصرة إلى الرفض القاطع للنسبية وأكدت على ثبات القيم وقال (ساكسن سيلر ويلكورى هارين) أن القيم

ابراهيم الحورائى وغيرهم من النصارى وال المسلمين وكانت معارك شرسه لا يزال نفعها عاليا في حياتنا الثقافية ، ويحاول أيضا التطور اشعالها من جديد كلما الحت الامة في المطالية بتطبيق الشريعة الاسلامية وتفتح لها مجلتنا وصحفنا صدرها وقد كشف أكاذيبها حجب الرأى المعارض ظاهرة الرأى الهوى ، وعلى الصحف لا تحمى الرأى الواحد » ١ . هـ .

عن بحث الدكتور احمد عبد الرحمن

(٢)

ان تجربة آناتورك في الغاء الاحكام الشرعية ( حتى في الزواج والطلاق واليراث ) انطلقت من محور أساسى مغلوط هو ان القوانين الشرعية أساسها الدين وأن الدين ثابت لا يتغير ، وكان عدم التغير فيه ضرورة من ضروراته وليس الأمر كذلك بالنسبة للحياة فهى معرضة لتحولات مستمرة ولهذا في رأيهم أن يبقى الدين ( وجداهنا ) أى علاقة بين ضمير المرء وربه ولاصلة له بالحياة والمجتمع والدولة ، وأن تكون نظم الحياة مستلهمة من مقتضياتها في التحول والتطور ، وليس قائمه على أساس دينية جامدة تحول دون ترقى الامة وتطورها وتمثيلها مع مقتضيات المدنية المعاصرة ، فهل هذا التبرير صحيح من جهة نظر العقل والعلم المحسن ؟ ويجيب على هذا التساؤل الخطير الدكتور يوسف القرضاوى فيقول :

هذا التبرير من جهة نظر العقل والعلم المحسن يقول لا ، ومنطق العقل والعلم والواقع يؤيدنا ، لقد افترض التقرير أن أحكام الدين كلها ثابتة لا مجال فيها لتغير أو تطور بحال من الأحوال ، كما افترض أن الحياة كلها متغيرة متغيرة لا مجال فيها للثبات بوجه من الوجه وكلا الافتراضين مردود .

(أولا) غليس صححنا ان كل أحكام الدين ثابتة وغير قابلة لدخول الاجتهاد فيها وطروع التغير عليها قمن أحكام الدين ما يتعلق بالتعاقد التي تحدد نظرية الدين الى الله ( جل شأنه ) والكون والحياة والانسان ، وهذه حقائق ثابتة لا تتغير ، ومنها ما يتعلق بشعائر العبادات الرئيسية التي تحدد صلة الانسان العقلية بربه ، وهى التي تعتبر أركان الاسلام ومبانيه العظام وهذه في أسسها العامة ثابتة وان كان الاجتهاد يدخل عليها في كثير من التفاصيل .

ومنها ما يتعلق بالقيم الخلقيه ترغيبا في الفضائل وترهيبا من الرذائل وهذه تميز بالثبات ايضا في مجموعها وهذه الثلاثة لا يحتاج الناس الى تغييرها بل الى ثباتها واستقرارها ل تستقر معها الحياة وقطفين العقول والقلوب ..

بقى أمر نظم الحياة الاجتماعية مثل نظام الاسرة والمواريث ونحوها ، ونظام المعاملات والمبادلات المالية ونظام الجرائم والعقوبات والأنظمة الدستورية والادارية

والدولية ونحوها ، وهى التى يفصل احكامها الفقه الاسلامى بمختلف مدارسه ومذاهبه .  
وهذه ذات مستويين :

١ - مستوى يمثل الثبات والدوم وهو ما يتعلق بالاسس والمبادئ والاحكام التى لها صفة العموم وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبوت ، القطعية الدلالة التى لا تختلف فيها الافهام ولا تعدد الاجتهادات ولا يؤثر فيها تغير الزمان والمكان والحال .

٢ - ومستوى يمثل المرونة والتغيير وهو ما يتعلق بتفصيل الاحكام في شئون الحياة المختلفة وخصوصا ما يتصل بالكيفيات والاجراءات ونحوها وهذه قلما تأتى منها نصوص قطعية بل اما ان تكون فيها نصوص محتملة او تكون متروكة للاجتهاد رحمة من الله تعالى من غير نسيان .

ومن الناس من يتوجس خيفة من المصادرة بالرجوع الى الفقه الاسلامى واتخاذه أساسا تشريعيا وقضائيا ، ومصدر الارتياب والتوجس هو الأساس الربانى والصنة اليدنية للفقه الاسلامى فمن المتفق عليه ان المدرسين الأساسيين لهذا الفقه هما كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى ان يتسم هذا الفقه بالثبات أو الجمود ، وأن تقف العقول البشرية أمامه موقف التسليم والاتباع لا وقفه الابتكار والابداع اذ لا مكان وهذا ما يجعل أسباب المرونة وقابلية التطور معدومة أو ضعيفة .

والعارفون يعلمون تمام العلم ان من يقول هذا الكلام لا علم له بالفقه الاسلامى وخصائصه ومميزاته ، التي هي ثمرة خصائص الاسلام نفسه ، ثان من ابرز هذه الخصائص أنه يجمع بين الثبات والمرونة معا في تناقض حكم وتوارن فريد ، فلم يمل مع القائلين بالثبات المطلق الذين جدوا الحياة والانسان ولم يجنب الى العاملين بالتفصير المطلق .. كذلك الذين لم يجعلوا لقيمة ولا لبدا ولا لشيء ما ثباتا أو خلودا بل كان وسطا عدلا بين هؤلاء وهؤلاء ، فالاصول الكلية ثابتة خالدة شأنها شأن القوانين الكونية التي تمسك السموات والارض ان ترولا والفروع الجزئية مرنة معبرة فيها قابلية التطور شأن ما في الكون والحياة من متغيرات لازمة لحركة الانسان والحياة وما ينطلق الفكر الى الحركة والتطور والتجدد ومعنى هذا ان في الفقه منطقة مفتوحة لا يدخلها التغير او التطور هي منطقة الاحكام القطعية وهذه هي التي تحفظ على الامة وحدتها الفكرية والسلوكية . ومنطقة مفتوحة هي منطقة الاحكام الظنية ثبوتا ودلالة وهي معظم احكام الفقه ، وهي مجال الاجتهاد .

## فساد نظرية علم الجريمة

العقوبات الرادعة للجرائم الأخلاقية . ولقد أوضحت البحوث والتجارب العملية خطأ هذه النظرية التي تعتبر الجرائم عملاً اضطرارياً فقد اتضح أن الناس في المجتمعات المزدهرة والصحية أكثر ميلاً إلى اقتراف الجرائم منهم في المجتمعات الفقيرة وغير الصحية واحتلت التدابير العلاجية في الحيلولة دون الجرائم بل لقد ارتفع معدل الجرائم في الدول التي سلكت طريق تخفيف العقوبات وقد أجمع الباحثون على أن (الحدود) لم تشرع لإقامة المجتمع المسلم ولكن لحماية المجتمع المسلم ووقايته ، ذلك لأن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية تعنى أول ما تعنى بال التربية الإسلامية للفرد والشورى في الحكم والطاعة من غير معصية للحاكم ورفض الاستبداد السياسي .

(٤)

## قضية الإسلام والسياسة

أبور الحكم سواء في الولاية العامة أم في القضاء ، وقدم نظاماً للحاكم لادارة شئون الرعية دون أن يسمى ذلك أقحاماً للسياسة في الدين وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حاكماً ورئيس دولة ، وقد عقد المعاهدات وأرسل الجيوش وكتب علماء المسلمين عشرات الكتب في السياسة الشرعية .

وقد جاء أحياء هذه السنة بعد أن حجبها النفوذ الغربي على أن أيدي الأخوان المسلمين دليلاً على صدق الدعوة وعلى أن الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف وعبادة وجهاد وحكم وقضاء وتجارة وآخلاق ولم يكونوا بذلك مبتدعين كثيراً ادعى بعض كبار الحامين ولقد حجب النفوذ الغربي سلطة الحكم وشئون السياسة ونظام الشريعة الإسلامية في القضاء والحكم والاقتصاد جيئاً حتى يفرض نظام وافق على هذه الأمة وكان لابد أن يحيى الله تبارك وتعالى على يد دعاته هذه السنة من جديد فيتناهى أمرها حتى تصبح بعد أكثر من خمسين عاماً مطلباً شعرياً إسلامياً عاماً لا يستطيع أحد تجاهله أو الابتعاد عنه .

ولقد حاول البعض بعد فتنة كتاب (الإسلام وأصول الحكم) الذي نقله الشیخ على عبد الرزاق عن المستشرق مرجلیوث اليهودي كما ثبت من النصوص أن يدعى أن هناك مذهبين في الإسلام : أحدهما يقول بأن الإسلام دين ودولة والآخر يقول بأن الإسلام دين عقيدة فحسب .

نظرية العقوبة في الشريعة الإسلامية تقوم على الاعتقاد بأن الإنسان مخلوق يمتلك بالخيال الكامل في أفعاله وهو يقترف الجرائم بارادته وسبق قصده ولذلك لابد من انزال العقوبة التي تكون عبرة ونکالاً للآخرين فيخافون من مصير المجرم ويجتنبون الآتيان بمثل ما أتى به وطبقاً لهذا التصور قررت الشريعة الإسلامية قتل قاتل العمد وهذا ما يكتب النظرية التي ظهرت في أوروبا في نهاية العقد الثامن عشر باسم (علم الجريمة) وادعت أن الجريمة ليست عملاً متعيناً بل هو عمل اضطراري وأن سبب الجريمة يكمن في أحوال الحياة والامراض العقلية والعسر المادي والاحوال الاجتماعية وطالبت باعتبار المجرم مريضاً ومعالجته بدلاً من معاقبته ، ولقد حظيت هذه النظرية بقبول عالم في الغرب والغرب

تواجده الشريعة الإسلامية حملة ضاربة في الوقت الذي تفتح فيه العقول والقلوب لفهم الحقيقة التي أصبحت حتمية في وجه الاعصار الشديد الذي يواجه المجتمعات الإسلامية اليوم والذي يجعل القوانين الوضعية عاجزة عن تأمين هذه المجتمعات وحياتها بعد أن انتشرت تيارات العلمانية والمادية والإباحية عن طريق وسائل التسلية والترفيه التي حللت سببوم الجنس والجريمة على نحو خطير .

هذه الحملة يقودها بعض رجال القانون الذين كانت بينهم وبين الدعوة الإسلامية في وقت من الأوقات موافق ناتجة عن الغرض الشخصي أو الحسد أو الخلاف الذي يقع دائماً بين الميليشيات والاحزاب وقد تأتي هذه الخصومة وهذا الخلاف نتيجة عدم الاحاطة ببعض القضية ولكن الدعوة الإسلامية مازالت قادرة على مواجهة هذه الحملة المسعورة برجالها الذين يؤمنون بأن الشريعة الإسلامية ليست هي أمل المسلمين وحدهم ولكنها أمل البشرية كلها اليوم .

ولعل أخطر القضايا التي تثار اليوم هي مسألة ترابط الإسلام والسياسة وهي قضية يستمد الخلاف فيها مفاهيمه من العلاقة بين المسيحية والسياسة على النحو الذي جرى في الغرب وانتهى إلى الفصل بينهما . والمعروف أن المسيحية انسلخت من الشريعة اليهودية التي هي جزء منها ومن ثم لم يعد لها منهج حياة خاص ، أما الإسلام فقد جاء ديناً شاملًا منظماً لكل جوانب الحياة والحكم جزء منه ، وقد نظم الإسلام

الايرانية او رغبة في التخفيف على القضاة العلمانيين الذين يخشون من أن تطبيق الشريعة الإسلامية سيعيدهم مرة أخرى الى دراستها ومن هنا تطلق دعوات مسمومة تتغول باعادة النظر في القوانين القائمة وحذف ما يخالف الإسلام منها وهي محاولة ظالمة لأن منطلقات القانون الريانى تختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن منطلقات القانون الوضعي الذي صنعته عقول البشر وفيه أهواهم ومطامعهم وشهواتهم .

ذلك فان الإسلام لا يقر الحكومة الدينية ولم يعرّفها في تاريخه كله .

وقد أخذ بهذا الرأى بعض رجال القانون أمثال عبد الحميد لطفي وعمر سرعى عن نظره عجلى غير مستنوعة أو عن هدف نفسي خفي ، وقول من يدعى أن الديمقراطيّة هي الشورى وأن الاشتراكية هي العدل الاجتماعي قول لا يرقى إلى درجة المناقشة فيه لانه يسوى بين شريعة الله الخالدة وبين مناهج البشر ، وهو يختلف تماماً عن الديمقراطيّة والاشراكية وأن جاء فيهما ما يشبه ما في الإسلام بحكم أنهما ظهراً بعد الإسلام بعده من القرون ولكن ما أبعد الشبه وما أعجب المقارنة . وربما انطلقت هذه المباحثات نتيجة التجربة

( ٥ )

## مقارنة الشريعة والقانون الوضعي

فإننا بذلك نكون قد أعطينا الفرصة لظهور جريمة الثأر، لماذا ننسى المعتدى عليه وننادي بالرحمة للقاتل ، ان الشريعة قد أعطت للقاضي حرية تقدير العقوبة وذلك في الجرائم التي لم تقرر لها عقوبة محددة ، انه ليس لاي انسان كائنا من كان أن يشفع في جرائم الحدود والقصاص أو يشرع عقاباً لهذه الجرائم أو يقول باستبدال عقاب بعذاب لأن الله سبحانه وتعالى قد أراد بهذه الاحكام أن يسد الطريق أمام الاهواء الشخصية والمنازعات العاطفية والاسلام لم يفرق بين شخص وآخر في توقع العقوبة فلما فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين مالك وأخير ، وبالنسبة للمسؤولية الشخصية تجاه الفعل الاجرامي فالانسان مسؤول عن فعله فقط ( الا تز وازرة وزر أخرى ) باستثناء الديمة التي تتحملها أسرة القاتل في حال العفو عن القصاص ( عن بحث للدكتور بخيت حسني وعبد الفتاح الشيخ ) ويقرر الدكتور احمد فتحى سرور بأن هناك اختلافاً جذرياً بين الشريعة والقانون الوضعي ، فالشريعة تنتهي لنظام قانونى مختلف كل الاختلاف عن القانون الوضعي ويبعد هذا واضحاً في مصدر كل منها فمصدر الشريعة ديني هو الله والرسول صلى الله عليه وسلم مفوض عنده . أما القانون الوضعي فمصدره وضعى : هو الإنسان .

واختلاف الشريعة عن القانون الوضعي ناتج عن أنه اختلف بين نظامين ، فنظام الشريعة نظام الهى أما نظام القانون الوضعي فنظام بشري . ان الذين يتكلمون عن السياسة الجنائية يلاحظون أن أهم مظاهر التغيرات الاجتماعية هو اعتناق القيم المادية وهبوط القيم الروحية والشريعة تريد مواجهة هذا الأمر حينما تجعل القيم الروحية والانسانية ذات الاولوية في الحماية ويرى الدكتور يوسف قاسم أن الله سبحانه وتعالى قد انزل الشريعة لتحكم كل ما يطرأ على وجه الكرة

يحاول أداء الشريعة الإسلامية اثارة الشبهات حول الحدود وفي مقدمتها قطع يد السارق وبدعو البعض إلى أن العقوبة الجسدية ( الحدود والقصاص ) يمكن أن تستبدل بأنواع أخرى من العقوبات يتفق مع المعايير المعاصرة على النحو الذي قال به ( هانز نسيك رئيس الجمعية الدولية لقانون العقوبات ) وهي دعوة إلى أحكام الشريعة الإسلامية وتطويعها لجحارة القانون الوضعي وقد كشفت هذه التصريحات عن المطامع الخفية في الغرب نحو احتواء الشريعة الإسلامية بل أن القرار الذي اتخذه الجمعية العمومية لمحكمة النقض باستثناء مالاً يتعارض من القوانين الوضعية مع الشريعة الإسلامية أيضاً هو محاولة لتفريب الشريعة الإسلامية وهو تيار بدأه الدكتور السنورى منذ وقت بعيد وما يزال الغرب بقواه المسيطرة على المجتمعات الإسلامية يرمى إلى انتقاده واستمراره .

المعروف أن هذه البدائل أو غيرها ليست ممكنة لأن أحكام الحدود والقصاص مقررة أما بالقرآن او السنة ومن الواجب أن يذكر أن هذه الأحكام محددة بجواز العفو حيث حبب الإسلام للمجني عليه أن يعفو عن الجاني وعندما يتسع نطاق العفو يضيق مجال القصاص .

ولقد جاء التشريع الإسلامي بخصائصه وأهدافه المنفردة عن التشريعات الأخرى لانه من صنع الله خالق البشر والعالم بما يصلح أحوالهم ويحفظ استقرارهم من أحكام وقواعد وأنه لا جريمة ولا عقوبة في الشريعة الإسلامية الا بذنب ولقد أحصى التشريع الإسلامي ذلك ولم يترك للقاضي حرية اختيار العقوبة . فلا يجوز للحاكم على سبيل المثال أن يعنو عن جرائم الحدود أو القصاص أما اذا تصرف القاضي في عدم القصاص

ومصادر غير قطعية يجوز الاجتهاد فيها ، ويجوز الحكم في المسائل غير المخصوص عليها في الكتاب والسنة بنص قطعي أو اجماع عليها وقد جرى حصر أوجه التعارض والاختلاف بين النصوص القائمة في القانون الوضعي وبين نصوص قطعية في الشريعة الإسلامية وحصرت أوجه المعارضة في موضوعات معدودات هما : ١ - بيع التركة . ٢ - بيع الحقوق المتنازع عليها . ٣ - التقاضي . ٤ - نظام الفائدة .

وأوجه التعارض بين القانون المدني والشريعة الإسلامية ، ترکزت في مسائل الحدود وخاصة حد السرقة والزنا والقتل .

( دكتور محمد عمران )

( ٦٦ )

في مواجهة تيارات العلمانية والقومية يتطلب الامر منا أن نكشف الحقائق الصحيحة في هذا المجال لتكون مخرجاً للامة الاسلامية من الاحتواء والحصار الذي وقعت فيه نتيجة سيطرة مفاهيم الليبرالية والقومية عليها :

الولا : كان فصل الدين عن الدولة في الغرب خاتم الجولة الساخنة بين الكنيسة والدولة بالنسبة للانسان الاوربي ، اما في النظرة الاسلامية فان الدين والدولة لم ينفصلا في حقيقة التعبير الاسلامي فهما حقيقة واحدة وليسوا حقيقتين وهنا يكشف بوضوح أن فكرة الدولة في الاسلام تختلف بصفة أساسية عن فكرة الدولة القوية الحديثة وان كلا من هذين النوعين مختلف عن الآخر ، ففي حين أن الاسلام ينشئ الدولة كاداء لتحقيق الهدف الرباني فان الدولة القوية تصدر في الوجود لسبب مغابر تماما ، اي لاستبعاد الله والاستعانته عنه ( بالصلحة ) . ( القوية ) بل ان الحقيقة الرصينة تقول أن جميع الدول القوية تعدد نتاجاً للمدنية الغربية وفتراة السيطرة الاستعمارية .

( كليم صديقي )

ثانيا : ان الاسلام كنظام شامل لحياة لا يمكن ان يسود لو لم يكن هناك وجود سياسي يكون فيه معظم المسلمين مصممين على تطبيق الشريعة او القوانين الاسلامية .

ان هدف الحكم الاسلامي هو تطبيق العقيدة ( اي اوصى الله ) وأن الشورى هي أساس النظام السياسي في الاسلام وأن حقوق والتزامات المواطنين في الدولة الاسلامية يتم تقريرها بواسطة الشريعة .

الارضية حتى تقوم الساعة وهو سبحانه وتعالى يعلم أن هناك افعالا لا تتغير ولا تبدل فالنفس الانسانية واحدة في كل زمان وفي أي مكان وهناك جرائم كثيرة تقع للاعتداء على النفس كجريمة القتل والاعتداء على الاعراض ولذلك فقد وضع الحدود لامهات الجرائم التي لا يطرا عليها تغيير ولا تبدل وهذه العقوبات من حدود وقصاص قد فرضت لواجهة ما يستجد من اعمال اجرامية في المستقبل فقانون الله مفتوح يستوعب كل ما يجد من امور ، هذا هو النهج الالهي في التجريم والعقاب أما النهج النبوى في تطبيق النهج الالهي فقد اوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : ( ايها الناس من ارتكب شيئاً من هذه التاذرات فليستتر بستر الله . اما من يبين لنا صحته اقمنا عليه كتاب الله ) وبذلك يحذر المستهتر وكل من يخترق الحبائ العام للمجتمع . اما من يستتر بستر الله فامرها الى الله . ومن هنا فتطبيق الحدود جاء لردع الجرميين الذين يعکرون صفو المجتمع والشريعة لا تهدف الى العقوبة في حد ذاتها وانما وضعت الحدود لتحذير من تسول له نفسه بانتهاك حرمة الناس او الاعتداء على المجتمع بجريمه ، لذلك فتطبيق الحدود رحمة باهل الارض جمیعا . والفتنه الاسلامی نظام کوئی متكامل لا ينقص شيئاً من النظم الفقهية الى يعاصرها » .

وقد أشار مؤتمر جامعة عين شمس للقانونيين : أن القانون المدني الحالى لا يمثل الشريعة الاسلامية وهو مأخوذ من القوانين الفرنسية واللاتينية وقد جعل الشريعة في المرتبة الثالثة ، والدور الذى تركه القانون لمبادئ الشريعة الاسلامية دور ضئيل كما أنه لا يجوز الأخذ بحكم في الفقه الاسلامي يتعارض مع مبدأ من المبادئ العامة التى يقوم عليها التشريع المدنى في حملته حتى لا يفقد التقنيين المدنى تجانسه وانسجامه ، وليس القانون المدنى نقطه هو الذى لا يمثل الشريعة الاسلامية بل كل قوانينها لا تمثل الشريعة الاسلامية .

اما قواعد الشريعة الاسلامية فهو مرن و هناك نوعان من اصولها :

**النوع الاول :** يحكم المسائل الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان وهذا قواعد تفصيلية كالالتزام بحكم الأسرة والحدود والوارث .

**النوع الثاني :** تتغير بتغير الزمان والمكان منها ما فصله الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) كالعبادات وبعها ما ترك لكل زمان ومكان ومصادر الشريعة الاسلامية مصادر قطعية لا يمكن مخالفتها وهي الكتاب والسنة وما اجمع عليه المسلمون .

# الباب الثامن

## أسلمتة الاجتماع

حكم الله ، ولذلك فهو موضع الاعداد السليم الكريم ليكون نموذجا حيا : رجلا او امراة تتكون اول وحدة من وحدات المجتمع ، هما وحدة الاسرة .

فبناء الانسان هو هدف كبير : أساس هذا البناء يقوم على أن يصبح الانسان شخصية سوية ويكون في نفس الوقت لبنة في بناء المجتمع ويتحقق هذا البناء في مجالات ثلاثة : هي الجسم والعقل والروح ويقوم ذلك أساسا على مبدأ التوافق بين الفردية والجماعية ، فالمجتمع في خدمة الفرد والفرد في خدمة المجتمع وهما يتكاملان .

ثالثا : يقوم منهج الحياة في المجتمع على التقاء عاملين ( الروح والمادة ) غلاب من جهد حيوى قوامه الحركة والعمل مرتبط في نفس الوقت بایمان راسخ بالله ، ومن هنا يجري العمل على أساس القيم الاخلاقية .

رابعا : اثر الاسلام قوانين دوره المجتمع البشري : فابن خلدون يقرر أن المجتمع البشري تطور من البداوة الى الملك الى الحضارة ثم الى الاضمحل والفناء ويشبه حياة المجتمع بالجسم الحى ، الذي ينمو على مراحل ثم يضمحل ، وينحل حين تبلغ الغاية مداها ثم يعود المجتمع الى التكون مرة اخرى مارا بنفس المراحل .

خامسا : جاء الاسلام بأعظم عقيدة توازن موازنة سوية بين الفرد والجماعة اذا قام التكافل الاجتماعي على أساس الاخوة الاسلامية وهو طراز فريد من التعاطف الانساني كان له اثره في القضاء على العنصرية الطبقية . كما حرر العقيدة من التعصب المقيت ، وكفل للمرأة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية وعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها في يد فرد او افراد قلائل ، وهو نظام لا يقضى على نشاط الفرد وميله الغريزى للمبادرة والابداع كما يقيم التنافس على أساس القدرة والعدالة معا .

وقد حققت تجربة الحكم الاسلامي في صدر الاسلام نجاحا باهرا في خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه اراده الفرد مع صالح الجماعة حيث تكفل الجماعة للفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم في الدرجة الاولى

### (ا-ج) الاجتماع الاسلامى

قدم القرآن الكريم الاسس الرئيسية لعلم الاجتماع الاسلامى ..

- ١ - تقرير كرامة الانسان وفرديته .
- ٢ - قيام الاسرة وأصالتها .
- ٣ - الناس جميعا لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتفوى .
- ٤ - المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقي .
- ٥ - الایمان بالبعث والحساب والجزاء .
- ٦ - السعى في الارض وبناء الحياة .
- ٧ - تحري الحلال والبعد عن الحرام .
- ٨ - تكامل القيم الروحية والمادية التي تشكل السلوك والاحساسي والتصرفات .
- ٩ - الایمان بالله الواحد الاحد خالق كل شيء .

هذه هي القاعدة الاساسية لعلم الاجتماع الاسلامى الذي حجبته مفاهيم العلوم الاجتماعى الغربية الوافدة ، والذى بدأ كتاب الاجتماع المسلمين يعيدهون صياغته من جديد استمدادا من القرآن الكريم ومتباينة لما قدمه ابن خلدون على ايمان راسخ :

اولا : بأن المجتمع الاسلامي يقوم على مفاهيم وعوائد وقيم يختلف عن المجتمع الغربي حيث يقوم المجتمع الاسلامى أساسا على وحدة الفكر وفق مفهوم عقلى وروحى مشترك وقد حقق الاسلام صهر جميع افراد المجتمع في بوتقة واحدة بالرغم من تباين اصولهم واختلاف جنسياتهم وتمكن من صهر مفاهيمهم وثقافاتهم في اطار التوحيد الخالص . ثم تكونت وفق هذا حضارة لها طابعها الذى يتسم بالتكامل والوسطية والتوازن .

كما قدم القرآن منهجا جاما لمفهوم التقدم وجعله هدف الحركة في المجتمع الاسلامى نماء وعمرانا وسعيا الى الكسب الحلال وبناء الحضارة .

ثانيا : يقوم بناء المجتمع على أساس الحب ، التكافل ، الاخاء ويتمثل تكوين الفرد ليكون بنية صالحة في بناء المجتمع .

فالانسان هو اعظم الاحياء وهو سيد الكون تحت

وقد جاءت هذه الغزوـة عن طريق تقليـد مناهـج الغـرب سـواء الرـأسـمـالية أو المـارـكـسـية ، وارـتـباط أـسـالـيـب السـلـوكـ والـعـيـشـ فـيـ الجـمـعـ الـاسـلـامـيـ بـهـذـهـ التـقـالـيدـ الـوـافـدـةـ .

ان المجتمع المسلم اليوم يضطرب اضطرابا شديدا بتيارات عديدة من الانحلال والانحراف الذى يجرى جريا مضطرا نحو الجريمة والإباحة فقد ضعفت زواجر الدين وحدوده ، وخففت عوامل الخوف من الحساب والعقاب وانطلقت في النفوس رغبات وأهواء ، وجاء ذلك نتيجة تقبل أسلوب العيش الغربي وفاهيمه دون تقدير لما يصلح ل مجتمعنا وما يجب أن نتجنبه . ولقد تقدـتـ المعـالـمـ اـمـواـلـ كـثـيرـةـ منـ الـحرـامـ وـتـخـاطـفـ النـاسـ هـذـاـ الـمـالـ دـوـنـ تـقـدـيرـ لـصـادـرـهـ ، وـاحـتـالـاـوـاـ عـلـىـ اـمـتـلـاـكـهـ ، وـكـانـ لـوـسـائـلـ التـسـلـيـةـ وـالـنـشـرـ مـنـ صـحـافـةـ وـاـذـاعـةـ وـتـلـفـازـ وـمـسـرـحـ اـثـرـهـ الـبـعـيدـ فـيـ تـحـوـيلـاتـ الـمـجـعـمـ نـحـوـ الـخـرـوجـ مـنـ آـدـابـ الـاسـلـامـ وـالـتـخـفـ منـ التـقـوـىـ وـالـخـوـفـ مـنـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ ، وـكـانـ لـهـذـاـ اـرـتـبـاطـاتـ بـمـؤـاـرـاتـ الـصـهـيـونـيـةـ الـزـاحـفـةـ إـلـىـ مـجـتـمـعـنـاـ ، وـفـقـ تـخـطـيـطـ مـرـتـبـ الـنـفـوذـ الـاجـنبـيـ مـنـذـ تـوـقـتـ الـنـفـوذـ الـعـسـكـرـيـ وـالـسـيـاسـيـ الـغـرـبـيـ وـخـفـيـتـ الـوـسـائـلـ وـالـاـدـوـاتـ مـنـ وـرـاءـ الـصـحـافـةـ وـالـمـسـرـحـ وـالـثـقـافـةـ ، وـمـنـ خـلـالـ مـؤـسـسـاتـ جـدـيـدةـ ، وـخـاصـةـ الـمـخـطـطـ الـذـيـ رـسـمـهـ الـغـرـبـ جـمـلـةـ لـلـسـيـطـرـةـ عـلـىـ بـلـادـ الـاسـلـامـ وـمـاـ قـامـ بـهـ الـاـمـرـيـكـيـوـنـ مـنـ سـيـطـرـةـ عـلـىـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ وـالـاسـلـامـيـةـ بـعـدـ اـنـسـحـابـ فـرـنـسـاـ وـانـجـلـنـتـرـاـ مـنـ الـمـنـطـقـةـ وـقـدـ رـتـبـواـ ذـلـكـ مـنـ خـلـالـ مـؤـسـسـاتـ تـبـشـيرـيـةـ خـفـيـةـ وـرـاءـ مـشـارـيـعـ الـاـمـمـ الـمـتـدـدـةـ وـعـنـ طـرـيـقـ الـمـعـوـنـاتـ الـخـارـجـيـةـ وـقـدـ تـنـامـيـذـلـكـ وـارـتـبـطـ مـعـ الـصـهـيـونـيـةـ الـعـالـمـيـةـ وـمـعـ نـفـوذـ الـشـيـوـعـيـةـ الـذـيـ سـيـطـرـ عـلـىـ بـعـضـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ سـنـوـاتـ الـمـيـتـيـنـاتـ وـمـاـ بـعـدـهـاـ وـمـاـ يـتـصـلـ بـفـرـضـ الـفـاهـيـمـ الـمـادـيـةـ ، ثـمـ كـانـ التـحـولـ مـنـ الـمـارـكـسـيـةـ إـلـىـ الـانـفـتـاحـ الـاـقـتـصـادـيـ الـذـيـ أـعـطـىـ طـرـيـقـاـ لـلـتـدـافـعـ نـحـوـ الـحـرـامـ وـالـانـفـاقـ عـلـىـ الـمـحـرـمـاتـ .. اـنـنـاـ نـنـظـرـ إـلـىـ مـجـتـمـعـنـاـ الـاسـلـامـيـ فـنـجـدـ عـدـةـ تـيـارـاتـ خـطـيرـةـ ..

- تـيـارـ المـخـدـراتـ وـلـهـ قـصـةـ طـوـيـلـةـ .
- تـيـارـ الـقـمـارـ وـلـهـ قـصـصـ مـذـهـلـةـ .
- عـلـبـ الـلـلـيـلـ الـقـىـ دـخـلـتـ الـقـضـاءـ وـكـشـفـتـ عـنـ فـنـانـاتـ وـقـوـادـاتـ .
- تـسـجـيـلـاتـ الـفـيـبـيـوـ الـقـىـ حـمـلـتـ الـبـوـمـ أـفـلـامـ الـجـنـسـ الـخـطـيرـ إـلـىـ الـبـيـوتـ وـلـىـ مـخـادـعـ النـوـمـ .
- رـحـلـاتـ السـيـاحـةـ .
- اـفـلـامـ الـجـنـسـ وـالـجـرـيـةـ الـقـىـ بـلـفـتـ غـايـتـهـاـ فـيـ الـهـبـوـطـ .

عـلـىـ نـقـاءـ الـضـيـرـ وـقـانـونـ الـاـخـلـاقـ الـذـيـ تـحـتـمـهـ عـقـيـدـةـ الـوـحـدـانـيـةـ وـشـرـيـعـةـ الـاسـلـامـ هـذـاـ تـواـزنـ بـيـنـ الـفـرـدـ وـالـجـمـاعـةـ هـوـ الـذـيـ شـقـيـتـ الـاـنـسـانـيـةـ دـوـنـ الـوـصـولـ إـلـيـهـ ، فـلـمـاـ فـرـدـيـةـ مـغـرـقـةـ فـيـ ذـاتـهـاـ أـوـ جـمـاعـيـةـ جـامـدـةـ تـصـبـ الـاـفـرـادـ فـيـ قـلـابـ وـاـهـمـوـاـ .

سـادـسـاـ : وـيـقـومـ مـفـهـومـ الـمـجـمـعـ فـيـ الـاسـلـامـ عـلـىـ وـالـجـمـاعـةـ وـيـقـيمـ الـتـكـافـلـ الـاـجـتـمـاعـيـ عـلـىـ اـسـاسـ الـاخـوـةـ وـهـىـ طـرـازـ مـنـ الـتـعـاطـفـ الـاـنـسـانـيـ مـنـ شـائـنـهـ أـنـ يـقـضـىـ عـلـىـ الـعـنـصـرـيـةـ وـالـتـقـرـيـةـ الـطـبـقـيـةـ وـيـحـرـرـ الـعـقـيـدـةـ مـنـ الـتـعـصـبـ . وـيـعـالـجـ تـوزـيعـ الـثـرـوـةـ مـعـالـجـةـ عـادـلـةـ تـحـولـ دـوـنـ تـكـيـيـفـهاـ فـيـ يـدـ فـرـدـ ، وـهـوـ فـيـ نـفـسـ الـوـقـتـ لـاـ يـقـضـىـ عـلـىـ نـشـاطـ الـفـرـدـ وـبـيـلـهـ لـلـبـادـاعـ بـلـ يـقـيمـ الـتـنـافـسـ عـلـىـ اـسـاسـ الـقـدـرـةـ وـالـعـدـالـةـ مـعـاـ .

وـقـدـ حـقـقـ هـذـاـ الـمـنـهـجـ خـلـقـ مـجـمـعـ مـتـواـزنـ تـتـكـيـفـ فـيـهـ اـرـادـةـ الـفـرـدـ مـعـ صـالـحـ الـجـمـاعـةـ فـيـنـماـ تـكـلـلـ الـجـمـاعـةـ الـفـرـدـ حـقـوقـهـ وـتـفـرـضـ عـلـيـهـمـاـ مـعـاـ وـاجـبـاـ يـقـومـ فـيـ الـدـرـجـةـ الـاـوـلـىـ عـلـىـ سـلـطـانـ الـضـمـيرـ وـقـانـونـ الـاـخـلـاقـ الـذـيـ يـحـتـمـهـاـ هـذـاـ تـواـزنـ بـيـنـ الـفـرـدـ وـالـجـمـاعـةـ .

سـابـعـاـ : وـفـيـ دـائـرـةـ الـمـجـمـعـ وـعـلـاقـةـ الـفـرـدـ بـالـفـرـدـ نـقـدـ اـمـرـينـ 1ـ الـتـعـادـلـ بـيـنـ ثـنـائـيـةـ الـفـرـدـ نـفـسـهـ وـبـيـنـ الـفـرـدـ وـالـفـرـدـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ . 2ـ الـتـواـزنـ بـيـنـ الـفـرـدـ وـالـجـمـعـمـ كـمـاـ يـقـرـ الـاسـلـامـ طـبـيـعـةـ الـاـنـسـانـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـاـ مـادـيـةـ وـرـوـحـيـةـ ، وـاقـعـيـةـ وـمـثـالـيـةـ ، وـبـذـاـ لـاـ يـحـوـلـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ مـتـاعـ الـحـيـاةـ الـمـادـيـ ، وـلـكـهـ يـحـوـطـ هـذـاـ الـاعـتـدـالـ وـدـوـنـ أـنـ يـنـتـجـ عـنـهـ عـدـوـانـ عـلـىـ حـقـ الـاـخـرـينـ وـدـوـنـ أـنـ يـتـخـذـ الـاـنـسـانـ مـاـ يـحـصـلـ عـلـيـهـ مـنـ جـاهـ وـمـكـانـةـ وـسـيـلـةـ لـلـلـطـلـمـ أـوـ الـعـدـوـانـ أـوـ الـاـفـسـادـ فـيـ الـجـمـعـ .

ثـالـيـنـاـ : وـفـيـ دـائـرـةـ الـمـجـمـعـ وـعـلـاقـةـ الـفـرـدـ بـالـفـرـدـ نـقـدـ اـقـرـ الـاسـلـامـ نـظـامـ الـاـسـرـةـ وـهـىـ أـصـفـ وـحدـاتـ الـجـمـعـ حـيـثـ تـقـومـ عـلـىـ اـسـاسـ الـزـوـاجـ بـاـشـرـاـكـ فـرـدـيـنـ ذـكـرـ وـانـشـ فـيـ حـيـاةـ وـاحـدـةـ ، وـهـوـ نـظـامـ لـاـ يـقـضـىـ عـلـىـ فـرـدـيـةـ الـرـجـلـ أـوـ الـمـرـأـةـ وـلـاـ يـطـلـبـ صـهـرـ أـحـدـهـمـاـ فـيـ الـاـخـرـ بـلـ يـسـتـقـىـ الـخـصـائـصـ الـفـرـدـيـةـ لـكـلـ مـنـهـمـاـ دـوـنـ أـنـ تـذـوبـ أـوـ تـفـنـىـ .

## الـوـاقـعـ الـقـائـمـ

وـلـاـ رـيـبـ أـنـ الـمـجـمـعـ الـاسـلـامـيـ الـقـائـمـ الـيـوـمـ مـخـلـفـ تـهـامـ الـاـخـتـلـافـ عـنـ هـذـاـ النـمـوذـجـ الـذـيـ اـقـامـهـ الـاسـلـامـ نـتـيـجـةـ الـتـغـيـرـاتـ الـقـىـ اـحـدـهـاـ الـنـفـوذـ الـغـرـبـيـ عـنـ طـرـيـقـ فـرـضـ مـفـاهـيـمـهـ وـقـيـمـهـ عـنـ طـرـيـقـ الـتـعـلـيمـ الـمـغـرـبـ وـعـنـ طـرـيـقـ حـجـبـ الـشـرـيـعـةـ الـاسـلـامـيـةـ عـنـ الـتـطـبـيـقـ وـعـنـ طـرـيـقـ دـخـولـ اـدـوـاتـ الـتـغـيـرـ الـاـجـتـمـاعـيـ الـخـطـيرـةـ فـيـ مـجـالـ الـعـلـيـاتـ الـاـجـتـمـاعـيـةـ وـالـاـقـتـصـادـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ .

النفوذ الغربي لهم الاسرة المسلمة ودفع المرأة المسلمة إلى ميدان الغواية تحت اسم الحرية وهو بذلك يرمي إلى تدميرها وجعلها أداة من أدوات المتعة بينما يرتفع بها الإسلام إلى أعلى الذرى .

أولاً : حرر الاسلام المرأة من الرق البشري الذي  
أشتتت به مفاهيم العلاقة بها في الاديان الاخرى وفي  
الغرب حتى العصر الحديث .

فقد قامت الحضارة الغربية على قاعدة أن ( المرأة متعة ) وهو مفهوم رومانى قديم يستمد جذوره من الحضارة الاغريقية القائمة على الفحش والشهوات ومن هنا نجد كان الاتجاه الغربى كله ولا يزال قائما على تحسين هذه المتعة وبهرجتها في ملابسها وحركاتها وكلماتها وقد زينوها وأقاموا لها كل ما يتصل بما يريد الرجل في متعته منها وفي نفس الوقت حرموها من الحقوق الحقيقية ، فالقانون لا يخصها حق استلاك ارادتها وحتى الان لا تأخذ القدر الذي يأخذه الرجل وان كاتا يعملن عملا واحدا ولا تستطيع ان تأخذ شيئا الا باذن زوجها او والدهما .

ثانياً : تبين أن المقصود من ( تحرير المرأة ) في نفوس دعاء التغريب من المسلمين هو تحريرها من دينها وخلقها وعائتها وعندما تكشف زيف هذه الدعوى استطاعت المرأة المسلمة أن تعرف وجهتها الحقيقة ، وأن تتمسك بالحدود والضوابط التي أقرها الإسلام راضية مطمئنة أيماناً بقوله تعالى ( وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ) .

ثالثاً: أن المرأة الغربية لما عرفت الإسلام خالفت نساء قومها اللاتي لا يحترمن أجسادهن وبظاهرهن مفاتنها للناس جميعاً، حيث تقول أهداهن وهي تنسى عن ضيق ملابس المرأة المسلمة: تقول:

لابد أن تكون تعلمًا كالاسلام مادمت قد اعتنقته عن  
ارادة واختبار ولا تكون كاذبة ولماذا الكذب ، ان احدا لم  
يخبرني على الاسلام ان جهادى في الاسلام هو التصدى  
لتصحیح سوء الفهم عن حسن نية او عن سوء نية الذى  
وقد فیه بنو موطني من علماء الاستشراق .

رابعاً : أمنت المرأة المسلمة بـأبن التضحية بـتحديد الابناء في سبيل العمل لـزيادة الموارد جريمة كبرى ، وقد كشفت الابحاث صحة ذلك وـفي مقدمة ذلك بحث الدكتور ابدا اليـن ( جـربـه اـيـفـنـجـ اـسـتـانـدـ ) الـذـي بـنـيـتـ فـيـهـ اـنـ سـبـبـ الـازـمـاتـ التـالـيـةـ فـيـ اـمـرـيـكاـ وـسـرـ كـثـرـ الـجـرـائـمـ فـيـ الجـمـعـ اـنـ الزـوـجـةـ تـرـكـتـ بـيـتـهـ لـتـضـاعـفـ دـخـلـ الـاـسـرـةـ فـزـادـ الدـخـلـ وـانـخـفـضـ مـسـتـوـيـ الـاخـلـاقـ ،ـ مـاـ يـسـتـدـعـيـ

وتمر المجتمعات الإسلامية اليوم بحالة من القلق الاجتماعي والفكري تغمر كل جوانب المجتمع ويبلغ هذا القلق ذروته عند الشباب طلاب العلم ومساوىء العصر تتكلّف الآن أمم الجيل الجديد حين يرى أن هذا الجيل ليس موضع تقدير الأجيال من حيث المثل الاعلى ، وهناك البيت الإسلامي وفساده واضطراب علاقات الرجل والمرأة واضطراب القيمة في الآباء والقدوة في الأم ، وأثر التعليم ( العلماني ) وخطار وسائل الاعلام والسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون والصحافة .

ولاشك أن المجتمع الإسلامي يعاني من أزمة اخلاقية كانت نتيجة لعهد من التسلط والاستبداد أهدرت فيه التقييم وامتهنت الحريات وديست الكرامات وكانت كلمة الحق تهوى ب أصحابها إلى جحيم الضياع والحرمان والعقاب والهلاك مكان من الطبيعي أن تقوم حياة المجتمع على النفاق والخداع والاحتيال والتسليس .

وأنتا لنجد عشرات الاتجاهات والمذاهب والمدارس التي ظهرت في المسرح والسينما والفنون التشكيلية والعلوم الإنسانية كذلك فان صراعات الدول الكبرى تمثل في مذاهب فلسفية وتيارات فنية في الرواية والقصة والقصيدة والشعر والقند وسدارس جديدة في المسرح والسينما والتصوير والنحت تتدفق على المجتمعات الإسلامية الأفلام الأجنبية ( في الجريمة والجنس ) وحيث تستورد البلاد ٨٤٪ من الأفلام ، وأغلب الأفلام من أمريكا ، ويتجه مضمون الأفلام المستوردة إلى الترفيه وتقديم الجريمة وال GAMBLING ويجسد التليفزيون العنف على شاشاته تجسيداً يغري النشر بصفة خاصة لمارسته ، ويوسّع دائرة الجريمة لما يكشف عن أساليبها وخفاءها كثيناً له أبعد الأثر وخاصة عند ضعاف النفوس وهو مما يشبع الخمول بين الصغار والكبار ويولد حالة من السلبية وينشئ جيلاً من الأئميين لادمانهم على المشاهدة ويقضى على عادة الاطلاع القراءة وقد استطاعت القوى الأجنبية أن تستخدم هذه الوسائل في افساد المجتمعات وترمى بعض الجهات أن تجعل من هذه الوسائل ملهاة تلهي النفس عن واقع الأمور الجارية .

## المؤامرة على المرأة المسلمة

## المؤامرة على المرأة المسلمة

لقد تبيّنت للمرأة المسلمة في السنوات الأخيرة مجموعة من الحقائق كشفت لها وجه الحق في تلك المؤسسة الضخمة التي أطلق عليها (حركة تحرير المرأة) وأثبتت الواقع والآدلة والوثائق الخطة التي دبرها

منطقة انطلاق اساسية لاي اصلاح اجتماعى وعلى اي مستوى وتعامل هذا بما انتهى اليه الغرب من اضفاء الشرعية على التزععات الجنسية والتمرد مما قضى تدريجيا على الدور الثنائى القىمى للاسرة (جيب ١، مفتى)

فوضع المرأة المسلمة في المجتمع الاسلامي مدخول نتيجة سيطرة المفاهيم والتقييم والثقافات عند الاسلام الوافدة على المجتمع ، وما تزال البلاد الاسلامية تعانى وتتأضل من اجل التحرر من تأثيرات القوى العلمانية وان كانت قد استسلمت لانماط السلوك والعادات .

ولابد للباحث المسلم من تحذير واع للخطر الذى يتهدى الاسرة المسلمة التي اصابها كثير من الاضطراب نتيجة الانحراف عن قيمها ومفاهيمها الاصيلة ، ولابد من العودة الى الالتزام بتشريعات الاسلام للاسرة .

١ - تيسير الزواج بين الشباب والشابات .  
٢ - غرس قيمة الایمان بالله في نفوس افراد الاسرة .

٣ - قيام الوالدين بمسئوليتهما في حماية ابنائهم من الانحراف وتنقيتهم وتقديم الاُسْوَة الحسنة والقدوة الطيبة .

## بناء الطفل المسلم

في طريق اسلامه المنهاج تجدنا في حاجة شديدة الى بناء الفرد المسلم منطلقا الى بناء الاسرة المسلمة فالمجتمع المسلم ، وتجرى عملية الغزو في مجال الطفل المسلم على نحو اشد قوة وابعد مدى ذلك لان بروتوكولات صهيون ( اساس عملية التغريب والغزو الثقافي ) قد اشارت الى ضرورة الاهتمام بالاطفال ونقلهم من محاضن الاسلام الى مجالات الاغراء والتدمير وبين هنا ظهرت هذه القصص المحرفة التي تلقن للاطفال سواء عن طريق المسرح او السينما او ادوات الاداعية او القصص المكتوبة حيث نجد سيلان عارما من هذه الادوات الفازية تحاصر اطفالنا وتقدم اليهم السومون او اوعية خلابة برائحة تخطف ابصارهم فيقبلون عليها في نهم شديد في غياب البديل عن الساحة التي تحميهم من خطر الثقافات الوافدة على حسهم ونظرتهم وذوقهم ، ومن شأن الاسلام ل بهذه التيارات - كما يقول الاستاذ عبد الرحيم محمد ابرهيم في رسالته ( الفوز والفكري للطفل المسلم وكيف نواجهه ) ان تحلهم الى نسخ محسنة من الافكار والعادات والتقاليد الاوروبية التي تناسبهم فينشئون وقد اهدرت شخصياتهم وأصبحوا غرباء عن ثقافتهم ومجتمعهم فتنتقطع صلتهم بجذورهم ويصبحون قابلين للصياغة في قوالب جديدة وفق المخطط الاستعماري المعد بذكاء ودهاء ومكر .

عوده الامهات فورا الى البيت حتى يعود للأخلاق حرمتها وللبناء الرعائية التي حرمتهن منها رغبة الام في ان ترفع مستواهم الاقتصادي .

خامسا : اثبتت الابحاث التي اجراها المركز القومى للبحوث الجنائية ، ان التقصير في رعاية الابناء هي المشكلة رقم واحد في حياة ٨٣ في المائة من النساء العاملات فضلا عن المشاكل الاخرى وهى :

١ - عدم رعاية الزوج . ٢ - التعرض للاختلاط .  
٣ - الجمع بين العمل وأعباء المنزل . كما اظهر البحث ان ٥٢ في المائة يؤيدون عودة المرأة العاملة الى المنزل خلال فترة تربية الاطفال ، ذلك ان اكبر قدر من اجرها يضيع على استخدام وسائل النقل والاستعانة بالشغالات .

وتقىول الدكتورة ناهد رمزى ان المجتمع مازال يلعب دورا خطيرا وسلبيا في علاقة المرأة بالعمل في مفاهيمها وقيمتها الثقافية التي مازالت ترى ان العمل قيمة ( ذكرية ) .

سادسا : تبين أن المنهاج الدراسية تعامل المرأة سعاملة الرجل ولا تقدم لها مناهج خاصة تربى فيها وجدانها وكيانها الانثوى ولا تعنى ب مهمتها الحقيقة وما يتعلق بالزوج والطفل والاسرة .

سابعا : ان قضية المساواة بين اجنسيين قضية باطلة اساسا من ناحية محاولة تصور الرجل والمرأة وكأنهما جنس واحد ، دون مراعاة التركيب البيولوجي والمهمة الاساسية لكل منهما على النحو الذى نظمه القرآن الكريم ( الذى قرر القوامة للرجل وجعل له درجة تمكنه من قيادة السفينة ، فالالتزام الاسلامي يؤكّد على تبادلية الاعتماد داخل الكيان الاجتماعي ، والتمايز في الادوار ، هذا التباين القائم على نوع الجنس باعتباره تكاملا داخل النسق الاسرى وليس باعتباره للتفضيل بين جنس وآخر على أساس ان التفرقة بناء على لافضلية أمر مرتبط بتقالييد الغربى في العصور الوسطى ولا يتوافق مع مبادئ العدل والمساواة في الرؤية الاسلامية ، ( على حد تعبير السيدة لويز لماء الفاروقى ) .

ثامنا : ان تعدد الزوجات في الاسلام ليس تجنيا ولا انتهاكا للاحترام الواجب لوضع المرأة ، بل هو تشريع يمتاز بتسهيل على خلق الله واستخدامه ، من حيث أساسه تقوى الله ، وهو بعيد كل البعد عن التصور الغربى له .

## الأسرة المسلمة

قدر الاسلام اهمية الدور الذي تقوم به الاسرة ونظمها في البناء الاجتماعي .. فالاسلام يرى في الاسرة

ويتحتم على رجال الدعوة الإسلامية العمل على بناء أدب الطفل الإسلامي في مواجهة أخطار الفكر الواحد المنثور الان في طول البلاد الإسلامية وعرضها وأن تقوم معاشرة إسلامية لحماية الطفل المسلم وتوجيهه واختبار المادة الملائمة للسن ، وتبسيطها بالطريقة التي يستوعبها عقله وأن يقدم بأسلوب مشوق للمتابعة ، وخاصة في مجال الأحداث التأثيرية والبطولات الفردية والشخصيات الإسلامية في مجال الشجاعة والبناء ، ويقوم الأدب الإسلامي للطفل على أساس حماية هذا الطفل من الأخطار التي تواجهه في مطالع حياته وفي دعه اتصاله بالمجتمع على تدرج وبساطة وبعدها عن الحشو ووالتعميد وتخويف الأطفال بالنار وأن تقدم لهم صورة بأسلوب بسيط يرمي إلى حبيب الشواب واجتناب الأخطار والبحث على السلوكيات الجيدة ، وأن تكون الوجهة مستمدة من الأسلوب القرآني الذي يجمع بين الترغيب والتحبيب في الشواب كما يجب حمايتم من الآراء المثيرة للجدل والاستغراب ، ومن أسلوب الانفعال .

وأخطر ما نحمني منه الطفل تلك القصص الإسطورية الغربية التي تشوّه مزاج الطفل المسلم وترسم في عقله الباطن صورة بطلية زائفة لبطل غربي خيالي أمثال طرزان وغيره مما تمتلئ به مجلات ميكى وسمكي حيب وسمير ميكى وسميرمان وهي كلها تصدر وفق خطة مشبوهة .

وفي كتب التراث الإسلامي صور وموافق رائعة تفتح الذهن وتنمي الخيال وتعطى الطفل المسلم بناء ضد الثقافة الواحدة المرتبطة بالتفكير الادبي .. ولنعلم أن شبابنا المسلم اليوم يعيش في فراغ ثقافي واسع ، وهناك اغراءات كثيرة يجب حمايته منها بتقديم البديل ، الذي يبرز القيم الإسلامية الرشيدة ويعكس معالم النفوس الندية المتعطشة إلى حب الخير والأنسجة الحسنة .

وحتى يمكن إنفاذ هذه الفایة الخطيرة فقد رصدت الأموال الطائلة وامتلات أسواقنا بالعديد من مجلات وكتب وصحف الأطفال المترجمة عن اللغات الأوربية ، ولا يكفي خطر تيار الترجمة العميق فان كتاب التغريب في بلادنا يقدمون ( أدبا عربيا ) زائف يستلزم النموذج الغربي ويركز على غايتي الامتناع والتسلية ويسرق في أمرين : ١ - في قصص المغامرة والخيال والخوارق والاساطير . ٢ - وفي أحياء العادات البالية التي يعرق فيها مجتمعنا والتي لا تمثل قيم الإسلام بقدر ما تمثل عادات موروثة من عصور قديمة كثيم التسيم وحفلات الزار وتقاليد الموتى والافراح وغيرها . فان التركيز على هذه التقاليد التي يحاربها الإسلام والتي تعيش في البيئة وهي خارجة عليه ومستمدة من مفاهيم وثنية قديمة ، من شأن أحياها وتلقيتها للأطفال أن تشبع نفوسهم وهي تعتقد أنها من أصول القيم والعادات الطبيعية . ولعل هذا العمل الذين يقوم به كتاب عرب أشد خطرا من القصة المترجمة ، ونحن نهدف إلى تربية جيل جديد من الأطفال يكون أشد تمسكا بدينه عارفا بوجوه الخير والشر وما أمر الله به وما حرمه حتى تطمأن على أنه يكون قادرا على مواجهة التحديات والسموم التي بينها الاستشراف والتباشير ودعاية الشعوبية والتغريب .

وهنا يجب أن نركز على مسؤولية الآباء والأسرة (١) في حماية الأطفال من هذا السيل الواحد وحسن اختيار ، ما يصلح (٢) وفي تنقيف الطفل إسلاميا وشاعرة روح الایمان فيه ولو قصر في ذلك الكتاب المدرسي ويأتي بعد دور الآباء في القيادة والتوجيه المدرسي وأمام المسجد ولا يكفي في رعاية الطفل تزويده بالثقافة الإسلامية فحسب بل يجب حثه إلى أداء الشعائر وأن تعمل الأسرة على ربط أفرادها بالفروع ووقت الأذان .

# الباب التاسع

## القرآن الكريم : مدخل إلى صياغة

### إسلامية للعلوم

نفسه وان دراسة القضايا الاجتماعية لابد أن تتم كما حددتها الاسلام وان يكون المنظور الاسلامي واضحا ونحن نجري البحث الميدانية في المجتمع الاسلامي .

( ٢ )

ويرى الباحثون في علم الاجتماع الاسلامي ان يجري التحرك في مجالين مختلفين معا : الاول ان تكون نقطنة البدء — بعد القرآن الكريم هي القواعد التي ارساها ابن خلدون وهي منطقة فعلا من فهمه العميق للقرآن الكريم ، ثانيا : مراجعة وتقديم النظريات العربية في علم الاجتماع على ضوء التقسيم الاسلامي لها وليس العكس عن طريق مجموعة من علماء الاسلام واساتذة علم الاجتماع لوضع اسس هذا العلم بعيدا عن هؤلاء الذين تشعروا بعلم الاجتماع الغربي ونسوا انتمامهم الاسلامي .

وقد كتبت في السنوات الاخيرة ابحاثا كثيرة حول بناء قواعد المدرسة الاسلامية لعلم الاجتماع .

( ٣ )

صياغة المسلم صياغة تتزوج فيها الدينى بالدنوى على انهما وجهين لعملة واحدة بحيث يصبح الاحساس الداخلى الفردى اجتماعيا ينتقل حتيما من الانانية الى الغيرية ، ويجعل طاقاته الكاملة وقدراته الظاهرة منطقة اخدمة المجتمع والعطاء الخير وفق مفهوم الدنيا مزرعة الاخرة .

وعندما بزغ الاسلام انشأ رابطة اجتماعية جديدة قامت مقام رابطة الدم والعرق والنسب هي رابطة الاخوة المتميزة بالتضحيه والبذل وحماية الضعفاء بالزكاة التي هي حق الله وحق المجتمع ، واجراء الجماعة من الفساد والظلم الاجتماعي .

( ٤ )

ان الاسلام في قرآنها وسنته سنة محمد عليه الصلاة والسلام يطرح قواعد عامة وخطوطا عريضة يزيد بها ان يشكل الارضية الصلبة التي تتحرك عليها

( ١ )

دعا قادة اليقظة الاسلامية الى صياغة اسلامية للعلوم : الاجتماع والاخلاق والنفس والى صياغة لمجتمع اسلامي في الادب ، بعد ان تبين عجز معطيات المنهج الغربي عن العطاء في مجال الاسلام وتعارض مفاهيمها في مجال التطبيق في المجتمعات الاسلامية ومن هنا قدم العلماء المسلمين تصورا اسلاميا تنطلق منه الصياغة الاسلامية للعلوم ، على النحو الذى قدمه الدكتور محمد المبارك الذى يرى ان التصور الغربي للوجود منحصر كله في الانسان والطبيعة ، والعقل عندهم طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخر ، وأن الانسان سيد نفسه وهو في نفس الوقت حيوان اجتماعي مفكر فحسب وليس النفس الانسانية الا مجموعة من الغرائز ، وفي مقابل هذا التصور القاصر يتقدم الاسلام تصورا مختلفا ، فالتصور الاسلامي يعتبر الانسان والكون ليسا وحدهما في الوجود بل كلاهما يبتدئ من الله وينتهي الى الله سبحانه وتعالى وأن الطبيعة اوجدها الله وهي تسير على سفن مطردة ، وأن العقل ليس وحده أداة الوصل الى الحقيقة ، بل هناك طريق آخر هو الوحي وأن الانسان ليس حيوانا مفكرا فحسب وأن الله هو المشرع للانسان والنبوات منذ بداية الخلق هي الصلة بين الانسان والله ( تبارك وتعالى ) .

ولكى يقوم تصور اسلامي لعلم اجتماع اسلامي لابد من خطوات خمس تعتمد بصفة اساسية على ماورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة :

أولا : اشارة القرآن الكريم الى الطبيعة الاجتماعية الانسانية .  
ثانيا : اشارته الى الحوادث والظواهر الاجتماعية والطبيعة .

ثالثا : ارتباط حوادث الطبيعة ببعضها ببعض .  
رابعا : اشارة القرآن الكريم الى قوانين الظواهر الاجتماعية او سفن الله تعالى في المجتمع الانساني .  
خامسا : التغير والتغيير وكثرة تحدث القرآن عن تبدل الاجيال وهلاك الامم . . ومن هنا يتبين ان تكون بيننا ميتافيزيك علم الاجتماع منطلقا من مصدر الاسلام

والاسلام هو الذى بين ان ظواهر الكون تخضع لقوانين النسبية و أكد على عالمية العلم سواء في الاخذ أو العطاء (دكتور يوسف محمود).

والواقع ان عطاء الاسلام للبشرية ، للحضارة ، للعلم هو صفحة من اروع الصفحات التي سجلها تاريخ الإنسانية ، و مع ذلك فانه مازالت سحب كثيفة تسيطر على آفاق البحث ، مرجعها الى احقاد الاستشراق والتبييض التي تعمد الى تزييف الحقائق والتقليل من حجم الاحداث والتى تهدف بهذا الى الغض مندور الضخم العقيق ، الذى قامت به الحضارة الاسلامية خلال الف سنة كاملة قبل ان تدخل مرحلة التوقف عن العطاء .

ولقد سبق مفكرو الاسلام علماء الغرب على تتنين مختلف للعلوم الطبيعية الطبية والكيمائية ، التي نمت بعد ذلك نموا حجب مع الاسف مصادرها الاولى ، ولقد عاد بعض المنصفين في السنوات الأخيرة ليؤكدو ان أعمال : ابن سينا - الزهراوى - ابن النفيس - ابن الهيثم ، الخوارزمي ، جابر بن حيان ، البوزجاني ، البيروى ، الصولى ، ابن يونس (في الرياضيات واللكل والطبيعة ) كانت بمثابة المصابح التي أضاعت منها اوربا قناديلها والمصادر التي استقت منها نظرياتها وقد قدم العلماء المسلمين نظريات الجاذبية وسرعة الضوء والراديات الفلكية وتحضير المركبات ووصف النباتات والحيوانات والادوية الفردية والمركبة مما كان بمثابة الزاد الذى اعتمد عليه النهضة الوربية وانتشرت في جامعات باريس واسكسفورد وكمبردج وغيرها .

وقد أشار المؤرخ الغربى (هوثير) الى ان العرب وال المسلمين هم الذين انشأوا علم (نقد الاخبار) اذ كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والاعيام ، وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم عند اليونان والرومان وأوربا في العصور الوسطى ، و قال المؤرخ (بكى) : ان التوقيت على هذا النحو لم يعرف في اوربا قبل عام 1597 وان طريقة النقد التي انصبت على الرواية صارت الى حد كبير صحة الاخبار المتصلة بالقسم التاريخي من السيرة وبحوادث الدولة الاسلامية ومن ناحية أخرى نرى أن (بيكون) رفض الاساس الذي قائمت عليه الفلسفة طوال عصورها الوسطى ، ايمانا منه بأن هذا الاساس لا يمكن أن يؤدي الى علم جديد ، وهذا الاساس هو المنطق ان القياس المنطقى ، وأعلن بيكون : أن القياس المنطقى وسيلة عقيدة لأن عليك ان تسلم بمقدماته تسلیما لا يجوز فيه الشك ، أما الاساس الذي وضعه بيكون للبحث هو (اللحظة والتجربة) وكان في ذلك متابعا للنموذج الاسلامي ، فقد سبقه الى هذا الحسن بن الهيثم الذى ماتزال اراؤه تحتل مكان الصدارة

العلاقات الاجتماعية فالقرآن يحدد موقف الانسان من العلم وطبيعة دوره فيه والغاية التي خلق لها والمصير الذى يسعى اليه من خلال ممارسته الواقعية .

ويدعو القرآن الكريم الى مجتمع متوازن يحصل فيه الاغنياء والفقراء على قدر كامل من العدل والترابط ، ويعارض ظاهرته الترف والفنى الفاحش لأنهما ينقضان فكرة العدل الاجتماعي ، وفي مقابل هاتين الظاهرتين يقدم القرآن دعوة البذل والاحسان والغيرة والغفور ويدعو الى توزيع الفرد على جميع الفئات المحتاجة في المجتمع .

## اسلمة العلوم

نشأ العلم التجاربى في رحاب الاسلام ، وكان مصدره القرآن ، ثم تلقته ايدى الاوربيين فصاغته صياغة مادية وثنية أخرجته من مفهومه الاسلامى الاصيل اولا : نسبوه الى الانسان والطبيعة وتجاهلوا الخلق الاعظم ..

ثانيا : فرقوا بين المادى والنفسى .

ثالثا : فرقوا بين النظرية والتطبيق .

رابعا : اعملوا شأن الجنس والعنصر والدم وهضموا حق الاسم الملونة .

خامسا : اسرفوا في جهة الصناعة الاستهلاكية .

سادسا : وضعوا البشرية على حافة الدمار بصناعة الاسلحة الذرية والصواريخ العابرة للقارات .

سابعا : هضموا حق الام مالكي الخامات وأعملوا شأن الام القائمة على الصناعة العالمية .

ثامنا : غرضاوا النظام الربوى وسيطروا به على العالم الثالث .

ونتيجة للاخطار التي حاقت بالامة الاسلامية نتيجة هذا التحول الخطير ثان المسلمين مطالبون بأسلمة العلوم وعادتها الى احضان الاسلام مرة اخرى .

وذلك يكشف عن حقائق :

1 - الاعتراف بفضل المسلمين على الحضارة المعاصرة .

وأن المسلمين هم أول من وضع الاسس الصحيحة للبحث العلمى ، يظهر ذلك جليا في أبحاث الحسن بن الهيثم والبيرونى وأن التفضل الرئيسي هو الاسلام الذى أثار الابصار وحث على النظر والتفكير في المحسوسات وعلى البحث عن الدليل والبرهان في الاراء والافكار .

ثابتة وغير متفيرة بفضل تدقيق الفلكيين العرب وتجريهم وحساباتهم الدقيقة أثبتوا أن انحراف سميت الشمس يأخذ تدريجيا في النصان وكان الفرغانى هو أول من اكتشفه ، كما كان المسلمين أول من راقبوا تغير أوج الشمس الذى وصفه اليونان بأنه طول واحد ، وانتصر تجريب المسلمين وانهزمت نظريات أرسطو وبطليموس .

وعلينا أن نضيف إلى ذلك أن الغرب حين أخذ ما أخذ من التجريب الإسلامي قد باعد بين نفسه وبين المفهوم الأصيل لهذه القيم والأساس العميق الذى قامت عليه الحضارة الإسلامية فلم يقبل في مجال العلوم تحركها في إطار الرحمة ولم يقبل في مجال الاقتصاد دفعها في إطار الأخاء البشري ولم يقبل في مجال القانون جعلها واحدة للبشرية كلها كما غيب عنها أن تكون الوجهة خالصة لبناء المجتمع الربانى وإنما أقامها على أساس الاستعلاء بالعنصر وسيطرة القوى على الضعفاء وسحق الصغار واعتبار الغربيين وغيرهم سادة وكل ساحولهم عبيد ولما احتل بلادهم استولى على مقررات الشعوب من الطاقة ومنذور الأرض ووجهه في سبيل بناء حضارة استهلاكية قائمة على الخمر والربا والاباحية والترف وبذلك أدخل البشرية كلها في عالم الإزمة الخائفة .

٣ — وقد أشار كثير من الباحثين المسلمين إلى الدور الخطير الذى قام به ( القرآن الكريم ) في بناء العلوم الإسلامية ، حيث أنه من منطلق المصطחات القرآنية تحددت علاقة الإنسان بالكون :

فالتفكير الذى ألح عليه القرآن في عدد من الآيات هو الذى يؤدي إلى الاكتشاف .

ومن التسخير الذى أورده القرآن في مواضع عديدة هو الذى علم الإنسان سعادته على الكون .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : أنه بعد مائة عام من نزول الآيات القرآنية التى تمت على ( التفكير والتسخير ) استوعب المساهمون علوم ذلك الزين وأضافوا إليها وظلوا سادة العالم مدة ستمائة عام سطع منها أسماء الرازى وأبن حيان والخوارزمى والبيرونى وأبن النفيس وغيرهم ولم يظهر اسم أوربى واحد في مجال العلوم الا بعد عام ١١٠٠ م ولكن علماء المسلمين استمروا في عطائهم مدة ٥٠ سنة بعد ذاك إلى أن توقف العطاء .

والسؤال هو : لماذا بحث علماء المسلمين وطوروا تلك العلوم في الفرون ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ للميلاد .  
هناك ثلاثة أوجه محتللة :

في الرياضة والبصريات ، وهكذا حدث ذلك التحول الخطير ، في الفكر الغربي من القياس المنطقي وفق المنطق الإرسططاليسي إلى المنهج الاستقرائي ، الذى وضعه علماء المسلمين ، وقد لجأ هذا الفكر إلى التجربة التى أطلق عليها اسم ( الاختبار ) بل أن الفضل الأكبر في نجاح الرحلات البحرية الاستكشافية يرجع إلى ما كتبه أحمد بن ماجد وما قدمه المسلمين من المراجع الجغرافية التي ترجمت ، ومدرسة الخرائط التي قامت في جزيرة مبورقة ، معتمدة على جهود العرب السابعة وقد كان الفضل الأكبر في نجاح فاسكودى جاما هو مصاحبة ابن ماجد له ، وهو الذى قاده من شرق أفريقيا وأوصله إلى الهند .

٢ — أن المسلمين حين أخذوا علوم السابقين قوموا أخطاءها ، فنقدوا كتب أرسطو وبطليموس وغيرهما وعلقوا وأضافوا عليها ولم يقبلوا من التراث القديم إلا ما كان متفقا مع مفهومهم الأصيل القائم على التوحيد والاخاء البشري وكان أبرز عمل قام به المسلمين هو أنهم أنشأوا ( علم سنن الكائنات ) عن طريق التجريب الذي كانوا يسمونه الاختبار .

● في مجال الفلك والطبيعة جاءت جداول الخوارزمى والتبانى وأبن يونس عملا رائدا وصفه الباحثون الأوروبيون المحدثون : بأنهم توصلوا في نهاية القرن العاشر إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في رصد الكواكب والنجوم بالعين المجردة .

● في مجال علم النجوم والحركات الفضائية ( أبو العباس أحمد الفرغانى ) صاحب كتاب الكامل في الاسطرون وجواجم علم النجوم وقد قام بقياسات طول خط الأرض المستقيم وكان أول من ادرك أن مدار الشمس والكواكب يجري على مر الزمن في اتجاه خلفي وتلتمذ عليه أبناء شاكر وثابت بن قرة .

● في مجال الضوء جاء العملاق ( ابن الهيثم ) بكتابه علم المناظر الذى يعتقد عليه روجر بيكون ( ١٢٩٤ ) وليونارد دى فنشى — ١٥١٩ وجاليليو — ١٦٤٢ وهم مؤسسو البحث العلمي الحديث .

وقد أجرى ابن الهيثم التجريب بواسطة الخزانة ذات الثقب التي هي في الواقع صورة للة التصوير ، وتمكن من وضع نظريته حول مسيرة الضوء وسيطرت نظرياته في الفيزياء والبصريات على علوم الغرب حتى يومنا هذا .

ومن ناحية أخرى دحض الفلكيون المسلمين النظريات القديمة التي قالت بأن الظواهر الطبيعية

بطريقة تسليم المفتاح وهذا الاسلوب لا يفيد علماءنا ولا مهندسينا بشيء وهذا يجعلنا مستهلكين لا مبدعين للتكنولوجيا » .

( ١ )

## أعادة كتابة العلوم الإسلامية

ومن هنا نشأت فكرة إعادة كتابة العلوم الإسلامية على النحو الذي حدده دكتور زغلول النجار على هذا النحو :

أولاً : ان المسلمين حين تربوا على الإسلام أدركوا ان قضية الاهتمام بالناحية العلمية هي قضية تبعية بالدرجة الأولى وليس مجرد الحصول على شيء من القوة أو الغلبة أو التسلط في هذه الدنيا ، فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى في هذا الكون فهو يتعرف على خالقه ، ولقد أحصيت عدد الآيات القرآنية التي تحض الإنسان على النظر في الكون فوجدتها تفوق ( ٧٥٠ آية ) إلى جانب أن القضية لابد منها للقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني وتسخير الكون لـ أراد الله ( تبارك وتعالى ) .

ثانياً : لم يفرق الجيل الأول من المسلمين ( وهو الجيل القووة ) بين العلم التجريبي وبين العلوم الشرعية من الفقه والتفسير ، فكان المسلم فلكياً ومسيراً وطبيعياً وفقيهاً . ان أهم ما يشكو منه العلماء الآن قضية التقليت في المعرف ، فالالتخصيص الدقيق جعل الناس ينحصرون في دوائر ضيقة فجاعت نظرتهم للحياة نظرة جزئية جداً ، نظرة غير إنسانية لأنها غير متكاملة ، ان النظرة الكلملة هي التي يستطيع الإنسان من خلالها التعرف على قوانين الله ( تبارك وتعالى ) في الكون والقيام بواجبات الخلافة في الأرض على أحسن وجه ، فكلما تعرف على قوانين أكثر كانت قضية عمران الحياة على الأرض أيسر ولا يمكن أن تتحقق وظيفة الإنسان الشرعية على الأرض بـ مالم يحصل على العلم التقني والمجتمع الإسلامي يحتوى على كل التخصصات ، وتبقي العلوم الشرعية ( وهي ما ينفهم من الدين بالضرورة ) غرض عين على كل مسلم ، أما فيما وراء ذلك من التخصصات فمتبقى قروض كفمية .

ثالثاً : التصور الإسلامي لقضية العلم ، تختلف عن التصور الغربي الأوروبي حيث يتلقى العلم اليوم من خلال فلسفة ، حمل العالم الإسلامي ثراث البشرية ، من المعرف في الحضارات السابقة والمعاصرة لبعثة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) حضارة الفرس والروم والهند والصين وبصر القديمة ، جميع كل ذلك وصفاه بمنطق النظرة الإسلامية الصحيحة وأضاف إليه اضافات أصلية ،

١ - ان السبب وراء ذلك هو اوامر القرآن الكريم بالبحث والتفكير .

٢ - مكانة العلماء ورجال المعرفة في الإسلام : ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون )

٣ - اعتراف الإسلام بالطابع العلمي للعلم فهو لم يجر على أتباعه تلقى العلم من أي مكان كان فالحكمة ضالة المؤمن .

والمجتمع الإسلامي نفسه مجتمع إنساني لا يعطي اعتباراً لللون أو العنصر أو الإقليم الجغرافي وأول مجتمع إسلامي في عهد الرسول جسد هذا المفهوم وقد بدأ العطاء العلمي في المجتمع الإسلامي بالتراوح بعد عام ١١٠٠ م وتوقف نهائياً عام ١٣٥٠ م ، لماذا لا أحد يعرف بالتحديد !

هناك عوامل خارجية تمثلت في غزو المغول وتدمر بغداد . ولكن العوامل الداخلية هي الأهم وتمثل في لجوء المسلمين إلى ( التعليق ) بدلاً من ( التفكير ) وكذلك في انزعالهم عما كان يجري في العالم وخاصة في أوروبا ، وعندما بدأ المسلمون يحسون خطر التقني الأوروبي في القرن ١٨ حاولوا للحصول على المنتجات التكنولوجية وخاصة العسكرية منها ، وهذا الاتجاه لا يزال سائداً حتى الآن ، اتجاه الحصول على المنتجات قبل استيعاب المفاهيم العلمية التي قاموا بها وهذا يدل على جهل العلاقة الرئيسية بين العلم والتكنولوجيا .

علينا أن نعترف أولاً بأنه ليس هناك طرق قصيرة للتكنولوجيا فأولاً : يجب أن تصبح العلوم الأساسية جزءاً من ثقافتنا ، وهذا هو الطريق للسيطرة على العلوم الطبيعية ، وعلى التكنولوجيا وعلى الذين يدعون إلى ( نقل التكنولوجيا ) أن يدعوا أولاً إلى ( نقل العلوم البحثة ) وعليها في الطريق إلى استعادة أمجادنا العلية وأن نركز على « التدريب » العلمي التقاسي لننمي طاقتنا البشرية العالمية ونسعى لاكتساب العلوم الأساسية والطبيعية ونخصص مالاً يقل عن ١ - ٢ % من الدخل القومي للبحث والتطوير العلمي وتخصيص ربع هذه النسبة للعلوم البحثة ، فما هو بحث الآن فهو تطبيقى غداً ( النسبة المذكورة تعادل ٤/٨ مليون دولار ) وحيثما لو أسس اتحاد للعلماء المسلمين على هيئة مؤتمر علمي إسلامي بحيث يتمتع العالم المسلم بحرية التنقل والإقامة والبحث في أي بلد أو مفهوم علمي كما كان مطبقاً أباً إبراهيم وابن سينا وغيرهما دون أن يكون للانتماءات السياسية أثر على ذلك .

أن الأسلوب الحالي في نقل التكنولوجيا للبلاد الإسلامية غير مثمر ، لقد اتفق العالم العربي وحده ( ٤ مليارات دولار ) في عام ١٩٧٨ على عقود تكنولوجية

الرؤى العلمية طاقات هائلة لاستكشاف الطبيعة واستغلالها ولكن يجب التفرقة بينها وبين العلوم الاجتماعية والانسانية لمفهوم التجريب وقوانين العلم الاجتماعي والانسانية لمفهوم التجريب وقوانين العلم المادي ، وخطأ العلماء الاجتماعيين في أن استنتاجاتهم غير مكتملة ، ومن هنا كان العلوم الاجتماعية تعد ناقصة ومن ثم فهي غير ذات جدوى بالنسبة لطلاب العلم المسلم .

ان الاسلام يؤكد أن وصايا الله أو الامر الاخلاقى يعد بالضرورة خاصا بالمجتمع ، انه بالضرورة يتصل بالنظام الاجتماعى في الامة ولا يمكن أن يسود الا بهما فقد تجاوز الاسلام تحدى الفضيلة المسيحية ، في حين أن المسيحية عرفت ( الخلاص ) في اطار النية اي الشعور الشخصى في لحظة معينة فان الاسلام قد عرفه عن طريق العمل ( الحياة العالمة في اطار الزمان والمكان ) فقد صاغ الاسلام اليمان بالاخرويات من اجل تدعيم ذلك الصرح التاريخى من الافكار والقيم والقوانين والمؤسسات وجعل القيم الدينية والاخلاقية ليست قيمة فردية ولكن في اطار الامة .

اما المجتمع الغربى فقد فصل بين العلوم والقيم الجوهرية تحت اسم مبدأ ( الواقعية ) مما ادى الى التدهور الاخلاقى الحتمى للمجتمع ، لقد كان من نتيجة البحث الجنسي المحرر الذى اجراء ( كبرى ) هو تحول الانتباه عن الزنا وتركيزه على مفع الحبل .

والغرب يقيم فكره على الفصل بين القيم ، الفصل بين النظرية والتطبيق ، الفصل بين العلوم والاخلاقية ، الفصل بين العلم وبين الالتزام الفردى .

ومن هنا غلاب من اضفاف الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية سواء كانت تتصل بالفرد او الجماعة ، بالانسان او الطبيعة ، بالدين او العلم ، حتى تعيد تنظيم نفسها تحت لواء مبدأ التوحيد :

**( الله تبارك وتعالى الخالق سبب الاسباب )**

**وهدف وغاية لكل شيء في الوجود )**

وأن توجه المعرفة لللتزام بأمره بالنطء الالهي الذي أوحى به حتى تجلب السعادة والهناء للبشر .

اما العلوم التاريخية الانسانية ، فيجب أن تعنى بخلافة الله على الارض اى خلافة الانسان والدراسة الاسلامية ترفض الاعتراف بتشعب العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية بل انها تتطلب اعادة تصنيف فروع الدراسة وتقسيمها الى العلوم الطبيعية ( التي تتناول الطبيعة ) والعلوم الخاصة بlama التي تتناول الانسان

وحين أخذته عنه اوربا بعد ذلك عن طريق المدارس الاسلامية في الاندلس وجنوب اوربا بصفة عامة ( صقلية وجنوب ايطاليا ) ظهر الفارق واضحا ، فالمسلمون لم يجدوا في تعاليم الاسلام وأصوله ما يمكن أن يقف حائلا دون نشاطهم العلمي بل وجدوا في القرآن احاديث الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ما يدفعهم الى ذلك دفعا ، بينما كان الموقف مختلفا تماما في عصر النهضة ، منذ ما بدأت اوربا تأخذ بالاسباب انطلاقا من القاعدة التي علمتها لهم الامة الاسلامية ومدارسها في شمال افريقيا وجنوب اوربا .

رابعا : قدم المسلمين الدليل الذى حطم الاسطورة الواهدة عن ضرورة الفصل بين العلم والدين ليحصل التقدم ، فقدمو نماذج على أعلى درجات من التخصص العلمى والتفوق ، وفي نفس الوقت تمثل أعلى مراتب التصور والفهم الاسلامى والثقافة الاسلامية .

خامسا : النظام العلمي الغربى بالرغم من تفوقه الملحوظ في بناء قواعد تعليمه وتقنيه جديدة ، فهو ينهر من ناحية بناء الانسان ، والمشكلة ليست في العلم فحسب ولكن في خلق العلم وهدفه المفقود في الفلسفة الغربية وليس في المعرفة بقدر ما هما في أخلاق المعرفة .

سادسا : لقد كتب الغرب العلوم من منطلق الحادى صرف ، ثم نقل ذلك الى العالم الاسلامى فلما انتهت الى المسلمين نفروا منها ورفضوها .

سابعا : رؤية الاسلام الوسطية جعلت الاسلام قادرا على أن يقدم للبشرية الحل الأمثل لانه منهج وسط لا يميل الى اى جانب من الجوانب المطرفة ، وأنه النظام الروحي الوحيد الذى يستطيع ايقاظ ضمير الانسان ويجعل من نفسه على نفسه رقيا ذلك ان فهم المسلم اطبيعة مهمته في الحياة ( عبادة الله والاستخلاف في الأرض ) مهمة أساسية لأن كلا الجانبين في مهمته يمكن للآخر ، ان فهم رسالة الانسان في هذا النطاق يحقق مفهوم الاسلام في التعبد لله سبحانه وتعالى والسعى وراء الرزق في نطاق اليمان بالله والسعى في كسب العلم في اطار من اليمان .

( ٢ )

## صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية

وفى نطاق أسلام العلوم تعللت الصيحة الى صياغة العلوم الاجتماعية صياغة اسلامية وقد كتب الاستاذ اسماعيل الفاروقى عن ضرورة التفرقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، حيث ان العلوم الطبيعية هي المفتاح لتحقيق السيطرة على الكون وقد اطلقت

الشيوخية يخدم هدف الشيوخية وبذلك يثبت أن العلم منحاز؛ ولقد مضى الوقت الذي كان يطلق على نظريات الفلسفة أنها علم وعلى ما يتعلق بالانسان على أنه علم، بمعنى أنه يخضع للسادة وتكتشف بكل دليل اليوم أن العلوم الإنسانية لا يمكن أن تخضع لمناهج السادة. وقد قدم بعض الباحثين أدلة أخرى في هذا المجال.

١ - ففي مجال العلم الاجتماعي المعروف باسم علم (الانثربولوجيا) أو علم الإنسان كان لبعض خبراء الجانب دور تاريخي في عهد الاستعمار التقليدي، وقد بدأ بعضهم تحت شعار (التنمية) دوراً جديداً في استقلال شعوب العالم الإسلامي (العالم الثالث) في ظل الاستعمار الجديد ونفذ هذا الدور تحت شعار (التقدمة) ويتبنى قضيائنا الانسان المتمرد.

٢ - من ناحية أخرى فالحقيقة العلمية هل هي حقيقة مطلقة؟ لقد ثبت أنها حقيقة قائمة على افتراضات متغيرة، ومعلومات متعددة، هذه الافتراضات العلمية نفسها لها ارتباطاتها بأولياء اجتماعية منهجية، وبأولياء بعثرة، ففي غضون الحرب العالمية الثانية تبرز الوظيفة الاجتماعية للعلم فنجد علماء الفيزياء (العلوم الطبيعية) مرتبطون بشكل مباشر ببحوث التسليح، فمشروع القنبلة الذرية في أمريكا وتجريدها في هروشيماء ونجازاكى، يبرهن على عدم حياد العلم وعلى انحيازه.

ومن الثابت ارتباط البحوث العلمية في الدول الغربية بالمؤسسات الصناعية وأن أولويات البحث العلمي نفسه تحددها إلى حد كبير المؤسسات الصناعية الشيء الذي يجعلنا نؤكد أن العلم منحاز.

ان حاجة المجتمع هي التي تتحكم في توظيف العلم وهي التي تفرض أولويات البحث، وإذا كان هذا في الغرب فإن في روسيا نجد أن العلم أكثر تبعية للمذهب الماركسي وخدمة له.

وال المجتمع فالعلوم الطبيعية تعمل على استكشاف النطاق الالهي في نطاق الأشياء المادية والمعروفة الإنسانية في نطاق الشئون البشرية.

ولاريب أن اضفاء الصفة الإسلامية على العلوم الاجتماعية يجب أن تعمل على اظهار علاقة الحقيقة مع النطاق الالهي المتصلة به، النطاق الالهي بعد المعيار الذي يجب أن تعمل الحقيقة على احلاله فان تحليل الأمر الواقع يجب الا يغفل ما يجب ان تكون عليه الأشياء اضفاء الصفة الإسلامية على العلوم الاجتماعية يتحقق :

- رسم النطاق الالهي في الشئون الإنسانية.
- تحقيق ارادة الله في المجتمع.
- تقام أخلاقية العمل الانسانى.

( ٣ )

هناك حقيقة يجب أن نعرفها في دائرة البحث عن اسلامية العلوم ..

## هل العلوم في الغرب محايدة أم منحازة

لقد ترددت كثيراً دعوى بطلة بأن العلوم في الغرب محايدة وأنا يجب أن نأخذها على طبيعتها الغربية، والحقيقة وكل الدلائل تكشف عن أن العلوم في الغرب منحازة.

فالعلوم الاجتماعية وعلم النفس (صناعة اليهود) هي علوم منحازة ذلك أن كلا العلميين يخدم (الايدلوجية) وترى الماركسيين يهاجمون العلوم الاجتماعية وعلم النفس الرأسمالي والعكس يحدث أيضاً.

وقد تبين أن كلا المنهجين لا يقوم على عمل مستقل بل هو في خدمة هدف، وكذلك منهج العلوم التجريبية نفسه فهو في الدول الرأسمالية يخدم هدفها وفي الدول

( ٤ )

## نظريه النفس الغربية ليست علم وإنما هي فروض ثبت ان اغلبها فاسد

يختلف علم النفس الغربي عن سنهوم الاسلام في عددة عناصر :

أولاً : ينكر وجود الروح في جوهرها وصفاتها وأعمالها منفصلة عن الجسد وتبقى حية بعد فنائه لأن هذه الروح لا يمكن ملاحظتها أو اخضاعها للتجربة ،

وبالتالي فهو ينكر وجود الله تبارك وتعالى وينكر الوجود الديني كما ينكر العقل الذي يسيطر على الغرائز ويعتبر الانسان حيواناً.

ثانياً : يرى أن كل المعتقدات الدينية يمكن دحضها باستخدام تفسيرات منبثقه من علم النفس.

هذه النظرية المادية مدفوع دائماً بقوى لا معتولة ومغلوب على أمره تصدر عنه أعمال قهرية وكل ما يملكه العقل من « حيل » هي تبرير هذه الانفعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاثباعها أو التسامي بها ليزاولها بصورة أجمل.

عاشرًا : معظم النتائج التي توصل إليها أصحاب الاهتمامات النظرية في علم النفس وعلى رأسهم (فرويد) استخلصت من الحالات المرضية ثم عممت على حالات الأسواء وتبنت نماذج نظرية كاملة في هذا الإطار الزائف.

حادي عشر : قوبلت آراء فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسي عامة بالنقد العنيف داخل الإطار السيكولوجي ذاته وتنسخ دائرة هذا النقد ابتداءً من فرويد شخصاً وشخصية حتى التحليل النفسي مدرسة، ومنهجاً وفلسفة حياة .

( سعد حسن لطفي )

ويرى العلماء أنه يجب رفض هذه المذاهب النفسية جملةً وتفصيلاً بسبب تضاربها ولا يجوز التوفيق بينها وأيجاد مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقة ليست وسطاً بين خطاین ومن وجهة نظر الطب النفسي يرى أن الاستقامة هي أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو أساس الأمراض النفسية وأن الإيمان بالله هو العزة والقوة والصحة وعدم الإيمان أنسى كل الأمراض .

ولا يوجد في علم النفس التربوي أو خلافه هذا الباعث الذي يجعل الناس يتسابقون وينساقون في أعمال الخير ولا ذلك الذي يقطن فيهم ( الضمير )  
**حقائق عن العلوم وأثر النظرية المادية عليها :**

١ - غلبة المادية على علم النفس ، وغلبة المادية على جميع العلوم الإنسانية .

٢ - لا يوجد فرع من فروع العلم التجريبي - ومنه العلوم الفيزيائية - يؤدي إلى المعرفة اليقينية .

٣ - المادية فلسفة حياة وجرائمها مضمونة في العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .  
٤ - أحد مصادر التحدي الحضاري الذي يتعرض له المسلمون اليوم وما يحمله تيار العلم - الواحد البنا من الغرب وبين الشرق من خلفية المادية واضحة في طياته جعلت من الكفر بكل ما هو غير عادي مادي سمة هذا العصر .

٥ - سيطرة المادية على العلوم الطبيعية ومضمونها الأحادي مثل ببدأ ( أزلية المادة ) والطافية ونسبة كل شيء في الكون إلى الطبيعة وقوانينها ومحاولة تفسير التدرج في عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة .

ثالثاً : الهجوم على مصداقية العقيدة الدينية . وكانت أول ضربة جاءت من خلال ملخص ماركس ولبنين بأن الإيمان بالله والخلود والنظام الأخلاقي هو ضرب من ضروب الزيف والخرافة .

رابعاً : من أخطائه أنه يعتبر الغريزة الجنسية هي المهيمنة على كل تصرفات الإنسان فيضع البشر في مرتبة أقل من مرتبة الحيوان ومن هذا التفسير الخاطئ يجعل الحياة كلها خلافاً حول الجنس إلى درجة أنه يجعل غاية الإنسان في الحياة هي اشباع الغريزة الجنسية وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس . ومن المسلم أن الصحة الجنسية هي في العفة والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد أن الصحة في الإبلحة وأن الأمراض النفسية في العفة حيث تسبب ما يسميه الكبت .

وأن يكتب الإنسان شهواته ويلجئها لحكم وأشد حزماً من الإباحية والامتناع عن العملية الجنسية بزيادة المخ والأدراك ويزيد قوة البدن أيضاً وبقدره على مقاومة الأمراض بعكس الحال عند المسرفين في العلاقة الجنسية .

خامساً : من أخطائه أنه يجعل الإنسان عبداً للدنيا والمال وتسييره غريزة التملك فيكون سعيداً وصحيحاً نفسياً إذا كان غنياً ومرضاً نفسياً إذا كان فقيراً وهذا مخالف للواقع والعقل فإن الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الإيمان بالله ، وصحتهم النفسية والبدنية أحسن من صحة الأغنياء بجماع الآراء والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لها .

سادساً : من أخطائه أنه يعتبر الإنسان خاضعاً للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة ارضاً الناس ، وهذا المذهب يشجع على الرياء والتفاوت فان القسوة والطاعة في المجتمع هي في ارضاء الله ولو باغضاب الناس لأن قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن .

سابعاً : من أخطائه أنه يعتبر الإيمان مسألة خاصة ونسبة فهو ينكر وجود الله ( تبارك وتعالى ) ويقول أن الإنسان لو اعتقاد في أي شيء فإنه يتأثر به وعلى هذا فيكون الدين وهو لا حقيقة وهذا عكس كلام الله تبارك وتعالى من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى وأن النافع والضار هو الله وحده .

القرارات ( من ٤ - ٧ ) سعد حسن لطفي  
ثامناً : إن علم النفس ليس علمًا بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لا ينطبق عليه شروط العلم الواجبة وأهمها اليقين والموضوعية وهي شروط العلوم الطبيعية تاسعاً : لغلبة الاتجاه المادي في علم النفس جعله يتصور النفس الإنسانية تصوراً مادياً فهي عنده مجموعة غرائز تتطابق الأشباح المادي والماضي ، والانسان في إطار

او ثقيل ، او بهذه الصفات جمیعا ، وبالمثل فاننا نصف الشخص بأنه يستجيب بسرعة او بعنف او بدقة او بغير ذلك من الطرق والخصائص : هي تجريدات نصل اليها بتحليل الكليات وتجريد احدى السمات من كليه معنیة لا يؤثر فيها لأنها تظل ثابتة محتفظة بکیانها الكلی الذي هو عليه قبل التحلیل .

( المؤود ابو حطب )

٦ - ضرورة استخدام منهج دراسة الكون في دراسة النفس ، لأن دراسة الكون والانسان واكتشاف سفن الله وتأمل آياته فيها من اعظم الادلة على ابداعه سبحانه وتعالى وقدرته في خلقه .

ان ( الملاحظة ) باعتبارها جوهر العلم التجربى الذى يحضر عليه الاسلام هي ( عملية تحليلية ) فالاشخاص كالأشياء لا تعرف الا بخصائصها وسمائتها كما أنها لا تميز الا بآياتها فنحن نصف الشيء بأنه مستدير أو حاد

\* \* \*

## الباب العاشر

### أسلمـة المـعرفـة

بالحاجة الى اعادة بناء كافة العلوم في ضوء المفاهيم الماركسية اللاتينية ، وأن على العالم الاسلامي الا يتردد في أن ينحو نحو المثال الشيعي ، وأنه لا بد من اتباع طريقة ( اسلامية المعرفة ) التي يجب أن تمر بثلاث مراحل :

١ - الاعادة والبحث والدراسة لكافة العلوم الاجتماعية والانسانية وتوضيح اوجه نقصها والعناصر التي تتلاءم مع مفاهيمنا . ٢ - اعادة تعين ما تبقى منها بحيث تتماشى مع تراثنا الادبي والفنى والفكري . ٣ - الانفصال الكامل بالتجارب الفكرية والكتشفات التي حققها العالم المتحضر وفي نفس الوقت بعث الحياة في علومها التقليدية .

وقد قرر الاسلام مفهوما واضحا للعلم والمعرفة ومناهجها المتنوعة للعلوم على الاسس الآتية :

اولا : ان الایمان بالله هو البداية الصحيحة لمعرفة حقيقة الكون والحياة ، والصلة بين الله سبحانه وتعالى وسخلوقاته ضرورة منطقية تفرضها حقائق الكون والحياة وقد أرسل الله تبارك وتعالى الرسول رحمة منه وفضلا لتبلغهم رسالة السماء ولتهديهم الصراط المستقيم .

وأنه لا بد من الایمان بوجود الله تبارك وتعالى لأن الایمان يجده الإنسان عيناً في نظرته وفي حسه ويعرفه العقل حتّى ، ولأن من الایمان بالغيب ، حتى العلم وإن كان قالماً على التجربة والحقائق المحسوبة إلا أنه في نهاية المطاف يقف عاجزاً أمام بعض الظواهر ولا بد من الایمان بالاليوم الآخر لأن الوجود الحقيقي أكبر من ظاهرة الوجود ، انه الدنيا والآخرة لا الدنيا فحسب ، والوقوف عند الحسن في التعرف على الكون موقف بدائي سطحي لا يليق أن يصطدم مع الواقع حين يتسع أفق المعرفة وتعمق الخطط العلمية لبعد الوجود .

ثانياً : ان العلم الكامل هو الله تبارك وتعالى وقد اذن الله سبحانه للناس بالتعلم والتماس العلم منه سبحانه وهذا فضل كبير منه على عباده ولقد حدد الله تبارك وتعالى مصادر العلم وفروعه ( العلم التقائى - العلم التقائى - العلم الدنى ) . ومن العلوم ساهم فرض

( قدم الاسلام منهج المعرفة ذا الجناحين للبشرية لأول مرة : ملادة وروحاً معاً ) بعد أن تردد في المنهج المادى تارة والروحي تارة اخرى .

أسلمـة المـعرفـة هي تقديم التصور الاسلامي للمعرفة الإنسانية : والمعرفة مصطلح اوسع من مصطلح العلم ( الذى يقتصر على العلم التجريبى ) او التربية او الثقافة فهى ترمى الى اسلامة نحو عشرين علماً من العلوم الحديثة التي تضطرب بها ساحة الفكر الاسلامي وهى مترجمة عن المعرفة الغربية وقائمة على عقيدة الغرب وخصائص مجتمعه وهى في مجموعها تختلف عن التصور الاسلامي اختلافاً عميقاً واسعاً ، نتيجة اختلاف المفاهيم الروحية والاجتماعية والعلقانية وصدور التصور الغربى من مصادر وثنية أغريقية ورومانية ومسيحية غربية تختلف عن الدين المنزل ، ومن هنا كان استمرار تغريب هذه الموارد في مدارسنا وجامعاتنا دون تحريرها من عنصر التبعية هو خطير بالغ على تكوين الشخصية الاسلامية لانه يدفعها بمرحلة بعد أخرى الى الذوبان في اتون الفكرة الغربية وتختفي التصور الاسلامي الحقيقي وفي عشرات من المعلوم التي بين ايدي المسلمين الآن تصور غربى وثنى مسيحي يختلف اختلافاً عميقاً عن التصور الاسلامي سواء في مجال الدين او النفس او الاخلاق او الحضارة او التاريخ .

ولذلك كان اسلمـة المـعرفـة تعنى اعادة صياغة الامة الاسلامية وصياغتها بصيغة الاسلام روحـاً وفكراً ومنهجـاً ، هذه الصياغة الاسلامية من شأنها ان تقضي على الثنائية او الاذدواجية القائمة الان في مناهج التعليم ومعاهده ، ويؤتى هذا ايماناً بأنه لا خبرة الغرب ولا خبرة المستغربين من المسلمين بقداره على حل مشاكل المسلمين وان الحاجة ماسة الى تحرير عقول المتربيين بالاسلام من اهل التخصصات الحديثة في الامة وتكتيفها بحل هذه المشكلات وان اسلمـة المـعرفـة هي الطريق الوحـيد لإنقاذ الامة .

وعلى المسلمين ان يتأملوا في فعل الشيوعيين عندما تسلموا السلطة في روسيا لقد رفضوا كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوم بورجوازية وشعروا

العقل وضع ماجاء به الوحي موضع الشك والتحقيق في صحته لخروج ذلك عن اختصاصه ، ولأن الوحي هو مصدر مباشر للحقائق في مصدرها ، وهو الله سبحانه وتعالى فدرجة اليقين فيه أعلى من اليقين الحاصل عن طريق العقل ، أما الوحي فهو التعليم أو الاخبار الالهي المباشر للابتكاء من الله سبحانه والاصل في اختصاص الوحي : الاخبار عن حقائق عالم الغيب مما يريد الله تبارك وتعالى تبليغه إلى البشر . ومن اختصاصه معرفة القيم المطلقة في الخير والشر سواء أكان ذلك بما يستطيع العقل ادراكه أم لا ، ويدخل في اختصاص الوحي تحديد العبادات التي أمر الله عباده بها .

\* \* \*

ما يكشف تباين النظرية بين المعرفة الإسلامية والمعرفة الغربية موقف كل منهما من الدين والكون والانسان ذلك أن مختلف المعتقدات تحتوى على اقوال خاطئة فيما يتعلق بالكون وأصله ومسير الانسان .

ونقطة الخطأ في هذا النتد من وجهة النظر الإسلامية هي التعميم لأنه يسوى بين التراث الدينى للانسان بكل اساطيره وشطحاته وبين الاسلام باعتباره الدين الالهى الخاتم ، ولن يدهشنا نحن المسلمين دحض ما هو نتاج الحدس الانساني بواسطة الاكتشافات العلمية .

ان المسلم يدرك انه يؤمن بالاسلام لان الاسلام هو الحقيقة التي تتبع من الخالق ذاته ، الذى هو مصدر جميع الحقائق ، وليس كنتيجة لرد فعله العاطفى أو الواقعى لوضعه في الكون أو كنتيجة لكون التقوى قيمة مستحبة ، أن النظريات الاجتماعية التي تتحدث عن أصل الاديان مثل الخوف البدائى والرهبة من قوى الطبيعة الغامضة وتجسيد تلك القوى أو نظريات عالم النفس المتعلقة بالدين ، مثل صورة الاب الذى يتم تجسيدها في الله لا تنطبق على المسلمين ، ان المسلم لا يبحث عن شيء مهدى له يقلل من مخاوفه أو يشرح الأشياء ولكنه يؤمن ايمانا قويا بالحقيقة العظمى : حقيقة الله والتوحيد به . لقد انهار الدين في الغرب عندما اصطدم بالعلم لاسباب تتعلق بالدين الغربي ، وبالظروف التاريخية لنهضته العلمية ، اذا حدث ذلك في البلدان المسلمة فلن يكون بسبب وجود صراع اساسي بين الاسلام والعالم فلا يوجد أساسا ذلك الصراع ولكن بسبب وقوع القيادة الفكرية الاسلامية في المائة عام الماضية بيد الغربيين .

ان الاسلام فقط هو الذى يستطيع ان يغير الافتراضات السابقة للعلم وأن يقدم أساسا صلبا للنشاط العلمي ، ان الاسلام فقط هو الذى يقدر على تنسيق

عين ومنها ما هو فرض كفائية .. ويقرر الاسلام ترابط العلوم شرعية وتجريبية وتكاملها ولا يعسر انفصالها .

ثالثا : قرر الاسلام حقيقة ارتباط العلم بالدين وجريمة الفصل بينهما ، فالعلم يدعو الى اليمان كما ان اليمان يدعو الى العلم ، وقد ترددت الجنور الثلاثية في القرآن جذر ( آمن ) ومشتقاته ٧٧٩ مرة ، وجذر ( علم ) ٨٥٤ مرة وهذا يدل على أن اليمان يسبق العلم وأن هناك ترابطا وثيقا بين العلم واليمان .

وأن أسلمة المعرفة الحديثة يقتضي النظرية العميقية للمشكلة في العالم الاسلامي من حيث أن العلوم الحديثة شيدت بطريق الخطأ على قاعدة الفصل بين الدين والدنيا ففقدت بذلك أساسها الاخلاقي .

ومن هنا يجب وضع مبادئ اسلامة المعرفة تتلخص في الآتي :

١ - اعتبار طلب العلم فريضة على المسلمين من المهد الى اللحد .

٢ - اعتبار العلم المفروض هو الذي يدخل في إطار وحدانية الله عز وجل وصالح الإنسانية جمعاً وتحريم البحث الذي يفقد الهدف أولاً يستحق العناء .

٣ - التوحيد بين الانسان وبين معارفه .

٤ - استحالة استيعاب الفلسفات الغربية ( الرأسمالية والشيوعية ) داخل الهيكل الاسلامي للمعرفة والعمل لغراحتها عليه .

٥ - على الانسان أن يكون مؤمنا برسالته قبل أن يقدم على المساهمة في برامج الاسلامة .

٦ - علوم الوحي لها مكانة متفوقة ويجب أن تنبثق منها كل الارشادات والتعاليم .

٧ - ضرورة التقارب بين العلماء الشرعيين والعلماء الطبيعيين .

٨ - اعادة صياغة الكتب المدرسية في العلوم بحيث تعكس وجهة نظر العالم الاسلامي في العلوم .

٩ - ابراز المساهمة الفذة التي قام بها علماء المسلمين في هذه العلوم .

ويقرر المفهوم الاسلامي للمعرفة : ان للمعرفة مصدرين اساسيين :

هما العقل والوحي ويختص كل واحد منها بنوع من الحقائق . أما العقل فهو الطريق لاثبات نبوة النبي الصادق ورد نبوءة النبي الكاذب ، وليس من شأن

( أبحاث سعيد محمود عرفة ، بمحمود  
غازى ، كارم السيد غنيم ، اسماعيل  
راجى الفاروقى ) ..

ولقد رسم الدكتور اسماعيل راجى الفاروقى خطة  
العمل المؤدية الى اسلامة المعرفة على هذا النحو :  
أولاً : أهداف خطة العمل هي :

١ - اتقان العلوم الحديثة . ٢ - التمكن من  
التراث الاسلامي . ٣ - اقامة العلاقات المناسبة بين  
الاسلام وكل مجالات المعرفة الحديثة . ٤ - البحث  
عن وسائل الربط الخلاقة بين التراث والمعرفة الحديثة .  
٥ - الانطلاق بالفکر الاسلامي في المسار الذي يقوده  
إلى تحقيق سنن الله تبارك وتعالى .

ويجب أن تتم عملية مسح شامل لكل علم من  
العلوم ، نشأته وتطوره التاريخي ونمو مناهجه واتساع  
ميدان رؤيته ، حتى يمكن أن يقف المسلمون على أساسه  
وأن يتقنوا على الجهود التي سينذلونها في أسلمة من  
حيث طبيعته وتاريخه وخصائصه وحدوده ويجب أن  
يظل تراث الاسلام هو نقطة الانطلاق فيما يتعلق  
بأسلمة اي علم من العلوم ، ان أسلمنا للعلم ستكون  
ضحلة جداً اذا لم تأخذ تراثنا في الحسبان ولم تنفع  
بنظرات اسلامنا الثاقبة . وإن العالم المسلم الذي تربى  
في الغرب كثيراً ما ينهمز أمام استغراق التراث الامر الذي  
يدفعه بقوة إلى الاعراض واليأس والحكم بأن ليس في  
التراث شيء حول موضوع البحث مع أن الحقيقة أنه هو  
الذى لا خبرة له بتصنيفات التراث التي تدرج تحتها مثل  
ذلك المادة الملائمة لموضوعه وعلينا في سبيل اسلامة  
المعرفة الإجابة عن ثلاثة أسئلة ..

الاول : ما هي مساهي التراث الاسلامي ابتداء من  
القرآن وانتهاء بالjudges المحدثين في حملة الفضائيات  
يشيرها هذا العلم ؟

الثاني : كيف تتطابق او تتعارض مساهمات  
التراث الاسلامي مع ما أجزأه العلم وain وصل التراث  
إلى مستوى رؤية هذا العلم وآفاقه وain قصر عنها  
او تخطاها ؟

الثالث : ما مدى معرفة المجالات والقضايا التي  
يجب أن تبذل جهود المسلمين مستغلاً لسد النقص فيها ؟

تم خطة اسلامة المعرفة بنهج متكامل كما يلى :

الاول : اسلامة التعليم والغاء ثنائية التقسيم  
إلى نظامين اسلامي وعلماني ويجب أن يندمج النظامان  
ويتكاملان في نظام واحد وain يشبع بروح الاسلام ليصبح

جميع الأنشطة الإنسانية بما في ذلك الأنشطة العلمية  
والفلسفية والفنية والاقتصادية والسياسية ، وفي الحقيقة  
فإن كل نشاط في الإسلام يعتبر عبادة لله لو أنه كان يتم  
أداهه لتحقيق الهدف الذي خلق الإنسان من أجله ، وهو  
أن يكون خليفة الله في الأرض وهذا المفهوم للعمل لا يوجد  
في الواقع أى مبرر لاصدام بين العلم والاسلام ، إن العلم  
هو تنظيم للمعرفة الإنسانية وليس تنظيم العالم ، وبذلك  
 فهو لا يفرض علينا أية رؤية معينة للكون ، إن المادية  
والحقانية المثالية وغير ذلك من المذاهب تعد فلسفات  
فيما وراء العلم ولا تتبع من العلم بطريقة منطقية .  
وإذا كان العلم يستطع تنظيم المعرفة الإنسانية عن  
طريق تجزئتها إلى موضوعات محل بحث وإلى افتراضات  
محل ثبات فإن ( قضية الالوهية ) بعيدة عن متناوله ،  
إن الحقيقة البسيطة هي أن الإنسان إذا توصل إلى  
اثبات وجود الله ، فإنه يكون قد عبر عن الله من خلال  
تصوره هو ، وأن الدرس الذي يجب أن نتعلمته جيداً هو  
أننا يجب إلا نحاول السعي وراء اثباتات لوجود الله في  
نطاق المعرفة الإنسانية ، اليك آيات الله كافية للبشر ؟!  
إن الرؤية الإسلامية للعلم تعطيه القدرة على  
تصنيف المعرفة الإنسانية تفاصيل واجراء ، أما الرؤية  
الكافلة للعلم فانها خارج نطاقه ، والعقل المسلم ينبغي  
أن يلتزم بأساسيات فإذا كان العقل بصفة عامة يستطع  
أن يناقش صفة محمد كرسول أو يرفض دعوه في  
الرسالة قبل أن يدخل إلى الإسلام فإنه عندما يسلم لا  
يملك مطلقاً الحق في هذه المناقشة وعندما لا يكون الشيء  
قابل للملاحظة فإنه يكون موضوعاً لا شأن للعلم به ، وكل  
ما هو في عالم الغيب يمثل حقيقة إسلامية مؤكدة ، ولكن  
ليس عن طريق العقل والعلم دائماً عن طريق الوحي  
والإيمان .

أما الرؤية الإسلامية لعالم الغيب والشهادة فإن  
القرآن يعلمنا أيها على النحو التالي :

١ - إن الله الخالق مرید فاعل ليس كمثله  
شيء .

٢ - إن الخلق ليس أثراً ضرورياً لتجلى ندرة الله  
ولكن الله يخلق ما يشاء .

٣ - إن الكون بكل ما فيه حقيقة وليس وهم .

٤ - إن كل شيء خلقه الله منحه تركيباً وشكلـاً  
وبحـما معيناً ثم زـيد بالهـداية .

٥ - إن خلق الله يتسم بالكمـال ويوجـد توازنـاً  
وأنـسجامـاً من العمليـات المـختلفـة وـسوف يـستمرـ ذلكـ إلىـ  
ما شـاءـ اللهـ . ( محمدـ معـينـ صـديـقـيـ )

هـذاـ هوـ الفـارـقـ العـمـيقـ بـيـنـ المـعـرـفـةـ الـاسـلامـيـةـ  
وـالـمـعـرـفـةـ الـفـرـقـيـةـ .

جزءاً وظيفياً لا يتجزأ من برنامجه الفكري ، ويجب الا يسمح لهذا النظام الجيد ان يظل تقليداً للغرب ولا ان يتراك حراً يخط لنفسه اى طريق بل يجب ان ينساط بالنظام التعليمي رسالة ، محددة ، هذه الرسالة هي نقل الرؤية الإسلامية وتربيبة الارادة لتحقيقها في الزمان والمكان .

ويتم تقييد ذلك عن طريق ما يلى :

أولاً : فرض دراسة الحضارة الإسلامية ..

ان دراسة الحضارة هي الطريق الوحيد لتنمية معنى الشخصية في الفرد وكيف يكون على وعي ذاته من لا يعرف أسلفه ؟ اعني من لا يعرف الروح الذي بعث فيهم الحياة .

ثانياً : أسلمة المعارف الحديثة ..

على المختصين من علماء المسلمين ان يتقنوا كافة العلوم الحديثة وان يفهموها حق الفهم وأن يصبح في حوزتهم وطوع أمرهم كل ما يمكن ان تقدمه من فوائد وعائيهم ان يدمجوها هذه المعارف الجديدة في بناء التراث الإسلامي عن طريق الحذف والتعديل واعادة التفسير والتكييف لكل مكوناته طبقاً لما تعلمه قيم الإسلام ونظرته إلى العالم ومن الواجب ان تحدد بوضوح جهة التلاقى واللامعة بين الإسلام وفلسفته كل علم .

ثالثاً : القضاء على الانشطارية والثنائية ..

1 — القضاء على الفصل بين الوحي والعقل .

ذلك ان هذا الفصل أمر مناف لروح الإسلام كله ويعارض لما في القرآن من دعوة أساسية للعقل أن يزن كل الأمور بميزان العقل وأن يفضل الأمور الأكثر معقولة والمنهج المقسم بالوسطية . ان دعوة الإسلام عقلية وانتقادية ، خلاناً لتلك الأديان التي تحاول أن تجرف عقل الإنسان وتنسيطر على ضميره بغية ان يسلم راغماً بما ليس بمعقول ، بل بما هو سخيف .

ان الإسلام يهيب بالناس دائماً ان يستخدموا ذكاءهم والا يقول أحدهم الا الحق الذي هو على يقين منه والا ينعزلوا بحال عن الواقع ، ولا تخلو صفحة من صفحات القرآن من مثل هذا الحث والإلزام وبدون العقل لا يمكن ان تدرك ختاق الوحي ادراكاً كاملاً او تنكشف طبيعتها السماوية او يعترف بها وبدونه تستوى دعوى الوحي مع غيرها من الدعوى الباطلة ، واذا قبل الوحي على غير أساس من العقل فإنه يكون قبيلاً شخصياً اعتباطياً تابلاً للتبدل وليس لاي اطروحة دينية قائمة على أساس المزاج الشخصي ان تزعم أنها مستحبة للقبول لدى البشر جميعاً او لدى نسبة معتبرة منهم لفترة

طويلة وحين بلغ المسلمين في التأكيد على الحدس على حساب العقل أدى ذلك إلى فتح ابواب لفساد العقيدة ، ان عدم فصلها مقلباً عن اللغو يعطي الفرصة لخرافات وحكايات العجائز أن تترى بزى الحقيقة وتنسرب إلى العقيدة ، ومثل ذلك تماماً ، ان المبالغة في التأكيد على (العقل) على حساب العقيدة الحدسية قد أفسدت حياة العقل اذ حجنته في المادية والفعوية والآلية والخواص .

2 — الفصل بين الفكر والفعل ..

عندما انقسمت الرابطة بين الفكر والعقل في المجتمع الإسلامي حتى بدا كل منها يتدهور فأصحاب القيادة السياسية ومن بعدهم القوة ينتقلون من أزمة إلى أزمة محرومين من الانتفاع بفكرة العلماء ومشورتهم وحكمتهم ، كانت النتيجة تختبطاً في العمل ينفر من الموضوعات الجيدة ويضع القادة في مزيد من العزلة ، أما المفكرون فقد أصبحوا غرياءً ومبعدين عن المشاركة الفعلية في شئون الأمة .

**منهج اسلامية المعرفة :**

ان أسلمة المعرفة أساس ضروري لازالة الثنائية الموجودة في النظام التعليمي وهي بدورها أساس لازالة الثنائية من الحياة وعلاج انحراف الأمة وتقديم المبادئ الأساسية لذلك على عدة قواعد :

وهي وجданية الله (تبارك وتعالى) ووحدة الخلق ووحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة الحياة ووحدة الإنسانية .

والمعرفة الإسلامية تعتبر أن كل شيء في نطاق المعرفة إنما يتحقق غاية ارادتها الله تبارك وتعالى أو يخدم غاية أخرى مراده الله تعالى أيضاً .

وأن الإيمان الإلهية حملها الإنسان . وان الإنسان وجد لحمل الامانة وأن الارادة الإلهية على ضربين : الأول : السنن الإلهية التي يجري الكون على أساسها وهي قوانين الطبيعة وهذه السنن ثابتة ومتقدمة على مستوى الكون كله . وتفهم عن طريق الوحي أو العقل . الثاني : ما يتحققه عن طريق الحرية والاختيار وهي القوانين الخلقية أن حمل الإنسان للامانة الإلهية يجعله في مقام الخلافة أو النيابة وتمثل خلافته في انتقاد القوانين الأخلاقية .

والإسلام لا يفصل الدين عن الدنيا ، ومنهجه لبناء الثنائية والحضارة منهج شامل .

## الباب الحادى عشر

### الاسلام والفن

يثير في عقل المشاهد او وجده هذه المعانى العميقه  
التي تحرکها هذه الجملة التي تبدو بسيطة في ظاهرها  
وهي جملة ( لا اله الا الله ) .

فالتجريد يستمد من فکرة التوحيد التي تقول بأن  
لا اله الا الله الواحد العالم المسيطر الرحمن الرحيم  
وخلق هذا الكون كله . ذلك ان صفات الله في الاسلام  
تجعله لا نظير له وهو عز وجل منزه عن كل شئ وليس  
كمثله شيء في الارض ولا في السماء . . . وعلى ذلك فليس  
هناك ما يمكن ان يستخدم كرمز للذات الالهية او ما يقوم  
مقامها ويعنى هذا انها ترفض تمثيل الاشخاص او اتخاذ  
هذا التمثيل مجالا لها ومن اجل هذا ابتكر الفنان المسلم  
وطور واتقن مجموعة من المواضيع المجردة التي تثبت  
صلاحيتها للتعبير عن النواحي الجمالية في رسالته الدينية  
وفي مقدمة ذلك الخط العربي والشكل الهندسى والاشكال  
النباتية .

وقد حرص الفنان المسلم على البعد عن محاکاة الطبيعة  
وعالم الطبيعة الواقعى بشكل مباشر وتوجه الى العالم  
العلوى المجرد وكان مبدأ محاکاة الطبيعة من خلال  
التجريد الذى يتطلبه فکر التوحيد ، ويرمى البعد عن  
الواقعية الى تحرير الانسان المسلم من انشغاله بذاته  
ومن انشغاله بالطبيعة ايضا حتى يفتح عقله تماما لتتأمل  
العالم العلوى .

( ٢ )

يحدد الدكتور محمد كمال جعفر تميز المفهوم  
الاسلامي للفن في خمس نقاط :

اولا : ينفرد الاسلام بتماسك نظرته الجمالية  
والفنية وتكاملها وتناسقها وتلاقيها في نظرته الى الحق  
والخير وبهذا يكون النمط الفريد وذلك في مقابل التقابن  
والانفصام بين اجراء النظرة الغربية الحديثة للجمال .

ثانيا : تسمى النظرة الاسلامية بالحقيقة  
الموضوعية للجمال الموجود في الطبيعة والمصنوع بين  
الانسان وذلك يعنى ان اعجابنا بالجمال وتقديرنا له ليس  
تغييرا ذاتيا محضا لا أساس له من الواقع كما يدعى

( ١ )

لقد قدم الاسلام مفهوما للفن يقوم على أساس  
التوحيد الخالص . فالجمال في الاسلام هو منطلق للتعرف  
على عظمة الخالق ، في منظر السماء الزرقاء ، او البحر  
الغوار ، او الوردة الجميلة ، او الجبال المجللة بالثلوج ،  
وما من منظر من مناظر الجمال الا وهو مصدر للتعزف  
على عظمة الله تبارك وتعالى والاقرار بجلاله ، ولقد عبر  
القرآن الكريم عن هذا المعنى في قوله تبارك وتعالى :

( الذى خلق سبع سماوات طبقاتا ما ترى في خلق  
الرحمن تفاوت مارجع البصر هل ترى من مطور ، ثم  
ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسدا وهو حسيرا )

ومن هنا كان الفن مصدرا للإيمان فان النفس  
المؤمنة المختية لله تبارك وتعالى تنتقل بمجرد النظر الى  
الجمال والفن من الكون الى المكون وتذكر جلال الله  
وقدرتة على هذا الصنيع الباهر الذى يرتد الطرف امامه  
حسيرا .

وهو الخالق العظيم الذى صنع دوائر الفن جسعا  
في الورود والازهار بالوانها العديدة واحجامها العجيبة  
المتعددة وربط بين زرقة السماء وبياض الغيوم وخضرة  
الزرع وجعل الفاكهة اصنافا ومذاقات ، ومن هذا العطاء  
الالهى كله نشأت الفنون والاشكال اما االاداب والفنون  
التي تتقدن الطبيعة في جمالها الذاتي دون ان توصل الى  
الله تبارك وتعالى فهى فنون ضالة لا قيمة لها .

فالفن في الاسلام يقوم على الارتباط بالله أساسا  
ولا تعارض التوحيد بحياة الوثنية ، ولا تخلد الفنان ،  
ويقدم الاخلاقى على الجمالى وكان ابرز معلم القيمة  
الاسلامى هو ( التجريد )

ولقد احسنت دكتورة لوى لمياء الفاروقى حين  
قالت : ان عنصر الجمال الهام في الفن عند المسلم ليس  
المتمثيل الجمالى للجسم البشري ، ولا في الرمز لحقائق  
الطبيعة بل ان الفنون الاسلامية اينما وجدت سواء اكان  
ذلك في افريقيا او جنوب شرق آسيا او في اى جزء من  
اجزاء العالم : هي فنون تجريدية كلها ، ومن اجل ذلك  
فليس هناك ما يصور الطبيعة او الانسان ما يمكن ان

يرى كثيرون من الباحثين أن القرآن الكريم تمثل النموذج المثالي لكل الاعمال الفنية سواء أكانت من فنون القول أو من غيرها .

أولاً : أنه الكتاب الذي لم يهتم برواية القصص كسلسلة من الأحداث ولم يحاول وصف الناس أو الأفراد أو الأشياء كنوات طبيعية بحدة ، إن للقرآن الكريم هدفاً آخر خلاف وصف الأفراد عند البشر أو الأشياء في عالم الطبيعة وعندما قصى القرآن القصص لم يرو القصة مرة واحدة وبشكل نهائي لما هو في الأعمال الدرامية أو الملحمية المعروفة بل أن القصة الواحدة تروي أكثر من مرة وبعرض الدرس أو المفهوم المقصود منها بشكل مختلف في كل مرة عن المرات الأخرى بشكل طفيف وهو بهذا يقدم نموذجاً رائعاً للمبادئ الأساسية للفن : ( التجريد - التحوير ) ومحاولة البعد عن الطبيعة في المعالجة الفنية ، وكما أن القرآن رفض أن تكون القصة التقليدية والوصف التفصيلي للحوادث والبشر هو محور موضوعاته فـان الفن الإسلامي قد فعل نفس الشيء وعندما تعرض القرآن لبعض الأمور فقد عالجها بطريقة التجوير ولم يحاول أن يؤكد هويتها المادية الطبيعية .

ومن هنا وضع القرآن الأساس الأول للفن الإسلامي وهو الابتعاد عن التشبيه بالطبيعة وتجسيدها .

ثانياً : ان التركيب اللغوي للقرآن جاء مصدر ايهاء للفنان المسلم وكل آية فيه يمكن ان تعتبر وحدة فنية كما ان كل آية يمكن ان تعتبر عنصراً قائماً بذاته وليس لاي آية اهمية او اسبقية على آية غيرها ، كما انه لا توجد آية بعينها تحوى معنى النهاية او الخاتمة لسلسلة ما قبلها من الآيات .

ان طبيعة هذا الكلام القرآنى الحكم توحى وتنكك فكرة تكرارية النموذج بشكل لانهائي ومستمر .

ثالثاً : ان الاسلام ( عتيدة التوحيد ) قد اثر تأثيراً قوياً وعميقاً في الفن الإسلامي ، وهو فن فرضته طبيعة الرسالة الدينية التي سادت هذه المنطقة وشكلت ظاهره وباطنه .

فالفن الإسلامي لا ينبع الا من التزام عميق بالمبادئ الأساسية التي يقوم عليها .

رابعاً : الفن التجريدي الغربي لا علاقة له بالتجريد في الفن الإسلامي .. ففي الفن الإسلامي ينشأ التجريد عن مبدأ ديني فني بفرض الابتعاد عن وصف الطبيعة وذلك لجذب انتباه المشاهد الى فكرة السمو الاسلامي اما التجريد في الفن الغربي في القرن العشرين فهو رد

ذلك بعض المحدثين الذين يرون ان الطبيعة خرساء مالم ينطقتها الانسان .

ثالثاً : نفي النظرة الإسلامية بالنوعين المشهورين للمنتهى الجمالية ..

أولهما : هذه المتعة العابرة التي يصاحبها استرواح النفس والاسترخاء بعد العمل المضني وهدوء الاعصاب وثانيهما : المتعة التي تتعشش الذهن وتوقف الحواس وهذه المتعة الحقيقية الكاملة التي يتحققها مصدر جمالى قيم وهي : المتعة التي يحرص الاسلام على تغذيتها وانمائتها

رابعاً : تشد النظرة الإسلامية انتباها دائماً الى ما وراء حواسنا حفراً للهمم واتاحة المتعة بأرقى مجالى الطبوع والمصنوع ومعنى ذلك ان الاسلام لا يرضى لمعنى تفتقنه ان يكون سطحياً او شكلياً .

خامساً : تحرص النظرة الإسلامية على رعاية كافة الملكات والطاقات الإنسانية ولا ترضى مطلقاً أن تعططل ملكة أو تهمل طاقة أو ترکن جارحة أو عضواً لأن في ذلك تعويقاً لسير الحياة .

وتعتبر النظرة الإسلامية في مجال الجمال والفن الطاقات النفسية ثروة تفوق قيمتها أية ثروة أخرى عند ذوى البصيرة والعقل المستير .

في ضوء هذا المفهوم الاسلامي للفن ، يتبيّن أن هناك خلافاً واسعاً وعميقاً بينه وبين مفهوم الفن الغربي ومن هنا كان على المسلمين إلا يقبلوا مفهومها وأفداً ولا يحكموا هذا الفن الوافد في تفسير الفن الإسلامي ، وقد تبيّن أن الدارسين الغربيين فشلوا في تفهم روح الفن الإسلامي وادراك اسلاميته حينما طبقوا عليه معايير الفن الغربي وأصدروا أحكاماً جائزة مصدرها العجز عن تقدير ذاتية هذا الفن وارتباطه بروح الاسلام بعيدة عن الوثنية والاستعلاء على الطبيعة وتخليل الجانب الفاني منها ..

ويمكن أن يوضع مفهوم الفن الإسلامي في عددة نقاط أساسية :

أولاً : ليس العمل الفني الاسلامي تقليداً للطبيعة .

ثانياً : رفض كل ما ليس بحقيقة ممثلة في « لا اله الا الله » .

ثالثاً : تنزيه الخالق وحده وفناء العالم المخلوق .

رابعاً : أن تؤخذ الكلمات والتصورات والأفكار التي تعبّر عن الذات الالهية بلا كيف حيث لا يمكن التعبير عنها بشيء .

تفوق الحضارة المسيحية عليها ووصف العمارة بأنها عمارة المسلمين وليس العمارة الإسلامية وغضن من عمل عبد الملك والوليد في بناء قبة الصخرة .

اما هرتزفيلد فقد انتقد استخدام الكتابة الدينية في الفن الإسلامي وقال انه لا شك تعبير عن التعصب لدى المسلمين ان يكتبوا على اي عمل من الاعمال الفنية انه من القرآن او الشهادتين او عدد كبير من عبارات التهانى وطلب البركة يشكل لها معنى ..

( دكتورة لوى ملياء الفاروقى )

فعل للمغalaة الواقعية المبالغ فيها في فنون القرن ١٩ فقد وجد الفنانون بعد ان اتخموا بوصف الطبيعة انهم في حاجة الى من يجاوز هذه المرحلة الى احساس اعمق من مجرد السطح القريب وقد ادى ذلك الى تشويه الواقع والثورة عليه ، الا انهم لم يفقدوا ارتباطهم الكامل بالشخصية الانسانية او واقع الطبيعة .

خامسا : وجه كثير من الباحثين الغربيين المتعصبين اتهامات كثيرة للفن الإسلامي من باب الحقد والكراهية على النحو الذى عرف في كتابات كريزول وهرتزفيلد ، اما كريزول فقد حاول انتقاد الحضارة الإسلامية وابراز

\* \* \*

## الباب الثاني عشر

### أسلمت مفهوم الحضارة

وحين يقرر الاسلام مفهوماً متميزاً للحضارة فاننا مطالبون بأن ننظر من خلاله إلى الحضارة المعاصرة التي قاتلت بمفاهيم المنهج العلمي التجربى الاسلامى ولكنها انحرفت عنه وتجاهلت البعد الربانى وأوغلت في الاعتداد بالانسان وغلت في رعاية الذات الانسانية على نحو تكيدها وجعلها وحدها الحقيقة ، فاصبح اشباع رغباتها هو معيار الخير والشر .

وعلى حد تعبير الدكتور اسماعيل الفاروقى : لقد غلا الغرب في استغلاله للطبيعة واستثمرها وطوعها لاشباع رغباته دون وازع أخلاقي مما أدى إلى قلب توازن الطبيعة في كثير من الحقول ، ومضى في تالية الرغبات واحترام الذات وكانت فريستهم هي الطبيعة فتمكناً منها وتنجررت لديهم ينابيع المعرفة الطبيعية فنشأت العلوم وترعرعت . ولقد أسرفت حضارة الغرب في استغلال ثروات الطبيعة وتوجيهها نحو الترف والفساد والاحتلال وهي بذلك « تقف على طريق معارض للهدف الربانى معارضة للتسليم بكلمة الله والتساؤق والانسجام مع خلائقه ونظمها وستنه في العالم فالانسان الغربى منشق على نواميس الكون متنافر معها بدعاً ومصراً » .

ويمكن القول في تبسيط شديد أن الحضارة الغربية خالفت منهج الله وخرجت عليه ومن أجل ذلك فهي تتلقى الضربات المترتبة في مختلف مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأنها عجزت عن أن تتواءم مع الفطرة أو توازن بين قيم الروح وقيم المادة .

فغلت في القيم المادية وتنكرت تماماً لقيم الروح .

ولذلك فاننا يجب أن نكون لنا نظرتنا المستقلة إلى الحضارة الغربية وأن نزنها بميزان الاسلام وأن نقضى قضاء تماماً على ظاهرة الانبهار والموالاة الخادعة التي تعنى في الحقيقة بتذكرنا لمفهومنا الحقيقي للحضارة ودورها في المجتمعات الانسانية .

ويجب أن نفهم أن أزمة الحضارة الغربية اليوم هي نتيجة انحرافها عن طريق الله واستعلانها على قوانين

( ١ )

يجب أن ننطلق في فهم الحضارة « اسلامياً » من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية وان نحدد اولاً الاطار الاسلامى لهذا الفهم ايماناً بأن للإسلام مفهوماً للحضارة يختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن مفهوم الغرب وانه وان طرح في أفق الفكر الاسلامي عشرات الابحاث التي حاولت أن تصور للمسلمين الحضارة بمفهوم غربى او بدعوى أن الحضارة الغربية اساساً وأن الاسلام ليس الا مرحلة فيها بين حضارة اليونان وحضارة الغرب القائمة ، فإن هذا التصور غير مقبول اطلاقاً لانه لا يعتمد على حقيقة علمية صحيحة وانما هو من اهواء الاستعلاء الغربى الذى يتصور أن الجنس الابيض هو الجنس الاعلى والمتناز الذى صنع الحضارة وهو استعلاء إن يطول امره .

والواقع أن الحضارة الغربية المعاصرة هي عصارة حضارات عديدة اغلبها نشأ في المشرق ، وكان الاسلام هو ابرز هذه الحضارات عطاء من أجل قيام المنهج العلمي التجربى ركيزة هذه الحضارات والذي هو من صنع المسلمين وان كان الغربيون قد تجاهلوا هذه الحقيقة او أخفوها فالى امد .

وقد أكدت ابحاث العلماء النصفين بأن الاسلام قدم مفهوماً للحضارة كان ولا يزال جديداً على البشرية قوامه التوحيد الخالص على أساس الرحمة والعدل والاخاء البشري مستقلاً اهواه الحضارات القديمة وخاصة عبادة الاوثان ، وعبودية الانسان للانسان من خلال فلسفيات قامت على الاجناس العليا من السادة والدنيا من العبيد فقد حط الاسلام هذا المفهوم وكما حرر الانسان فقد حرر المرأة وكرمها وأزال واد البنات والرق وبذلك حرر العبيد والاماء وفتح لهم باب المكتبة والعنق ، وهكذا قدم الاسلام مفهوماً للحضارة تختلف اختلافاً جذرياً عن حضارات ما قبل الاسلام : الرومانية والفرعونية والفارسية وكذلك بالنسبة للحضارة الغربية المعاصرة .

ويقول الفيلسوف بيريج سوركين :

ان كل جانب من حياة المجتمع الغربي ونظامه وثقافته ، إنما هو في أزمة طاحنة ..

ان جسد المجتمع الاوربي مريض وعقله مريض ، لا توجد نقطة ضعف واحدة على جسده الا ويعتورها الالم ، وقد أضطرر جهازه العصبي بجميعالياته العصبية لـ تعلم يعد قادرًا على اداء عمله على النحو السديد .

فالمجتمع الغربي في أزمة شاملة والمرض تفشي في جسده وعقله وفي حضارته وثقافته وفي سلوكه وفكره ، ان ثقافته الحسية تحضر وتموت والامل يراود سوركين بزوج فجر ثقافة مثالية جديدة وتعيش اوربا اليوم في عتمة وتضطرر خطواتها ويحل عليها الليل فترة انتقال بظلامه وكوابيسه المزعجة .

ثمة خطر جسيم في بناء الثقافة الاوربية الا وهو نظرتها الى الانسان وحياته ومكانته في العالم ، والاحاديث الواقعية في الحياة الاوربية والامريكية تبرهن على وجود هذا الخطأ الميت ، فقوة العلم تستخدم لابادة البشر ( ٦٠ مليون قتيل في الحرب العالمية الثانية ) وتدمير المدن والقديم العلمي الصناعي لم يقرب الاوربيين من مثلم الاعلى وهو السعادة .

صفوة القول : انن ، ان قوة العلم قد سخرت لابادة الانسان نفسه ومعرفته المتقدمة ابعدته عن السعادة وعن فهم نفسه وحياته وهذا هو التناقض بعينه .

( ٤٢ )

فما هو موقفنا نحن ؟ لقد حاول الغرب ان يحتوينا بحضارته ، حين فرض نموذجه على المجتمعات الاسلامية وحجب عنها شريعتها وسيطر على اقتصادها وقوانيها .

وكان دعوة التغريب والغزو الثقافي ترمي الى فرض النهج الغربي وتبني طريقة معيشة الغرب الحديثة بدعوى أنها الوسيلة الوحيدة التي ترفع المسلمين الى مستوى البلاد المتمدينة وبالرغم من أن هذا الاسلوب قد فرض على المسلمين وساروا فيه شوطا طويلا الا انهم لم يستطعوا عن طريقه ان يحققوا اى تقدم حقيقي على النحو الذي حققه اليابان حين استطاعت ان تستوئب اسلوب الغرب التكنولوجي وتحافظ في نفس الوقت على شخصيتها الخاصة بقيمها وعقائدها ، أما بالنسبة لعالم الاسلام فقد حرص الغرب على ان يمدد قواعده الذاتية الاسلامية وفي نفس الوقت لا يمكن المسلمين من امتلاك اسلوب العلمي ، وكان اسلوبه في التعليم

الاهم ونواهيه المجتمعات ظليلا وصول الحضارة الى كشف اسرار العلم هو بذاته مصدرها من مصادر النجاح الحقيقي ، الا اذا وجهت العلم وجهته الربانية الصحيحة واذا كانت الحضارة الغربية قد وصلت عن طريق العلم الى انكار الخلق والى الخروج عن منهجه والى الاستعلاء على دين الله الحق ، فانها بذلك تمهد لنهایتها المحتومة وهي نفس النهاية التي وصلت اليها الحضارات السابقة .

لقد عجزت الحضارة بعد ان يسر ( الله تبارك وتعالى ) لها الكشف عن بعض قوانين العلم والتكنولوجيا ان تتجه الى الهدم والتدمر وان تضع كلمة ( الطبيعة ) مكان كلمة الله ، وأن تندفع في الطريق المادي الخالص متنكرة للروح والتوازن بين مقدرات الانسان نفسه حتى تحطم ذلك الانسان على صخرة الشهوات والادمان والخمر والامراض الزهرية والدعارة والغلمة وتبادل الزوجات وتقنين الشذوذ الجنسي .

يقول مارتن بولى في كتابه ( انسان المستقبل ) . لقد بدأ الانهيار فعلا في المجتمع الصناعي بانهيار بناء الأسرة وسلطة الاب بعد ضعف وانقطاع الصلة بين الاصول والفروع والجدود والاعمام والعمات .. بل ان الاطفال انفسهم ينزعون اليوم الى مغادرة البيت فور انتهاءهم من الدراسة ، بل ان الزوجة نفسها التي تعتبر آخر حجر في بناء سلطة رب الاسرة بدا وضعها يتغير ، اولا بالتمرد على الانتزامات التي توثقها الاسرة وثانيا باخراج عدد كبير من الزوجات في العمل خارج المنزل ثم تزايد معدل الطلاق ، حتى العلاقة بين الآباء والابناء أصبحت تعصف بها الشكوك بعد سيل الدراسات والنظريات التي تبين العلاقة الوثيقة بين الشذوذ العقلي والعلقة الاسرية في الغرب وساهم التليفزيون كعامل اساسي في القضاء على الحياة العامة وسياسات الجماعة فقد خلط تصورات العالم الحقيقي بتصوراته الخاصة وخلق حفائق جديدة ، لقد دمرت العرف الانكشار العظيمة وقضت على الاسرة وأطاحت بنظام الزواج وسفهت الحب الرومانى وقلصت الديموقراطية التقليدية الى اسطوانات دعائية مسجلة » .

ويشير والتر شوبارت : الى جانب آخر فيقول : ان الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق ، وهى شديدة الاثرة نزاعة الى الفردية محبة للتنافس ، ان الغرب قد جعل الانسانية ذات تراث واسع بتفوته في الصناعة ولكنه جرد الانسان من الروح .

ان الفرد من خلال هذا النموذج الثقافي ، لا يعني بخلاص روحه وانما يهمه فرض سلطاته وتوسيع دائرة نفوذه .

سادساً : ان الدوافع التي امتنلت بها صدور الاوربيين مع اوائل القرن السادس عشر تكشف عن شره شديد للسيطرة على العالم ونبهه حتى الحدود القصوى يقصد التمتع بأكبر قدر ممكن من الترف .

سابعاً : استخدام كل الاساليب البراقة للسلع الاستهلاكية والعمل على ما يثير الغرائز من اشاعة الجنس والمخدرات .

ثامناً : فرضت الحضارة الاوربية المسيطرة بالاستعمار على المدرسة والجامعة واجهة الاعلام مناهج الغرب بكل ما تستند اليه من فلسفات وما تحمله من مبادئ ومعايير ومقولات ، الامر الذي ابعد اعداداً متزايدة من المثقفين في بلادنا عن سياقهم التراثي وزرع في عقولهم التغريب وعدداً لا يحصى من المقولات المشوهة حول الاسلام والترااث والتاريخ والنمط الجماعي الاسلامي . (منير شفيق )

(٤)

ومن هنا فان علينا ان نحدد موقفنا تماماً من هذه التبعية وان نعمل على الخروج منها بأسئلة مفهوم الحضارة أساساً وأن من حق الاسلام علينا ان نحدد موقفنا تماماً تجاه الحضارة الغربية .

يقول محمد اسد ( ليوبولدفايس ) ان تقليد المسلمين فرادى وجماعات بطريقة الحياة الغربية بعد من اعظم الاخطار التي تستهدف لها الحضارة الاسلامية هذا التقليد نشأ بسبب قنوط المسلمين الذين رأوا القوة المادية في الغرب ثم وازنوا بينها وبين الحالة المؤسفة في بيئتهم الحاضرة ، اذ قد نشأ عند بعضهم اعتقاد خطأ مسوداه ان النظام الاسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتنقق مع مقتضيات التقدم ، فيجب من اجل ذلك ان يحور حسب الاسس الغربية .

خطأ الاعتقاد بأن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من واقع التفكك الاسلامي ، ان مكمن الخطأ في تقليد الغرب لا يمكن في الاشياء التي تقلد فحسب ، بل انه يمكن كذلك في اقتنابه الاراء والمثل العليا الغربية التي تقطع بالتدريج تلك الصلات التي تربط العالم الاسلامي ب الماضي ، ومن هنا فانه يفقد شخصيته الثقافية الى جانب انه ينتهي الى ان يفقد اساسه الروحي اذا ظل سائراً في طريق التقليد .

ان المشكلة اليوم هي مشكلة مسامير وصل الى مفترق طرق ، انه لا يستطيع ان يظل واقفاً في مكانه ، بلابد ان يتوجه نحو المدنية الغربية او حقيقة الاسلام .

\* \* \*

موجهاً أساساً الى تخریج مغربين يؤمنون بالتفصیر الغربي لتأريخهم وتقاليدهم ويرغبون في الانصهار كلياً في حضارة الغرب ومن ثم فان الريادة الفكرية الان في العالم الاسلامي هي رياضة مغربية مدخلة لا تفهم ولا تؤمن بالفوارق العميقة بين الحضارتين الاسلامية والغربية .

بل انها تعادي الفكرة الاسلامية عداء شديداً لأنها منحازة الى المنهج الغربي او المنهج الماركسي ، ترتكز على الدفاع عن وجودها وتترى في البناء الاسلامي خطراً عليها .

ان جميع النظريات الوافية التي حملها الغرب الى البلاد الاسلامية هي مجموعة من النقائض حاولت ان تتشكل بالتزامن او التركيب نظرية ملقة واضحة فيها التمدد والصناعة ولذلك فهي لم تستطع ان تقدم شيئاً نائعاً لأنها ضد طبائع الاشياء ضد الفطرة ، فهي جماع مخاطط غامض من القومية والماركسيّة والاشتراكية والثورة والاسلام على بعض الوجوه ، ولقد فشلت كل هذه المحاولات في ان تقدم شيئاً ايجابياً نافعاً .

(٣)

ومن هنا فان هناك مجموعة من الحقائق يجب ان تكون واضحة امامنا . ونحن بسبيل عرض المفهوم الاسلامي للحضارة :

أولاً : ليس النمط الرأسمالي الذي عرفته اوربا هو النمط الارقى .

ثانياً : المشروعات المستقبلية التي تقوم على اساس هذا تخطاتها الواقع .

ثالثاً : المجتمعات التي تكونت بعد سيطرة الرأسمالية الاوربية على اغلب بلاد العالم ليست مجتمعات اصيلة بل تابعة هجينة انقطعت عن مسارها التاريخي ولم تأخذ مسار اوربا .

رابعاً : ان الحضارة الاوربية وضعت لنفسها هدف السيطرة على العالم واحتضانه لسلطانها ، كما وضعت لنفسها هدف خدمة الاقليات المسلطة دائماً لا لخدمة المجموع الانساني العام بل الى ركض مسحور لتطوير البضائع الاستهلاكية باتجاهات حكمتها عمليات المنافسة والربح ، لتحقيق أعلى درجات السيطرة على الآخرين واستنزاف جهودهم وثرواتهم .

خامساً : ان التطور العلمي والفنى في الحضارة المعاصرة اتجه نحو التضاد مع الطبيعة والبيئة وال حاجات الفطرية للانسان .

وتحتفل في الثقافات والنظريات السلوكية والأخلاقية ، وهذا التمايز كما يقول دكتور محمد مدهد حسين مقصود لذاته لانه هو الاصل في تميز الامم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى ( ولو لا نفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ) ، ( ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلتهم ) ويتميز المسلمين بالمقدار الذي يعتمدون فيه على قيمهم وعقيدتهم ، التي تجعل منهم جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسعير ، ومن طريق المخالفة لغيرهم فهو الذي يصونهم من الذوبان والفناء في غيرهم وهذا واضح من قوله تعالى :

**( وان هذا صراطى مستقىما فاتبعوه ولا تتبعوا  
السبيل فتفرق بكم عن سبيله ) ..**

فالآلية تدعى المسلمين الى الاجتماع على طريق الاسلام من ناحية وتنهاهم من ناحية اخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لانها تؤدي الى تفرق جماعتهم . « ولقد لفت نظرى الخطط الاستعمارى الصهيونى الذى يدبر لتبسيع الطابع المميز لشخصية الامة الاسلامية تمهدى لامتصاصها » .

وهنا يأتى مفهوم الاسلام للتجديد والاصلاح ..

فالتجديد صفة لحركة اسلامية يمكن ان ترد للإسلام جدته ليعود الى صورته الصحيحة كما بدأ او ليينفى عنه ما شابه وما خالطه مما انحرف به عن الجادة والاصلاح هو تناهیس المجتمع الاسلامي مما اغرى من تحallل ادى الى تخلف المسلمين ، والخطر هو تطويق الاسلام لاشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتسويير المجتمع لتكون في نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية ، ان النظم الجمهورية والديمقراطية التي تبدو في ظاهرها تأييدا لسلطة الشعوب في اختبار قادتها وزعامتها كانت تستهدف في حقيقتها سيطرة اليهود بالتحكم في اختيار اولئك لهم لهذه القيادات والزعamas واستبعاد اعدائهم وخصومهم منها بسيطرتها على الرأى العام والانتخابات عن طريق السيطرة على رؤوس الاموال ووسائل الاعلام ..

( ٧ )

ويحل بعض الباحثين ارتباط الحضارات بالاديان ، فيقول : تختلف الاديان الثلاثة في الروح ومنهج الوصول الى المعرفة والى الامان ايضا عن طريق الاعتماد على العقل والعلم ، ولكن من الاديان اليهودية او النصرانية مميزات رغم اشتراك الديانات الثلاث في امور جوهرية

نعم : نحن مطالبون اليوم بتحديد موقفنا ، وهو التحرر من نفائس الحضارة الاوربية الحديثة ( الفلسفة الفكرية والسلوك العملي ) مع استيفاء مكان صالح من خبرتها فكرا وعملا ، يقول العلامة محمد المبارك : ان التحرر من غزو الحضارة الغربية لا ينبغي ان يفهم منه اعراضنا عن الاخذ بمكاسبها العلمية في ميدان الطبيعة والصناعة فذلك واجب فوري ، كما انه لا يتنافى مع التعاون في اطار المصلحة المتبادلة ، مع اصحاب هذه الحضارة بل التعاون الانساني العالمي في نطاق عقيدتنا وقيمنا الاخلاقية الانسانية ، وانما التحرر من فلسقتها العقائدية البتراء الناقصة التي هي سبب بلائها والتحرر أيضا من القواعد السلوكية المنشقة عنها ومن الذوبان الخطر في فلسقتها هذه وثنايتها ومن التبعية لها في مجال السياسة .

« وأهم العمليات وأخطرها وأشدتها صعوبة هي احلال الاسلام باعتباره نظاما عقائديا كاملا ، اي بعقيدته ونظمها المترعة عنها محل الثقافتين : ثقافة العصور الوسطى المتجمدة والمشتملة على انحرافات ، وثقافة الغرب القائمة على الفلسفة المادية سواء في قطاعها الشيوعي او الرأسمالي .

« ان احلال الاسلام او عودته — لا تعنى مجرد اقامة شعائر الاسلام التعبدية ، بل هي عملية جذرية تستطيع المواجهة في معركة العقائد السائدة والتي ينبغي ان يكون البديل الاسلامي لها نظاما عقائديا اسلاميا ينطلق من المضمون الاساسى للنظرية القرآنية ومن المشكلات المعاصرة ومن الازمات الماثلة بعد حلها على ضوء هذه النظرة » ..

وفي هذا الصدد ينبغي ان نفصل بين المضمون القرآنى المشتمل على نظرية الانسان الى الانسان والكون والحياة والله المهيمن عليهم جميعا وبين الاساليب والاجتهادات التي تمثل الجهد البشري المشكور الذى قام به اعلام المسلمين في العصور الماضية ، فمن المضمون القرآنى المؤيد والمبين بالسنة الصحيحة تكون الانطلاقة وتكون صياغة نظرتنا الذاتية الجديدة باسلوب زماننا ومن خلال مفهومنا واجتهادنا التي لا تتجاوز الاصل الثابت في ضوء المشكلات المطروحة ..

( ٦ )

ويسلمنا هذا الى التعرف على مفهوم الاسلام للحضارة ، هذا المفهوم المتميز حيث تتلاقى الامم في النظريات الرياضية والتجريبية وحقائق المعرفة والعلم

مثل الایمان بالخالق الواحد الذى ابدع هذا العالم وبالرغم من اشتراك الديانات الثلاثة في الناحية العامة في امور جوهرية فان هناك انفراد الاسلام بأمور كثيرة مميزة قد يكون اولها مفهوم التسمية التي تسمى بها .

فالاسلام هو اسلام الوجه لله ، اسلام التراث من وجوه شتى اخبارا مع الصدق والاخلاص في ذلك وبرئته العقل والقلب من كل شوائب الشرك ومع منتهى التعظيم والاجلال والمحبة لله بحيث يكون للاسلام في الظاهر سلوك وفي الباطن حالا وطبيعة ٦٦

فالاسلام هو الموقف الفكري والنفسى للانسان وهو موقف جميع المخلوقات فالكون كله بسمواته وارضه مسلم لله والملائكة كلها ساجدة لله وهي مسبحة بجلاله وبحمده بلسان واحد .

ولما كان كل بناء حضارى يحتاج الى اساس من فكر وایمان وهو روح الحضارة والى مؤمن بالفکر يحمل روح الحضارة ويشرع في البناء او على الاقل يمهىء له الظروف ، فالاسلام نفسه بجميع جوانبه اساس للحضارة الاسلامية والمؤمن بروحها الذى شرع في البناء هم العرب والمتقد هو الامة الاسلامية ومن اندمج فيها من اهل الديانات والمذاهب الاخرى والمناسبة هي خروج العرب ومعلمهم الاسلام واللغة العربية وميراث الحضارة الابراهيمية الى مسرح التاريخ العالمي الكبير ولقاءها مع الحضارات الاخرى .

وقد انبثق العلم من القرآن سواء من حيث المنهج ، وهو منهج حسى عقلى لأن الله أمر باستعمال الحواس والعقل معا .

وقد غرس الاسلام حب المعرفة بفضل ماجاء في الكتاب الحكيم من اشادة بالعلم ورفع شأن العلماء وتعظيم للحكمة ومن اوتتها ، ومن حث على النظر في الكون وفي آيات الله وفي النفس الانسانية واسرارها مع ترك التقليد للموروث وتجنب الحكم بالظن والبهوى ومع الاهتمام بطلب العلم اليقين والمطالبة بالدليل والبرهان .

(٨)

ويكاد يجمع الباحثون في الحضارة الاسلامية عن أن ميزتها ومكانتها بين الحضارات العالمية أنها تقوم باسم الله تعالى وعلى يد الانسان وأنها مفتحة تقبل كل الثمرات الروحية والعقلية والمسانية لعناصر الحضارة الصحيحة وهذا هو سر تجددها المستمر ونصوص القرآن صريحة في أن الله تبارك وتعالى قد استخلف البشر في الأرض واستعمراهم فيها أى طلب عمارتها

على حد تعبير الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة الذى يقول ان الحضارة الاسلامية تتميز بأنها تكون الانسان المؤمن المجاهد ، تكوينا شاملأ لحياة الدين ولحياة الدنيا .

و هذه الحضارة قادرة على النقد والاختيار وتتغلب كما يتغلب الجسم القوى على كثير من العوارض والازمات التى واجهتها ومرجع قدرتها على البقاء انها حضارة روحية ، عقلية ، دينية ، مادية ، علمية فلسفية ، بحيث تتمثل كل شيء وتحوله الى ذاتها العميقه ، ولا يمكن استعمالها الا بازالتها من يحملها وينفذها ويتمنلها وقد يجمع المسلم في ذاته كل هذه العناصر .

و هي حضارة تنتشر انتشارا تلقائيا وتجد طريقها بوسائل بسيطة لأن روحها وأسسها الفكرية والأخلاقية تنجلي في المسلم البسيط ، تتكلف روحه الاسلامية في عبادته وسلوكه وتعامله في أي مكان كان وهي حضارة عالمية انسانية شأنها شأن الاسلام نفسه ، وأبرع مظاهرها الوحدة رغم تنوع مظاهرها لأنها مبنية على التوحيد وقد تعرضت لازمات ومعوقات ، وهجمات مدمرة وعداوات قاسية ولكنها استطاعت البقاء ، كما أنها تعرضت للركود والانكماش ولكنها كالكائن الحي وتصبر حتى اذا تهافت لها الظروف المؤاتية فتفتحت وازدهرت من جديد .

(٩)

ويقرر عدد من الباحثين أن جوهر الحضارة الاسلامية هو التوحيد ، فالتوحيد هو الذى يعطي الحضارة الاسلامية هويتها وهو الذى يصيغ كل ما يدخل إليها من عناصر فیؤسلماها ويظهرها فتخرج من عبورها إلى التوحيد متجانسة مع كل ما حولها ، ومن أبرز ما تنتسب به امتراج الایمان بالاخلاق بالقانون فقد جاءت حضارة الاسلام خاتمة لرسالات السماء لمعالجة هذا الانفصام القديم في كيان الانسان اصلا بين روح وجسد وبين عقله وعاطفته وبين تطوريه المادي وسلوكه الاجتماعي وبين دينه ودنياه ، جاء الاسلام تخلصا لكل جهاد الانسان الروحي ليقيم ميزان التعادل في ضمير الانسان وفي حياته . والجمع بين العنصرين ، والترابط بين الفرد والجماعة فقد ركز الاسلام منذ البداية على ان الفرد فرد في جماعة ( ومن شذ شذ في النار ) وسمى النبي صلى الله عليه وسلم اول مجتمع اقامه في اول أيام الهجرة بالامة .

العالية على حساب الاجيال القادمة وكثير من شعوب العالم الثالث ، وانتاج لأسلحة الدمار التي تكفي اليوم لدمار الكرة الارضية فيما لو وصل مجنون الى قمة السلطة في المعسكر الغربي او الشرقي وتلوث البيئة الطبيعية من تراب وبخار وهواء حتى يمكن القول بأن عناصر هلاك البشرية وجرائم القضاء على الانسان تتسارع بنفس المعدل الذي تنتشر به مظاهر الحضارة الغربية .

\* \* \*

ويقول الدكتور اسحق فرخان ان الحضارات لها مظاهر متشابهة من حيث الشكل في مجالات الاداب والفنون والعمارة والعادات وأنماط الحياة ، ولكن الحضارة الاسلامية تميزت بعدها ميزات جعلتها نموذجاً منفرداً في سلسلة حلقات الحضارة الانسانية ومن هذه الميزات .

اولاً : ان الحضارة الاسلامية حضارة هادفة تقوم على الامان بالله والارتقاء بالروح وتنمية القيم الاخلاقية والانسانية لدى الانسان والمجتمعات البشرية .

ثانياً : ان الحضارة الاسلامية حضارة شاملة لجميع ميادين الحياة من لغة وآداب وعلوم وفنون مما يعود بالنفع على الانسان في حياته الخاصة والاجتماعية والعالمية وقد كان المقياس في كل مجالات الحياة ذلك الاطار الاسلامي في العقيدة والخلق وكان التقدم في العلوم الكونية موازياً للتقدم في العلوم الشرعية .

ثالثاً : ان الحضارة الاسلامية حضارة متوازية فيما يتعلق بالنواحي الروحية والمادية وفيما يتعلق بما يخص الفرد وما يخص المجتمع وفيما يتعلق بالامة الاسلامية من جهة وسائر شعوب الارض بصورة عامة وبالجملة فان الحضارة الغربية اليوم مهددة بالاندثار والانهيار لتركيزها على النواحي المادية على حساب النواحي الروحية .

وان الاسلام مؤهل اليوم اكثر من اي وقت مضى لان يعلن للحضارة الاسلامية توازنها وينقذ البشرية من دمار قد يكون شاملاً وعلى علماء المسلمين بلوحة المنظور الاسلامي لسائر التخصصات العلمية في سائر حقول المعرفة والنهوض باللغة العربية كوعاء للحضارة الاسلامية وابحاث جيل اسلامي معاصر يؤمن بربه قادر على العطاء والبناء .

\* \* \*

وفي ضوء هذه المفاهيم تبين ان مفاهيم الحضارة الاسلامية تختلف اختلافاً عميقاً فهى كما يصورها (منير شفيق ) ..

اولاً : ترمي الى التوحيد الاجتماعي في الاسلام الموجب لتحقيق توازن دقيق بين مختلف حاجات الانسان ومطلباته ومختلف حاجات المجتمعات البشرية ومطلباتها الحاجات المادية والروحية والنفسية والمعرفة .

ثانياً : الاسلام يشكل منظومة متكاملة تتماسك اجزاؤها وتفاعل فيما بينها لتشكل وحدة عضوية متحركة حية لا تجعل من الممكن ان يفهم اي جزء على حدة وانما ضمن وضعه في الاطار العام او من خلال علاقته بالوحدة الكلية والاجزاء الاخرى مجتمعة وفي آن واحد .

ثالثاً : توحيد البشر والشعوب والقبائل ، مع عدم التناكر لسنة الله التي جعلت الناس شعوباً وقبائل ليتعرّفوا في ظل رابطة الاسلام التي تربط وتهذب وتطور الروابط بين الافراد والجماعات .

\* \* \*

( ١٠ )

ونصل من هذا العرض كله الى حقيقة واحدة هي :

ان المفهوم الاسلامي يقوم على : التكامل بين المنهج والتطبيق وبين الفكر والاخلاق ، وبين الروح والمسادة وبين الدنيا والآخرة وبين الالهي والبشرى وبين الفرد والمجتمع .

هذا المفهوم الذي لا يستطيع الفكر الغربي أن يفهمه أو يؤمن به والذى أدى تخلفه هناك الى انحدار الحضارة الغربية وهزيمة الفكر الغربي ودخول المجتمعات الغربية الى مرحلة الازمة ، فقد وصلت الحضارة الغربية الى القمة في انجازاتها المادية ولكنها كما يقول الدكتور اسحق فرخان - تصل الى التخصيص في مجال استبعاد الشعوب النامية من اجل سعادة الانسان الغربي المذهل الذي يستمتع بتراث الحضارة الغربية المادية .

ويقول : لقد اسرفت الحضارة الغربية اليوم في تطوير التكنولوجيا لخدمة الانسان الغربي كما افلست في الاهتمام بالقيم الروحية والخلقية والانسانية التي تعطى الحضارة توازنها وتجعل الانسان اخاً للانسان بينما كان وها نحن نرى ما ينبع من بعض آثار الحضارة الغربية اليوم من اسراف في المتعة المادية وتدمیر الثروات

## الباب الثالث عشر

### أسلمت كتابة التاريخ

الاسلام بأسلوب عاطفي وجدانى خالص على نحو قصائد المدح والبالغة وانما تندعو الى اسلوب اسلامى الوجهة جامع بين عطاء العقل وعطاء الوجدان وان يكون تفسير التاريخ الاسلامى قائمًا على منهج الاسلام الجامع بين الروح والمادة ، وتوجهه الى كل ما يملك الانسان من قوى الوجدان والروح والعقل والتفكير .

وعلينا ان ننق ان محاولة تفسير التاريخ الاسلامى بمعاهيم علمانية او قومية او مادية هي محاولة قاصرة لا تستطيع ان ترقى الى مفهوم الاسلام الجامع والذى لا يقف عند حدود الجوانب المادية او المحسوسة او يحكم بها على الامور ، وانما هو اوسع دائرة وأرحب افقا حيث يجمع بين عاملى الروح والمادة في النظر الى مختلف الواقع والاحاديث وفي تقرير القضايا الاساسية كقضية التقدم والحرية والعدل الاجتماعى والشورى ومن هنا فان محاولة كتابة تاريخ الاسلام بأسلوب العلمانية او القومية او المادية هو بمثابة محاولة فاشلة مردودة على اصحابها ، ولن يقبلها الروح الاسلامى الذى تشكل منذ خمسة عشر قرنا على التكامل الجامع بين القيم الذى يربط حركته في المجتمع والنفس بالله تبارك وتعالى ويجعل الاخلاقية عاملًا اساسيا في هذه الحركة .

كذلك فان دعوى كتاب التفريغ من ان اسلوب الغرب هو المنطلق الذى يستطيع به المسلمين ان يحققوا كيانهم وجودهم ومجتمعهم ، هذه المحاولة خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة (منذ اثارها طه حسين ومحمد عزى وغيرهم ) وقد تكشف بطلانها منذ انتزعت (القدس) من ايدي المسلمين وثبت فشل المنهج الليبرالي الغربي بعد الحرب العالمية الاولى كما ثبت فشل المنهج الماركسي والاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية فتدت بين ان ما ظنوا أنه عامل موصل للنهاية هو عامل عازل يسام المسلمين والعرب الى الاحتواء الكامل والانصهار في بوتقة الامم العالمية .

\* \* \*

( ١ )

تعرض تاريخ الاسلام لحاولة خطيرة ترمي الى تفريغه من مقوماته وتفسيره تفسيرًا ماديًا عن طريق جماعة الاستشراق وتلقيهم من التفريغيين وذلك بهدف خطير هو القضاء على روحه القوية الفاذة القادره على اعطاء الاجيال الجديدة من الشباب المسلم دعمة من اليمان والثقة في سلامه منهجم وصدق عقidiتهم وهو الهدف الحقيقى من الاساليب الوافية التي ادخلت على كتابة تاريخ الرسول وصحابته والاسلام ومنهاجه على اساس المنطلق الذى عمد النفوذ الاجنبى على رسماه لاساسا وهو تفريغ التاريخ الاسلامى من آثاره العميقه القادره على اباعث هذه الامة من جديد وهي جزء من المحاولة الكبرى التي ترمي الى ترسيخ الاسلام عقبة ومنهجا ، ثم ضربه في مراحل التطبيق على ايدي خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم والدول الاموية والعباسية والعثمانية وغيرها .

وقد وضع ذلك تماما في الكتابات العصرية للسيرة النبوية التي قامت على اساس انكار المعجزات والجوانب الغيبية والخوارق التي اثبتتها الوثائق الصادقة التي حفظتها الاحيال والتي حققتها علم تحقيق السنة النبوية وقد تبين اعراض الكتابة العصرية للسيرة ( العقاد ، طه حسين ، هيكل ) عن الجوانب ذات الصلة بالايمان والعقيدة واليقين والتفوى وقوانين الاسلام في النصر ( كم من قلة قليلة غلت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ) هذا الاعراض يرمي الى : اطفاء نور العطاء الالهي في السيرة النبوية وتاريخ الاسلام فلما شك ان كفاءة السيرة والتاريخ بالطريقة العلمانية من شأنه ان يخفف هذا الوجه العظيم الذى يجب ان يملأ قلوب المؤمنين لم يعرض السيرة خاروا من يقين اليمان تحت اسم العلم الذى لا يعترف بغير المحسوس والذى لا يستطيع قيم الوحي والنبوة ومد السماء .

وليس معنى هذا اتنا نطالب بكتابه السيرة وتاريخ

( ٢ )

على مدى التاريخ ، وان الاسلام يتميز بمفهوم اسلام النفس الله ، واخلاقية الحياة والمجتمع ، والمسؤولية الفردية والجزاء الاخروي .

( ٣ )

تتمثل ميزة التاريخ الاسلامي عن تواريخ الامم الاخرى في ميادين كثيرة :

الاولى : انه نشأ في رحاب الدين الاسلامي بمعنى انه بدأ يجمع الاحاديث النبوية التي تتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد جمع الاحاديث وثبوتها ظهر بباب يتعلق بحياة الرسول وكان هو النواة التي نشأت عنها وترعرعت الدراسات في علم التاريخ ، وهذا جعل علم التاريخ يبدأ ببداية ترتيبه بجمع الاحاديث ، وتحري الدقة الكاملة ، في سلسلة الاسناد وان التاريخ بنشأته حول سيرة الرسول يتميز بالصدق والدقة في التدوين وهي ميزة لم تتوفر لاي تاريخ آخر .

الثانية : ان الذين تصدوا لكتابة التاريخ الاسلامي وتدوينه لم يكونوا من رجال الدولة الرسميين وانما كانوا علماء اجلاء وهبوا انفسهم للعلم ابتعاداً عن رضاة الله .

الثالث : الهدف من التدوين هو خدمة المجتمع الاسلامي .. بمعنى ان التاريخ الاسلامي كانت له وظيفة هامة ومحددة ، وهو امر اكسبه طابعاً فريداً لا تجده ايضاً في تواريخ الامم السابقة واللاحقة ، فقد كان يقوم بتوسيع تاريخ تلك الامم غالباً نفر من رجال الدولة الرسميين بقصد اضفاء التمجيد على الدولة ، تدوين التاريخ الاسلامي فقد كان المقصود من واضعه عملية تقدم لمجتمع الاسلامي النماذج التي تجنبه الخطأ وتهديه سواء السبيل .

وقد وجدت الدراسات في التاريخ الاسلامي مادة خصبة في حركة الفتوح الاسلامية وما ترتب عليها من اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول شعوب جديدة في ظل الاسلام ، وهناك جانب هام ظهر للتاريخ الاسلامي مع امتداد الدولة الاسلامية هو استخدام التربية فكان الخلفاء وكبار رجال الدولة يحرصون كل الحرص على ان تكون دراسة التاريخ الاسلامي عنصراً حيوياً في تربية ابناءهم وكثيراً ما كانوا يوجهون المؤذين والمرشين على تربية ابناءهم بالاعتماد على التاريخ في توسيع مداركهم وثقافتهم .

الرابع : رجال التاريخ الاسلامي هم الذين تصدوا لمحاولات دس احاديث مكذوبة عن الرسول ، فمثلاً اذا جاء في سلسلة الاسناد لحديث من الاحاديث شخصية

ان منهج التفسير الاسلامي للتاريخ يقسم على اسس واضحة وقاعدة كلية وهو بذلك يختلف عن منهج الغرب الليبرالي القائم على اعلاء شأن الفرد وعظمته وسيادته ، او النظرية الماركسية القائمة على اعلاء شأن المجتمع وكلاهما نظرية انتلطارية تقوم على جانب واحد وتعتمد المفهوم المادي وحده في كلتيهما .

ويتقرر منهج التفسير الاسلامي للتاريخ ( اولاً ) في ان الامم التي تخرج على منهج الله لابد ان تدمر ، وان سنته الله تبارك وتعالى في زوال الامم وانقاضها ماضية الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذا القانون في عديد من الآيات الكريمة :

( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهَكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مَرْفِقَهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقٌ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَلَمْ يَنْهَا تَنْهِيَا ) .. الآراء .

٢ - ان تاريخ البشرية كلها هو صراع بين الاسلام والمفكير البشري ، بين الحق والباطل ، بين منهج الله تبارك وتعالى ومنهج البشر .

٣ - ان البشرية كلها وحدة جامعة ، الناس ( ادم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي الا بالتفوّي ) فلا تميّز لامة او عرق او جنس او شعوب .

وأن دين الله واحد وأن تاريخ الاسلام لا يبدأ من محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يبدأ من آدم عليه السلام .

٤ - ان تاريخ البشرية الحقيقي هو تاريخ الانبياء الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وقد دعا القرآن الكريم الى أهمية دراسة التاريخ وعبرة الامم ونواتميس الامم وسفن الحضارات وغير ذلك كله في قوله تبارك وتعالى :

( قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سِنَنٌ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْفِرِينَ ) .

٥ - ان الدين بمفهوم الاسلام الجامع هو العامل الافضل والاساس في بناء التاريخ والحضارة والمجتمع الاسلاميين ، وأن الدين بمفهوم الاسلام عامل مؤثر على الاقتصاد والسياسة وال التربية والاجتماع وليس ظاهرة عرضية كما يحاول الماركسيون تصوّرهم الذي يقوم على مفهوم المسيحية الغربية ويقرّر الباحثون أن الدين هو العامل المؤثر على انشاء الحضارات واقامة المدنية

يكشف عنها المؤرخ أنها كانت بعيدة عن مجريات الأحداث  
فهنا يتهم الحديث بالكذب .

وفي الفترة التي شهدت الخلافات بين الفرق  
الإسلامية وعمد فيها أصحاب تلك المذاهب إلى ترويج  
أفكارهم بأحاديث منسوبة .. قام المؤرخون بتصحيح  
الموقف قال سفيان الثوري : عندما لجأ الرواية إلى الكتب  
لجأنا إلى التاريخ .

ويزودنا التاريخ الإسلامي بتجربة المسلمين الرائعة  
والفريدة في ميدان التعليم وهي ما يجب أن نضئها  
موضع العناية كأسلوب لحل مشكلنا التعليمية .

( دكتور ابراهيم العدوى )

( ٤ )

ومن هنا فنحن مطالبون بالكشف عن دسائس  
المستشرقين في كتابة تاريخ الإسلام واعادة كتابة التاريخ  
الإسلامي لتفتيته من سمو المستشرقين والتعريفيين حيث  
أن في بعض الكتب التي في أيدينا افتراءات على  
الشخصيات الإسلامية .

ولقد قدم المسلمون أول منهج علمي لتحقيق الحديث  
النبي وطبقوا هذا المنهج فيما بعد على وقائع التاريخ  
ولكن التجربة التي وصلت إلى ذروة القوة والسلامة في  
مجال الحديث النبوي لم تستطع مد رواقتها إلى كتابة  
التاريخ الإسلامي فدخلت إلى الساحة عناصر كثيرة من  
الرواية والشعوبيين وأهل الأهواء والمذاهب السياسية .

يقول المستشار سالم البهنساوي : لقد ظلت  
عصور التاريخ الإسلامي مرتعًا خصيًّا للدس والوضع  
والتجني والجهل بالإسلام فاستمسك بها أعداء الإسلام  
وأهل الملل الآخر يأخذون منها نصالاً مسمومة لتشويه  
تاريخ الإسلام ، لقد وقعت التاريخ الإسلامي ضحية  
مؤامرات كبرى استهدفت الفقراء على أصول الإسلام  
والبعض الباطل ثوب الحق والطعن في رجال الإسلام  
وقادته واضعاف عقائد المسلمين لاثبات أن الإسلام كان  
قولاً وعملاً وأن المسلمين لم يثبتوا على دينهم إلا فترات  
قليلة من تاريخهم الأول ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة  
الآهواء كغيرهم من أهل الملل والنجل .

« ثم أن المؤامرات امتدت إلى تغيير بعض أحداث  
التاريخ الإسلامي لتلائم الفلسفة الأوروبية ، ثم امتدت  
المؤامرات إلى تطويق مفاهيم القرآن والسنة لتساير  
المذهب الماركسي في تفسيره المادي للتاريخ ، وكان الرواد  
الأوائل في ذلك بعض صبيان الرأسمالية الغربية ثم

اتباع الماركسية من الاعراب وبعض من تحولوا من  
الفكر العلماني إلى الاسلامي بكتابات أسممت في بعض  
الأخطاء نقلًا عن مناهج بعض المؤرخين الذين دونوا  
التاريخ الاسلامي أو كتبوا عنه .

ويكشف المستشار سالم البهنساوي : هذه  
المؤامرات التي جرت في تدوين التاريخ الاسلامي ويردها  
إلى عاملين :

الاول : استخدام العقل في غير موضعه .  
الثاني : ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامي  
**العامل الاول :** استخدام العقل في غير موضعه .  
المجال الذي ينفرد فيه العقل بالحكم على الاشياء  
هو ما خضع لنطاق هذه الحواس أما الامور غير المادية  
التي لا تخضع بذاتها لنطاق هذه الحواس فليس للعقل  
قدرة في الحكم عليها .

ولقد نشأت عن استخدام الانسان عقله في غير  
موضعه صراعات وخلافات دفعت البشرية ثمنها وما زالت  
تجنى أثر الصراع بين هذه المذاهب السياسية  
والاجتماعية على مر السنين .

ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالمذهب الفردي  
والمذهب الجماعي ، وأصحاب هذه المذاهب قد تجاوزوا  
حدود الفكر الذي بنيت عليه فلسفتهم فابتعدت كل  
طائفة تفسيراً لأحداث التاريخ الانساني يؤيد فلسفتها  
كالفلسفه الاوروبية والفلسفه المادية ، كما وضعت كل  
فرقة مناهج للنفس البشرية ، مع أن هذه النفس لا  
تخضع للتجارب المادية وبالتالي فالمناهجه التي تبنتها كل  
فرقة ليست علماً بالمعنى الصحيح فلم تبين على نتائج  
محددة لتجارب عالمية .

ومن ثم اختلفت هذه المناهجه اختلافاً شاسعاً ،  
حيث بنيت على الظن والتسليم بمصدح المذهب الاجتماعي  
الذى اثبتت منه وقد ظهر ذلك واضحاً في الفلسفه  
التاريخية الاوروبية وفي منهاجها ومؤثراتها كثيرة لحرمان  
الإنسان من حرية التفكير ولحرق مئات من العلماء  
والمفكرين بدعوى أن العلم في نظر الفكر الدينى الاوروبى  
السائد في القرون الوسطى هو سحر وهرطقة .

ولقد ساد المجتمعات العربية والاسلامية اقوام  
ظلوا أتباعاً للغرب ومذاهبه حتى انضموا اليه في اسقاط  
الخلافة ومحاربته لان بريطانيا ستقيم لهم خلافة  
اسلامية عربية مرشية هاشمية .

كذلك فقد تجاسر أفراد للعمل على اخضاع الاسلام  
وقيمه للفكر الماركسي فزعموا أن النبي صلى الله عليه  
وسلم هو مؤسس اليسار ولقد كان لهذه الفلسفات

ولقد حرص الاستشراق في مؤامرته على اثارة الشبهات حول تاريخ الاسلام بالتركيز على عدة نقاط أساسية وحشد المفاهيم الخاطئة حولها على النحو الذي عرض له الاستاذ صفو منصور . هذا موجزه :

أولاً : اثر الاسلام على العرب ..

فقد حاول الاستشراق الخبث والدس في الحديث عن اثر الاسلام على جاهلية العرب فقد حاول حصر دور الاسلام في انه ابطل كثيراً من العادات السعيدة وكتى بينما ليس هذا الا جانب واحداً من جانب عديدة صنع بها الاسلام مجتمعها جديداً وأقام الناس على منهج الله تبارك وتعالى ..

ثانياً : وحدة الدولة الاسلامية ..

فهم مصرون على تقسيم التاريخ الاسلامي الى دول (ابوية - عباسية - عثمانية) وهم لا يعترفون بامتداد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباب اسما الدول نشأت في المدينة المنورة ، وهي تواصل مستمر وتعاقب غير مقطوع ، متكامل الصلة بالدولة الاسلامية فالدولة الاسلامية ممتدة منذ اعلانها الى ان اسقط الاستعمار الخلافة العثمانية على يد صنعتهم مصطفى كمال اتاتورك . ١٩٢٤

٢ - الاشارة بالحركات الانفصالية عن جسد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباب اسما الدول الاستقلالية عليها فان الخطير الدفين يتضح من وراء ذلك في انهم يريدون ان يوهموا بقصر عمر الدولة الاسلامية واجهاض مفهوم الخلافة والتزوير للشمولية والاممية ، والضرب على اوتار القوميات والاقليات وتشجيع تمزيق جسد الامة الاسلامية وقطع الصلة بين حاضر المسلمين وماضيهم .

والمعلوم ان الدولة الاسلامية ممتدة امتداد التاريخ وجنورها تنتهي الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنة الحياة ان تتتعاقب الاجيال .

ثالثاً : مفهوم الوحدة الاسلامية ..

الحرص على تجاهل وانكار هذا المفهوم حتى لا ينطبع في اذهان نابتة الاسلام وحتى لا يدركون هذا المفهوم الواجب اعانته والعمل له ، وقد ضمت الوحدة اجناساً مختلفة وشعوباً متباعدة ولم يكن العرب وحدة قواد الامة الاسلامية بل ارتفعت راية الخلافة لترفرف على كل الجنسيات والبلدان وانقسمت الجمع في وحدة اسلامية كبيرة ( لا فضل لعربي على عجمي الا بالتسوی )

بشرطها اثر في فكر بعض المسلمين الذين يعلمون ظاهراً من علوم الدنيا ، فظهر الصراع بين اهل العقل واهل النص ، وظهر ما يسمى باليمين الاسلامي واليسار الاسلامي وحاول كل طرف ان يؤيد مذهبة وفكرة بتفسيير خاطئ للقرآن والسنة وتحريف صريح لواقف الصحابة .

**العامل الثاني :** ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامي ..

أولاً : ان احداث التاريخ الاسلامي لم تدون الا في منتصف القرن الثاني للهجرة بعد ان ظهرت الفرق السياسية والفلسفات المعادية وروجوا الاخبار والروايات التي تخدم مذهبهم ومنها الوثنية والمجوسية والمزكية .

ثانياً : الذين دونوا هذا التاريخ كان همهم جمع الروايات والاخبار بلا تمحيص ولا تحقيق .

ثالثاً : لم يحصل اهتمام بتحقيق الروايات التاريخية بالميزان الذي محضت به روايات السنة النبوية .

رابعاً : استفاد خصوم الاسلام من عدم تحقيق هذه الروايات فنقولها كما هي وننسبها الى المؤرخين ليضفوا عليها الثقة وهي من الاكاذيب .

خامساً : تسرب فكر أعداء الاسلام ..

وقد استطاع خصوم الاسلام ان يرجوا الروايات المصطنعة للنيل من الاسلام ورجاله .

١ - اما بتفنيق روايات عن هارون الرشيد تظهره كملك الخمر وروج ذلك ( جرجي زيدان ) في روایاته التاريخية حتى أصبح اسم هارون الرشيد مقترنا بالمجون والخمر والنساء على الرغم من ان ابن خلدون في مقدمته قد نبه الى ذلك بقوله ( ما علمنا عليه من صيحة سوء عليه من صحبة العلماء والآولياء ومحاربته للفضيل بن عيسى وابن السماك ومكتبة سفيان الثوري وبكلائه من مواعدهم وما كان عليه من المحافظة على الاوقات ودوام الصلاة .

٢ - واما الاعتماد على كتب الادب .. وما كتب خلال العصر العباسي من كتب النسادر والاخبار وما اخترع الرواية من قصص لتكون مادة للتسلية ، وقد اورد كتاب العقد الفريد قصصاً عن الخلفاء والامراء والوزراء فيها تناقض وما فعله الاصفهانى في كتابه الاغانى وهناك اختفاء بعض الفرق ومحاولتها اختلاف روايات تؤيد مذهبها وتحريف بعض المواقف وتفسيرها لخاطئ لنصوص القرآن والسنة .

حتى الولاة الذين انفصلوا وكونوا دوبيلات كانوا يستمدون  
شرعية من تبعيتم ل الخليفة العباسي .

#### رابعا : عالمية الاسلام ..

التركيز على المغالطة في عالمية الاسلام الثابتة  
بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ، ونجد للأسف  
من يروج لهذه المغالطة من أساتذة الجامعات ويتجاهلون  
الرسائل التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم  
إلى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية ويتجاهلون  
غروتى مؤتة وتبوك اللتين كانتا مع الروم وأعداد جيش  
أسامة

#### خامسا : الفتن في عهد عثمان ..

يشير الاستشراق وكتاب التغريب الاتهام الظالم  
لسيدهنا عثمان الذي فند مزاعم الثوار في مسجد المدينة  
ورد على تساؤلاتهم ورفض أن يعزل نفسه أو يرضى  
بالذهاب إلى الشام إلى جوار معاوية ( كتاب العواسم  
من القواسم ) .

والمقصد هو تشويه صورة الصدر الأول من  
المسلمين لاثبات أن الاسلام غير قادر على الامتداد الزمني  
بمثالياته فها هو الفرق بين عثمان وعمر ، هكذا يقولون  
ان الاسلام بشموخه وجلاله لم يكن الا في عهد الرسول  
وصاحبيه ابى بكر وعمر .

#### سادسا : شخصيات مفترى عليها ..

كذلك فقد حرص الاستشراق وتابعه من التغريبيين  
على الغمز والتشويه والافتراء والكذب المتعمد لتشويه  
أمجاد الاسلام وأبطاله وحرف أبنائنا عن الهدف الوجданى  
الذى تحققه دراسة التاريخ من حيث الاقتداء والتائسي  
بسير وترجمات من يدرس تاريخهم .

ومن ذلك ما قاموا به من تشويه صورة معاوية  
وقد وصفوه بالدهاء والمكر وتشويه صورة هارون  
الرشيد ( الشراب والغناء ) وتشويه صورة السلطان  
عبد الحميد ، وتجاهل ماقام به من مواقف البطولة في  
رد مؤامرات الصهيونية وتجاهل حركة الاصلاح التي  
قادها لتجديد شباب الدولة .

#### سابعا : العثمانيون وتوحيد العالم الاسلامي ..

ومن ذلك وصف العصر العثماني بالاستعمار  
والاحتلال ، ولو أنهم استوعبوا حقيقة امتداد تاريخ  
الدولة الاسلامية لادركتوا أن العثمانيين يمثلون عهدا من  
العهود التي حكمت ، ولو علموا أن الوحدة الاسلامية  
يجب أن ينطوي تحت رايتهما كل المسلمين ، لما وصفوها  
بأنها دولة معتدية ، وكذلك انكارهم دور العثمانيين في

تجديد شباب الدولة الاسلامية في المشرق في الوقت الذي  
كان الفرنجة يقومون بحرب الاسترداد ضد مسلمي  
الاندلس وقد تمكّن العثمانيون من استنطاق عاصمة  
البيزنطيين ( القدسية ١٤٥٣ ) ووصلوا إلى أسوار  
فينما ونهر الدانوب ثم اتجهوا شرقاً ليوحدوا العالم  
الاسلامي ( العراق والشام ومصر والجهاز والمغرب  
العربي ) وهي من أطول الاسر الاسلامية حكمـا .

ثامنا : انكار اثر الاسلام في حركات التحرير ..  
عـد الاستشراق وكتاب التغريب على النور الذي  
قام به الاسلام في حركات الجهاد التي قامـت على اساسـ

اسلامـي وأداتها آياتـ الجهـاد وسـورـ القـتـال .. وـيرـجـعونـ  
إـثـرـ هـذـهـ حـرـكـاتـ إـلـىـ نـوـرـ الـرـوـحـ الـقـوـمـيـةـ تـارـةـ وـالـرـوـحـ  
الـوـطـنـيـةـ تـارـةـ أـخـرـىـ وـيـسـبـعـونـ عـلـىـ قـادـتـهـ صـفـاتـ  
الـثـوـرـيـةـ وـالـوـطـنـيـةـ معـ أـنـ اـسـاسـ اـسـلـامـيـ وـأـنـ الرـوـحـ  
الـجـهـادـيـةـ هـىـ التـىـ كـانـتـ تـحـرـكـهـمـ ضـدـ الـمـسـتـعـمـرـ الـأـوـرـبـيـ ،ـ  
وـمـنـ يـدـرـسـ حـيـاةـ (ـ أـحـمـدـ عـرـابـيـ ،ـ يـوـسـفـ الـعـظـمـةـ ،ـ  
الـشـيـخـ شـاـمـلـ ،ـ عـبـدـ الـقـادـرـ الـحـسـيـنـيـ ،ـ عـبـدـ الـقـادـرـ  
الـجـازـيـ ،ـ عـمـرـ الـخـتـارـ )ـ يـعـلـمـ أـنـ اـسـلـامـ كـانـ هـوـ  
اـسـاسـ الـفـكـرـىـ لـكـلـ هـؤـلـاءـ وـأـلـئـكـ ،ـ أـذـ أـنـ اـسـلـامـ  
هـوـ الـذـىـ يـرـفـضـ الـظـلـمـ وـلـاـ يـرـضـىـ بـالـاسـتـعـبـادـ وـهـمـ لـذـكـ  
يـخـفـونـ رـوـحـ اـسـلـامـ وـمـقـمـوـنـ الـجـهـادـ اـسـلـامـيـ فـيـ تـحـرـيـكـ  
هـذـهـ الشـخـصـيـاتـ وـالـحـرـكـاتـ .ـ

تاسعا : أخطاء في التعبير ..

وـمـنـ ذـلـكـ تـعـمـدـهـمـ تـحـرـيفـ الـعـبـارـاتـ اـسـلـامـيـةـ  
الـاـسـاسـيـةـ ،ـ وـاـحـلـلـ بـدـائـلـ عـنـهـاـ لـاـ تـؤـدـيـ مـعـنـاـهـاـ ،ـ وـمـنـ  
ذـلـكـ وـصـفـ (ـ غـزـوـاتـ )ـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ  
بـكـلـمـةـ (ـ صـرـاعـ )ـ وـبـنـذـ كـلـمـةـ (ـ جـهـادـ )ـ .ـ

\*\*\*

وـوـصـفـ النـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـاـنـهـ نـبـىـ  
وـيـتـعـمـدـونـ حـجـبـ صـفـةـ الرـسـالـةـ عـنـهـ ،ـ وـالـمـعـرـفـ انـ  
الـنـبـىـ غـيرـ مـؤـيدـ بـكـتـابـ سـمـاـوـيـ وـانـ الرـسـوـلـ هـوـ الـمـؤـيدـ  
بـكـتـابـ سـمـاـوـيـ ،ـ وـوـصـفـ قـيـادـتـهـ بـاـنـهـاـ (ـ حـكـومـةـ النـبـىـ فـيـ  
الـدـيـنـ )ـ اوـ وـصـفـهـاـ (ـ بـالـحـكـومـةـ الـدـينـيـةـ )ـ .ـ

وـمـنـ عـبـارـاتـهـمـ قـوـلـهـمـ (ـ شـاعـتـ الصـدـفـ )ـ عـلـمـاـ  
بـاـنـ الـمـشـيـثـةـ اللـهـ وـالـصـدـفـ لـاـ مـشـيـثـةـ لـهـاـ .ـ

وـقـوـاـهـمـ الشـوـرـىـ قـرـيبـةـ مـنـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ وـفـيـ ذـلـكـ  
غـيـرـ لـمـهـوـمـ الشـوـرـىـ الـتـىـ تـقـومـ عـلـىـ رـأـيـ أـهـلـ الـحـلـ  
وـالـعـقـدـ لـاـ عـلـىـ اـغـلـيـةـ الـفـوـغـاءـ .ـ

وـالـشـوـرـىـ تـجـعـلـ السـلـطـانـ اللـهـ أـمـاـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ  
فـتـجـعـلـ الشـعـبـ مـصـدـرـ السـلـطـاتـ وـهـتـانـ مـاـ بـيـنـ الشـوـرـىـ  
وـالـدـيمـقـراـطـيـةـ ..

والفساد ، وهلاكها يتم باضطراب اقامة العدل وأنه لكي يحقق التاريخ أغراضه بوصفه مصدراً عظيماً في التربية الخلقية والتماسك الاجتماعي والرقي الحضاري فمن الواجب أن يتبع في تعليمه أمور عشرة منها : توجيه تعليم التاريخ في البلدان الإسلامية الوجهة الإسلامية وارتباط تدريس التاريخ بالدين وأن المجتمع المثالى كان أيام الرسول عليه السلام وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم وأنه يجب العناية بالصلات والروابط التاريخية بين أجزاء الأمة الإسلامية وتنظير المناهج من الشبهات التي أثارها المستشرقون وأن يكون مدرس التاريخ من لهم احساس إسلامي سليم وثقافة تاريخية ودينية عميقة ودراسة الدوادث الكبرى التي أثرت في تاريخ البشرية وأن يتضمن الكتاب المدرسي الحقائق العلمية الدقيقة والمطابقة للاتجاهات الإسلامية .

ويقول الباحث : إن دراسة تاريخ الإسلام وتوجيه مناهجه يجب أن يتم في هدى الأهداف العامة لرسالة الإسلام فالمسلمون رحماء فيما بينهم أشداء على الكفار لذلك فإن ما تحتويه مناهج التاريخ في أي بلد إسلامي يجب أن يخضع لملئ (يضم الميم والثاء) الإسلام وقواعده فلا يحاول أن يضع في مناهجه ما يؤمن مشاعر البلد الإسلامي الآخر ، ومن ذلك خطئنا في دراستنا لتاريخ الخلافة العثمانية في اعتمادنا على المصادر النصرانية المغرضة في دراستها .

وهكذا نجد أن إسلامة كتابة تاريخ الإسلام أصبحت ضرورة أساسية لتصحيح المفاهيم والعودة إلى المنابع ، وقيام التاريخ الإسلامي بدوره الطبيعي والصحيح في بناء العقل الإسلامي والوجودان الإسلامي في هذه المرحلة الخطيرة من حياة أمتنا الإسلامية وفي مواجهة التحديات التي يقوم بها التغريب والغزو الثقافي والغزو الواقف .

ومن أخطائهم قولهم بأن الحروب الصليبية هي صراع بين العرب وأوروبا ( محمد عمارة وعبد العظيم رمضان ) وهو قول باطل تماماً ولا دليل عليه فمتي كانت هناك عروبة تصارعها أوروبا في هذه الفترة وكلمة العروبة كلمة جديدة لم تستعمل إلا منذ سبعين عاماً على الأكثر » ١٠ هـ .

عاشرًا : دعوى أن الشام ومصر والمغرب كانت جزءاً من العالم المسيحي وجاء الإسلام فاخرجهم منه ، وهذا القول ليس له أى سند من الصحة التاريخية ، ذلك لأن الوجود الروماني في هذه المناطق كان وجوداً دخلياً وكان احتلالاً ثم انحسراً مع ترحيب أهل هذه المناطق وتعاونهم على اتهام هذا الانحسار .

فلا يجوز اعتبار هذه المناطق انتزاعاً من العالم المسيحي ، بل أن الباحث المدقق يجد أن موجات عربية كثيرة توالت على هذه المناطق طوال خمسة الآلاف من السنوات السابقة للفتح الإسلامي على هيئة موجات متواالية وسرت للإسلام أرضًا عربية وكان المسلمين الفاتحون يجدون من المقيمين ذوى قربى ونسب .

\* \* \*

في رسالة : كيف يجب أن يعلم التاريخ في البلدان الإسلامية يقول ( حامد شاكر حلمي ) :

ان التصور الإسلامي للتاريخ ينحصر في أنه تعبر عن ارادة الله وكشف لجلال رحمته وعظيم تدبيره وكمال قدرته ، وأن هذا العالم يخضع لسفن الهيبة ثابتة وهي كثيرة متعددة منها : سوء عاقبة المذنبين وأنه بشكر الله وحمده تذوم النعم وبالعاصي تزول وأن الناس مسؤولون عن رقيهم وانحطاطهم ، كما أن الأيام تداول بين الناس ، وأن المؤمنين يستحقون النصر ، والأمم تزول بالقبر .

\* \* \*

## الباب الرابع عشر

### أسلمة منهج اللغة

الخطيء إلى أن يتبني المسلمون — إلى غير مدى — اللغات الأوربية وسيلة لتعلم العلوم أو لبناء منهجهم الحضاري والعلمي على غير أساس اللغة العربية بمعاهمها القرآنية الأساسية لبناء المجتمعات والحضارات .

وقد تواترت في العقود الماضية دعوات اللهجات العامية والحرروف اللاتينية ، واشتعلت فكرة تعلم أبناء المسلمين اللغات الأجنبية بهدف عزلهم عن اللغة العربية بل وهي محاولات باطلة زائفة لن تؤدي إلى الهدف الذي يرمون إليه ، يجب كشفها ودحضها والوقوف في وجهه دعاتها الذين يغرون بعض البلاد الإسلامية باستعمال الحروف اللاتينية ، أو استعمال العامية في الإذاعات والمسرح والصحافة .

ذلك فنحن مطالبون بأن لا تقتصر الألفاظ الغربية محيط لفتنا ويجب أن نعربها أولاً بأول . لأننا لو تركنا للعلماء والمخترعين من أهل الصناعة في الغرب — على حد تعبير الدكتور منصور فهمي — بأن يقتصرنوا على لفتنا العربية لعرضناها لجحافل من الألفاظ تغير بها فتصبح هذه اللغة مهلهلة خالية من جمال صيتها العربية ونسجها التسجم ..

ولذلك فنحن مطالبون بالعمل على الحيلولة دون استخدام الدخيل من اللغات الأخرى ، استجابة لصيانته مادة اللغة العربية ومسايرة لطوعية اللغة نفسها وما نطوي لها في نفوسنا من اعتزاز .. بل إن حماية الفصحى ضرورة هامة لكونها جزءاً لا يتجزأ ولن يتجزأ أبداً من الإسلام نفسه ، وأيماناً بالحقيقة القائلة بأن العربية بسبب انتشارها الآن في كل أنحاء العالم دون استثناء يجب اعتبارها لغة مشتركة لكافة المسلمين والسلمات الملتزمين إلى هذا الدين لا للعرب وحدهم ذلك أن اللغة العربية هي مفتاح فهم الإسلام والادهاط به وبدونها سوف تضيع معاله ويجهل الناس حقائقه وتعاليمه .

\* \* \*

( ١ )

تعرضت اللغة العربية في العقود الأخيرة لحملات مكثفة تنتطوي على مؤامرة غادرة قوامها تسليم اللغة العربية لمناهج الغرب ، واحتلواها ، ومن ثم النظر إليها على أنها أحدى اللغات المتطورة التي تحول مع الزمن إلى المثاحف لتحول بدلًا منها عاميات الاقطان التي تتكلم بها وذلك استمداداً من التجربة التي واجهتها اللغات الأوربية بعد أن انفصلت عن اللغة اللاتينية .

وقد كان خليقاً بالدعوة إلى هذه المحاولة أن يعلموا أن الفرق بعيد وعميق بين تطور اللغتين герمانية واللاتينية وبروز العاميات الفرنسية والألمانية والإسبانية وغيرها وترجمة الإنجيل إليها وبين موقف اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ومن ثم أعطاها وضعاً مختلفاً ما يزال قائماً وسيظل حائلاً دون ترقيةها إلى عاميات دون دخولها إلى المتحف كما دخلت اللغتان اللاتينية والגרמנية .

ولذلك فنحن نطالب بأسلمة منهج اللغة ، وتميز منهج اللغة العربية عن منهج اللغات الأوربية المعاصرة والتتأكد من أن دراسة هذا المنهج الغربي عمل لا يؤدي إلى نتائج إيجابية بالنسبة للغة العربية .

وأن الدعوة إلى هذا المنهج إنما يرغبون إلى أن تنتصر اللغة العربية في أتون العالمية والأمية وبذلك تفقد ميزتها الخاصة التي أعطاها لها القرآن الكريم والتي ستظل قائمة بها باعتبارها لغة قومية للعرب ولغة عالمية للمسلمين جميعاً بوصفها لغة الثقافة والعقيدة والعلوم .

لقد ذهبت بعض مجامع اللغة إلى دراسة اللهجات وتقبل دعوات أعداء اللغة الفصحى أمثال أنيس فريحة وسعيد عقل وغيرهم .. كما جرت الدعوة إلى كسر عامود الشعر .

ولعل التغريبيين يرغبون في أن يؤدي ذلك الاتجاه

ان قضية مناهج علم اللغة الحديث هي اكبر التحديات التي تواجه الدارسين المسلمين . شائعاً شأن مناهج النفس والأخلاق والاجتماع والتربية الواقفة وهذا هو ما يدفعنا ان نكشف هدف هذا المنهج ونبين تعارضه وعدم استجابته للغة العربية لانه في الحقيقة لم ينشأ في رحابها وإنما نشأ في رحاب اللغات التي انشقت على اللغتين اليونانية واللاتينية والتي لم تكن في الحقيقة الا لهجات عامية حل محل اللغة الام وهو مكان يملاً وجдан ( ولوكوكس ) حينما دعا المصريين ١٨٩٢ الى اصطناع المهمة العالمية وطرح اللغة الفصحى ظناً منه أن ذلك طريق يسير سيؤدي الى اندلاع اللغة العربية الى عالميات وبذلك يتحقق الهدف الخفي المستور وهو اعلان الحرب على القرآن الكريم .

مناهج علم اللغة الحديث يتكرر في المنهج الوصفي الذي يجعل اساس دراسة اللغة دراسة اللهجات والتركيز على الكلام المنطوق دون المكتوب ، وصرف الانظار عن علاقة اللغة بالدين في سبيل احياء القوميات الحديثة في الغرب .

ولا ريب أن هذا المنهج قد وضعه العقليات التلمودية شأنه شأن منهج العلوم الاجتماعية وعلم النفس والتربية من اجل تدمير العلاقات القائمة بين اللغات دين الكتب المقدسة وتحطيم العلاقة المعروفة بين اللغات الأوربية واللاهوت .

وقد أشار الاستاذ عيسى امين صبرى المتخصص في دراسة المناهج اللغوية الحديثة الى اخطار هذا المنهج وعارضته لفاهيم اللغة العربية التي تختلف اساساً عن اللغات الأوربية الحديثة تاريخاً ووجهة وهدفاً في بحثيه الذي نشره في مجلة الامة ( صفر ١٤٠٥ ) فقال ان الباحثين قد نشأت في نفوسهم شكوك كثيرة حول هذه المناهج الواقفة التي هي من آثار تلك النار المستعرة المستعدة لأكل هذا التراث وانساد هذه اللغة وقد رأوا في هذه المناهج تحدياً حقيقياً وأنها حلقة في سلسلة الاخطار التي رصدها الاعداء لواجهة الاسلام ولغته وهي - في رأيهم - مؤامرة لا تختلف عن الدعوة الى العالمية واجلالها محل الفصحى او مبدأ الحروف اللاتينية بها وان جاءت اليوم ترفل في ثوب على وتدعى الزاهة وأشار الى ان هذه المناهج انما أرادت احياء الثقافات اليهودية ورفع شأن اللغة العبرية وقد نبع هذا التشكيك والتوجه من كون التسمية ( السامية ) مستمدّة من التقسيم التوراتي لشعوب . ومع أن علماء المقارنات

معظمهم من اليهود الذين كانوا يهدفون الى ابراز دورهم الحضاري وفضلهم على العرب والمعروف ان شيلوبتسير هو اول من استخدم كلمة السامية عام ١٨٧١ .. وقد كشف الباحث فساد هذا المنهج واضطرابه نتيجة عدّة

\* \* \*

### ملاحظات هامة :

اولاً : ان الاوربيين يجعلون اللغة الينية المستعملة في النصوص المقدسة وفي الطقوس غير تلك التي يتحدث بها الناس في حياتهم العامة ومصالحهم الخاصة ( وهذا هو الذي رکز عليه ( علم اللغة الحديث لهدمه ) وهو أمر يختلف في اللغة العربية أساساً عن اللغات الاوربية حيث لا توجد مثل هذه الفوارق .

جل اهتمامه وانه يعد المظهر المكتوب أمراً ثانوياً .  
رابعاً : الرزعم بأن تناول اللهجات الدارجة بالدراسة اثراء اللغة الفصحى المشتركة وأنه يسدى لها خدمة المحافظة عليها وهو زعم لم يقدم عليه أى دليل علمي ولا يؤدى قيمة فعلية ولن يصل إلى نتائج مفيدة للغة القرآن الكريم بسبب غير خفى هو أن أوليات علم اللهجات الحديث تقرر وتهدف الى دراسة اللغة المعينة لذاتها وفي ذاتها .

خامساً : ان هذا المنهج يهدى الجهد والزمن في امور نظرية ثانوية ، وهو بمثابة ترف علمي ليسنا في حاجة اليه .

سادساً : ينظر المنهج الوصفي الى التطور او التغير الذي يطرأ على اللغة على انه سنة طبيعية تصيب الكلام فتميّت بعض الالفاظ وتتميّز الفاظاً أخرى ، وتفسيراً وتوسيع او تضييق معانى الفاظ أخرى .

ولا شك ان هذا الصنيع اذا ما طبق على اللغة العربية فإنه يفتح الباب على مصراعيه أمام أصوات والفالاظ وعبارات غريبة وخارطة لادخول في جسم اللغة والعمل على اتلافه .

ويقيننا التام أن الفاظ وعبارات القرآن الكريم حية لا تموت كما أن معانيها لا تموت وأن الاستعمال الصحيح للغة هو الذي يحييها ويوهظ ما أهمل من الفاظها ويقوم ما أعوج من تراكيتها ولغتها بطبيعتها ممتازة عن غيرها بما فيها من قدرة الاشتراق والرونة .

سابعاً : اذا كان المنهج الوصفي الحديث يجعل اساس دراسته لغة ، تناولها في فترة زمنية معينة فان

المربطة بفترة زمنية قصيرة هدفها اثبات حاجات مادية أو علمية مؤقتة .

ومن أجل ذلك لابد من منهج لغوي متميز يحقق الوسطية المبتغاة لامتنا في الامور الخيرة دائما ، تلك الوسطية التي تملك القدرة على التمييز والنقد . ولا يغريها ركوب مطية التزيف مهما كان سهلا » ا . هـ .

وإذا كان لنا أن نلم بعلم الله العام فنقول ان الذي وضعه هو فرد يزند دى سوسيرو وأن ابحاثه ظهرت ١٩١٦ وقد قامت على دراسة اللغات الأوروبية القديمة والحديثة .

ومن ناحية أخرى فان هناك أيضا دراسة اللهجات العربية وهو جانب آخر من دراسات اللغة محاط بكثير من الشكوك والشبهات وله اهدافه التغريبية .

يقول الاستاذ عبد الستار فراج في التعليق على كتاب ابراهيم انيس (اللهجات العربية) :

« اذا جاز ان تكون العادات والتقاليد في جميع العالم خاضعة لقاموس واحد جاز لنا ان ننهر جميع اللهجات العربية على الخصوص لما استنتاجه الاوربيون من دراستهم للهجاتهم واصواتهم ولكن ما احسب ان العوامل التي اثرت في التقاليد الانجليزية مثلا تتفق مع العوامل التي اثرت في التقاليد العربية تمام الاتفاق ، فليست البيئة كالبيئة ، وكذلك في اللغة ليست الحروف في اکثرها كالحروف ، وإذا كانت نظرية الطب ان سوء التغذية مثلا يسبب ضعفا عاما فليس كل ضعف كعاص في الطب يرجع الى سوء التغذية ، ولكن الظاهرة التي نلحظها في الكتاب هو وجوب اخضاع اللهجات العربية دون قيد ولا شرط لما قرره علم الاصوات الحديث فإذا وجدنا بعد البحث ان كثيرا من الظاهرات العربية في لهجاتها غير منطبق على ما قرره طعننا في رواية الرواية مهما بلغت من القوة .

« ليس من العدل أن تفرض النظريات فرحتنا وأنما العدل أن ندرس ونستقضى ونحاول استخلاص قواعد غالبية غير مكتمل أو بضعة أمثلة ، لكنه جعل نظريات علم الاصوات الحديث قضيا مسلمة كالنظريات الهندسية تتطابق على اللهجات العربية تمام الانتظام مع ان النظريات الهندسية لا ينطبق منها كل مثلين الا اذا تساوى في الفرض ضلعان او الزاوية المحسورة بينهما او زاويتان وضلع .. » .. الخ .

ويتساءل الامير مصطفى الشهابي عن ما وراء الاهتمام بدراسة اللهجات العالمية فيقول : ان اللهجات العربية العالمية تعد بالعشرات بل بالمئات ، وكلها

تطبق هذا النهج على الفصحي يمسها من جوانب كثيرة لأن هذه اللغة قد شرفت بنزول القرآن الكريم بها مما أكسبها صفة الديمومة ونفي عنها الانقراض ، وبذا لا يمكن أن تعد المراحل التي مرت بها اللغات تستقل كل مرحلة منها بخصائص وقواعد مختلفة فلا يجوز ان نفصل تراث الأجداد وتعقد لغة قواعد ، ثم ننظر في العربية لمعاصرة وما لعبه التطور الشاذ فيها وتدون منها قواعد وخصائص ومفردات وأساليب لغوية جديدة

نذا فعذنا ذلك عند كل حقبة وتعددت الفترات نجد أنفسنا أمام لغة جديدة بعيدة عن لغة القرآن الكريم التي تمثل متوقعة في أغراض العبادات والشعائر الدينية فقط وبذلك تقطع سلتنا بالماضي وتحول الصعوبة اللغوية دون فهمها .

ان التطور الطبيعي الذي يشري اللغة لا يضطر سنتها وقواعدها ، ولقد عرفت العربية قديما المجاز وغيره من الأساليب التي امادت اللغة وأثثقتها ولكن لا نرضى أن يتسرّب الخطأ والضعف في المستوى تحت ستار هذا التطور .

ثالثا : ان الآراء التي جاء بها المحدثون والمتضمنة فكرة القواعد العالمية لجميع اللغات فيها خروج عن سفن الحقيقة واختلاف الألسنة ، وهى تذويب للغربية ومحو قواعدها . وكذلك الحال بالنسبة للترويج اللغة العالمية او الاقتصار على لغة واحدة لجميع البشر : كلغة (الاسبرانتو) ذات الحروف والكلمات اللاتينية او القرية منها .

تاسعا : جماعت المناهج اللغوية الحديثة صارفة انظارها عن الدين في سبيل احياء القوميات الحديثة أما العربية فهى لغة حضارة خالدة ادلت الجنين المادى والروحى معا اهتمامها وحققت الاعتدال والوسطية لذلك لأن من درسها في منهج يضع في اعتباره هذه الحقيقة ، وليس من شك أن هذا النهج يولد مع الحضارة نفسها ومعنى هذا أن المنهجية في اللغة تتبع من طبيعة هذه اللغة وخصائصها وأغراضها .

عاشرأ : أن الفصحي ليست تلك اللغة اللاهوتية التي تحاط بهالة من التقديس تحجبها عن تلبية حياة المجتمع وتتركها قضية عن القيام بدورها في تلك الحياة ، وهى ليست أيضا تطرح الدين جانبا لتنساق مع تيار يعمل بها الى التذويب وفقد الهوية ، وانى لها المقدرة على أبعاد الدين واقصاء القرآن الكريم والتذكر لفكر المسلمين وهى التي استمدت من كل هذه اسباب القوة والمنعة وطول العهد وهى ليست كذلك تلك اللغة

و هذه نقطة هامة في التحدى الذي يواجه اللغة العربية والعلوم الحديثة فإن أسلمة هذه العلوم يستدعي نقلها إلى أفق اللغة العربية أساسا ثم صبغها بصبغة التوحيد الخالص .

وما تزال قوى التغريب تقاوم تقديم العلوم الحديثة باللغة العربية في الجامعات بتعللات واهية ، وتتردد على السنة المشككين والمغارضين قضية ما إذا كانت اللغة العربية تصلح لتكون لغة العلم ، والواقع أن اللغة العربية مرت بهذه التجربة ونجحت فيها تماما وكانت تجربة الطب في دمشق تحمل الرد المقنع في هذه المسألة .

كذلك فإن التعليم في القصر العيني في مصر ظل سبعين عاما باللغة العربية حتى احتل الانجليز مصر فكان من الطبيعي أن يقاوموا هذا الاتجاه تحت تأثير النفوذ الاستعماري المسيطر آنذاك ، ولكن إلى متى ٠٠

\* \* \*

( ٤ )

ومن حرب الفصحى : الحرب الموجهة إلى الحروف العربية والدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وقد فات هؤلاء أن هناك فوارق عميقة بين كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية أو لغات أوروبا التي تفرعت عن اللاتينية .

ذلك أن التركية هي من الأسرة الطورانية ولم تكن ذات حضارة أصلية قديمة ولم تسهم يوما في الثقافة الإنسانية على الصعيد العالمي ، وقد بلغ من ضعفها أنها قد استعانت بجذبية اللغة العربية في ذاتها تعبيرا عن ذلك وثقافة ممتدة لامة واحدة في تاريخها البعيد إلى حاضرها المشرق ولا تزال مفعمة بالحياة والقوة وتطورها وتفاعلها لم يتوقف وهي لغة امة واحدة ارتبطت بالتاريخ والعواطف والمصير أوثق ارتباطا وفوق ذلك فهى لغة القرآن أساس الحضارة والفكر والثقافة العربية الإسلامية .

كما يقول دكتور عبد الكريم حرمانيوس : إن للغة العربية سنداناما أبقى على روتها وخلودها هو الإسلام فلم تزل منها الأجيال المتعاقبة ولا العصور المتباينة ولا اللهجات المختلفة على تقدير ما حدث اللغات. القديمة والمائلة التي انزوت تماما بين جدران المعايد وكادت تنقرض ٠٠

\* \* \*

اليوم لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعنى الالفاظ فهي كلام العامة يستعمل في أغراض المعيشية وفي علاقات الناس بعضهم ببعض وهذا الكلام وقتى لا يثبت على مرور الأيام وموضع لا يتحول من قطر عربى إلى قطر آخر ، ومعنى انه اللهجات العالمية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة وليس في مقدورها أن تعيش طويلا أو أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة ، وكل ما يكتب بلهجات عالمية يظل محصورا في قطره وقلما يفهمه غير إبناء ذلك القطر أو غير طائفة من إبناء ذلك القطر ، فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ووضعنا لكل منها قواعد رجراحة فماذا تكون مغية هذا العمل ، ان أخشى ما أخشى أن يستهوي هذا الموضوع عقول بعض الطلاب فيعكروا على معالجة تنظيم الكتابة والتلقيف باللهجات المختلفة ، وعلىطبع هذه السلطات ونشرها فتكون النتيجة تشويشا وحرزا ببعض الأقطار العربية عن بعض بدلأ من أن يوجد بلغتها ، اي أن تكون النتيجة مخالفة تماماً المخالفة لما يتوقع من تدريس اللهجات العالمية في خدمة الفصحى أما القول بأن تدريس هذه اللهجات يقضى إلى معرفة مشكلات الفصحى وإلى مداواة أدواتها فهو قول ضعيف . ان قضية الفصحى والعلمية لا تحل بدراسة اللهجات العالمية بل تحل بتسخير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها .

\* \* \*

( ١ )

وفي مجال المؤامرة التي ترمى إلى احتواء اللغة العربية محاولة استعمال اللغة الأجنبية في تدريس العلوم بوجه خاص وهو كما يقول مالك بن نبي : عالمة الفشل في استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطاق حياتنا الفكرية بحيث يتقوى الصلة بينها وبيننا . . صلة سطحية لا نغير منها نحن شيئا ، ولا تغير هي شيئا بينما نرى في المجتمعات الحية أن هذه الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيم أكثر فأكثر لا على هذه العلوم فحسب ولكن على تقديمها والسير بها قدما ، مثل إسرائيل التي أعادت لغة ماتت منذ ثلاثة آلاف سنة وأعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بها إلى الأمام ، وكما يحدث في اليابان والصين وكما حدث ذلك في حظيرة الحضارة الإسلامية عند بزوغها فانها لم تثبت قليلا الا وقد استواعت في اللغة العربية الفصحى في لغة قحطان كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفاسفة .

# الباب الخامس عشر

## أسلمـة الأـدـب

( من أسلمـة الأـدـب العـرـبـي إـلـى اـنـشـاءـهـ أـدـبـ اـسـلـمـي )

في العـصـرـ الـحـدـيـثـ إـلـىـ الـمـجـتمـعـاتـ الـاسـلـامـيـةـ وـاـخـدـتـ تـشـرـ سـوـمـهـاـ وـاـنـحـرـافـاتـهاـ عـبـدـ طـوـفـانـ مـنـ الـقـصـصـ وـالـمـسـرـحـيـاتـ وـالـقـصـائـدـ الـعـرـبـيـةـ وـكـبـ النـقـدـ التـيـ تـأـثـرـتـ بـهـذـاـ طـوـفـانـ وـالـعـرـوـفـ أـنـ الـأـدـبـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ يـقـومـ بـوـظـيـفـةـ أـسـاسـيـةـ فـيـ خـدـمـةـ الـفـلـسـفـاتـ وـالـعـقـائـدـ الـغـرـبـيـةـ الـمـخـلـفـةـ وـقـدـ ظـهـرـتـ نـتـيـجـةـ ذـلـكـ فـيـ عـدـدـ مـنـ الـأـدـبـاءـ وـالـنـقـادـ يـحـلـمـونـ الـهـوـيـةـ الـاسـلـامـيـةـ وـيـنـتـمـونـ بـفـكـرـهـمـ وـعـوـاـطـفـهـمـ إـلـىـ تـأـكـ الـفـلـسـفـاتـ وـالـعـقـائـدـ وـيـتـحـوـلـونـ إـلـىـ دـعـاهـ لـهـاـ بـقـصـدـ أـوـ دـونـ قـصـدـ .

ولـقـدـ كـانـتـ المـذاـهـبـ الـأـدـبـيـةـ الـغـرـبـيـةـ (ـ وـهـىـ الثـوـبـ الـأـدـبـيـ لـلـفـلـسـفـاتـ وـالـعـقـائـدـ الـغـرـبـيـةـ )ـ ،ـ قـدـ اـغـرـتـ أـولـاـكـ الـأـدـبـاءـ وـالـنـقـادـ وـشـدـتـهـمـ بـبـيـانـاتـهـاـ وـمـبـادـئـهـاـ وـجـعـلـتـهـمـ يـعـتـقـدـونـ أـنـهـاـ تـقـدـمـ النـمـوذـجـ الـمـثـالـ لـلـأـدـبـ الـإـنـسـانـيـ الرـفـيـعـ ،ـ وـلـمـ تـكـنـ الـمـبـادـئـ وـالـصـفـاتـ الـتـيـ تـحـلـمـهـاـ الـمـذاـهـبـ الـأـدـبـيـةـ الـغـرـبـيـةـ مـحـصـورـةـ فـيـ الـأـدـوـاتـ الـفـنـيـةـ وـقـضـائـاـ فـكـرـيـةـ وـعـقـدـيـةـ خـطـيـرـةـ .

فـالـأـعـمـالـ الـأـدـبـيـةـ الـتـيـ تـنـتـمـيـ إـلـىـ الـوـاقـعـيـةـ الـاشـتـرـاكـيـةـ مـفـمـوـسـةـ بـالـمـارـكـيـسـيـةـ تـحـمـلـ مـبـادـئـهـاـ وـقـضـائـاـهـاـ بـشـكـلـ مـبـاـشـرـ ،ـ وـالـأـعـمـالـ الـأـدـبـيـةـ الـتـيـ تـنـتـمـيـ إـلـيـهاـ الـوـجـوـدـيـةـ تـجـنـدـ كـلـ طـاقـاتـهـاـ الـفـنـيـةـ الـمـؤـثـرـةـ لـزـرـعـ الـقـضـائـاـ الـوـجـوـدـيـةـ :ـ كـالـقـلـقـ وـالـغـرـابـ وـرـفـضـ الـفـيـسـيـاتـ وـغـصـلـ الـإـنـسـانـ عـنـ الـعـقـائـدـ الـسـمـاـوـيـةـ .

وـمـنـ هـنـاـ كـانـ لـبـدـ مـنـ تـمـيزـ وـأـضـعـ بـيـنـ مـفـهـومـ الـأـدـبـ الـاسـلـامـيـ وـمـفـهـومـ الـأـدـبـ الـغـرـبـيـةـ .

( ٢ )

أـمـاـ الـمـذاـهـبـ الـأـدـبـيـةـ الـغـرـبـيـةـ فـانـهـاـ كـلـهاـ بـلـاـ اـسـتـفـاءـ تـخـالـفـ مـزـاجـنـاـ الـنـفـسـيـ وـعـقـيـدـتـنـاـ وـقـيـمـنـاـ وـحـينـ تـقـتـلـ بـهـاـ فـنـحـنـ يـجـبـ أـنـ نـكـونـ وـاعـيـنـ لـوـجـوـهـ الـاـخـلـافـ وـالـأـثـارـ الـمـارـضـيـةـ ،ـ ذـلـكـ أـنـ الـمـذاـهـبـ الـأـدـبـيـةـ مـرـتـبـتـةـ دـائـمـاـ بـالـبـيـئـةـ وـالـعـقـيـدـةـ .ـ وـكـلـاـ الـمـذـهـبـينـ (ـ الـكـلـاسـيـكـيـةـ وـالـرـوـمـانـسـيـةـ )ـ مـرـتـبـتـةـ بـالـدـينـ وـالـتـحـولـاتـ فـيـ بـيـئةـ الـغـرـبـ ،ـ فـالـكـلـاسـيـكـيـةـ فـلـسـفـةـ تـمـجـدـ الـعـقـلـ وـالـرـوـمـانـسـيـةـ ثـوـرـةـ عـلـىـ الـعـقـلـ وـتـمـجـدـ الـعـاطـفـةـ

فـمـطـالـعـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ عـشـرـ الـمـهـجـرـىـ وـقـدـ أـضـاءـتـ أـضـوـاءـ كـثـيرـةـ وـبـنـيـتـ قـلـاعـ جـدـيـدـةـ لـلـاـصـالـةـ وـالـمـوـدـةـ إـلـىـ الـمـنـابـعـ ،ـ مـنـهـاـ قـلـعـةـ عـلـمـ الـنـفـسـ الـاسـلـامـيـ وـعـلـمـ الـاـجـتـمـاعـ الـاسـلـامـيـ وـعـلـمـ الـاـخـلـقـ الـاسـلـامـيـ وـعـلـمـ الـتـرـيـيـةـ الـاسـلـامـيـ كـانـ لـبـدـ أـنـ تـتـحـقـقـ خـطـطـ الدـعـوـةـ إـلـىـ الـاـصـالـةـ الـتـيـ قـامـتـ مـنـذـ مـنـتـصـفـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ عـشـرـ لـتـحـرـيرـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ مـنـ تـبـعـيـتـهـ الـمـنـاهـجـ الـاجـنبـيـةـ الـوـافـدـةـ سـوـاءـ فـيـ كـتـابـةـ تـارـيـخـهـ أـوـ فـيـ اـسـالـيـبـ الـنـقـدـ .

لـقـدـ دـخـلـتـ الدـعـوـةـ الـاسـلـامـيـةـ مـرـحـلـةـ جـدـيـدـةـ مـتـقـدـمـةـ عـلـىـ سـابـقـيـهاـ فـيـ مـجـالـ التـنـظـيرـ وـالـتـقـنـيـنـ لـلـفـكـرـ الـاسـلـامـيـ فـيـ اـطـارـ الـأـعـمـالـ الـكـبـرـىـ الـقـائـمـةـ مـنـ أـجـلـ الـتـماـسـ الـمـنـافـعـ مـعـ الـوـعـىـ الـقـوـىـ الـبـاـيـقـاعـ الـعـصـرـ ،ـ حـيـثـ بـدـأـتـ تـلـكـ الـتـجـارـبـ فـيـ الـمـيـادـيـنـ الـمـخـلـفـةـ تـشـقـ طـرـيقـهـاـ وـمـنـ هـنـاـ كـانـ الـتـحـرـكـ مـنـ أـجـلـ اـنـشـاءـ مـاـ تـسـمـيـتـهـ الـمـدـرـسـةـ الـاسـلـامـيـةـ فـيـ الـأـدـبـ ،ـ وـقـدـ مـرـ الـأـدـبـ بـمـرـحـلـتـيـنـ :ـ مـرـحـلـةـ التـصـحـيـحـ لـلـأـدـبـ الـعـرـبـيـ وـأـخـرـاجـهـ مـنـ الـتـبـعـيـةـ وـمـوـاجـهـةـ الـتـحـديـاتـ الـتـيـ حـاـصـرـتـهـ خـلـالـ الـقـرـنـ الـمـاضـيـ عـنـدـمـاـ فـرـضـ عـلـيـهـ الـاسـتـشـرـاقـ مـذاـهـبـ الـفـرـقـ فـيـ الـنـقـدـ وـالـتـارـيـخـ وـقـدـ قـطـعـتـ حـرـكـةـ تـحـرـيرـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ مـنـ الـتـبـعـيـةـ شـوـطـاـ طـرـيـلاـ وـكـانـ مـنـ الـضـرـورـىـ أـنـ يـتـقـدـمـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ جـدـيـدـةـ لـاـنـشـاءـ دـعـائـمـ وـأـسـسـ الـأـدـبـ الـاسـلـامـيـ .

وـيـخـتـلـفـ مـرـحـلـةـ تـصـحـيـحـ الـأـدـبـ وـتـحـرـيرـهـ الـتـيـ سـبـقـتـ وـالـتـىـ شـارـكـ فـيـهـاـ كـثـيرـونـ عـنـ مـرـحـلـةـ اـنـشـاءـ الـأـدـبـ الـاسـلـامـيـ (ـ وـهـىـ مـرـحـلـةـ اـبـدـاعـيـةـ فـيـ الـقـامـ الـأـوـلـ اـنـ صـحـ هـذـاـ تـبـعـيـرـ وـفـارـقـ كـبـيرـ وـعـمـيقـ بـيـنـ اـسـلـمـةـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ وـبـيـنـ اـنـشـاءـ الـأـدـبـ الـاسـلـامـيـ أـصـيـلـ مـنـ نـقـطةـ الـبـدـءـ بـعـدـمـاـ تـقـطـعـتـ الـأـوـصـالـ فـتـرـةـ مـنـ الـزـمـنـ .

وـيـمـكـنـ القـوـلـ بـأـنـ تـلـكـ الـمـغـالـةـ فـيـ اـنـحـيـازـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ الـمـعـاصـرـ إـلـىـ الـتـبـعـيـةـ وـالـتـغـرـيـبـ كـانـ عـامـلاـ اـسـاسـيـاـ فـيـ الدـعـوـةـ إـلـىـ اـنـشـاءـ نـظـرـيـةـ الـأـدـبـ الـاسـلـامـيـ كـوـسـيـلـةـ اـسـاسـيـةـ لـلـتـحـرـرـ مـنـ هـذـهـ الـتـبـعـيـةـ وـالـخـرـوجـ مـنـ دـائـرـةـ الـحـصـارـ .

يـقـولـ الـدـكـتـورـ عـبـدـ الـبـاسـطـ بـدـرـ :ـ اـمـتـدـتـ آـثـارـ الـأـدـبـ

ولكى نصل الى مفهوم الاتب الاسلامى الذى نضع  
قاعدة الاساس له يجب ان نعالج واقع الاتب العربى  
ونكشف عن التحديات التى تواجهه .

\* \* \*

( ۱ )

## تحيات التغرب في مواجهة اصالة الأدب العربي

يواجه الادب العربي في الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة يحتاج الى دراسة ومراجعة ، وتحتاج الى بناء منهج عربى اسلامى في كتابة تاريخ الادب العربى وفقده . خاصة وأن النهج الغربى الوافد مازال مسيطرًا على الدراسات الادبية في الجامعات والمعاهد وكليات الادب واللغة العربية في ارهاى كثرة من بلداننا العربية الاسلامية .

واعتقد أنتا بدخول القرن الخامس عشر الهجرى قد دخلنا الى عصر الاصالة والرشد الفكرى الذى يدعونا الى التحرر من الخضوع للمناهج الوافية وخاصة بالنسبة للادب العربى ولللغة العربية الفصحى : « لغة القرآن » رغبة في تحرير الفكر الاسلامى كله من المناهج الوافية والتي فرضها التغريب والغزو الثقافى .

ولا ريب أن مهمتنا في هذه المرحلة من حياة أمتنا هي التعرف على ذاتنا ومزاجنا النفسي وطابع أمتنا وأدبنا . وابراز ذلك وأضدنا أمام الأجيال الجديدة لتكون قادرة على شق طريقها في وسط هذا الركام من المذاهب والدعوات ومحاولات التغريب والغزو الثقافي والتحرر من التبعية للغرب في شتى صوره ، وامتلاك الإرادة القادرة على ربط أدبنا العربي بالقرآن ليكون ذلك منطلقنا إلى تبلوغ الإسلام للعالمين .

## أولاً : فساد نظريات النقد الأدبي الوافدة ..

ثانياً : فساد خطة تحقيق التراث وتجديده ..

ثالثاً: فساد منهج الترجمة من الأدب الأجنبي ..

رابعاً: محاولات هذه اللغة العربية الفصحى ..

خامساً: المؤامرة على عمود الشعر.

## ٦٠ سادساً : انحراف القصة ..

WILHELM KLEIN

## أولاً : فساد نظريات النقد الأدبي الواقفة

أخطر ما أنصاب الأديب العربي المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته في مجالين كبارين : مجال تاريخ الأدب و مجال نقد الأدب فخضع لهذه المذاهب الوافية خضوعا شديدا ولقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لغزله عزلا تماما عن مجرى الأدب العربي منذ عصر الإسلام تحت اسم جديد

وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادئ والاخلاق والاسلام  
يتصادم مع هذه المذاهب من حيث انها تستند الى  
فلسفات تعارض المفاهيم الاسلامية فالأولى وثانية  
والثانية مسيحية وبالجملة فان المذاهب الادبية الغربية  
مرتبطة بفلسفات مادية ونحن لا نرفض العقل ولا نرفض  
العاطفة والشعر العربي بالعقل والعاطفة ذاخر ،  
وما نرفضه وما يتصادم مع الفكر الاسلامي هو أن يوجه  
العقل والعاطفة الى فلسفة معينة .

ومن ثم فان علينا أن نكون واعين بما وراء هذه النظريات الأدبية من مذاهب غربية تقوم جميعها على المادية الجدلية والتفسير المادي للتاريخ .

وقد عرض الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا ( في كتابه *القيم* ) نحو مذهب اسلامي في الأدب والنقد الى موقف الاسلام من المذاهب الادبية في الغرب فأشار الى ماليكي :

أولاً : موقفنا الاسلامي من هذه المذاهب هو التزام الاسلام .. فالكلاسيكية استنبطت من ادب اليونان والروماني بوئيتها التي جاء الاسلام لاجتنائها من جذورها والقضاء عليها والاسلام يرفض كل ما يحادث الله ورسوله ويحارب الاسلام ، واذا كان الكلاسيكيون يقترون أعمالهم الادبية على الجوانب المادية من حياة الانسان أما الجوانب الروحية وما فيها من تألق وصفاء فهي لا تحظى بشيء من اهتمامهم والادب الاسلامي يعطى الحياة المادية حقها كما يعطى الروح حقها ايضاً واذا كان بين الاسلام والكلاسيكية تناقض وتبادر فان التناقض بينه وبين الرومانسية اكبر وأعمق ودعاة الونية الذين يستنكرون الكلاسيكية التي تنبع بالروح الونية فانهم لا يريدون ان ينتقلوا منها الى الرومانسية التي تنبع بالروح المسيحية واذا كان الادب الرومانسي يبني على تحرير الاديب قيود العقل والواقعية والانطلاق في رحاب الخيال المجنح فان الادب الاسلامي ادب واقعى يجره جوادان اثنان لا يستغنى بأحد هما عن الآخر هما : جواد العاطفة وجود العقل ثم ان الرومانسية تدين بان الغاية من الادب المتعة ، أما الادب الاسلامي غلابي من ان تتواءف فيه الفائدة العلمية والمتعة النفسية بحيث يكون نافعاً وممتعاً في وقت واحد ، كذلك فان نظرية

يكون نافعاً وممتعاً في وقت واحد ، كذلك فإن نظرية الواقعية تختلف مع مفهوم الأدب الإسلامي ذلك أن الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه ( لا إله والحياة مادة ) ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة والأديب الإسلامي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدين بأن الطبيعة وما فيها وبين فيها إنما هي مخلوقات الله سبحانه وأنه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم » .

جوانب الصراع وال العلاقات الشاذة في المجتمع الغربي ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والأخلاقية والغمز لكل ما يتصل بالعقيدة ، والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة الى الاطلاق بدون جرح والجرأة على المقدسات .

وانتهى هذا الانتحار الخاطئ الى بروز اسلوب الشك واستعلاء هذه الدعوى واستشرائها في اسلوب ماكرا من اسلوب الغزو الثقافي يراد بها وضع علامات استفهام متعددة امام الشباب دون ان يجد اجابة صحيحة تهدى قلبه الغض او ترضي نفسه البسيطة ، بل ان الدكتور طه حسين قد فاخر يوما بأنه اخضع للشك بعض المعتقدات التي ورد ذكرها في القرآن وأحاديث الرسول .

ولقد كان من اخطر الآثار التي ترتب على سيطرة المنهج الغربي الوافد على الأدب العربي : ضعف اصلة البحث ، والتخفف من المصادر الأصيلة ، والاعتماد على المصادر الزائفة من كتب الماحضات وما سجله الرواة والقصاصون من اخبار من اجل ترويج آراء كاذبة مضللة ، وهي مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمي ، وإنما جمعت للتسابية والترويج ، وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والاحاجى والقصص الكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والباطل ولعل الدكتور طه حسين هو أول من اقتحم هذا المجال حين اعتمد ودعما طلبه في كلية الأدب بالاعتماد على كتاب الأغاني كما دعا المستشرقون الى اتخاذ الف ليلة مصدرا لدراسة المجتمع الإسلامي وكذلك ثمار القلوب للشعالي وهي كتب حافلة بكل فاسد وغث ، وليست لها طبيعة المصادر العلمية .

وقد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طبق طه حسين مذهبه على السيرة فأدخل إليها عشرات الأساطير التي لم يكن يعرفها العرب من قبل ، ولقد عاش المؤرخون المسلمون يحررُون سيرة النبي وينقولونها من كل شبهة ، حتى جاء طه حسين فأدخل إليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والأسرائيليات التي خدعت الكثرين حتى ظنوا أنها عمل أدبي رائع وإن كانت لم تخفي على الباحثين منذ اليوم الأول وقد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعى وصفا صحيحا حين قال : إن هامش السيرة تهم صريح .

#### ثانيا : فساد تحقیق التراث وتجديده

وفي مجال التراث الإسلامي للأدب العربي جرى التحرير والانحراف عن المنهج الصحيح فقد كانت حركة

وتيار جديد وبدأت الكتابات الأدبية كلها وكانتها منفصلة انفصلا تماما عن الحلقات المتتابعة للأدب العربي بل ان الكتابات التي تقدمها بعض الأدباء المتأثرين بالذاهب الغربي بدأ وكتابها منفصلة تماما كدراسات أبي العلاء المعري والمنبي وابن الرومي وغيرها .

فتقى جرت المحاولة لاخضاع الأدب العربي ( التقى كما يسمونه ) الى مذهب غربية كالذهب التحليلي والمذهب النفسي وجرى اخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهذه المذهب مع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك فتقى جرت المحاولات لاحياء شخصيات منكورة لا وزن لها في تاريخ الأدب العربي الحقيقي من امثال الصعاليك والزنادقة امثال أبي نواس وبشار بن برد والضحاك وحمد عجرد وغيرهم على انهم — كما ادعى التغريبيون — يمثلون عصرهم اصدق تمثيل .

هذا هو الجانب الخطير الذي وددت ان اتحدث عنه في مؤتمر اسلامي للأدب العربي لا يغفل عن تحديات التغريب وأخطار الغزو الفكري للأدب العربي وفرض نظريات تين وسانت بيف وبرونثير ، وهى نظريات قائمة على الفلسفة المادية المستدنة من نظرية دارون وما بعدها والتي تنظر الى الانسان على انه حيوان شهوة ومعدة .

وهو بالقطع ليس كذلك في مفهوم الفكر الإسلامي الذي يعتبر الأدب العربي حلقة من حلقاته وحبة من عقده ، فقد حاولت مدارس الاستشراق والتغريب التي فرضت نفسها على الأدب العربي أن تعطى للأدب ، مجالا أكبر من حجمه الحقيقي ، وتفسّر له مكانا أكبر من طبيعته فما يصبح من حق الأدباء التحدث في مختلف التقنيات الاجتماعية والعقائدية وتقديم وجهات نظر في مجالات لا يحسنونها وليسوا من فرسانها كالفقه والشريعة والأخلاق .

ذلك فان محاولة الدعوة الى استقلالية الأدب عن الفكر فتحت الباب واسعا أمام اخلاقية الأدب وغبلة الماهيم التي يسمونها الأدب للأدب والفن للفن وهي مفاهيم ينكرها الفكر الإسلامي تماما ويردها ردا غير جميل . فهى تحرر الأدب من طابع الأخلاق وتدفعه « لى تصوير الغرائز والاهواء من غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب .

وفي ظل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الاباحيين والكتب التي تتصل بآثارهم امثال الف ليلة والأغاني و..... من هذه المصادر كتب طه حسين فصول كتابه ( حديث الأربعاء ) كما اتسع المجال أمام ترجمة القصص الغربية الاباحية والكشف عن

المتوكل هجوماً عنيفاً لأنَّه نصر السنة وقضى على فساد المنحرفين .

وحملت جماعة التغريب على كتب التراث الإسلامي وقالوا إنَّ الكتب الصفراء تعوق تطورنا الفكري وأنَّه من الخير أن تزول هذه المخلفات من الطريق بِأَنَّ تقدمها للنيران .

وجرى التغريبيون على طريق المستشرقين والمفسرين فلم يخلوا إلا بـشاعر داعر ، أو فيلسوف منحرف أو صوفى ضال ، أمَّا الأصياد جميعاً فقد أغضبوا عنهم وهاجمومهم وانتقصوهم ، وحاولوا الادعاء بأنَّ العبريات لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظہر عبقرية بشار وبراعته هو الذي صنع العقلية التي قدمت هذا النتاج وأنَّ العنصر لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظہر عبقرية بشار وتهيأ إلى أصلهما الفارسي وابن الرومي إلى أجداده الروم .

وحيث عرضوا للجاحظ قدره في كتابة النجاء وهاجموا كتابه البيان والتبين لأنَّ الكتاب الذي فضح شباهتهم وأباطيلهم ودافع عن أمثال عبد الرحمن بدوى كتاب البيان والتبين بشراسة لا حد لها ، واتهموه بكل شباهتهم وأباطيلهم وجرى أمثال عبد الرحمن البدوى عن الملحدين والمنحرفين وعن طه حسين بالمجان والفساق ، وغيره من شعراء الهجاء المذعع وأثارت هذه الدراسات روح التشكيك في الأدب العربي واتهامه والتحامل عليه واعلان أنسوا صفحاته القلقة والتلوّع فيها كأنَّها الأدب كلَّه والوقوف عند الشعرا وآدباء الصنعة وتجاهل ذلك الحصاد الضخم من الفكر والثقافة والعلوم والفقه والأدب الرفيع الذي قدمه عشرات النوابغ .

بل إنَّ طه حسين ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال إنَّ ماف الأدب العربي من نثر فنى إنما أصله من الفرس ، وإنَّ أعظم مقومات الأدب العربي والفكر الإسلامي وإنما استمدَّه من اليونان والغربيَّ .

ومن البعد الزائف للتراث إعادة نشر رسائل أخوان الصفا الذي تأكَّد أنها من تراث الباطنية ، كما عمد لويس ماسينيون إلى احياء تراث الحلاج ، ومتزال بعض الفئات تعاود نشر ما أطلق عليه تفسير ابن عربى للقرآن وهو كتاب مليء بالسموم ومن هذا أيضاً تلك الاكذوبة الخطيرة بنسبة عدد من أشعار الفرس القديمة إلى العالم الفلكي العقري عمر الخيام وقد كشف الباحثون المسلمين فساد هذه المحاولات كلَّها .

وهناك محاولات أخرى أشدَّ خطورة في مجال

احياء التراث قائمة منذ وقت طويل وكانت ماضية في طريقها الصحيح قبل أن يغير المنهج الغربي بـمفاهيمه التي لا تتفق مع ذاتية الأدب العربي وبمحاولاتة الخطيرة في احياء جوانب معينة من تراث النحل والفرق وأصحاب الشبهات الذين كان لهم دورهم الخطير ابان حركة الترجمة من الادب اليونانية والفارسية وغيرها وخاصة الفكر الفنوصي والجوسي والوثني ، ولقد حرصت مدرسة النقد الادبي الغربي ( طه حسين وأتباعه من بعده ) على احياء كل ما اتصل بالشبهات والزنادقة والغزل الحسى والكتب الحافلة بالمفاهيم الوافية من الثقافات الهندية واليونانية القديمة وجميعها تلتقي بهدف تدمير قيم الفكر الإسلامي الذي قام أساساً على التوحيد الخالص ونظرة واحدة إلى هذه المؤلفات التي انبثقت والتى أعيد احياؤها يكشف في وضوح عن الغاية والهدف .

أولاً : الفكر المغرب وكل ما يتعلق بمنطق أرسطو وفلسفة اليونان وتلك المحاولات التي قام بها الفارابي وابن سينا للربط بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي في وحدة ثبت من بعد فسادها وعجزها .

ثانياً : احياء كتاب الف ليلة وليلة والأغانى ورسائل أخوان الصفا التي كتبتها الباطنية .

ثالثاً ، احياء الفكر الوثني المتصل بالتصوف في كتابات الحلاج ومحى الدين ابن عربى والشهوردى وابن المقفع وحنين ابن اسحق وابن الرواونى .

رابعاً : احياء شعر الخمر والجنس بـاحياء شعر أبي نواس وبشار ابن برد والضحاك وحمد عجرد .

ودراسة عصرهم ومحاولة القول بأنَّهم يمثلون عصرهم وأنَّ هذا العصر الذي هو القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون كما قال طه حسين .

وهم حين يتحدثون عن التراث يغضون الطرف عما دين عن الغزالي وابن تيمية والمتبي والبيرونى ولا يذكرون الا ابن سينا وابن رشد ، وحيث يذكرونها لا يذكرون آثارهم في الطب أو الفقه وإنما يذكرونهم من حيث هم أتباع أرسطو ، وحيث يذكرون المعرى يذكرون شعراً له يفمط التوحيد ويذكر التعدد وإذا ذكروا ابن حزم لم يذكروا غير كتابه طوق الحمامه في محاولة لاتهام الفقهاء بالحب ويتجاهلون المطى في أحد عشر مجلداً .

وهم بالطبع يكرهون ابن حزم وابن تيمية لأنَّ المستشرقين يكرهون هجومهم على الفرق الضالة التي طالما أيدوها ، ولا يذكرون المعتزلة الا انهم أولياء الفكر اليوناني وأنهم أصحاب فتنة خلق القرآن ويدعون انَّ الاسلام قد ضعف بعد سقوطهم ويهاجمون الخليفة

الفكر والأدب والفن فترجمت القصص الإباحي والمسرحيات اليونانية بمعاهديها الوثنية التي قام عليها المسرح والرواية وهي نظرية الصراع بين الإنسان والآلهة مع أن الإسلام يرفض مثل هذا المفهوم ويدحضه كما قدمت الترجمة مختلفة النظريات الواقفة المتأثرة بالمفهوم المادي واللحادي أمثال نظرية دارون ونظرية فرويد ونظريات العلوم الاجتماعية والأخلاق التي تقدمها دور كايم وسارتر وكلها تحاول أن تفرض مفاهيم ونظريات واقفة معارضة لمفهوم الإسلام الأصيل الجامع الواضح في مختلف مجالات النفس والأخلاق والسياسة والاقتصاد والمجتمع .

واسوا مافي ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الإسلامي على أنها علوم أصيلة وليس لها فروضاً قابلة للخطأ والصواب أو وجهات نظر تمثل أمها وأصحابها دون أن تتحقق هذه الترجمات أو تسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارئ المسلم ، موقف امته وفkerها من هذه القضية .

وفي نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج إليه المسلمون في هذا العصر عن مفاهيم العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية التي نحن في حاجة إليها واستبدلت بذلك ركاماً مضطرباً عاصفاً يرمي إلى هدم ذلك الحائط النفسي المرتفع القائم في النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة كما يصور الجريمة على أنها ظاهرة طبيعية .

ومن شأن هذه الترجمات أن تطرح في مجتمعنا الإسلامي موجة من اليأس والتشاؤم والملل والشك وازدراء الحياة مما لا يتحقق مع طبيعتنا المقاولة المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

\*\*\*

#### رابعاً : محاولات هدم اللغة العربية الفصحي

وقد حاول التغريب والغزو الثقافي أن يتوجه بخطوة خطيرة من التأمر نحو اللغة العربية الفصحي : لففة القرآن لهمها ومحاولات احتلال العاميات والحراف اللاتينية بديلاً منها وذلك لقطع الصلة بين البيان العربي وبين القرآن من ناحية وقطع الصلة بين أجزاء الأمة العربية باعلاء العاميات ، وقد تواتت هذه الدعوة منذ وطأ الاستعمار للبلاد العربية وحمل البشر الانجليزى لواءها وليم ديلوكوكس ومنها تلقاها عشرات في مختلف أجزاء البلاد العربية ثم جاء جيل من التغريبيين حمل هذا اللواء ودعماً لهذه الدعوى من أمثال لطفي السيد وسلامة موسى وحسين فوزى ولouis عوض .

وما تزال هذه الدعوى تتجدد في مختلف أجزاء

بعث التراث وهي إعادة كتابة التراث بصورة تغريبية على النحو الذي قام به طه حسين في كتابه : هامش السيرة والفتنة الكبرى والشيخان وغيرها فقد أخضع هذه الكتابات لذهب التفسير المادي للتاريخ وجرت المحاولة لتصوير الصحابة رضوان الله عليهم على أنهم مجموعة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم . فنحن في تحريف التراث بين أمرين أحلاهما مر : هما إعادة صياغته أو نشر المحرف منه .

\*\*\*

#### ثالثاً : فساد الترجمة من الأدب الأجنبية

وفي مجال الترجمة من الأدب الأجنبية كانت محاولات التغريب والغزو الفكرى بعيدة المدى . فقد حرصت مؤسسات التبشير ومدارس الارساليات ومطابعها على تقديم عدد ضخم من الترجمات الهزلية الأسلوب الفاسدة الضمرون التي أغرقت القارئ العربي وال المسلم بقيم ومفاهيم تصل بالفسق والزنا والفالحنة والاثم على نحو يحسن هذه المعانى ويرسمها كأنها أمور طبيعية أو مشروعة ، ليست محرمة ولا هي انحراف في هذه المجتمعات نفسها .

وقد امتد هذا اللون المسموم إلى القصة والفقه والأدب والشعر والعلوم والباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة .

وفي مجال الأدب فقد قدمت آفاق الأدب العربي بركام ضخم من القصص الفرنسية الخليعة وقدمنت هذه القصص في سلوب ردئ في طباعة رخيصة ، وقد استهدفت كلها الإثارة دون المفهوم وقام طه حسين بدور كبير في ترجمة المسرحيات الفرنسية المشوهة وشعر بودلير وغيره ، وبرزت مع ذلك مدرسة ترى اطلاق الفن من قيود الفضيلة ، هذه المدرسة التي نشأ في أكتافها القصاصون الحاليون وقد أحسن يوسف أسعد داغر عشرة الآن قصة ترجمت حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات المسلمين وعظمة المسلمين أمثال صلاح الدين وأعلاء روح التعصب الأولي وفي الأخير ترجمت قصص وكتابات يهودية وصهيونية ترمي إلى ادخال مفاهيم زائفة في النفس المسلمة . ومن كتابات أمرسون وول ديورانت وغيره تجد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية والدين وتسفيه الشعائر الدينية واحتقار البطولة والكرامة والعنفة . وعرض تاريخ اليهود عرضاً جذاباً مشرباً بالعطف والمحاباة .

ولقد توسيع حركة الترجمة في مختلف مجالات

جديداً محدود القواعد ، قليل التنويع ، خفيفاً على العقل والفكر ، سهلاً على الذهن والفهم ، كذلك الأمر في اصلاح قواعد النحو واصلاح علوم البلاغة . وبهذا يكون معنى الاصلاح في اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية . ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعني الازالة والوضع ، وهذا يعني احداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، وهذه اللغة العربية الجديدة ان صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالام فانها تبعد عنها شيئاً فشيئاً حتى تختفي معالم الصالات بينهما أو تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة » .

ومعنى هذا أن يصبح تراث العربية البالغ ثلاثة ملايين من الكتب في مختلف مجالات الشريعة الاسلامية والأدب والحضارة والفكر والفن عبارة عن توابيت في دار الآثار والمتاحف .

والحق أن قواعد اللغة العربية وضعت طبقاً لنصوص القرآن والحديث والسموع من العرب فالتغيير في هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فإن الاسلام وهو عقيدة وشريعة قد استنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة والتشريع في العبادات والمعاملات من الكتاب والسنة وعمل الرسول والقياس والاجتهاد ، وكل هذه الأركان والينابيع لا يمكن أن يستنبط منها حكم الا بواسطة مبادئ خاصة وقوانين معروفة بعلم الأصول . وأساس هذه المبادئ والقوانين الراسخ او دعائم علم الأصول انما هي فهم لغة العرب : لغة القرآن والرسول بما وضع لها من القواعد الصرفية وال نحوية وضوابط علوم البلاغة واذا اصلاحت هذه الضوابط تلك القواعد بالازالة والوضع انهم أساس علم الأصول وتداعت دعائمه اذا انهدم الاسلام وتداعت الدعائم انهم ايضاً ما يرتكز عليها وهو هذا العلم اذا وصل هذا العلم الأساس في استنباط احكام العقيدة ومسائل الشريعة الى التداعي ، تداعت معه ايضاً طريقة الاستنباط وفهم ما استنبط دون بالفعل ، وضاعت العقيدة واحتسبت الشريعة وعذنا الى الجاهلية الالى ..

هذه هي خلقيـةـ الصورة البراقـةـ كما يصورها الدكتور على العنـانـىـ التي يحمل اوابـهاـ اليـومـ مجمـوعـةـ من اعـدـاءـ الاسلامـ وـالـلـغـةـ العـرـبـيـةـ يـدـافـعـونـ عـنـهـاـ وـيـنـقـلـونـهاـ من ثـوـبـ الىـ ثـوـبـ وـمـنـ اسـلـوبـ الىـ اسـلـوبـ وـكـلـماـ انـكـشـفـ زـيـفـهـمـ فـيـ جـاتـبـ اـعـادـوـاـ تـشـكـلـهـاـ فـيـ صـورـةـ اـخـرىـ .

\* \* \*

البلاد العربية على صورة وأخرى منذ دعا لويس ماسينيون الى كتابة العربية بحروف لاتينية وتابعه عدد العزيز فهمي وآخرون ، وتجددت في السنوات الأخيرة دعوى ما يسمى باللغة الوسطى ، وتلك دعوة حمل لوائها فريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وأمين الخلوي وهي محاولة ماكراً لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة باعفاء اللهجات واعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية ، فلا هي عالمية ولا هي فصحى ولكنها تنزل درجة عن الفصحى لتفصل عن بيان القرآن ولتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بها الى العامية وجاءت مرحلة أخرى في محاولة خطيرة تولاها وتصدى لها الدكتور طه حسين وهي تبديل الخط العربي وقد اعاد النحو باسم ( تطوير اللغة ) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو اصلاح أو تجديد ( وهي أسماء لبقية مرنة تخفى وراءها هدفاً خطيراً ) وصفه الدكتور محمد محمد حسين بأنه التخلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد وهي القوانين والأصول التي ضمنت لنا القدرة على مطالعة تراث المسلمين والعرب خلال أربعة عشر قرناً .

فإذا تحققت هذه الخطة التي تسمى بالتطوير أو التهذيب وتحلـلـناـ منـ هـذـهـ الأـصـوـلـ وـالـقـوـانـينـ وـالـقـوـاءـ التي صانت هذه اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة هي تحقيق الهدف في تبليل الألسنة بين المصري والشامي والمغربي ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربي الاسلامي متعددة على غير المختصين من دارسي الآثار ومفسري الطالسم وعندئذ تصبح وحدة العرب كبقية لوحدة المسلمين عمل باطل ..

\* \* \*

وبعدة اصلاح اللغة هي أحدى هذه الخطط فقد ظن الكثير من البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، ولكن الحقيقة كما كشف عنها الدكتور على العنـانـىـ هيـ فـيـمـاـ يـائـىـ : « ان الاصلاح في اللافاظ والتركيب والاساليب لا يكون الا بتغيير قواعد ابـنيـةـ اللغةـ وهيـ (ـ الـصـرـفـ )ـ وـتـحـوـيـرـ ضـوـابـطـ اـعـرـابـهاـ وـالـاحـوالـ العـارـضـةـ عـلـىـ الـأـلـفـاظـ بـاـخـتـلـافـ الـوـضـعـ فـيـ الـجـمـلـةـ وـهـوـ (ـ النـحـوـ )ـ وـتـبـدـيلـ الـمـوـضـعـ الـلـفـظـيـ فـيـ الـمـفـرـدـ وـالـمـرـكـبـ مـنـ حـيـثـ الـحـقـيقـةـ وـالـمـجـازـ وـالـاسـتـعـارـةـ وـالـكـنـاءـ وـهـوـ (ـ الـبـيـانـ )ـ وـتـغـيـيرـ وـاـهـمـالـ ضـوـابـطـ الـفـصـاحـةـ وـالـبـلـاغـةـ وـهـيـ (ـ الـمـعـانـىـ )ـ وـمـعـنـىـ اـصـلـاحـ قـوـاءـ الـصـرـفـ اـنـقـالـاـ مـنـ الصـعـبـ الـىـ السـهـلـ اـنـمـاـ يـعـنـىـ انـهـمـ عـلـمـ (ـ الـصـرـفـ )ـ مـنـ اـسـاسـهـ وـنـسـخـهـ فـسـخـاـ تـامـاـ لـتـعـدـ قـوـاءـهـ ، وـتـنـوـعـ ضـوـابـطـهـ ، وـبـعـدـ اـنـ يـقـمـ الـهـدـمـ يـبـنـيـ الـصـلـحـونـ عـلـىـ اـنـقـاضـهـ صـرـفاـ

## خامساً : المؤامرة على عامود الشعر

لما كان الشعر هو ديوان العرب ولما كان عامود الشعر هو الركيزة الأساسية في بناء القصيدة . فقد جرت المحاولة أولاً للقضاء على الشعر العربي الذي كان عالماً هاماً من عوامل اليقظة ومواجهة النفوذ الأجنبي ومن ثم بدأت الحملة عليه واتهامه بأنه شعر مناسبات وذلك للقضاء على دوره التاريخي الخطير الذي هز النفوذ في مواجهة الأحداث ، في قضايا الوحدة الإسلامية والنفوذ الأجنبي وفي الترابط بين العرب وال المسلمين ظهرت الدعوة إلى الشعر الذاتي للقضاء على الشعر السياسي والاجتماعي وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الأداء الذي آزر الحركات الوطنية والاسلامية وواجه الاستعمار والنفوذ الغربي والصهيونية هذه هي الضربة الأولى التي وجهت إلى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة اشد خطراً هي مرحلة الشعر المنثور وقصيدة النثر أو شعر القمعية أو الشعر الحر .

الث الدعوى المسومة التي حمل لواءها الماركسيون والشعوبيون لاخراج الأدب العربي من عامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التي أثر بها في محيط الإسلام ومجتمع المسلمين . وقد وصف شاعر عربي أصيل معاصر هو عمر أبو ريشة هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة وظاهرة مرضية وأنها صناعة وافدة وأن الصهيونية حتماً وراء هذا الشعر ، فالصهيونية هي مبتكرة البدع والهرطقات في هذا المضمار أو ذاك للإفراج عن الشباب ولنفعهم من العودة إلى التراث والأصالة .

وتؤكد الدلائل على أن شعرنا العربي كان عمودياً طيلة حياته التي تمت أكتر من الفي عام وان كل التجديدات التي دخلت عليه - كما يقول الدكتور عبد المنعم خناجي - كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير في إطارها وأن هذا الشعر العربي قد أصبح صورة فكر وتراث حضارة وأمة وقد جاء اليوم من يدعو إلى التخلص عن هذه العمودية كلها للسير على نظام التفعيلة وحدها ولنبعد بالشعر عن أصوله العمودية وعن موسيقاه الشعرية كذلك هناك من يدعون إلى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعراها في القديم والحديث والنظر إليهم على أنهم متخلدون لا يصح أن نسير على منوالهم ويفكك كثير من الباحثين وفي مقدمتهم الدكتور محمد محمد حسين : أن الشعر الحر في أصل نشاته شعبية من اتجاه عام يدعو إلى تقليد الغرب في فكره وحضارته .. فاطلاق الشعر من القافية التي ظل يلتزمها طوال هذه القرون ، منذ عرفنَا الشعر العربي دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربي الذي لم

يعرف القافية إلا في حدود ضيقه من آثار احتكاكه وتأثيره بالأدب العربي في الأندلس .

ولقد كان من أثر هذه الموجة هو ضعف هذا الجيل وعجز أكثر عن تذوق الشعر العربي الأصيل في تراثه الطويل . هذا وقد حمل الشعر الحر جميع سمات الفكر الغربي من تشكيك ولا ادرية وانحلال ومعانٍ مترجلة مساذجة وحاول ابتعاث تراث قديم من الأساطير التي جاء الإسلام للقضاء عليها وأعلن أنها من عصر طفولة البشرية ولقد نشأ هذا التيار ونسا قليلاً في مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذي صنعته مفاهيم الماركسيّة والوجودية والفكر المادي .

وتهدف الدعاوى التي يحملها أهل هذا الشعر في صميمها إلى هدم قواعد الأدب العربي والبلاغة العربية وذلك عن طريق عيادها اللغوي وقد حفل الشعر الجديد بكل صور الوثنية والالحاد والتفاهات وقد اتخذه الشعوبيون والمنحرفون أداة لماربة اللغة العربية الفصحى ومطية لهدم مفاهيم الإسلام الصحيح .

\* \* \*

## سادساً : انحراف القصة

لأشك أن القصة بمختلف اسمائها وفنونها هي فن غربي خالص ومستحدث يختلف اختلافاً كبيراً عما عرف الأدب من فنون يمكن أن توصف بأنها قصة أو ما عرف عن طابع القصص القرآني ، فقد بدأت بالترجمة ثم التعرّب مع تغيير معالم البلاد وأسماء الابطال ، مع بقاء جوهرها الأجنبي .

وماتزال القصة والمسرحية تستوحى ذوق وتصرف المجتمعات الأوروبية بكل اخلاقياتها ومفاهيمها وحلول مشاكلها التي تختلف في جوهرها عن ذوق وتصرف المجتمعات الإسلامية ولاشك أن هناك فروقاً بعيدة بين النفس العربية الإسلامية وبين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها ومن جهة الاستجابة للأحداث كالخيانة الزوجية واضطراب الأسرة ، وهناك أيضاً فروقاً وتبيناً من ناحية التصرف ازاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن في أفق الأدب العربي لا تمثل حقيقة روح الأمة العربية الإسلامية لأنها تخضع للمنهج الغربي وهي مفاسدة تماماً للقصص الأصيل : الذي وصفه القرآن الكريم بأنه ( القصص الحق ) البعيد عن الخيال الجارف والهوى والتهييد والتفاصيل وقد اتسم الأدب العربي منذ ظهور الإسلام بخاصية واحدة هي تمثل الصدق والحق مع الوضوح والإيجاز ، والتماس العبرة ، والدعوة إلى الخلق والسمو

اختفت من الأدب العربي المسرحية واللحمة والقصة الإسطورية وحين ظهرت الف ليلة وليلة وأدب المقامات والسبع كان ذلك كله غرباً عن طابع الأدب العربي المتحرر من طوابع الوثنيات والرمزيات .

مهدىءة القصة العربية التي يقدمها الأدب العربي اليوم ليست أصيلة ولذلك فهي لن تستمر طويلاً لأنها مضادة للفطرة وللطبيعة العربية الإسلامية ، وأنها قد أفسدت عقول الشباب والفتىات نتيجة تلك العبارات المكتشوفة والتصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة من الأغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الإباحية والفساد .

والقصة بهذه الصورة المعروضة اليوم هي من سموم الغزو الفكري والتغريب التي تهدف إلى تحطيم القيم الأخلاقية والكرامة وأفساد المجتمع .

والارتفاع فوق الأهواء ، وكلها عناصر حضارة القصة العربية الحديثة بل ومعارضة لها ، ذلك أن العربي كان يفكر دائماً في أفق مفتوح مشرق طليق ، طبيعة الحياة الحرة الجريئة المكتشوفة ، وطبيعة الفارس المقاتل الحفيظ على العرض والكرامة . الذي يقول كلمته في صراحة ووضوح ، هذه الطبيعة الواضحة لم تكون في حاجة إلى القصة المصطنعة القائمة على الحبكة والمفاجأة والطلال والرموز ذلك أن العقيدة الإسلامية كانت بسيطة سمحه تقوم على التوحيد أساساً فلم تكن في حاجة إلى هذه المذاهب الغربية التي تقام في المعابد أو الأديرة لتشرح للناس مفاصيل معقدة .

ولما كانت ذاتيتها الأمة العربية وفراحها النفسي وتركيبها الاجتماعي والعقائدي البسيط السمح ، فقد

\* \* \*

## الأدب العربي : يجب أن يكون إسلامي الوجهة والمنطلق

ولا يسرف فيها وهو في تقديره للابطال لا يكرم الافراد أنفسهم ولا يضعهم بوضع القadasة ، وانما يكرم أعمالهم ويحتفى بها ولذلك فان مثاله هو العمل ، لا الفرد .

ويتسم الأدب العربي بوصفه جزءا من الفكر الإسلامي بسمات واضحة أساسية مستقلة ، تختلف كل الاختلاف عن مفاهيم الأدب القديمة والحديثة من حيث استمداده أساسا من معين القرآن وتاثره باللغة الأخرى بالقيم الأساسية التي رسماها للفرد والمجتمع والكون والحياة .

وقد استطاع الأدب العربي أن يمزج خير مقوماته القديمة بمقومات الفكر الإسلامي وأن يصوغ ( فنا جديدا ) طابعه إسلامي الجوهر يحمل خصائص الامة العربية من بطوله وكرم وشجاعة وأريجية ومرودة ويطبعها بطابع المفهوم الإسلامي متوجهة الى الله تبارك وتعالى وخلصة للحق ومتجردة من الهوى والغرض .

وقد شق الأدب العربي طريقه أساسا وفق مفهوم واضح ، قوامه أنه غير منفصل عن الفكر الإسلامي كله كمفهوم أساسى ، فلم يقبل التضحية بالقيم والمضامين الأخلاقية من أجل البراعة الفنية وقد استطاع أن يوازن بينهما ايمانا بمفهومه الإسلامي القائم على الوسطة والتكميل والجمع بين العقل والقلب والروح والمادة وأن يرجع أحدهما أو يعلى الآخر مؤمنا بسلامة بناء الكيان الانساني وعدم تعريضه للجحود أو الانحراف في آن .

ويعد طابع « التوحيد » من أبرز خواص الأدب العربي ، وهي خاصية تغلب على غيرها من خواصه ، وتمثله خير تمثيل ، فقد اتخذ الأدب العربي طريقه ليكون موحدا متساويا وقد ثمن الأدب العربي في نطاق مفهوم الفكر الإسلامي صورا انسانية عميقة في مجال البطولة والزهد والتصوف والتسامي والمثل العليا والنظرة الجامعية واستطاع في ظل مفهوم الفكر الإسلامي أن يحقق

ان الوحدة التي حققها الإسلام كانت وحدة فكر ، متصل بجميع جوانب الحياة ، والأدب جزء منه ، وكان الفكر - لا الأدب - هو الذي طبع عالم الإسلام بطابعه بوصفه شاملا لجميع جوانب المعرفة ، وليس قاصرا على تصوير النفس الإنسانية وحدها وهي مهمة الأدب الأساسية .

ولم يفصل مفهوم الفكر الإسلامي للأدب بين الفن والخلق وقد استطاع بتجربته الصادقة العميقه ان يتحقق الجمع بين الصدق والأخلاق وأن يوازن بين مهمته وبين علوم التربية والنفس والاجتماع ولم ينحرف عنها ، في سبيل المبالغة في جانب على آخر ولم يعل من شأن العاطفة على العقل .

وطبيعة الأدب أنه خادم أمين للتاريخ وعلم الاجتماع ، على أساس قدرته في تقديم صدق صورة للعصر والمجتمع الذي صاغه وكونه .

ويحتاط الفكر الإسلامي في تعبير « الشعرا » ولا يراه أصدق معبر عن عصره على أساس أن الشعرا منطلق عاطفى وخبراتى لا يقتيد كثيرا بالعقل ولا بالعلم « وعند أن الشعرا ورجال الفنون قوم مثبوبو الاحاسيس مهتاجو العواطف وكثيرا ما يعجز فكرهم ويفطى على قلوبهم عواطفهم المضطربة ومبولهم ونزاعاتهم ، وهم بحسهم المرهف يقذفوا لنا صورا براقة لامعة ساخرة أخاذة ، ولكننا حريين أن نعلم انهم قد لا يلتزمون الاعتدال ولا يتخون الانتصاف ويستخفون بالتبعة ويعتقدون على البديهية فلا يتعمدون ولا يستقصون بل يتعصبون وينحرفون » - على أدهم ..

وطابع الأدب العربي من حيث قيامه على الموازنة بين العقل والعاطفة لا يعني كثيرا بال تصاوير والزخارف والمهرجانات والتماثيل والاستعراضات ويؤمن بالقيم الروحية الفكرية الحية ، ولا يتكتء على الجوانب المادية

- ٧ - القضاء على القلق والانحراف .
- ٨ - اطفاء الغرائز والاستعلاء بها على المادة والقبع .
- ٩ - الحيلولة دون الذوبان الاجتماعي في الحضارات .
- ١٠ - الحفاظ على الذاتية الإسلامية .

وقد دعا الادباء الاسلاميون في العصر الحديث الى قيام منهج اسلامي لتاريخ الادب العربي ولنظرية النقد الادبي الاسلامية وذلك بعد ان خضعت مختلف الجامعات وكليات الاداب في الجامعة والازهر ودار العلوم لنظرية تاريخ الادب الغربي ونظرية النقد الادبي الوافدة ويركز الدعاة الاسلاميون الى :

- اولا : اصلة الادب ( تاريخا ونقدا ) على ان يكون الاديب مسلما مقتنعا بمبادئ الاعلام وقيمته ومثله قبل كل شيء ، وملتزما بالاسلام ضابطا لحريته .
- ثانيا : ان يكون الادب الاسلامي في خدمة الدعوة الاسلامية وحمايتها والدفاع عنها وتحريرها من التبعية
- ثالثا : ان يقدم المعايير الاسلامية في جميع المجالات .
- ١ - في الحرب والسلام والمجتمع .
- ٢ - يقدم الاخلاقي على الجمالى .
- ٣ - يقدم المفهوم الجامع روحا ومامدا .
- ٤ - الصدق الفنى وهو ما وصفه عمر بن الخطاب في قوله عن زهير ( لا يعاظل في كلامه ولا يتبع حواشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه .
- ٥ - التحرر من سومون النظرية الغربية للنقد .

( دكتور حسن جاد )

تحرير الخيال من الاغلال الطبيعية الشديدة الوطأة وأن يعيش الواقع ويحسنه .

وبالجملة فان مفهوم الادب العربي في اطار الفكر الاسلامي يقوم على الجميع بين الوجдан والعقل ، والروح والمادة معا وهو لا يعني بالاستعراضيات والهرجات والزخارف وأوليته هي في التعبير الفنى ، القائم على الایمان بالله واليوم الآخر ، وفناء العالم المادى وبقاء الروح وخلود اليوم الآخر ، وقوامه ارتباط الادب بالاخلاق ، ويتركز مفهوم الادب حول موقف الانسان من الحياة والمجتمع ، في محاولة لكتف ما فيها من خير وشر ، وعلى نحو يعلى ويزكي تقبل الخير وشجب الشر ، وهو بذلك دعوة الى التيم النبيلة التي تدفع الانسان الى مجال السمو والرفعة والكرامة دون الخروج عن نطاق الواقع ، حيث يبدأ منه نقطة الاصلاح واعلاء النفس الانسانية عن الشر والفساد .

ويقوم المفهوم الفكري للادب العربي على أساس :

- ١ - التشخيص الصحيح لمشاكل المجتمع وسلبياته واحتياجاته .
- ٢ - زرع الامل في النفوس وتحطيم اليأس .
- ٣ - الدعوة الى الحياة الفاضلة الكريمة .
- ٤ - تقديم الحل الاسلامي لمشاكل العصر .
- ٥ - الاخلاقية سابقة على الجمالية والعصرية .
- ٦ - اسعاد القلوب والعقل بما يملأها طمأنينة وآيمانا .

( ٥ )

## محاولات التغريب في فصل أدب أمتنا في الماضي والحاضر

ولطالما دعا الابرار من رجال اليقظة الاسلامية هذه الامة ممثلة في اساتذتها وعلمائها ورجال جامعاتها الى التماس منهج اسلامي للادب العربي بعد ان افسد التغريبيون هذا المعين المشرق النقي وحالوا بين روائعه وبين الوصول الى الشباب المسلم ، مقدمين عليها سومون ابى نواس وبشار ووالية بن الحباب وغيرهم بل لقد بلغ الفجور والاجرام بكثيرهم الى ان يقول ان القرن الثاني للهجرة هو عصر شك ومجون وفيه من فيه من التابعين البررة الذين انشاؤا المذاهب الفقهية الاسلامية ومفسرى القرآن ومقننى الشريعة ولقد كان السؤال الذى لم يك دعوة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين : لماذا تكون تابعين لمدارس معينة في النقد

منذ بدأت حملات التغريب والغزو الثقافي والشعوبية على الفكر الاسلامي عن طريق الاستشراق والتبشير فقد وجهت قذائف كثيرة الى سعسک الادب العربي واللغة العربية بهدف تهويق قيمها الاسلامية التي صاغها القرآن الكريم والسنة النبوية ورغبة في تزييف اصولها وأصالتها وتذويبها في اتون النظريات الغربية والاممية الاباحية والمادية والوثنية .

ومن هنا نجد كان من الضروري وال المسلمين يتوجهون اليوم الى بناء مفاهيمهم الفكرية على أساس القرآن الكريم بعد ان تميعت اجيالا طويلا ان يكتشفوا زيف هذه المؤشرات الخطيرة وان يدحضوها حتى يمكن تسوية الارض امام قيام منهج اسلامي صحيح للادب ، يكون متحررا من التبعية ومستمدًا من المنابع .

من هذه المذاهب خير ما فيها ثم بنوا لنا نظرية أصيلة مستمدة من جوهر أدبنا ووفق مفاهيمه وقيمه ومنهاجه ذلك لأن الأدب العربي بعد نزول القرآن الكريم اسس منهاجاً أصيلاً وأقر قوانين معروفة نمت وتطورت ثم توقفت وجمدت وكان في الامكان تحريرها من أخطاء وإنحرافات عصور التحلل ومن سيطرة الوفاد .

و بما يذكر أن الفلسفات الخمسة التي اشتقت منها نظرية النقد الأدبي قد ضربت وطعن فيها وأصابتها بمضي الزمن فساد كبير واليوم نسمع عن أخطاء عريضة في مذهب دارون وماركس وفرويد تحولت بهـا هذه الفلسفات عن أصولها فضلاً عن أن مفهـوم الأدب الأسلامي هو اقامة مفهـوم الإنسان على أنه روح و مادة ، وعقل و قلب ، وأنه قبضة من الطين و نفخة من الروح .

ثانياً : تبعية الأدب العربي لمنهج وافد في كتابة تاريخ الأدب ، ذلك هو منهجه تقسيم الأدب العربي إلى عصور ، أموي وعباسي وغيرهما وهو تقسيم ظالم ، فضلاً عن وصف عصر المماليك والدولة العثمانية باسم ( عصر الانحطاط ) بينما يحمل هذا العصر عصارة ثمرات تطور الأدب العربي والفكر الإسلامي مما يجعله خليقاً بأن يسمى عصر الموسوعات ، ولو لا سيطرة مفاهيم التغريب الامكاني ان يتربّط الأدب العربي في وحدة لها طابعها الأصيل المستمد من جوهره والذى يختلف كثيراً عن التقسيم الذى طبقته فرنسا وإنجلترا وألمانيا حين انفصلت بأدابها وأواجهاتها عن اللاتينية ، بينما يمثل الأدب العربي وحدة متصلة مترابطة منذ ظهور الإسلام الى اليوم بحيث ان كل خطوة فيه هي نتيجة لما سبقها ومقدمة لما بعدها ، دون أن نجد بين هذه المراحل ثمة انفصاماً أو توقيفاً أو انفصلاً .

ثالثا : محاولة فصل الادب العربي عن الفكر الاسلامي ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والاخلاق . وهى دعوى تهدف الى تحرير الادب من قواعد الدين والاخلاق وتدفعه الى مجالات الغواية والاباحية والكشف وفي ذلك محاولة لفصل بين مقومات الاسلام وبين الادب الغربي .

وقد كانت قضية اقصاء الأدب العربي عن الأخلاق من كبريات القضايا رغبة في اشاعة روح الاباحة واحياء تراث الزنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والادب المكشوف من اللغات الغربية . ولم يكن هؤلاء الادباء يحملون صورة المثل الاعلى الكريم و كانوا يتطلعون الى صور البوهيمية التي عزفت في حياة ادباء الفرب .

رابعاً : اعلاء الشخصية الرايةة والموصومة من  
الزنادقة والاباحيين في شعر بشار وأبي نواس .. وفي  
ثالث : أمثال ابن عربي والحلاج .

الادبي ولا يكون لنا نظريتنا الاصلية ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا ؟ لماذا نتأقلم نحن لنظريات الآخرين وهي غريبة عنا ، ولا يكون لنا منهاجنا المبدعة فالخالصة المستمدة من أبننا ؟ ومadam ادبنا يختلف في جوهره وذاتيته ومضامينه عن الادب الغربي فلماذا نحكم مقاييس هذا الادب فيه ؟ .

وأعتقد أنه في مطالع القرن الخامس عشر (قرن هزيمة التغريب والغزو الثقافي وقيام مناهج الاصالة في مختلف جوانب الفكر الاسلامي سياسياً واقتصادياً وقانوناً واجتماعاً وتربيتاً) أعتقد أنه قد آن الاوان لارسالمنهج الاسلامي للادب . ولقد كان لادبائنا في عصور الادب العربي المتصاللة نظرياتهم ومساهماتهم التي شكلوها في ضوء انتاجهم ، وأعتقد أن أستاذة الادب العربي في جامعات البلاد العربية والاسلامية اليوم يؤمّنون بما آمن به هذا الرعيل الكريم من أنه قد آن الاوان لانشاء منهج اسلامي للنقد الادبي ول بتاريخ الادب العربي .

ومن هنا فاننا ننبه على المحاذير الآتية :

أولاً : ( وهو أخطر المحاذير ) تبعية الأدب العربي للمفهوم الغربي للنقد الأدبي والاسقسلام أمام مفهوم ( تبن وبرونتير وسانت بيف ) وهو مفهوم مبادى صرف يفترض في النظرة الى الانسان انه حيوان يخضع لظروف البيئة ، تسيطر عليه شهوتا الطعام والجنس على النحو الذي صورته الفلسفية المادية استمدادا من نظرية دارون أساسا وقد أشار ( ستانلى هايسن ) في كتابه ( النقد الأدبي ومدارسه ) الا أن النقد الأدبي الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم دارون وماركس وفريزير وفرويد وديوي ، أما دارون فقد جاعت منه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعي وطبق على الانسان ما يطبق على الحيوان والحيثيات أما ماركس فهو الذي ذهب الى أن الادب هو الذي يعكس ولو بطريقة ملتوية أحيانا العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر او ذاك . أما فرويد فهو الذي يرى أن الادب تعبير متعن وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة قياسا على الاحلام وأن هذه المفتعلات تعامل حسب مبادئ معروفة ، وفكرة أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعي وأن بين الرقيب والرغبة في التعبير صراعا مستمرا أما فريزير فهو صاحب الافكار عن السحر البدائي والاسطورة والشاعرة البدائية أما ديوي فهو يرى أن تراة الادب وكتابته ليست الا صورا انفعالية انسانية يمكن أن تقاس بأى قاعالية أخرى وأنها خاضعة للقوانين فسها هذه هي النظرية التي فرضت على النقد الأدبي قبلها المفكرون والادباء وأساتذة الادب ، ، وانو أن الادباء كانوا خالصي النية في خدمة الادب العربي لامتصوا

عاشرًا : احياء الأساطير والخرافات وخاصة مأسي تراث فنيقيا وجلجامش ، والدعوة إلى مضمون كتبية وتوراتية وأسطورية قديمة مثل زيوس وباحوس وهي كتابات تحمل الصليبان والمناجل والمطارق ومحتوها قلق وتعزق وضياع وعصارة كل مذاهب الوثنية وتفسيرات الأممية .

حادي عشر : احياء الكتابات الشعبية والعاميات ( الفلكلور ) التي تمثل مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها ..

ثاني عشر : التفسير من الأدب البلجيق الموروث والجامع لفنون الحكم والبيان ، والذى تمثل فيه التجربة الاسلامية الموحدة بين الشعوب وتحقيق هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية ..

ثالث عشر : المؤابرة على القصة العربية الأصيلة باعلاء شأن القصة الغريبة الزائفة التي لا تغير فيها إلا الأسماء والأماكن وتبقى بمضامينها التي لا تصلها النفس الاسلامية ولا تقر فجورها وفسادها وانحرافها .

رابع عشر : محاولة فصل الأدب العربي إلى أقاليم ، وهي المحاولة الشعوبية التي دعا إليها بعض التفريبيين ، رغبة في تمزيق وحدة الأدب العربي والحلولة دون التقاء جوانبه كمثل لابة واحدة ، وليس كأدب مصرى وسوري وعرائى ومغربى ، وتلك هي غاية الاحتلال والغزو الثقافي من تأكيد الإقليمية هذا فضلاً عن نشر تقسيم الأدب إلى عصور وهناك محاولة أخرى لعزل الأدب العربي الحديث والمعاصر عن الأدب العربي القديم واقامة الأدب العربي الحديث على نحو يخرجه من طابع الأدب العربي الاسلامي وائلائه القرآنى .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلاً من التفريبيين والتابعين للمناهج الغربية ومرجعيها واعطاؤهم صورة البطولة والشهرة والتبرير مع انكار وتجاهل وحجب أصحاب الأصالة الحقيقية من أمثال مصطفى صادق الرانعى ورشيد رضا وشکر ارسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وعلال الفاسى والثانعلى وعزمى وباديس وفريد وجدى وطنطاوى جوهري وأبو زهرة وخلافه .

\*\*\*

وبعد ملخص ما كان السؤال الذى لم يكتف دعاهة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقود الماضيين هو : لماذا تكون تابعين لمدارس وأفذا في النقد الأدبي لا تمثل جوهرب مفهومنا للإنسان والحياة ولا تكون لنا نظريتنا الأصيلة ومدارسنا الذاتية القائمة على أساس من قيمتنا؟

والتجاهل والأغضان وانتقاد الشخصيات ذات الأثر الحقيقى أمثال ابن خلدون وابن تيسية والغزالى والشنى وتوجيهاته لهم .

خامسًا : اقذاع النقد الأدبي وإبلاغه أقصى درجات الوجاء واستعمال الأسلوب الحزبى النازل وقد صدرت جميع معارك النقد الأدبي من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والسياسية والاستعلاء الذاتى وخدمة الثقافات الفرنسية والإنجليزية والدفاع عن احدهما في مواجهة الأخرى .

سادسًا : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسمومة ترمى إلى اعلاء العامية أو التفكير للفصحى بما يسمى اللغة الوسطى ، ومنهم من دعا إلى تقليل الفصاححة وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لغتكم ولن لغتى . والهدف واضح جلى وهو فصل الأداء العربي المعاصر عن مستوى لغة القرآن على أمل أن تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم . وهى محاولة لسلخ الأدب عن القيم اللغوية الأساسية ، ولما كانت الصلة بين الأدب واللغة من أهم مقومات وجود الأدب فقد جرت المحاولات التفريبية لخارج الكتابات الجديدة من إطار اللغة الفصحى واحتقار الأصول النحوية .

سابعاً : محاولة محاكمة الأدب العربي الذي صدر عن النفس المؤسنة بالله والذى تعرف حقيقة الإنسان وجوهره الجامع روحًا ومادة ومسؤلية الفردية والذى تؤمن بالجزاء والحساب ، محاكمة هذا الأدب وفق النظريات المادية والماركسيه والوجودية والفرويدية التي تعتبر الإنسان حيواناً .

ثامناً : ابتعاث أسلوب جديد على الأدب العربي ، هو الأسلوب المزدوج الذي يكتب به نصارى لبنان والمهربيين والذى يصيغ الجملة العربية صياغة غير أصيلة ، ومن عجب أن بعض الجلات الأدبية والاسلامية تنشر مثل هذا . ومن هذه الفجوة يتقطع دعامة التفريبي لعزل هذه الأمة عن البيان العربي الأصيل ومن ثم تبدأ مرحلة تحويل اللهجات العربية إلى لغات وهذا يمكن الخطير الذى يعد كل مسلم مسؤولاً عنه إن وقع ، وقبل أن يقع .

تاسعاً : كسر عامود الشعر واعلاء شأن الشعر الحر بمفهومه المناهض للبلاغة العربية والحادق عليها والمحقر لها والهادف إلى نفس الغاية التي تقدمها الأزجال والأمثلة العامة من حيث صدورها من نفسيات ساذجة وعقلانيات تحمل طفولة البشرية .

ومadam لدينا يختلف في جوهره وذاته ومضامينه عن الأدب الغربية ، فلماذا نحكم مقاييس هذه الأدب فيه واعتقد أنه في مطلع القرن الخامس عشر (قرن الاصالة والتحضر من التبعية) قد آن الاوان لارساله المنهج الاسلامي للادب وأنه قد آن الاوان لانشاء منهج اسلامي

كامل للنقد الابي ولتاريخ الادب العربي مستمد من القرآن والسنة يكون ممراً جديداً لامتنا وسياجاً حصيناً لشعبنا من أن ينصرف في بوقته الاممية العالمية والحضارة المنهارة ، هذا قول مجل وتنصيله مرافق لها وملحق به ..

(ثالثاً)

## المدرسة الإسلامية في الأدب

### قصة الأصالة ذات جناحين

#### تصحيح الواقع وبناء الأصيل

وإذا كان تأثير الدين المسيحي واضحًا في الفكر الغربي عادةً وفي الأدب الغربي خاصةً في نظرية الإنسان والكون مما يتمثل في كتاب (انتصار المسيح) وشعر ملدون ومدرسة الأحياء الكاثوليكي التي قادها (ت.س. اليوت) الذي يرى أن الطريق إلى السعادة والمثالية لا بد أن ينطلق من الكنيسة وقد استطاع هذا الأدب أن يؤثر في عدد من الشعراء العرب في مقدتهم السيب وصلاح عبد الصبور .

لذلك من الضروري أن يكون أثر الإسلام واضحًا في الأدب العربي بن حيث تقييم الأخلاقى على الجمالى وتقديم مفهوم التقديم الجامع بين الروحى والمادى ، وتقديم مفهوم التقدم الجامع بين الروحى والمادى ، المجنوس وان يكون الأدب مسلماً مقتنعاً بمبادئه الإسلام وقيمه ومثله قبل كل شيء ، وملتزم بالاسلام ضابطاً لحريته ، وإن يكن مفهومه للصدق الفنى هو ما تمثله قوله عمر بن الخطاب عن زهير :

« لا يعظزل في كلام ولا يتبع جوشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه » .

ومن هنا يكون موقفنا من الأدب الغربي موقفاً واضحًا فإن هذا الأدب يحوى عناصر وثنية مسيحية على النحو الذي شاع في كتابات كثيرة من شعرائنا وقصاصينا (نجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور) .

ولا يمكن قبول رأى الذين يرون أن هذه المذاهب حيادية أو يمكن الانتفاع بها في الشكل دون المضمون فإن اليوت يقرر أن المدرسة الكلاسيكية بل الأحياء الكاثوليكي ملتزم بنصراناته (والكاثوليكي بصفة خاصة) كذلك فنحن لا نقبل مفهوم الآلية (الحداثة) التي

كان قيام المدرسة الإسلامية في الأدب مرحلة طبيعية بعد الخطوات التي سبقت والتي ارتبطت باليقطة الإسلامية التي حاولت منذ ثلاثينيات هذا القرن مهاجمة النهج الغربي الذي فرض على دراسة الأدب بكلية الأدب والكشف عن أنه يتناقض مع أصول الأدب العربي لانه قام على أساس مفهوم الأدب الأوروبي التي تختلف في جوهرها وعقيدتها ومنهجها ، وقد شارك في هذه المحاولة كثيرون وعرض بعض الباحثين لعديد من القضايا التي اعتمدت مفهوم التغريب في دراستها ، ويمثل كتابنا (خصائص الأدب العربي) عرضاً واسعاً لهذه القضايا في محاولة لمواجهة التحديات التي عرضت للأدب العربي : القصة والشعر والفن والمسرح وقد صدر قبل عشر سنوات داعياً إلى منهج اسلامي أصيل للتاريخ ونقد الأدب العربي . وكان لا بد أن تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة التقنيات والتنظير التي تسرى الآن في مجال الفكر الإسلامي في علوم كثيرة ، وكان لا بد أن يتبع الحركة التصحيحية للأدب العربي حركة انشائية في المقام الأول أو ابداعية – اذا لم يتعارض هذا التعبير مع المفاهيم الإسلامية – وفارق بين أسلمة الأدب العربي وتحريره من التبعية وبين انشاء ادب اسلامي أصيل من نقطة البدء بعد ان انقطعت الاوصال .

نحن اذن بدأنا في قلب التغريب ثم اخرجنا الله تبارك وتعالى إلى الاصالة ، وكان هذا خيراً كثيراً لانه مكننا من دراسة هذه المذاهب وفهمها وكذلك شأن اخوتنا الذين نشأوا في مجال القومية والماركسيّة والعلوم الاجتماعية الغربية ثم أشرقت نفوسهم بنور ربها فخرجوا منها إلى المعرفة والتغيير . واحسوا بحاجة امتهن إلى أن يكون لها منهجها الأصيل .

واللتزام الاسلامي هو منطلق لحياة الانسان ومن ثم فهو يستطيع ان يتحدث في اي موضوع حتى عن الجنس بمفهوم الاسلام وهذا لا يمنع من ان ننظر الى المذاهب الادبية الغربية للانتفاع بها ويقتصر اللتزام في الشكل والمضمون وقصد الشكل اخطر بكثير مما يتصور لأن الشكل هو افراط المضمون في صورة تعبيرية تتناول القالب الفنى .

كذلك فان المذاهب الادبية الغربية كلاسيكية ورومانسية والواقعية هي مذاهب ادبية تقوم على فلسفات مادية اسلامية رأى أصحابها ان السبيل الى اشاعتها في الناس هو تقديمها في قوالب ادبية .

فالكلاسيكية فلسفة وثنية تقوم على تشجيد العقل والرومانسية فلسفة مسيحية هي ثورة على العقل تمجد العاطفة وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادئ والاخلاق والاسلام يتصادم مع هذه المذاهب لأنها تستند الى فلسفات خطيرة جدا ونحن المسلمين لا نرفض العقل ولا نرفض العاطفة ، وكل الشعر العربي بالعقل والعاطفة زاخر ، وما نرفضه ويتصادم مع الفكر الاسلامي أن يكون توجيه العقل والعاطفة قائمًا على فلسفة معينة ، بالصورة التي تأدى بها اليه وعلينا ان تكون واعين بما وراء هذه المذاهب ، والواقعية الغربية تقوم على المادية الجدلية والتفسير المادي للتاريخ وبالجملة فسان الادب الاسلامي لا ينحصر في الادب العربي بل يبدأ به ويستند الى ادب الشعوب الاسلامية غير العربية وهو المحنن الابكر والاول للادب العربي وما يزال الميدان الاكبر له . وبين الادب العربي والاسلامي صلة البنوة والابوة وقد حدثت في العصر الحديث احداث وقضايا منها توظيف الادب في القضايا العقدية وفي ادب الشعوب الاخرى ، وظهرت انحرافات خطيرة في الينا العربي مما جعلنا في حاجة الى ادب اسلامي يحمل قضيائنا ويلبي حاجاتنا ويمثل شمولية الاسلام في معالجة مختلف قضيائنا الحياة .

هذا وقد جاء مؤتمر الادب الاسلامي في الرياض ١٤٠٥ حلقة تالية لمؤتمرين عقداً أولهما في ندوة العلماء بالهند . باشراف السيد أبو الحسن التدوى عام ١٤٠١ والثاني في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٢ وقد اثري هذا المؤتمر أدباء مسلمون وأعلن في وقت مقارب تشكيل رابطة ادباء اسلامي في ندوة العلماء وصدرت في هذه المناسبة دراسات قيمة في مقدمتها كتاب ( نحو ادب اسلامي ) للاستاذ عبد الرحمن رافت الباشا .

\*\*\*

تنطلق منها الخواطر التي تمر بالانسان في داخله فتخرجها كما هي ، حيث لا يخضع للمنطق او العقل . وشعر الطبيعة في الرومانسية سرب من المسارب لخروج من الواقع فيه خطأ كبير لانه قائم على فلسفة معينة ، كما لا يجوز لنا استعمال مصطلحات غربية وعندها نستخدم اللفظ المصطلح فانه له دلالة مختلفة عند المسلم ومصطلح ( ادب الجنس ) هو اخطر هذه المحاولات فهو يمجد العلاقة الجنسية ويعطيها البطولة لأن مؤهده بهيئي حيواني .

ومن شأن تحرير مفهوم الادب وأسلنته ان تواجه هذه الانحرافات الخطيرة التي ظهرت في الينا العربي الحديث اذ لم تعدد تقتصر على الغزل الفاحش بل أصبحت تقصد الى محاربة القيم الاسلامية واحلال قيم اخرى ومن هنا كان الادب الاسلامي يجب ان يقف موقفا حاسما ازاء هذه الانحرافات والتجاوزات .

ولعل اسوأ ما يرى من فساد انحراف الادب العربي الحديث :

انهزامية نجيب محفوظ في شخصية ( المؤمن ) وشخصية المرأة عموما عند احسان عبد القدوس ، وفي قصة السراب بتشكك نجيب محفوظ في محارمه ويعتقد ان الفضيلة سراب فضلا عن تمجيد لحظات الضعف كسلقوط المرأة . وفي قصيدة ( الناس في بلادى ) اصلاح عبد الصبور تعريف بالذات العلية مما لا يمكن ان يصدر من مسلم . وكم وصف القدر في القصص الحديث بأنه ظالم أحمق الخطى عليه ، وهناك الدعوة الفضالة الى تفسير انحراف المرأة نتيجة البحث عن الطعام وهو تفسير ماركسي ماسد .

لذلك فان من ابرز ما يتوجه اليه الادب الاسلامي هو بناء نماذج اسلامية اصيلة في الشعر والقصة تستمد مفاهيمها من الاسلام وترمى الى تصور الاسلام في نفس الوقت الذي يجب ان يكشف عن فساد النماذج الاباحية والفحشرة التي كتبها الكتاب الذين يرفضهم الادب الاسلامي اساسا ويقر ان ادبهم لا يمثل المجتمع الاسلامي الاصيل .

ان الاسلام قد قرر اللتزام قبل ان تعرفه المذاهب العصرية وهو يعني ارتباط الادب بقيمه ومبادئه ويقترب الاخلاقية اساسا ويحدد وجهة نظر الاسلام تجاه العصور الادبي : على انه انساني الوجهة بقى انساني بغير انسان ، متكامل النظرية بين دينه ومجتمعه دون ان يكون هذا التوجه قيدا على مقاييس الجمال الازلي .

## المفهوم الإسلامي المتميز للأدب

مع التقىج ، والارتباط بالجذور مع القدرة على مواجهة التغيرات ، كما دعا إلى معارضة التقليد الأجنبي والاحتفاظ بالذاتية الإسلامية وأعلن حربا لا هوادة فيها على التقليد والتبعية .

ثالثا : **الصدق** : والصدق والوضوح أبرز معالم الإسلام التي أهداها إلى الأدب . ( نحن نقص عليك نبأهم بالحق ) .

ولذلك رفض الإسلام الأساطير والآوهام الذاهبة بعيدا عن الواقع .

رابعا : **الوضوح** : يقسم الأدب الإسلامي بالوضوح والصراحة تحت ضوء مشرق بعيدا عن الظلال والرمزيات والتمويه الذي عرفت به الأدب الأوربية ، فالنفس المؤمنة بربها لا تعرف التشاؤم ولا توغل في اليأس والقلق والتمزق .

خامسا : **الإيمان** : وقد أضاعت ظاهرة الإيمان بالله طريق الأدب والانحرافات والضعف البشري وطفولة البشرية .

وأفسح الإيمان للإنسان بالإيمان طريق الثقة به والاطمئنان إلى حكمه .

سادسا : **التفاؤل** : فالأدب الإسلامي استمدادا من قيم الإسلام لا يعرف التشاؤم ، وهو يؤمن بأن الفمرات تأتى ثم تنجلى وأن الصبر بعد الشدة فلا يُعرف أبدا ذلك الطابع من الانقياض الذي عرفته الأدب الأوربية التصد .

سابعا : **الأخلاقية** : القانون الأخلاقى أساس وطيد في الأدب الإسلامي ، الذي يقرر اعلاء الأخلاقية على الجمالية وعدم تضحيه الأخلاقية المرتبطة بناء الكيان الاجتماعي المسلم .

ثامن عشر : **أصلية الاستجابة** : فالأدب الإسلامي من قاعدة أن لكل أمة ذاتيتها الخاصة النابعة من حيث الرحمة والوفاء ووضوح النظرة وسلامة القصة .

سادس عشر : **الذاتية** : وينطاق منها الأدب الإسلامي من قاعدة أن لكل أم ذاتها الخاصة القابعة من قيمها فالطابع الخاص هو أبرز طوابع الإسلام .

لمعرفة ( الخصائص التي تميز الأدب الإسلامي ) والتي تختلف عن الأدب العالمية شرقية وغربية ) نقول أن الفكر الذي تشكل الأدب الإسلامي في إطاره يستمد من القرآن الكريم حيث يقوم هذا الفكر على أساس التوحيد الخالص ، لله تبارك وتعالى خالق الكون الذي يمسك هذا النظام المتراوطي والقائم على كل نفس بما كسبت ، والذي تمثل مهمة الإنسان فيه ، مستخلف في الأرض له طبيعته الأصلية الجامدة بين الروح والجسم والعقل والقلب وقد أقر الإسلام رغباته المادية وأشواقه الروحية وجعل له ضوابط تحول بينه وبين الانحراف سواء إلى اعتزال الحياة أو الارساف في ملذاتها ، وأقام له منهاجا وسطا كريما قادرا على أداء مسؤوليته والقيام على أمانته ومواجهة ما تجاهله به القوى المختلفة من تحديات .

ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الأصيل لل الفكر الإسلامي فهو المثل الأعلى للأدب الإسلامي والسنن المطهرة مظاهره له بسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاته لقوانين القرآن في مختلف جوانب الحياة .

ولقد أمد القرآن الكريم العلوم والأداب والفنون الإسلامية ومختلف نماهيج الحياة والفكر من عطائه سواء عن طريق النهج التجريبي أو منهج المعرفة ذي الجناحين أو قوانين قيام الأمم والحضارات وانهيارها وقدم نظاما كاملا في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد وأعتبر الأدب والفن فرعين من فروع الفكر لا ينفصلان ويتكملان مع المقومات الأخرى واقام النظرة الجامدة بين العقلانية والوجودانية على أساس الفطرة وطالب بالبرهان وإنكر الأساطير وحرر البشرية من تراث طفولة البشرية وأوهامها ووثنياتها وعلم الأصنام اليوناني .

### نظريّة الأدب الإسلامي

### المفهوم الإسلامي المتميز

وأورد البحث الأصول التي يستمد منها الأدب الإسلامي منطلقاته :

أولا : **أنسانية الأدب** : فقد اقسم الأدب الإسلامي بالطابع الإنساني البعيد عن العنصرية والاستعلاء بالدم أو اللون ، الذي يقيم روح الأخاء البشري .

ثانيا : **الاصالة** : والاصالة هي الالتحاق بالمنابع

واحد وعشرون : **الفطرة** : ومن أسس الادب الاسلامي الحقيقة قيامه على أساس نظرية الانسان الأصيلة البعيدة عن الانحراف والفساد .

ثاني وعشرون : **ترابط العربية والاسلام** : فالاسلام بالنسبة للعرب اساس فكرهم وحضارتهم والعروبة والاسلام يتكاملان ، حيث لا يقر الادب الاسلامي مفهوم اعلاه الجنس او العنصر او مفهوم القومية العربية الواحدة .

ثالث وعشرون : **قوامة الرجل** ..

رابع وعشرون : **تكامل المعرفة** ..

خامس وعشرون : **الوسطية** ..

هذا وبالله التوفيق ،

\*\*\*

سالع عشر : **الاعتراف برغبات الانسان** : حيث قرر الاسلام ان الرغبات من طبيعة الانسان التي لا سبيل الى قمعها او القضاء عليها بل يجب تحريرها من الاسراف والجمود معا ووضع لها الضوابط من الاعتدال والعنف واقامتها في دائرة الخير .

ثاين عشر : **التوحيد** : من منطلق الاسلام قرر وحدة الجنس البشري والفكر الانساني وارتفع بالعقل بن قيوده التي كانت تأسره حول الاوثان الى الاعتقاد بالله واحد .

تاسع عشر : **الارتباط بالميراث الاسلامي** ، وعدم الانفصال عنه ، من حيث ان الادب الاسلامي يمثل حلقات متصلة غير منفصلة عن منبعها الاول والاصيل .

عشرون : **التجريب** : ولما كان التجريب من ابرز طوابع الفكر الاسلامي فقد كان لابد للادب الاسلامي ان يمضي على نفس الطريق .

(خامسا )

## تأصيل نظرية الادب الاسلامي

### لسماحة السيد أبو الحسن الندوى

٥ - رسم منهج اسلامي مفصل لفنون الادبية الحديثة :

( القصة - المسرحية - السيرة الذاتية )

٦ - الاهتمام بالتفسير الاعلامي للادب والعمل على انجازه .

٧ - اعادة كتابة تاريخ الادب العربي من وجهة نظر اسلامية .

٨ - اظهار صلة الادب الاسلامي الحديث بالادب القديم والرد على المحاولات الداعية الى الانفصال بين ادب امتنا في الماضي والحاضر .

٩ - دراسة الادب الاسلامي المعاصر في البلاد الاسلامية واظهار الخصائص المشتركة للادب الاسلامي في العالم .

١٠ - القيام بدراسات موسعة لعدد من الادباء الاسلاميين وبخاصة الذين صاغوا أدبهم ب احدى لغات الشعوب الاسلامية .

١١ - تعريف الشعوب الاسلامية بادب بعضها

ان غربة الادب الاسلامي وسيطرة الادب المزور على العالمين العربي والاسلامي وواجب الدعوة الى الله عن طريق الكلمة الاصيلة الملتزمة ، كل ذلك يدعو ادباء المسلمين الى انشاء رابطة تجمع صفوفهم وتشد كل واحد منهم ببعضه اخيه وترفع صوتهم وتقفهم على واجبهم امام تجمعات الادباء المحرفين وتهيء لهم ان يتتعاونوا لتأصيل نظرية الادب الاسلامي كى تواجهه نظريات الماركسيين والليبراليين والوجوديين في الادب وغير ذلك من المذاهب الادبية غير الاسلامية في العالم عن طريق :

١ - التعريف وجمع الكلمة واقامة التعاون بينهم فليكونوا قوة اسلامية سلاحها الكلمة الاصيلة الملتزمة بالاسلام .

٢ - تأصيل نظرية الادب الاسلامي واظهار الملامح السائدة في الادب العربي قدسيه وحديه .

٣ - تحقيق مبدأ عالمية الادب الاسلامي .

٤ - العمل على تأصيل نظرية النقد الاسلامي على ان يتصرف بال موضوعية وبعد عن القواعد المستوردة والاساليب البهeme .

بعض بترجمة آثارها الأدبية إلى عند من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى .

١٢ — تشجيع الأدب الذي يهتم بقضايا المرأة المسلمة وتشجيع نتاج الأديبيات المسلمات .

١٣ — رسم منهج إسلامي لأدب الأطفال والبالغين والشباب .

١٤ — التصدي للدعوات الأدبية المشبوهة والمتحرفة .

١٥ — مناصرة حركات التحرر الإسلامي والاسهام فيها بالكلمة الجريئة الأصيلة .

١٦ — الدفاع عن حرية الفكر والتعبير بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية .

١٧ — الدفاع عن حقوق الأدباء المسلمين المعنوية والمالية .

١٨ — تهيئة وسائل النشر والتوزيع لأدباء الرابطة بجميع الوسائل المكتبة .

#### **(المبادئ العامة)**

١ — الأدب الإسلامي هو التعبير الفني والهدف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي لها .

٢ — الأدب الإسلامي أدب ملتزم والتزام الأديب فيه التزام عفوى نابع من التزامه بالعقيدة الإسلامية ورسالته جزء من رسالة الإسلام العظيم .

٣ — الأدب طريق مهم من طرق بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح وأداة من أدوات الدعوة إلى الله والدفاع عن الشخصية الإسلامية .

٤ — الأدب الإسلامي مسؤول عن الاسهام في إنقاذ الأمة الإسلامية من محنها المعاصرة والأدباء المسلمين أصحاب ريادة في ذلك .

٥ — الأدب الإسلامي حقيقة قائمة تديها وتحديها

تبدا من القرآن الكريم والحديث النبوي وسيرة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم مع كل تراثه ويمتد إلى عصرنا الحاضر ليسهم في الدعوة إلى الله ومحاربة أعداء الإسلام والمتطرفين عنه .

٦ — الأدب الإسلامي هو أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف اجناسها ولغاتها وخصائصه هي الخصائص الفنية المشتركة بين أدب الشعوب الإسلامية كلها .

٧ — يقدم التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون — كما نجده في الأدب الإسلامي — أصولاً لنظرية متكاملة في الأدب والنقد وملامح هذه النظرية موجودة في النتاج الأدبي الإسلامي المتند عبر القرون المتواترة .

٨ — يرفض الأدب الإسلامي أي محاولة لقطع الصلة بين الأدب القديم والأدب الحديث بدعوى التطور أو الحداة أو المعاصرة ويرى أن الحديث مرتبط بجذوره القديمة .

٩ — يرفض الأدب الإسلامي المذاهب الأدبية التي تختلف التصور الإسلامي والأدب العربي المزور والتقليد الأدبي المبني على المجلمة المشوهة أو الحقد الشخصي كما يرفض لغة النقد التي يشوهها الفموض وتفشو منها المصطلحات الدخيلية والرموز المشبوهة ويدعو إلى نقد واضح بناء .

١٠ — يستفيد الأدب الإسلامي من الأجناس الأدبية جميعاً شعراً ونثراً ولا يرفض أي شكل من أشكال التعبير ويكتفى بالمضمون الذي يحدد طبيعة الشكل الملائم للإداء .

١١ — إن رابطة العقيدة هي الرابطة الأصلية بين أعضاء الرابطة جميعاً ويضفي إليها آصرة الزملة الأدبية التي تعد رابطة خاصة تشد الأدباء المسلمين بعضهم ببعض ووحدة المبادئ والأهداف التي يلتزمون بها .

( الإعلان عن قيام رابطة الأدب الإسلامي برئاسة السيد أبو الحسن النبوى ) .

## الواقعية بين نظرية الأدب الغربي ومفهوم الإسلام

للرشرعة الدائمة والمحاولة الدائبة للتغلب على الصعف  
انما يقول ( وخلق الانسان ضعيفا ) .

كذلك فما زل الواقعية الإسلامية تسعى لتهذيب  
النظرة البشرية فلا تصور حالات الهبوط تصويرا مثيرا  
جارحا كما تفعل النماذج الأدبية الغربية والغربية التي  
تصور مشاهد الانحراف تصويرا دقيقا ثم تحلها الحل  
النهائي للعقدة الدرامية .

ان الأدب الصادر عن التصور الإسلامي ( أدب  
ملقى ) بحمالية الانسان من المزالق والاخفاء ولا يمكن  
أن يسلم الانسان الى متاهة الانحراف ولا يمكن أن يجعل  
المنكر معروفا أمامه ويقلب مفهوماته ..

ان المفهوم الإسلامي في الواقعية يرى أن لحظة  
الهبوط هي لحظة هبوط لا لحظة بطلة تستحق  
التصفيق والاعجاب .

( محمد قطب )

ان الواقعية الغربية تضفي صفة البطولة على  
لحظة الضعف البشري المزري جدا في بعض الاجيال  
ليضلل نفسه عن حقيقة هبوطه المزري ببدلا من أن  
يتهم نفسه او يتهمه أحد بالتفص ويطلب نفسه  
او يطالبه أحد بالارتفاع وهو لا يريد الارتفاع ولا  
يقدر عليه لانه أخذ الى الارض وتابع هواه ببدلا من  
ذلك يقول أن الارتفاع خرافه والهبوط هو الحقيقة  
الواقعة السوية التي يقال عنها « ليس في الاسكان  
أبدع مما كان » أما الواقعية الإسلامية فهي لا تنكر في  
أن حالات الهبوط هي حقيقة واقعة ومع ذلك فهي  
لا تمجدتها ولا تسلط على الاضواء لأنها في حقيقتها  
لحظات هبوط .

ان الواقعية الإسلامية لا تحب أن ترسم صورة  
مزارية للبشرية ولا صورة بيسارعمن كل سوء بعيدة عن كل  
شائبة ، كلها هكذا يقول القرآن ذاته الذي يدعو  
لحظات هبوط .

### سادسا

## لماذا لا يكون الأدب العربي عالما

لأن هناك تحيزا في الانتقاء والاختبار تحت عنوان :  
هو أن يثبتوا أن الأدب العربي قد خضع تماما للمفاهيم  
بضاعتنا ريدنا فان هوى المترجمين لما ترجموه  
هو أن يثبتوا أن الأدب العربي قد خضع تماما للمفاهيم  
الغربية وللأساليب العربية ايضا .

ثالثا : أن المصطلحات التي تستعمل الان في  
الأدب العربي دخلة وغربية فهو يحاول أن يخضع  
لاطوار الأدب الغربي الذي ينتقل بين الكلاسيكية  
والرومانسية وانتقل منها الى السريالية والوجودية  
والآن يحاول أن يقف في خضوع أسلام النظرية الجديدة  
الطاغية عليه وهي البنية .

كما أن الأدباء خضعوا لسميات كثيرة كعصر  
التنوير وحاولوا أن يطبقوه على الأدب العربي ، بينما  
عصر التنوير هذا في أوربا انما يمثل العصر الذي  
سيطرت قيم التحولات التلمودية التي عملت على هدم

أولا : أن الأدب العربي في هذه المرحلة من تاريخ  
العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعي بوصفه  
وحدة من وحدات الفكر الإسلامي بما دخل عليه من  
مفاهيم وقيم وآدلة من ناحية المضمون وبما اصطنعه  
من أساليب غربية من ناحية الأداء .

ولذلك فان الانتاج الأدبي القائم الآن بين أيدينا  
لا يمثل حقيقة المشاعر النفسية والاجتماعية للمجتمع ،  
كمما أن أسلوب أدائه غريب على الأدب العربي لانه  
يخضع للنظرية المادية التي وصفها برونتريوتين  
استمدادا من نظرية التفسير المادي للتاريخ والفلسفه  
المادية التي تعتبر الانسان حيوانا سواء من ناحية  
الطعام ( الماركسية ) او من ناحية الجنس ( الفرويدية )

ثانيا : ان ترجمات الأدب العربي الى الأدب  
الأوربي التي تمت في العقود الأخيرين لا تمثل حقيقة  
الأدب العربي ولا أشواق النفس العربية الحقيقة ،

المجتمع ، وهذه هي اخطر السهوم المسمومة التي اصابت الادب العربي اليوم فضلا عن تبعيته في مصطلحات العصور ، والعنصر .

سادسا : اما ان الادب العربي جدير بأن يكون عالياً بذلك امر لا سبيل الى انكاره فهو بطبيعته التي يستندها من الاسلام يمثل المشاعر النسبية السمحنة المستعملية على الخطية والاباحة ، والتجهة الى الفيرية بدل من الانانية والى الجماعية بديلا عن الفردية والتى لا تفتقد اخلاقيتها من اجل الجمالية ، ولا تفتقد معنوياتها في رسالة التقدم من اجل ماديتها ، هذا الادب الذى يصور النفس المؤمنة بالله ، المتصلة به ، المندفعه في سبيل السعى والكسب وال عمران لتحقيق المجتمع الربانى جديرة بأن يكون انتاجها الادبى عالياً لانه انسانى بطبعه وخلقى بأن يصل الى كل النفوس المشوقة الى اليسان والعدل والاخاء .

ولكن هذه المرحلة من الادب العربي لم تبدأ بعد وترجو الا تتأخر كثيرا .

سابعا : كذلك فان الفكر الاسلامى اليوم هو قادر على تقديم رسالته الانسانية الى العالمين لانه قد تحرر من التبعية وانطلق الى آفاق العدل والرحمة والاخاء الحقيقى ولقد كان الفكر الاسلامى في ابان الازمات التى لحقت بال المسلمين قادرا على العطاء اكثرا من الادب العربي الذى مازال غارقا في اوهام الاحتواء والتبعية والذى لم يستطع بعد ان يكتشف الاخطار والتحديات التى تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار الذى تفرضه القوى الاستعمارية وخاصة خطر التددى الصهيونى الثانى ١٠

\*\*\*

## ثانيا : مفهوم الادب الاسلامى

لا ينحصر الادب الاسلامى في الادب العربي وحده بل يبدأ به ويمتد الى آداب الشعوب الاسلامية غير العربية ، وهو الحصن الاكبر لهذه الاداب وبين الادب العربي والاسلامى صلة البنوة والابوة ، وليس عيناً أن اسلامنا حصرنا اهتمامهم في الادب العربي ولم يتجاوزه ، بل ان عدم استخدام المصطلح لا يدينهم فلكل عصر مصطلحاته وقد جرت في العصر الحديث قضائياً جديدة منها ( توظيف ) الادب في القضايا العقدية وفي آداب الشعوب الأخرى ، وظهور انحرافات خطيرة في ادبنا العربي الحديث اذ لم تعد تقتصر على الفرز الفاحش وبعض المبالغات بل أصبحت تقصد الى محاربة القيم الاسلامية واحلال قيم أخرى وافدة ومن هنا كانت

صروح المدرسة المسيحية المثالية من اجل اقامة مفاهيم الالحاد التي قادها فولتير وروسو واصحاب الموسوعة وكان ذلك مقدمة لاشتعال الثورة الفرنسية التي حطم قواعد الوحدة المسيحية الغربية وفتحت لليهودية الطريق الى السيطرة على المجتمع الغربي وتحطيم النظرية الجامحة بين الدين والقومية بتنغلب الجنسية واسقاط مفهوم الدين .

رابعا : مفهومنا للادب العربي انه وحدة من وحدات الفكر الاسلامى ، يقوه على قيم الاسلام العليا : التوحيد والاخلاق والعدل والاخاء .

وهي القيم التي قام عليها مضمون الادب العربي بعد الاسلام انحرف عنها بعد دخول الوثنيات المجوسية والفارسية .

الاداء العربي الان يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربي المتد خلال العصور والذى وصل على ايدى البارودى وشحونى والمنفلاوطى والزيات والرافعى الى قمة عالية فهو الان ينحدر الى لغد الصحافة ، او ما يسمى اللغة الوسطى .

الشعر ينحرف الان الى قصيدة النثر والشعر الحر ويتدنى الى مفاهيم منحرفة مكثوفة وأداء مقتبسة ردئ

القصة : تقوم على تصورات غربية مقتبسة من الادب الغربي ولا تمثل النفس العربية ابدا ، وهي تحاول ان تصور الانحراف والفساد والتحلل والكشف على أنها علاقات طبيعية في المجتمع حتى يعتقد الشباب شرعية وجود هذه الظاهرة والاندفاع نحوها ، وهذا ما يجري عليهأغلب كتاب العصر ، الذين يصدرون أساساً عن مفهوم علماني لا يؤمن بقيم الدين الحق ، ووثني يعلى من نظرية عبادة الأصنام ، ومادى لا يقر بوجود المسؤولية الفردية ولا الاخلاقية ولا الجراء الاخروى .

هذا النتاج كله باسم الادب العربي لا يمثل حقيقة الادب العربي ، وإنما يمثل انحرافاً طرأ على الادب الغربي بدخول المذاهب الواحدة عليه ، وعلى المجتمع ايضاً ، ومن هنا فان هذا الادب القائم يتمثل في تبعية واضحة سواء من ناحية الاداء او المضمون ، من ناحية تاريخ الادب او النقد الادبي .

واخطر ما هناك هو تقبل النظرية المسمومة التي تقول بأن الادب العربي له استقلاله عن الفكر الاسلامي وله حريته في مجال الاداء دون اعتبار للمسئولية الاخلاقية والحدود والضوابط التي قررها الاسلام على

ان الالتزام يأتي من الخارج بينما ينبع الالتزام من الداخل  
وفي هذا يختلف عن مفاهيم الالتزام في الاداب الاخرى  
في فروق متعددة ، كها اشار الى ان الاسلام يقر حق  
الكاتب في حرية التفكير وابداء الرأي في اوسع نطاق  
حيث لم يحاول الاسلام ان يفرض نظرية علمية معينة  
كما رکز الباحث على اخلاقية الادب الاسلامي و موقفه  
من تصوير الشر والفضيلة . ويقرر ان الادب الذي يقود  
قارئه الى العطف على الانحلال والاعجاب بالرزيلة  
والانحدار ، ائما هو ادب هدام .. اوه.

والمفهوم الاسلامي لنظرية الالتزام في الأدب تقرر  
بيان الالتزام يعني ارتباط الأديب بقيمه وبمبادئه وهو  
بهذا المفهوم لا يتواءم مع المذاهب الاوربية التي يصطنعها  
أبناءنا المحدثون .

فإن دعوة الفن للفن تنظر إلى جمال الشكل  
سواء كان بناء أو هداما ، فكان هذا المذهب يعزل  
الإدبي عن الدين والأخلاق ، كذلك فهو يختلف عن  
المدارس التعبيرية والتأثيرية واللاوعي والシリالية  
وما فوق الواقع والتى تعادى الواقع وتزد الائسان الى  
غراائزه ومع ذلك فان الالتزام لا يعنى الإدبي من مقاييس  
الجمال الإدبى . ويرى بعض الباحثين أن الالتزام  
الإسلامى هو منطلق لحياة الائسان ، ومن ثم فهو  
يستطيع أن يتحدث في أي موضوع حتى في الجنس  
بمفهوم الإسلام وقيادة الالتزام يجب أن تنطلق من  
مفهومنا الإسلامية وأصولنا الإسلامية مع توثيق الارتباط  
بين الإدب والاسلام في ضوء مقاييس القرآن والسنّة

ولا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون لأن الشكل هو افراط المضمون في صورة تعبيرية تتناول القالب الفنى ، الشعر الحر ، شعر التفعيلة ، القصيدة النثرية ، القصيدة الدورة ، الشعر السريالي . ولما كان الشكل الموجود الآن في الأدب يشتمل على عناصر وثنية ومسيحية فكيف يمكن أن يكون المضمون اسلاميا ويكون الشكل وثنياً ومسحيياً ، ومنعنى الالتزام في الاسلام لا يعني محاصصة الأدب في قضاناً معنئة ..

جاجتنا الى ادب يحمل لواء قضيائنا ويلبي حاجاتنا .  
ومهمة الاديب المسلم انه ينشئ ادبا اسلاميا  
للمسلمين في جميع المعاوره ويتناول الاعمال الادبية  
عندنا وعندهم ولابد ان تؤصل الادب الاسلامي ليفت  
في وجه الادب الوجودى والادب الاشتراكي . ذلك ان  
الادب الاسلامي يتخذ موقفا اسلاميا ينطلق من العقيدة  
وعلى الاديب الاسلامى من اجل ان يكون اسلاميا ان  
يكون على وعي كامل بالاسلام حتى يعلم ما هو حلال  
وما هو حرام وأن يكون واقفا على كتاب الله عز وجل  
واما يحصل بهذا الموضوع من حديث رسول الله صلى  
الله عليه وسلم .

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن رافت الباشـا (بوصفه) مؤصلاً للنظرية أساساً عن المذهب الأدبي الذي نسعى إليه : فيقول :

لما كانت هذه التيارات الاجتماعية قد انبثقت عن نظرية أصحابها الى الانسان والحياة فانه من الضروري ان يكون للمسلمين مذهب ادبى متميز القسميات ، واضح الغايات ليعبر عن نظرتهم الى الانسان والكون و موقفهم من ادبنا والاخرة ، وقد ثبین اننا اليوم اكثر من اى يوم مضى في حاجة الى منهج لادبنا الاسلامي بعد ان تعرض في هذا العصر لغزو فكري ووجدانى وحضارى ما عرفنانا له نظما من قبل وقد وقف الادب الاسلامي القديم منذ فجر الاسلام سندنا للدعوة وظل على مر التاريخ يهاجم الوضاع الفاسدة ويتصدى للفرق الزائفة ويخلص النصيحة الله ولرسوله ولعامة المسلمين ، وقد ارتبط الادب الاسلامي في كل زمن مع قضيائنا عصره وتلامح معها تلاميحا مثيرا للدهشة فقد تصدى للزندقة والزنادقة ووقف موقفا كثيما من مختلف التحديات .

اما بالنسبة للخصائص العامة للادب الاسلامي والميزات التي تميزه عن الاداب الاجنبية فان اعظم هذه الخصائص هي انه ادب غائي هادف ، ملتزم ، اصيل ، متكامل ، مستقل .

وأن الأدب الإسلامي ولد على الالتزام ونبت في مناته ، وأشار إلى الفرق بين الالتزام والالتزام من حيث

\* \* \*

# الحداثة : الباطنية الجديدة

## الدعوة إلى الحداثة ردة إلى طفلة البشرية

طيب كريم في دنيا الاسلام والعرب وقد تعاقدت مطامحهم الى توجيه ضربة قوية للصحوة الاسلامية عن غير الطريق الذي يتوقع منه الضربات ، بل عن طريق مدخل ضيق قد لا يلتفت اليه الكثيرون وهو الشعر ، وقد جاعت حركة الشعر الحر وشعر التفعيلة وغيرها منذ ظهورها مقدمة ومدخلاً لهذا العمل الخطير ، قام على رأس هذه المؤامرة شباب علوى خدعاً ( انطون سعادة ، زعيم الحزب القومي السوري وأغراه بترك الاسلام والدخول في المسيحية وحمل لواء الدعوة الى ما أسماه ( فينيقيا ) وتنفّثه الجهات التي استثمرته لحظة عمل بعيدة المدى ( على أحمد سعيد - أدونيس ) وقد اتاحت له تلك الجهات أن يحصل على الدكتوراه في الادب العربي من معهد الدراسات الشرقية في الجامعة اليسوعية . في بيروت برسالة عنوانها ( الثابت والتحول : دراسة في الابداع والابداع عند العرب ) حاول فيها أن يهدم صرح العربية الشامخ وثبت أن أصحابه غير مبتكرين أو مبدعين ويرهن أنهم لم يقدموا شيئاً للانسانية ..

وفي هذه الرسالة وضع ( ايديولوجية ) دعوته الى الحداثة التي خدعاً بها عدد من الشباب الذين عجزت خلفياتهم عن ان تحميهم من السقوط في هذا المستنقع

\*\*\*

### دعاة الحداثة

دعاة الحداثة كانوا كما يقول دكتور محمد عبد العظيم سعود من اقليات بعضها ربما كان متهماً في دينه او ولائه القومي وبعضها كان لا يحظى من الاغلبية بنظرية ارتياح مطلقة . وأن هناك غالباً شيئاً ما عالقاً بالنفوس ففي سورية كان على أحمد سعيد الذي زين له انطون سعادة أن يغير اسمه الى ( أدونيس ) منتمياً الى الحزب القومي السوري وهو حزب أعلن عدائه للإسلام والعروبة معاً اذ دعا الى فينيقية سورية ثم تحول أدونيس بعد ذلك الى مذهب اللامتنم وادونيس هو القائل : ( ان السبب في العداء الذي يكثه العرب

### مصادر البحث :

- ١ - ( ك ) الثابت والتحول : ادونيس .
- ٢ - ( ك ) الشعر الحديث الى اين : غالى شكرى .
- ٣ - مجلة فصول : عدد خاص يضم ابحاث مؤتمر الحداثة ( محمد برادة - خالد سعيد ، كمال أبو ديب ... الخ ) .
- ٤ - ويحدثونك عن الحداثة : محمد عبد الله مليبارى (جريدة الندوة . جمادى الآخرة ١٤٠٥ وما بعدها ) ( دكتور طاهر التونسي ، دكتور محمد عبد العظيم سعود ) .

\*\*\*

الدعوة الى الحداثة ليست دعوة مرحلية من دعوات التغريب في مجال الادب ، ومن حيث تدخل في اطار السريالية والوجودية او مذاهب الكلاسيكية والرومانسية والواقعية وانما هي شيء اكبر من ذلك : انها ثورة على الثوابت الاسلامية الاساسية عن طريق خافت الضوء هو ( الشعر ) حتى لا تحدث ضجيجاً او صياحاً يفسد عليها هدفها الذي تسير فيه حتى تصل الى غايتها الخطيرة ، وهي تقصد اساساً الى محاربة القيم الاسلامية وازاحة فكرة الاصول الثابتة بهدف تغليب طوابع التطور المطلق والتغيير المتوالى الذي لا يعترف أساساً بالضوابط والحدود والذى يرقى الى فتح الطريق امام حرية الاباحة وتمجيد العلاقة الجنسية والجراة على أعلى القيم التي جاءت بها الأديان وذلك بتحطيم هذه الضوابط والحدود .

فهي عند فحص كتابات الداعين لها وتعقب كتاباتهم ( وخاصة ما نشر من ابحاث مؤتمرهم الذي جمعت ابحاثه لتكشف عن ابعاد هذا المخطط الخطير ) يتبيّن أن وراء هذه الدعوة خطة رسمت بدقة وذكاء ومكر في نفس الوقت ، قام عليها الحاقدون على كل شيء

ترتيب التفاعيل في سياق ما ، ان الشعر الجديد ملء بالحواوة والمرجفين » .

كان هناك بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى وهم من أخلص دعوة الماركسية ، نشر السياب قصائده كلها صيحات انكار وحيرة بل وثورة على الله ( جل في علاه ) .

هذا أمر ، أما الأمر الآخر الذى يهدف اليه هذا التيار « فقد كان واضحا في تلك الرغبة المحمومة في اظهار الاحتقار للتراث الاسلامى العربى والزراية عنى الشعراء العرب القدامى الجيدين ، ونعتهم بالصنعة والتکسب واعلاء التراث اليونانى والروماني على ماقبھ من وثنية .

ويسرخ ( أدونيس ) من حادثة الاسراء في قصيدة ( السماء الثامنة ) ويعين بسيسو الماركسي يهزا بالتراث وأعلام التاريخ ومن طريقة الاستناد في الحديث النبوى الشريف ويؤلف منظومة ساخرة ( حدثنى ورافق الكوفة ) عن خمار البصرة ، عن قاض فى بغداد ، عن سايس خيل السلطان ، عن جارية ، عن أحد الخصيان . . . الخ والحق أن الشعر الحر مشرع بالدعوة الى الاباحية على نحو لم يشهده الشعر العربى الا عند بعض الشعراء الشواذ المنبوذين .

والعجب أن دعوة هذا اللون العجيب قد قفروا الى كثير من البلاد العربية الى حيث التحكم فى وسائل الاعلام حتى انك تقاد تراهم يسيطرؤن سيطرة تقاد تكون كاملة على هذه الوسائل فى بعض بلدان العرب ، وفي هذا الجو الارهابى أصبحت ترى شعراء عموديين يكتبون قصائدهم او يعيدون كتابتها بعد تسيطرها وتبينضها وتقطيعها ارضاء لهم وتقية .

وقد ترجم كثير من تلك القصائد ليس لجودتها وإنما أولا لسهولة ترجمتها لمستشرق شاذ ، او لدلوافع سياسية وعلل دينية ونحن نرجح أنها حركة مقصودة أريد بها طعن اللغة العربية : لغة القرآن والاسلام وعمادهما توطئة للاجهاز عليها . وستبقى العربية والشعر العمودى وسيبقى من فوقيها القرآن والاسلام الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولن يعمد هذا المسمى بالشعر الحر طويلا لانه لا يعلن بالذاكرة ، ويستعصى على الفناء ، او يفترط في الرمزية المطرفة الجامحة والغموض والتلفيق » ١.٥ .

واذا ذهينا نستعرض الدعوة الى الحداثة نجدهم جميعا من متخصصى الأديان الذين دأبوا على محاربة الاسلام واللغة العربية واتخذوا شعار الحداثة ستارا

للابداع ، كل ابداع ، هو ان الثقافة العربية بشكلها الموروث هي ثقافة ذات معنى دينى ) .

ويعرف الاستاذ ولسون في كتابه ( اللامنتمى ) بقوله : لا صلاح هذا العالم الملىء بالتناقضات الا بالثورة والغضب وعدم الانتماء الى اية قيمة اخلاقية من القيم الموروثة بل لابد من مواجهة العالم بكل مشارع الحقد والكراهية ) ويقول محمد الماغوط من زملاء أدونيس ( على الامنتمى ان يحس باللادجوى لأن هذا الوجود بلا موقف ولا دليل ولا مستقر ولا مرشد فليس للامنتمى الا الاحساس بالسأم وتمى الموت والانانية الفردية ورفض كل المعطيات الخارجية ) .

وفي لبنان كان هناك ( سعيد عقل ) الذى تابع بعض النقاد والشعراء بامانة الشعر وهو الذى خرج بعدها ليعلن أن اللغة العربية لا تفى بالتعبير عن المشاعر ولا بد من استبدالها باللغات العالمية وان هناك مشكلة في كتابتها فليست كل احرفها منطقية وبعض كلماتها ينقصها احرف ولها كتب ديوانه ( يارا ) بلغة غريبة في احرف لاتينية وهو رجل ( حراس الارز ) الذين جعلوا شعراهم قتل الغرباء ( اى قتل المسلمين ) .

وفي مصر كان الدكتور لويس عوض وهو رجل يكرر في كل مناسبة انه ليس قوميا وأنه علماني وقد لعب هذا الرجل دورا خطيرا في الحياة الثقافية في مصر في الخمسينات والستينات من هذا القرن العشرين حين كانت وسائل الاعلام كلها موجهة وتحت الرقابة الصارمة وكان هو المستشار الثقافى لجريدة الاهرام وقد قام لويس عوض بروح متعصبة دون اى شاعر عمودى يبتغى طريقه الى وسائل الاعلام والنشر من اذاعة او صحفة او اى وسيلة اخرى الى الجماهير كما يقول الدكتور طاهر احمد مكي في كتابه ( الشعر العربي المعاصر - دوافعه ومدخل لقراءته ) ويسعى المجال واسعا عريضا لكل من يكتب الشعر الحر واذا نشر قصيدة عمودية لشاعر عمودى مثل كادل الشناوى نشرها موزعة الجمل على نحو يوحى بأنها من الشعر الحر ، وفي ظل هذه الحركة تحول شبان كثيرون لما يزالوا شاردين في عالم الشعر وكان يمكن ان يصبحوا شعراء عموديين ممتازين الى شعراء يكتبون كلاما تافها في الشكل الجديد وأصبحوا كما يقول الشاعر ادونيس وهو ليس متهم في شهادته لانه من دعوة الشعر الحر المتخمين له « في الشعر الجديد اختلاط وفوضى وغرورا تافها وشبها امية ، ومن الشعراء الجدد من يجهل حتى ابسط ما يتطلب السفر من ادراك لاسرار اللغة والسيطرة عليها ومن لا يعرف فن الشعر غير

ينفثون من تحته سموهم ويظهر ذلك واضحا في كتاب غالى شكرى ( شعرنا الحديث الى اين ) ومنهم ادونيس والماركسيون اكبر اعداء الاسلام : بدر شاكر السباب والبياتى ودنقل ، وشpare المجنون وكان يوسف الخال قد رسم الخطة لهؤلاء وساقهم اليها وهو مبشر مسيحي يقول :

( خاسر من بيع ثلاثة ويشترى واحدا )

يقصد بالثلاثة عقيدة التثليث المسيحية والواحد هو عقيدة الاسلام ومنهم امير اسكندر ( مسيحي ماركسي ) جبرا ابراهيم جبرا ، اسعد زروق ، ولويس عوض ، وخليل حاوى ، وتوفيق صايغ ، وشوقى ابن سقا ، وميشال طراد وميشال سليمان وفتحى سعيد وسعيد عقل وموريس عواد وكلهم مسيحيون ، ويقول الدكتور طاهر التونسي بعد هذا العرض أنه حتى عندما انتسب الى مدرستهم بعض من تسمى بالاسلام استعمل التعبيرات المسيحية ويبدو ذلك واضحا في شعر بدر السباب الذى يدعى أن المسيح صلب وقد كذب وكتب أساذته النصارى واليهود ( فما قتلوم وما صلبوه ولكن شبه لهم ) ويدرك عد آدم وحواء القصة كلها كما روتها التوراة لا كما رواها القرآن » .

وقد اشار لويس عوض الى أن صلاح عبد الصبور يقرأ الانجيل بحماسة وأنه دخل دائرة الخلاص المسيحية ، وتتجدد التركيز على التراث المسيحى والمصلحات المسيحية واضحة في شعره ، وقصيدة ( حكاية قديمة ) عن المسيح وصلبه ونظم بعض أبيات من ( نشيد الانشاد ) وتتجدد ذلك في معين بسيسو ونذار قبانى :

( مصلوبة الشفتين ، الصليب الذهبي )

وعبد الوهاب البياتى ( في صليب الالم ) ..

\* \* \*

### أيدلوجية الحداثة

أجمع الباحثون على أن ( الحداثة العربية ) هي ثورة متمردة على كل نظام وقاعة وقانون وأنها ترمي إلى هدم الضوابط والحدود والقيم والقواعد التي تدمها المنهج الربانى افساحاً للمنهج البشري : القائم على التحول الدائم ، ويرى البعض أنها ثورة اجتماعية هدامة تتحدى وراء الشعر والأدب لتحجب غايتها وحركتها ، ولذلك فان دعامة الحداثة يهاجمون الثوابت التي تدمها الدين الحق في عنف شديد ويصفونها بالجمود والمحافظة والتحكمات وقد وصفها الاستاذ محمد عبد الله مليبارى بأنها باطنية جديدة تحاول غزو مبادئنا وقيمنا بدءاً من

الشعر وانتهاء بالعقيدة الاسلامية وأن المسألة ليست أن يكون الشعر عمودياً أو غير عمودي أو تفعيلياً أو نثرياً ، ولكنها أكبر من ذلك ، أنها محاولة هدم في مختلف قضایا النصر : السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما يتصل بها من تحرير وحرية وعدالة . ( ٢ ) وقضایا العصر التعليمية والعلمية والتكنولوجية وما يترتب عليها من مشكلات . ( ٣ ) وقضایا العصر الأدبية والفنية وما يستحدثه من اجناس ومدارس واتجاهات .

ويمكن القول أن هذه المؤامرة قد وضعت قواعدها على أساس حركة الزندقة القديمة وجماعة المجان الذين كان على قيادتهم ( الشاعر الفارسي أبو نواس ) الذى كان حاقداً على الاسلام والذى جننته قوى الباطنية والمجوسية والقراططة ليهدم عن طريق الشعر جميع مقومات الثبات الاسلامي في البيئة العباسية وقد أعاده على ذلك مجموعة من الزندقة والشعوبين الذين تركوا تراثاً مسماً ما استطاع المستشرقون أحياه عن طريق شعوبى جديد يحمل في أعماقه جميع أعتقدن المجوسية والباطنية وقد وضع نظرية الحداثة على ستة أصول :

١ - نظرية التطور المطلق التي تصلها من نكر هيجل في دعوته الى الفضاء الثوابت وهى نقيس نظرية ارسطو وقد أصطنعتها القوى الصهيونية والماسونية لاحياء الفكر التلمودي وخلق نظرية تقول بأنه ليس هناك شيء ثابت ظصاً وأن كل شيء متتطور وذلك لهم ثبات الأديان والأخلاق والقيم . ويرىون أن الانسان هو محور العالم .

٢ - احياء الوثنيات القديمة فقد كشفت رسالة ادونيس عند تقديمها الوافر لفكرة ابو نواس واهتمامه بفكر الملاحدة وأصحاب نظرية وحدة الوجود والطهول والاتحاد واعادة أحياها من جديد وهى الخطة التي وضع قواعدها المستشرق لويس ماسينيون .

٣ - تحطيم عمود اللغة العربية ، وهدف تحطيم الفصحى لغة القرآن هدف تقديم وقد شارك فيه كثيرون منذ بدأ حركة التغريب والغزو الثقافي ( ويلكوكس - لطفى السيد - سلامة موسى - سعيد عقل ) .. الخ أملا من هؤلاء الدعاة في أن تحطيم اللغة العربية سيحولها إلى المتحف ويفسح الطريق أمام تمرّق الوحدة القرآنية الاسلامية الجامعة .

٤ - تحطيم عمود الشعر وذلك ايماناً بأن عمود الشعر هو القاعدة الأساسية للادب والبيان العربي بعد القرآن والسنة ومن هنا جاءت الحملة على الخطيب بن أحمد وعلى كل الشعراء الملتزمين للنظم العربي الاصيل .

في منظومته ( الأرض المقرفة ) الفظ الدال على العرب واستبداله بكنيسة ماغنسي وردد أشياء من التوراة والإنجيل ويرجع هذا إلى الشعور الصليبي الموروث الصادر عن تعصب ديني أو عنصري أذ لا يخفى أن ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد ، فهو يرجع إلى الشعور الصليبي الموروث والتعصب الدينى أو العنصرى ومرده إلى الزهو والغرور والاعتقاد بالانتقام إلى حضارة اليونان والروماني » .

ولا ريب أن كتمانه سرتته للمعلومات وتشعر العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم العرب وأسماء من أشاروا إليهم ، كل هذا يؤكّد الشك في اصالة اليوت في منظومته ( الأرض المقرفة ) وبيكّد فساد وجهة الذين تابعواه من دعاة الشعر الحر والحداثة .

### الحشاشية : هي الجذور ..

ويحاول أدونيس ودعاة الحداثة أن يردو فكرتهم إلى القديم : وهم صادقون في ارتباطهم بالحشاشين والباطنية والمجوسية المتنامية في القراءة ويتحدثون عن جذورهم في أبي نواس وأبي تمام والرازى وأبن الراؤندي ، على أساس أن الخاصة الرئيسية التي تميز هذا التناحر هي ادانة التقليد والمحاكاة ورفض النسج على متوال الأتدمين ويركز أدونيس في كتابه ( الثابت والتحول ) على الحركة العقلية والفلسفية والعلمية عند ابن الراؤندي والرازى ويراه في الحركة الصوتية ( الفلسفية ) وفي التيات الاحادية أو ما يسمى حركات الزندقة والشيعوية وفي طليعتها الحركة القرمطية

\* \* \*

### الحداثة وخلفياتها الأيدلوجية

تهدف الحداثة إلى تجاوز القواعد الأساسية للإسلام : قواعد الثواب التي هي بمثابة الضوابط والحدود إلى تحفظ شخصية الفرد والوجود الاجتماعي وهي تحاول أن تخدع الناس بأن هؤلاء الرواد والرموز السابقين قد حطموا هذا القيد وتجاوزوه وأن هذه المحاولة هي التي مكتنهم من الإبداع وهم يدعون بأن الحداثة هي الثورة الدافعة لتجاوز التأثر والجمود والارتقاء إلى منطلق العصر .

وترد ذلك كله إلى ( التاريخية الماركسية ) كمدخل للحداثة . وترى أن هؤلاء الرواد قد اقتحموا مفهوم الذين الدينى ومن ثم فهم يرتكبون على ( فكر التجاوز ) وأنه مصدر الإبداع وأن هذا التجاوز لا يتوقف فهو في حركة دائمة .

٥ - مهاجمة مفهوم الثبات والقيم واطلاق اسم السلفية عليه ، والسلفية هنا تعنى المعتقد الدينى فالحداثة ترى أن في الأفكار الباطنية والصوفية تحولا عن الثبات الدينى به وتعتبر هذا التحول منطلقا تاريخيا للحداثة العربية .

٦ - تقليل مفاهيم السريالية ( النظرة التي لا يحكمها العقل أو ما يسمى فوق الواقع وقوامه احتقار التراكيب الفعلية والروابط المنطقية المعروفة والقواعد الأخلاقية والجمالية المألوفة والاعتماد على الاشاعر واللامعقول ، والرؤى والاحلام والحالات النفسية المرضية لاسيما حالات التحلل النفسي ويعنون بالرغبات الجامحة .

٧ - تغليب طوابع الجنس والاباحة استمدادا من مفهوم الانحراف وعبادة الجسد واباحيات الوجودية التي دعا إليها سارتر ، والتحليل النفسي الذي يعتمد نظرية الجنس التي دعا إليها فرويد ونظرية العلوم الاجتماعية التي دعا إليها دور كايم وفتح أبواب المجنون والجنس والاباحة والتحلل الاجتماعي .

\* \* \*

٨ - على أن يدور ذلك كله في إطار ( التاريخية ) وهي الحتمية التاريخية لماركس فالمنهج الماركسي التاريخي هو الأساس الأيدلوجى للحداثة .

وقد عمد ( أدونيس ) في سبيل صياغة هذه النظرية التي قدمها له شيخ المنظرين القدس يوسف الخالى إلى استقطاب خيوط من التاريخ لتكون أدلة واضحة وأضواء كاشفة على الطريق وذلك بالاعتماد أساسا على الفكر الباطنى الفلسفى والصوفى والصوفى والمرحلية ومحاولة ربط الخطوات بتطور الشعر الحديث بالمرحلة الأخيرة منه ( قصيدة النثر وشعر التفعيلة ) ، واختبار الحاقددين الجدد على نسق الحاقددين القدامى : أبو نواس ومهيار الديلمى واعتماد الحركات التمردية المهدامة للمختار الثقفى والقراءة والزنج وقد خطأ دعاة ( الحداثة ) خطوة متقدمة على مفهوم العصرية من ناحية والشعر الحر من ناحية أخرى .

فالشعر الحر تقليل لشعر ( والت ويتمان ) أما شعر الحداثة فهو متابعة للشاعر الصليبي توماس اليوت ويرى دعاة الحداثة أن الشعر الحر هو التيار ( السلفى ) الجديد بالنسبة لشعر الحداثة .

أما توماس اليوت فهو زعيم هذه المدرسة في العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم ويقول دكتور عبد الله الطيب : لقد حذف اليوت

وَخِينَ يَدْعُونَ إِلَى حُرْيَةِ الْلُّغَةِ يَقْصِدُونَ الْخُرُوجَ  
بِالْلُّغَةِ عَنْ سِيَادَتِهَا وَمَضْمُونَهَا وَتَحْرِرُهَا مِنْ اطْهَارِهَا  
التَّارِيْخِيِّ وَالْبَلَاغِيِّ الْمُرْتَبِطِ بِالْبَيَانِ الْعَرَبِيِّ وَالْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ .

ويؤرخ أدونيس للحداثة بالدعوات التي خرجت على الاسلام (المختار الثقفي والزنج والقرامطة) ويرى أنها قاتمت بالتحرر من الثبات، وكذلك دعوات الزنادقة (في الشعر) والاباحيين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاشراق .

وبالجملة فان الحداثة ( ايدلوجية مناهضة ) للإسلام والدين الحق والأخلاق تقوم على الغموض في فهم النص ، وتفسيره تفسيرا مختلفا ( لأن الشاعر عندهم ليس مطلوبا منه أن يفهم ما يكتبه ) ودعواهم الباطلة أنهم يتسبّبون بتفاسير القرآن متناسين أن المفسر القرآن لابد أن يتوفّر فيه .

وهم حين ينکرون العمودية في الشعراء والتقييد  
بالوزن والقافية إنما ينطلقون من مفهوم الحداثة القائم  
على التمرد والثورة على كل قيد عقدي أو فني ( كما  
تمرد أبا نواس وصوفية وحدة الوجود والحلال وابن  
عربى ونظيرية الحاكم يأمر الله ) .

وقد استعمل الحادثيون نفس الألفاظ التي استعملها  
الباطنية سواء في الغرب (نيتشة وفرويد) أو في الشرق  
(الباطنية والحلوليين) .

ويرد أدونيس مفاهيمه الى أصولها ..

( السريالية قادتني الى الصوفية وتأثرت بها اولا ولكن اكتشفت انها موجودة بشكل طبيعي في التصوف العربي ( يقصد التصوف الفلسفى ) وتأثرت بالماركسية ونيتشة من حيث القول بفكرة التجاوز والتخطى وتأثرت أيضا بأبى تمام وأبى نواس من حيث فهم اللغة ولم تكن ثورة المختار التنفى والثورات القرمطية وثورة الزنج الا توكيدا للقاعدة المادية (الارض - الاقتصاد - علاقات الانتاج ) .

ومن هنا تعرف أن حادثة أدواتيس هي تلقيق من مُحرّر الباطنية والملحدة والاباحيين في الشرق والغرب وأنها تستهدف ( ثوابت الاسلام ) والآيمان بالغريب و تقوم على اسس ثلاثة ..

- ١ - عدم الانتماء لاي قيم أو منهج .
  - ٢ - التمرد على كل الثوابت وفي مقدمتها الدين والأخلاق .
  - ٣ - استعمال قواعد اللغة استعمالاً مغلوطاً .

هذا هو مفهوم ( الثابت والمتغير ) ..

وَهَذَا التَّجَازُ يَرْمِي إِلَى تَرْعِيزِ فَكْرَةِ النَّمُوذِجِ أَوِّلًا ، أَيْ أَنَّ الْكَمَالَ لَمْ يَعْدْ مُوجُودًا خَارِجَ التَّارِيْخِ ، وَأَصْبَحَ الْكَمَالُ تَمْعِنِي آخِرَ كَامِنًا فِي حَرْكَةِ الْإِبْدَاعِ الْمُسْتَمِرَةِ .

هذه المحاولة كاذبة ومضللة ومحكوم عليها بالسقوط لأنها لا تقوم على أي أساس من الفطرة أو العلم أو الحق أو المنطق ، وإنما هي نوع من التمويه الكاذب والخداع المضلل ، لأن كل هؤلاء الذين اعتمدوا عليهم مفهوم الحداثة من رموز قديمة قد سقطوا فعلاً وداستهم الاقدام ولم يدخلوا التاريخ إلا في باب الشعوبين والباطلتين وأعداء الإنسانية . ولقد هزموا فكريياً في عصرهم وذهب كل ماقالوه من أكاذيب وادعاءات حتى جاء الاستشراف والغزو الفكري ليعيدهم نرة أخرى إلى الحياة ، وهي محاولة محكم عليها بالانهيار والدمار ، كالمحاولات الأخرى التي سبقتها وإن تجدى هؤلاء الدعاة الجدد نفعاً لأنها لا تقوم عندهم من منطلق أمنين أو من منطلق غيرة على هذه الأمة أو رغبة في السمو بها ولكن من منطلق حقد دفين وكراهية وهزيمة، والهزوم يعمل دائماً على كسب المهزومين إلى صفة ليحس بأنه ليس بيذوا ، ولقد كان دعاة الشعوبية والباطلية مهزومين منعزلين شأنهم شأن أبي نواس وبشlar في القديم حيث كان يتحمّلهم الناس ، وإذا كان قد أتيح لهم عن طريق « أحد غلام التغريب والشحوبية » أن يذيع لهم فكرهم على هذا النطاق الواسع فأنها ليست إلا صيحة مضللة قد أغمدت الأقلام الإسلامية فيها خناجرها .

ان هؤلاء دعاة الحداثة انما يدعون الى توهين السلطة المطلقة وهى الدين والنيل من السيد الاعظم (الله تبارك وتعالى علا وجل عن كلماتهم المسمومة) ولن يتحقق يوما ان تغلب الفئة الباطلة على النظام الريانى القائم ، فى حكمه وقواعده وآى اصل من اصوله ، على الحق مهما تجمع لهذا دعاة الشعوبية والباطلية .

ويرمى أدونيس الى الغاء التقديم الازلى الباقي  
جل جلاله ، ومفهوم الزمن هند أدونيس يتعارض مع  
مفهومه الدينى ، والغاء الزمن الدينى يرمى الى الغاء كل  
تقديم باعتبار أنه لا شيء في الوجود اسمه قديم ويهدف  
من ذلك الغاء فهمنا للقرآن الكريم وأنه كلام الله التقديم .

والحرية عن الحديثين هي التخل من كل قيد ديني أو اجتماعي أو نظامي أو قانوني .

وهم عندما يسمون الحادثة ( الثورة المتجهة لتجاوز السلفية ) يقصدون تجاوز قيم الدين والأخلاق .

٤ — بناء الصور الشعرية على انقضاض الاساطير القديمة .

الى نتيجة هي أن الرؤيا الدينية هي «السبيل الأصلي في تغلب المنحى الثبوتي على المنحى التحولي في الشعر» ، أن النظام الشامل الذي خلفه الدين (بقصد الاسلام) كان العامل الأساسي الذي جعل المجتمع العربي في القرون الثلاثة الأولى يفضل القديم على الحديث بحيث أنه وضع القديم في مجال الكمال واعتبر كل جديد خروجاً على المثال الكامل » .

وهكذا نرى كيف تتضاد قوى كثيرة على تأييد هذا المذهب وتشوه صفحات التاريخ الاسلامي وترى أن قلة من الزنادقة ظهروا في القرن الثالث وداستهم الاقدام كانوا عوامل تجديد وحداثة كاذبة بدعوى أنهم تجاوزوا الثوابت وأجترعوا على الحقائق الاسلامية .

وهكذا كانت دعوة الحداثة : التحول هو المطلق وأن التجدد من كل الموروثات التي تمت مع نمو تاريخنا الاسلامي هو أساس الموجهة ، ومن العجيب أن أدونيس وثنائه كانوا من التجاردين من موروثاتهم وأوسلاطهم وأسرهم وعقائدهم التي نشأوا عليها وتنكروا لما غذتهم به أمهاتهم وأبائهم من آيمان وهكذا يدعو هؤلاء الخارجون على أنفسهم — يدعون الناس إلى خروج مثل خروجهم . ان هؤلاء ينكرن مفهوم الاسلام الجامع بين (الثوابت والمتغيرات) ويلجأون إلى مفهوم الفرب الذي كان يؤمن بالثوابت وحدها وقد دفع هذا بعض المفكرين إلى تحطيم الثبات بالدعوة إلى (التغيير المطلق) ولكن هذه الدعوة لا تصلح في أفق الفكر الاسلامي لأنها لا حاجة له بها ، لما جاء الاسلام أرسى قواعد الثبات ونظم وسائل التحول والتغيير والتطور من داخل الثوابت الأساسية القائمة على الخلق والمسؤولية الفردية والآيمان بالبعث والجزاء ومن هنا وقف الاسلام أمام كل دعوة باطلة ترمي تحت اسم التحول إلى القضاء على الثوابت أو هزها أو التيل منها .

وذلك سنة الله في خلقه وناموسه في قيام الأمم والحضارات وتحولها وسقوطها .

وكل الدعوات التي حاولت أن تثال من لثوابت الاسلامية ، كالبابية والبهائية والقاديانية والقرمطية فقد تحطمت لأنها مخالفة لنهج الله نفسه وقانون البقاء وستذهب (الحداثة) وتتدوسرها الاقدام قبل أن يعرف دعاتها من أين آتتهم الجائحة (وآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) مما بلغ ارتفاع أسمتهم فهو إلى انحسار وانتشار فكرهم فهو إلى زوال .

مقطع الرأي في (الحداثة) أنها :

أولاً : ردة إلى طفولة البشرية وهجوم مستقر

وأخطر ما يركز عليه دعاء الباطنية الحديثة (الحداثة) هو ما يسمونه (المطلق) وهو الله تبارك وتعالى وما من واحد من هؤلاء إلا وله في هذا المجال شعر رديء هابط ملئ باللحاد والفحور والله تبارك وتعالى أعلى وأجل عما يقولون وهذا ينكشف أن الهدف الحقيقي هو الثورة على العقيدة والالوهية والجذور الأصيلة للتكوين الاجتماعي وعلى كل ماهو متعارف ومقدود ومنظم ومتقن حتى القواعد اللغوية .

ومهاجمة النص المقدس عملية واضحة واساسية في دعوتهم ..

يقول كمال أبو ديب : ( من الدال جدا على أن النص المقدس في جميع الثقافات التي نعرفها هو نص قديم فليس هناك من نص مقدس حديث والحداثة بهذا المعنى هي ظاهرة «اللادسانة» ) .

وهو يقصد بالنص المقدس القرآن والاحاديث النبوية وكل كتاب ديني تقدسه الأديان وتقول ( لأنه لا سبيل لأن يكون الأدب حداثيا إلا إذا رفض كل نص مقدس وأصبح نقضا لكل ما هو مقدس حتى العبادة .

فالدعوة إلى تدمير القداسة هي هدف أساسى في دعوة الحداثة وهي لا تقف عند ذلك بل تدعى إلى مفارقة الخطيئة وبكارة الإنسان واحراق التراث والفاء الخطيئة أى لا خطيئة في الحياة ( الزنا ، الربا ، السرقة ، الحقوق .. الخ ) فيقولون : كلمة الخطيئة يجب أن تشطب من قواميس اللغات .

والدعوة إلى العصيان المعلن قاعدة أخرى متمثلاً بقول «أبي نواس» ..

فَانْ قَالُوا حَرَامٌ قَلْ حَرَامٌ  
وَلَكِنَ الْلَّذَادَةُ فِي الْحَرَامِ

وقد أعلن أدونيس في كتابه ( الثابت والتحول ) أنه يرمي إلى تحول يزيل القيم الموروثة من ( بيئة ) اجتماعية وأخلاقية ، تحول في الثقافة العربية التي يبئها الاسلام بقيمته الدينية .

والمعلوم أن اب بولس نوياً اليسوعي هو الذي قدم له منهجه ووصفه بأنه ( شاعر التحول المستمر )

وقد رکز على عبارة أدونيس ( نفسى تجردت من الماضي وقيمته كلها بما فيها القيم الدينية والأخلاقية ) .

وعلى اب بولس على ذلك فقال : لقد انتهيت

على الفصحي : لغة القرآن بهدف تدمير منظومة البيان العربي المرتبط بالقرآن الكريم والسنّة وترمي إلى في جميع كتابات العلماء والمؤرخين والفقهاء والتي تقوم على فقه اللغة والبيان والتحقيق التاريخي الذي استمدّه المسلمون من علم الحديث النبوى .

ثانياً : تهدف إلى تقويض المزعزع الحقيقى للأدب العربي المرتبط بالقرآن الكريم والسنّة ونزعه إلى اغراقنا في مذاهب التجريدية والرمزية والدادية والسرالية .

وقد وصفه الدكتور محمد مصطفى بدوى بأنه ( الفن الذى استجاب لما حل بأوروبا من اضطراب شامل وكان نتيجة لانعدام اليقين والتجدد المعلن ، انه الفن الوحيد الذى يصلح لانهيار العقل ولما أصارت المدينة من دمار أبان الحرب العربية الأولى ، انه فن الرأسمالية ، دارون وماركس وفرويد ، جاء بعد القضاء على الحقائق العامة المشتركة وعلى افكارنا التقليدية عن العلية وبعد انكار الآراء المتوارثة عن وحدة الشخصية الفردية فain نحن العرب من هذه الأشياء .

ان ( المورنزم ) حركة أوروبية ليست مقصورة

\*\*\*

على دولة واحدة من دول الغرب وهى شديدة الصلة بتاريخ أوروبا السياسي ومرتبطة بفقدان الإيمان الديني وهى تطوير للرومانтика والرمزية والواقعية بل ظهر ما يسمى با ( بعد المورنزم ) .

وهذا تختلف تماماً عن طوابع الأدب العربي العميقه الصلة بالقيم الأساسية من الدين والأخلاق .

وإذا كانت هذه الدعوة المدعاه قد وجدت من بعض القوى ما يفتح لها الطريق ، فإن هذا البريق الهمامي سوف لا يثبت تحت ضوء الشمس ، وقد انهزم شعراء الحداثة في المواجهة وترجعوا في كثير من موقع وحاولوا أن تغيير واحتلطمهم وقالوا ان شعر الحداثة يفترا ولا يلقي ، وعجز أصحاب الحداثة عن بيان ما في نفوسهم فادعوا انهم طلاب غموض وقد رفضهم المثقفون وانهموهم وانقطعت الجسور بينهم وبين الأدب الأصيل ذلك أن هذه الدعوة وافدة وليس لها جذور وهي كالنبت الذى يوضع في الأرض فلا ينبع وقد رفض الجسم الاسلامي العضو الغريب في محاولات كثيرة سابقة ، وفي هذه المحاولة يرفض التغريب بجسم ويرفض ما وراءه من أهواء ومن أهداف ومطامح ومطامع ، لم تعد خاتمة على أحد .

## الباب السادس عشر

### أسلمـة الاقتصاد

حقين : حق للمجتمع وحقاً للميسكين والسائل والمحروم  
وأن الحرية فيه منضبطة لها حدود لا يتجاوزها وأن الربا  
على اطلاقه حرام .

(٢)

المنهج الاقتصادي الإسلامي جزء من كل متناسق  
ومتماسك هو الشريعة الإسلامية التي جاءت بقواعد كلية  
عامة فيما يتعلق بالسائل التي تتطور بتطور البيئة  
والمجتمع وقد جاءت الشريعة بضوابط تفصيلية في المسائل  
التي لا تتطور بتطور الزمن كالمواريث والعبادات وأحكام  
الأسرة وضوابط الشريعة وكلها تهدف إلى حماية الإنسان  
مما يتجاوز الطاقة البشرية أو يرهقها  
وللمنهج الاقتصادي الإسلامي ذاتية خاصة  
تتمثل في :

أولاً : الجمع بين الثبات والتطور ، أو خاصية  
الالتزام بأصول معينة وفتح باب الاجتهاد في التفاصيل  
وملامعة التطبيق .

ثانياً : الجمع بين المصلحتين الخاصة وال العامة .  
ومناط الاقتصاد الإسلامي هو « المصلحة » وتحتفل  
المصالح باختلاف الظروف وتقدم المصالح حسب أهميتها  
ويجري التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في  
حال التعارض ، وتقدم المصلحة العامة على مصلحة الفرد  
في حالة عدم امكان التوفيق .

ثالثاً : الجمع بين المصالح المادية والاحتياجات  
الروحية والاحساس الدائم برقابة الله تبارك وتعالى  
لكل تصرف .

رابعاً : ارتباط ما هو مادي وما هو روحى  
في الإسلام .

خامساً : ازدواج الرقابة ، الرقابة العلنية والوازع  
الديني الداخلى .

سادساً : المصالح المادية مقصودة ولكن  
ليس لذاتها .

ان أسلمـة الاقتصاد جزء من أسلمـة المناهج  
الاجتماعية التي تتحرك في دائرةـها الأمة الإسلامية ، وهو  
ضرورة أساسية لتحرير الوجود الإسلامي من التبعية ومن  
الآثار الجائرة والظلمة التي أسمـعت إلى موارـدنا وانـتهـتها  
وحرمت منها أهلـها فـانـ القوى الغـربـية التي سـيـطـرـتـ علىـ  
المجـتمـعـ الـاسـلامـيـ عـمـدـتـ إـلـىـ اـحـتـواـءـ اـقـتـصـادـ الـمـسـلـمـينـ  
وـفـرـضـتـ عـلـيـهـ اـسـالـيـبـ التـعـامـلـ الرـاسـمـالـيـ القـائـمـةـ عـلـىـ  
الـرـبـاـ وـالـرـشـسـاـوـيـ وـنـهـبـ الـمـوـارـدـ وـاسـتـقـدـامـ الـخـبـرـاءـ  
وـالـمـصـنـعـاتـ وـمـنـ ثـمـ اـدـخـلـتـنـاـ فـيـ مـتـاهـةـ وـاسـعـةـ مـنـ اـسـالـيـبـ  
الـمـضـطـرـبـةـ التـيـ كـانـ عـلـيـنـاـ اـنـ نـسـتـسـلـمـ لـهـاـ وـقـدـ فـرـضـتـ  
عـلـيـنـاـ مـاـ دـمـنـاـ لـسـنـاـ قـادـرـينـ عـلـىـ اـمـتـلـاـكـ اـرـادـتـناـ ،ـ وـمـنـ ثـمـ  
دـخـلـتـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ اـزـمـاتـ الـقـرـوـضـ وـالـفـوـائـدـ وـخـضـعـتـ  
الـمـصـارـفـ الـاجـنبـيـةـ .ـ بـلـ انـ الدـوـلـ الـبـرـولـيـةـ ذاتـ الـفـوـائـصـ  
الـضـخـمـةـ اـيـضاـ وـقـعـتـ تـحـتـ سـيـطـرـةـ اـقـتـصـادـ الـاجـنبـيـ  
وـعـزـزـتـ مـنـ اـسـتـقـدـامـ فـائـضـهـاـ وـمـدـخـرـاتـهـاـ لـاقـامـةـ صـنـاعـاتـ  
فـيـ بـلـادـهـاـ .ـ وـكـانـ اـخـطـرـ مـاـ فـيـ هـذـهـ التـبـعـيـةـ خـضـوـعـ اـقـتـصـادـ  
الـاسـلامـيـ كـلـهـ لـاـسـلـوـبـ الـرـبـاـ وـالـمـصـارـفـ الـاجـنبـيـةـ .ـ

وـمـنـ هـنـاـ فـقـدـ عـلـتـ الصـيـحةـ لـتـحـرـيرـ الـمـالـ الـاسـلامـيـ  
وـتـطـهـيرـهـ مـنـ الـعـامـلـاتـ الـرـبـوـيـةـ وـالـتـحـرـرـ مـنـ الـخـضـوـعـ لـكـلـاـ  
الـمـذـهـبـيـنـ الـاـقـتـصـادـيـنـ الـعـالـمـيـنـ الرـاسـمـالـيـ وـالـاـشـتـرـاكـيـ بـعـدـ  
اـنـ تـكـشـفـ اـضـطـرـابـهـاـ وـمـسـادـهـمـاـ وـالـدـعـوـةـ اـلـىـ نـظـامـ عـالـىـ  
اـقـتـصـادـيـ جـدـيدـ .ـ

وـيـرـجـعـ هـذـهـ اـسـاسـاـ إـلـىـ فـسـادـ نـظـرـيـةـ اـقـتـصـادـ  
الـسـيـاسـيـ نـفـسـهـ الـذـيـ قـامـتـ عـلـيـهـ الـعـامـلـاتـ اـقـتـصـادـيـةـ  
فـيـ الـفـرـبـ وـالـذـيـ وـضـعـ قـاعـدـتـهـ (ـرـوـبـرـتـ أـوـبـينـ)ـ ثـمـ جـاءـتـ  
الـمـوجـةـ الـثـانـيـةـ بـنـظـامـ اـقـتـصـادـ اـشـتـرـاكـيـ الـذـيـ كـانـ بـمـثـابـةـ  
رـدـ فعلـ اـشـدـ اـضـطـرـابـاـ عـلـىـ مـنـهـجـ الرـاسـمـالـيـ الـمـضـطـرـبـ .ـ

وـقـدـ كـشـفـتـ الـاـبـحـاثـ عـنـ الـاـخـتـلـافـ الـعـمـيقـ بـيـنـ  
مـفـهـومـ الـاـقـتـصـادـ الـاسـلامـيـ الـاـقـتـصـادـ الـغـرـبـيـ كـمـاـ كـشـفـتـ  
عـنـ فـسـادـ الـمـهـجـ الـاـقـتـصـادـيـ الـغـرـبـيـ الـعـاصـرـ الـذـيـ يـخـتـلـفـ  
فـيـ أـهـمـ مـاـ يـمـثـلـ فـيـهـ الـاـقـتـصـادـ الـاسـلامـيـ هـوـ اـنـطـلـاقـةـ مـنـ  
مـهـجـ اللهـ اـيمـانـاـ بـأـنـ الـمـالـ كـلـهـ اللهـ وـأـنـ الـإـنـسـانـ مـسـتـخـافـ  
فـيـهـ وـأـنـ عـلـيـهـ اـنـ يـتـعـامـلـ مـعـهـ عـلـىـ اـسـاسـ الـعـدـلـ وـالـرـحـمةـ  
وـالـإـخـاءـ وـأـنـ يـكـسـبـهـ مـنـ حـلـالـ وـيـنـفـقـهـ فـيـ حـلـالـ وـأـنـ مـنـهـ

( ٣ )

وللاقتصاد الاسلامي قواعده الاساسية التي تمثل  
منهجا جاما :

١ - يقوم المجتمع الاسلامي الاطبقي أساسا على  
العمل ولا يسمح بانفصال الملكية عن العمل لأن العمل  
واحـب مقدس .

٢ - يربط الجزاء بالعمل على أساس الفرص  
المتكافئة ( وكل درجات مما عملوا ) .

٣ - يمنع التفرقة ويعتبر فرض الاسلام حدا أعلى  
للدخل ( اي الثروة الخاصة ) تحقيقا للعدالة التوزيع ومنعا  
للاستغلال والتسلط الاطبقي .

٤ - فرض الاسلام حدا أعلى للدخل - اي الثروة  
الخاصة - تحقيقا للعدالة التوزيع ومنعا للاستغلال ولما  
لم يقيـد الاسلام هذا كذلك فلـاحـد نـسـبـيـ له يـخـتـلـفـ منـ مـكـانـ  
لـآـخـرـ وـمـنـ عـصـرـ لـآـخـرـ ، وـمـنـ ثـمـ يـجـبـ تـرـكـهـ لـتـقـدـيرـ الـحـاـكـمـ  
بـمـاـ يـتـقـنـ مـعـ ظـرـوفـ الـجـمـعـ وـعـصـرـ الـذـىـ يـعـيـشـ فـيـهـ وـهـذـاـ  
الـتـقـدـيرـ يـمـكـنـ اـنـفـاذـ بـضـوـابـطـ أـرـبـعـ يـضـعـهـ الـحـاـكـمـ فـيـ اـىـ  
عـصـرـ وـاـىـ مـجـمـعـ وـهـىـ الـقـىـ تـعـلـمـ تـقـائـيـاـ كـحـمـامـ اـمـنـ ضـدـ  
ظـهـورـ طـبـقـةـ مـسـتـقـلـةـ مـسـيـطـرـةـ سـيـطـرـةـ الـافـرـادـ فـيـ جـمـيـعـ  
الـدـرـجـاتـ وـبـهـذـاـ يـكـوـنـ (ـ سـوـاسـيـةـ كـأـسـنـانـ الـمـشـطـ )ـ .

\* \* \*

### الضوابط الارتفاعية

أولا : أن لا تترك الاموال لدى قلة من الأفراد إلى  
الحد الذي يتذمرون منها اداة للتسلط الاقتصادي  
والاجتماعي ( كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ) .

ثانيا : أن لا تترك الاموال تجتمع لدى بعض الأفراد  
الاغنياء إلى الحد الذي يدفع بهم إلى الانغماس في الترف  
ومظاهر التمييز ، الأمر الذي سرعان ما يؤدي إلى تحلل  
المجتمع وانتشار الفساد ولا يليث أن يعمل على انهياره  
تماما كما حدث ل المجتمعات انعمت في الترف وما فوق  
الكماليات .

( اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفها ففسقوا  
فيها فحق عليها القول فدمـناها تمـيرـاـ )ـ .

ثالثا : اذا تجمعت الاموال لدى بعض الأفراد -  
ولا توجد لديهم نزعـاتـ التـسـلـطـ أوـ الانـغـمـاسـ فيـ التـرـفـ  
وـالـتـحـلـلـ فـاـنـ تـجـمـيـعـ الـأـمـوـالـ لـجـرـدـ الـجـمـعـ اـىـ (ـ الـاـكـنـاـزـ )ـ  
اـمـ يـتـنـافـيـ مـعـ مـصـلـحةـ الـجـمـعـ ، لـاـنـ يـحـبـسـ الـأـمـوـالـ عـنـ  
دـوـرـةـ النـشـاطـ الـاـقـتـصـادـيـ شـائـنـ شـائـنـ مـنـ يـحـبـسـ مـاءـ الـنـهـرـ  
عـنـ أـرـضـ الـغـيـرـ وـلـذـكـ حـرـمـ الـاسـلـامـ الـاـكـنـاـزـ (ـ وـالـذـينـ )ـ .

سابعا : الحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة .

يقر الاسلام حرية الأفراد في ممارسة نشاطهم  
الاقتصادي ولكنه لا يترك هذه الحرية مطلقة بل يقيـدـهاـ  
بـقـيـوـدـ اـسـاسـيـةـ :

أولا : أن يكون النشاط الاسلامي مشروعـاـ حـسـبـ  
المـفـهـومـ الـاسـلـامـيـ وـمـنـ أـجـلـ هـذـاـ حـرـمـ الـاسـلـامـ اـنـتـاجـ الـخـمـورـ  
أـوـ الـتـعـاـلـمـ بـالـرـبـاـ أـوـ الـاـحـتـكـارـ أـوـ كـنـزـ الـمـالـ أـوـ حـبـسـهـ عـنـ  
الـتـدـاـولـ وـالـاـنـتـاجـ أـوـ حـتـىـ صـرـفـهـ فـيـ غـيرـ مـقـتـضـيـ الـعـقـلـ وـالـاـ  
عـدـ الـرـءـءـ سـفـيـهـاـ وـجـازـ الـحـجـزـ عـلـيـهـ .

ثانيا : أن يكون النشاط مـتـقـنـاـ مـعـ الـمـصـلـحةـ الـعـامـةـ .

وهـذـاـ هوـ السـبـبـ فـيـ تـحـرـيمـ الـاسـلـامـ بـعـضـ أـوـجـهـ  
الـنـشـاطـ الـاـقـتـصـادـيـ الـشـرـوـعـ مـتـىـ كـانـ يـلـحـقـ ضـرـرـاـ  
بـالـآـخـرـينـ يـفـوقـ مـاـ يـعـودـ عـلـىـ أـصـحـابـ هـذـاـ النـشـاطـ مـنـ  
مـنـفـعـةـ ، وـهـذـاـ هوـ السـبـبـ فـيـ الـقـيـوـدـ الـتـىـ وـضـعـهـ الـاسـلـامـ  
عـلـىـ الـمـلـكـةـ الـخـاصـةـ نـجـعـلـهـ مـجـرـدـ وـظـيـفـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ  
فـالـحـرـيـةـ الـاـقـتـصـادـيـةـ مـوـجـوـدـةـ وـلـكـنـهاـ مـقـيـدـةـ فـيـ حـدـودـ مـعـيـنةـ  
وـحـقـ الـمـلـكـةـ الـخـاصـةـ مـقـيـدـ بـمـبـلـغـ اـنـخـاـذـهـ سـبـيـلاـ إـلـىـ  
الـاـضـرـارـ بـالـغـيـرـ أـوـ عـدـ تـنـمـيـةـ الـمـالـ بـالـوـسـائـلـ الـمـشـروـعـةـ .

ثالثا : المال مـالـ اللهـ وـحـدهـ وـالـإـنـسـانـ مـسـتـخـلـفـ فـيـهـ .

فـيـ الـاسـلـامـ : الـمـالـ مـالـ اللهـ وـحـدهـ وـالـإـنـسـانـ  
مـسـتـخـلـفـ فـيـهـ اـسـتـخـلـفـهـ اللهـ لـلـاـنـتـقـاعـ بـهـذـاـ الـمـالـ الـذـىـ يـوـجـهـ  
فـيـ سـبـيـلـ اللهـ ، اـىـ فـيـ سـبـيـلـ مـصـلـحةـ الـجـمـعـ ، وـالـمـالـ تـطـهـرـهـ  
الـصـدـقـةـ وـالـزـكـاـتـ كـنـ منـ اـرـكـانـ الـاسـلـامـ وـهـوـ نـظـامـ لـلـتـعـاـونـ .

ويرمي الاسلام الى تداول المـالـ بـيـنـ النـاسـ دونـ  
تـدـاـولـهـ بـيـنـ طـائـفـةـ خـاصـةـ وـقـدـ قـيـدـ الشـرـعـ حـقـ التـصـرـفـ  
بـالـاـنـفـاقـ بـمـنـعـ السـرـفـ وـالـتـقـيـرـ وـمـعـ الـعـمـلـ عـلـىـ تـنـمـيـةـ الـثـرـوـةـ  
بـمـنـعـ الـفـشـ وـالـرـبـاـ وـالـقـمـارـ وـالـاـحـتـكـارـ .

ولـلـمـرـأـةـ أـنـ تـزاـلـ التـجـارـةـ وـالـصـنـاعـةـ وـأـنـ تـتـولـيـ  
الـعـقـودـ وـالـعـامـلـاتـ وـأـنـ تـمـلـكـ كـلـ اـنـوـاعـ الـمـلـكـ وـأـنـ تـنـمـيـ  
أـمــاـلـهـ .

رابعا : اـقـرـارـ التـواـزـنـ فـيـ الـحـقـوقـ .

وضع الاسلام نظامـاـ حـكـيـماـ يـحـسـولـ دونـ تـضـخمـ  
الـثـرـوـاتـ بـيـنـ يـدـيـ اـقـاـيـةـ وـتـكـفـلـ لـكـلـ فـرـدـ حـيـاةـ اـنـسـانـيـةـ  
كـرـيمـةـ تـحـفـظـ لـهـ مـقـوـمـاتـهـ وـحـقـوقـهـ ، وـتـقـضـيـ هـذـهـ الـاـحـكـامـ  
بـاـقـرـارـ التـواـزـنـ فـيـ الـحـقـوقـ بـيـنـ الـافـرـادـ وـذـكـ بـمـنـعـ التـعـسـفـ  
فـيـ اـسـتـعـمـالـ الـحـقـ الـخـاصـ وـمـنـعـ الـاـحـتـكـارـ فـيـ التـجـارـةـ وـمـبـداـ  
الـزـكـاـةـ يـهـدـيـ اـلـىـ اـسـتـرـادـ الـمـالـ الـمـخـتـنـزـ فـيـ اـرـبـعـينـ سـنـةـ  
وـبـذـلـكـ تـنـتـقـلـ الـثـرـوـةـ كـلـ اـرـبـعـينـ سـنـةـ بـيـنـ يـدـيـ النـاسـ الـىـ  
يـدـيـ آـخـرـينـ .

يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم  
بعذاب اليم ) .

ودعا الاسلام الى الانفاق مضاعفة لحجم المعاملات  
وتحببذا للرواج ( وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه ) .

رابعا : أن لا يكون تجميع الاموال لدى بعض الأفراد  
عن طريق امتصاص حقوق الآخرين مثل بخس العمال  
أجورهم أو بعض المستهلكين يفرض أسعارا احتكارية  
باهظة عليهم ( ولا تخسوا الناس أشياءهم ) .

\* \* \*

( ٤ )

ومن ثم فقد علت صحة مفكري الاسلام بالدعوة الى  
ان يعود المسلمين الى مفهوم الاسلام في الاقتصاد وإن  
يحرروا البشرية من لفة الاقتصاد اليهودي . وقد  
كتب الاستاذ احمد حسين عام ١٩٧٦ فقال : لم  
يصل اليهود الى ما وصلوا اليه من خديعة البشر الا من  
خلال أوروبا وأمريكا وما انتهت اليه من كفر بالمعنويات  
وعبادة للمادة ، يستوى في ذلك الشرق ( الشيوعي )  
والغرب ( الرأسمالي ) والسر في هذا الاتفاق بين الشيوعية  
( عدوة رأس المال ) والرأسمالية ( عابدة رأس المال ) ان  
الطرفين لهما الله واحد هو المادة .

وعندما كانت الحضارة الاسلامية هي المهيمنة  
والسيطرة لم يستطع اليهود أن يطروا برأسهم في دنيا  
المال ( الاقتصاد ) الا بعد أن فقد المسلمين سلطاتهم  
وتفوقت عليهم أوروبا ونجح اليهود في أن يصبحوا ملوك  
المال وأن يخضعوا الدنيا بما فيها العالم الاسلامي نفسه  
لسلطاتهم ، بحيث أصبحت ترى شركات التأمين والبنوك  
تغمر العالم الاسلامي من مشرقه الى مغاربه ، دون أن  
يتصور المفكرون أنهم بذلك يغرقون الى الأذقان في خطة  
تشبيه في الاسلام الكفر ، حيث توعد الله المربفين بحرب  
من الله .

وقد حانت الساعة لنقل ذلك ونواجه الدنيا  
باقتصاد اسلامي مبدأ من لعنة الاقتصاد اليهودي ( الربا ) .

لقد فشلت النظريات الرأسمالية والشيوعية  
والاشتراكية منذ وضع آدم سميث ( اليهودي ) أصول  
النظام الرأسمالي وكان يعتقد أن هذه الانظمة ستحقق  
العدالة وأن الافراد سيكونون سعداء لأنهم يعتقدون أن  
( المذهب الحر ) يعطي للفرد الحرية أن يربح كيف يشاء  
ويتنجع كيف يشاء وينفق كيف يشاء ، وكان يعتقد أن نتيجة

ذلك كله هو اسعد المجتمع كله وأن المنافسة بين التجار  
وبين أصحاب المصانع والشركات هي التي سوف تتحقق  
عدالة الأسعار وسوف تظل الأسعار في خدمة جماهير  
الشعوب على أساس المنافسة الحرة بين الرأسماليين ،  
وكان من نتيجة هذه الحرية وجود طبقة الرأسماليين :  
هذه الطبقة التي اتجهت الى رعاية مصالحها واتجهت  
بالتالي للظلم والطغيان على طبقة الفقراء والعمال  
في تنمية ثرواتها تتكون أغنى من الأخرى وأقوى وأشد .

ويرى آدم سميث صاحب نظرية الاقتصاد الحر :  
أن الإنسان الذي يحقق مصالحه الذاتية يؤدى في نفس  
الوقت خدمة هائلة للمجموع ، اذ أن ثمرات عمله سوف  
تنعكس على المجتمع ، كما أن التنافس الحر يؤدى أيضا  
إلى خدمة الجميع ، ولكن نظرية آدم سميث لم تتصمد  
لعوامل التجربة التاريخية فإذا كانت هذه النظرية قد  
صلحت في وقت ظهورها حيث كان العمال يملكون وسائل  
الانتاج فان الأمر اختلف عندما تم تأسيس الشركات  
والمؤسسات الكبرى وأصبح الإنسان في ظل هذه  
الشركات مجرد وسيلة للاحتكارات الكبرى وجاءت نظرية  
جديدة هي ( الاقتصاد الموجه ) اى الاقتصاد الذي تتدخل  
فيه الدولة لحماية المستهلكين . وامتلاك الدولة لوسائل  
الانتاج حيث أصبح الفصل بمثابة ترس ضخم ، ولم يتحقق  
شيء ذو بال فقد أخذ العالم يعيش متراجحا بين نظريتين  
فاسدين .

يقول نيسستان في كتابه ( الديمقراطية الفرنسية ) :  
ان الماركسية والليبرالية التقليدية نظريتان ناقصتان  
وتتناقضان للحقيقة الإنسانية وأنهما ينفلتان بسهولة من  
قضية البحث العلمي وأن التحيز يغلب عليهما الى اليوم  
أكثر من العقل . وأنهما لم يعودا يمثلان الواقع المحسوس  
في مجتمعنا الا تمثيلا ضعيفا ، وأنهما يتکفان بصعوبة  
لابحاث حلول لمشاكلنا الواقعية وأن الموقف الموضوعي  
يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة والبحث عن  
صيغة جديدة مقبولة .

ويرى المؤرخون أن الصنم الاقتصادي هو السم  
الذى قضى على جميع الحضارات من حضارة بابل ومصر  
القديمة الى اليوم ، وكان طغيان المال وغروره هو  
المعلول الذى قوض الامبراطوريات القديمة والحديثة على  
الأسواء من حيث بدأ الإغريق والرومان والفرس حتى  
وصلوا الى الديمocratie التي يشدق بها الغرب اليوم  
ثم ستنشر تلك الحضارات كما ستنشر الامبراطورية  
الحديثة اليوم .

\* \* \*

( )

ويؤكد كثير من الباحثين أن علم الاقتصاد الراهن ليس علماً ، يقول الدكتور حسن غامن :

ان علم الاقتصاد الراهن ليس علما من العلوم اذ  
تشوبه الغاشية والتحيز وقصور النظرة الى الكون  
والانسان وعدم ربط الظاهرة الاقتصادية بغيرها من  
الظواهر الكونية التي تقيدها من قبيل العوامل الخارجية  
لا الداخلية وعدم التدديد الدقيق لمدلولات الألفاظ  
لما ذهبهم الى بتبادلها الباحثون .

وأكبر مقاتل للنظرية الاقتصادية المعاصرة أنها لا تقوم على الأصول الثابتة وإنما تقوم على الاحتلال الطارئ ولا تقوم على علم من العلوم بل على أساس اختلالية على الإطلاق وإنما يرتبط مقام العلم بالتزامن حيث التنسق العضوي والوظيفي بين الكائنات والحركة المترافقية للظواهر المختلفة.

و حول اشباع الحاجات والغرائز المادية ، ولا يزال هذا النمط من التفكير الفلسفى المنحرف هو ذاته النمط الذى يسير عليه ، وهكذا تحول علم الاقتصاد وهو من العلوم الإنسانية السلوكية الى عالم أصم من علوم الجوامد كعلم اليكانيكا مثلاً وهو ليس كذلك فى واقع الأمر والمعنى الحقيقي للأقتصاد هو التبرير والاعتذال والوسط ولاقتصاد فى مفهوم الإسلام هو الاعتذال والتدبیر البدين .

وقد أخفق علم الاقتصاد الراهن في التوصل إلى  
القيم الحقيقة للأشياء :  
أولاً :فشل في صياغة نظرية في القيمة الموضوعة  
وفي قياس تلك القيمة بمقاييس ثابتة بسبب تجاهله للسلع  
الحرارة .  
ثانياً : كان كارل ماركس متحيزاً ولم يكن على حق  
عندما أسقط قيمة وسائل الانتاج التي تقدمها الطبيعة  
كالأرض والماء والرياح من حساب القيمة النهائية للسلعة  
المنتجة لكي ينتهي من بحثه إلى أن كل القيمة يخلقها العمل  
وكان كارل ماركس متحيزاً فقد وضع نصب عينيه نتيجة  
مبينة وراح يتحايل لكي يثبت صحتها فقد أراد أن يثبت  
أن النظام الرأسمالي نظام فاسد يقوض على استغلال  
العمال .

\* \* \*

(a)

ونحن — المسلمين — أصحاب النظام الاقتصادي الاسلامي نقرر عدم ملائحة النظميين العالميين وفسادهم وضرورة خروج المسلمين منها وعونتها الى نظمائهم الاصيل فالاول يجمع المال في يد الافراد مع حرية التصرف فيه (الرأسمالية) والثاني يجمع المال في يد الدولة مع حرية التصرف فيه (الشيوعية) .

ويقول دييلسی : في كتابه عن حياة الحضارات :  
وقتها :

ان الشيوعية بدلاً من أن تكون نقطة بداية هي في الواقع نقطة نهاية لنوع حضاري ولذلك كان الغرب لا يكتفى إلا بكلمة المربعة كلمة الأزمة فهي نوع من أنواع الاعنة في القرن ٢٠ بدلاً من أن يكون ترياقاً أو علاجاً . أن تركيز السلطة في الدولة عرض من أعراض الشيوخة لهذه الدولة وللمنتزه الازمنية التي تعيش فيها .

ومن الناحية الأخرى يقول سورنکن : إن الحرية في المجتمع الأوروبي معناها نسخ المجال للفرد لتحقيق رغباته وهي تتوقف على مدى قابليةه وامكانيات تحقيقها ، ومن الناس من يسيطر على رغباته التي لا يمكن تحقيقها ، ويتجلى ذلك بصورة متصرفة في الزهاد والذين يدينون بالحضارنة الفكرية ومنهم من يسعى لتوسيع رغباته وينفذ الجهد لأشباعها بكل وسيلة ، وكلما ازدادت حرفيات الفرد ازدادت رغباته وحاجاته ، الأمر الذي يدفع إلى صراع عنيف مع الناس للحصول على أكبر ما يمكن من الأشياء المادية كالثروة والحب واللذة والراحة والأمن ، ولما كان الإنسان لا يستطيع الحصول على هذا إلا على حساب الآخرين فإن هذه الحرية في الغالب تزيد الصراع بين البشر وهذا يتجلى في الحضارة الحسية ، اقىد كانت الحرية

ثم اليهود هم العنصر الرئيسي في الحزب الشيوعي الأمريكي وهم وراء مهادنة الروس بأى ثمن ، ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفيتية في الجامعات الأمريكية نسبة عالية جدا ، والكتاب الذين يعالجون مواضع العلاقات السوفيتية الأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود فيهم عالية جدا .

ثم هم اليهود من وراء الرأسمالية ومن وراء الشيوعية وهم المسيطرة على الاقتصاد العالمي وهم أصحاب امبراطورية الريا .

ولذلك فإنه متى تكونت لدى العالم الإسلامي ارادة واضحة للتخلص من التخلف لن يجد في هذه المذاهب ما يحقق له ذلك ، لأنها هي مصدر الاحتواء للبقاء في دائرة التخلف ، ولذلك لأن من تحطيم قيد الرأسمالية والشيوعية معاً التماس منهج الإسلام في الاقتصاد والملمون بالاسلام أقدر الناس على اخراج البشرية من هذه الدائرة المغلقة المدمرة وهم أحدر من يحقق للانسانية هذه التجربة التي تعيد إلى عالم الاقتصاد أخلاقيته وربانيته وتقضى على الانحرافات الاباحية التي تورطت فيها الرأسمالية كما ينجو من الأخطاء السلبية التي تورطت فيها الماركسية .

على الاقتصاديين المسلمين أن يقدموا منهجاً اقتصادياً متكاملاً يمكن الاعتماد عليه في تحقيق التنمية في الدول الإسلامية ، وقد أثبتت المناقشات التي دارت في عديد من المؤتمرات التي عقدت في السنوات الأخيرة أن هناك منهجاً اقتصادياً إسلامياً قادراً على العطاء وتحقيق التنمية في البلدان الإسلامية .

كما جرى اقرار التعريف الاصطلاحي لعلم الاقتصاد الإسلامي على أنه علم وسائل استخدام الإنسان لما استخلف فيه لسد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية طبقاً لمنهج شرعى محدد .

ويقوم الاقتصاد الإسلامي على قواعد ثابتة لطبيعتها وهي مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي جاء بها الإسلام في نصوص القرآن وأن تتضمن :

١ - تنظيم النشاط الاقتصادي والقيود التي يخضع لها هذا التنظيم أوجه النشاط المحرمة وحدود نطاق كل من الملكية الخاصة والملكية العامة .

٢ - قواعد متغيرة بطبعتها وهي عبارة عن الأساليب والخطط العملية والحلول الاقتصادية التي تبادرها الدولة لاحالة أصول الإسلام وسياساته الاقتصادية إلى واقع ماضي يعيش المجتمع في إطاره .

٣ - أن تكون الزكاة هي المورد الأساسي للموازنة

الحسية سائدة في العالم الغربي في أواخر العصر الرومانى فلما جاءت المسيحية اكتسحت على الحرية الباطنية التي يعتبر فيها المرء ورغباته الكثيرة غير أن الناس أخذوا يتحولون تدريجياً من تلك المثل إلى المجتمع التعاقدى الذى ينال فيه الفرد والجماعة حرية التعاقد .

وهذا يوصل بنا إلى تقرير فساد التعاقد في المجتمع الغربي وهو الدعامة التي قام عليها فساد : التعاقد في العلاقات الاجتماعية ، فساد التعاقد في العلاقات الاقتصادية .

\* \* \*

(٦)

ويصل بنا البحث إلى حقيقة أساسية هي :

النزاع بين الماركسية الشيوعية والرأسمالية الفرنسية : يقول أحد الباحثين : فالماركسية الشيوعية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين يعترف في تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانهيار والدمار مالم يتحول العالم بأسره إلى الشيوعية عن طريق الثورة وما يسبقها من تمهيدات فهى بذلك حركة توسيع من نوع مستحدث وخطير ما ، هذا التوسيع منصوص عليه في التعاليم الشيوعية وفي السياق الشيوعي توقي ثورات الشيوعية وكتابها المدقق ماركس وانجلز ولينين وستالين .

والرأسمالية الغربية توسع استعماري تقليدي من نوع مماثل في المسوء إلا أن هذا التحدى السوفيتي يضع الرأسمالية الغربية في نفس الوضع الهجومي الذي تقف فيه روسيا السوفيتية و يجعل أمريكا وهى معقل هذه الديمقراطياتية في حالة الأهمية التي تستعد فيها لمواجهة التوسيع الشيوعى وسحقه وابادة الماركسية من الوجود في المراحل النهائية اذا استطاعت ذلك .

أين تقف اليهود وهم قومية لها في كل معسكر غالبية ضخمة العدد قوته النفوذ . في روسيا تجد العنصر اليهودي في الحزب الشيوعي وفي التنظيمات الشعبية والفكرية بارزاً أشد البروز ، كبار المعتقلين والصحفيين يهود ، وفي بولندا يبرز العنصر اليهودي في النظام الشيوعي القائم هناك أشد البروز في وجه مجتمع كاثوليكي يمقت بحكم تعاليمه وتأصل الفنون فيه الشيوعية مقتاً .

وهم يجعلون من فكره (الرأسمالية) ذنب التحدى والخداع والهوارية والغطرسة التي تتمك العقلية اليهودية في كل مكان وفي كل جيل ، فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأوبهم المتابع .

من أبواب الكسب الأخرى فلا يصلح الاحتكار كأساس لتوزيع الثروة كما في المجتمعات الرأسمالية ولا يساوى أفراد المجتمع في الملكية كما في المجتمعات الشيوعية .

( أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم  
معيشتهم في الحياة الدنيا ورقدنا بعضهم فوق بعض  
درجات ليتذبذب بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير  
ما يجمعون )

وتمثل مقدمات نظرية الاسلام في التوزيع العادل واخراج الزكاة والصدقات وذهب الحصيلة لمصارفها الشرعية .

اما الفكر الاقتصادي المعاصر فاننا لا نجد له هذه المكونات ، ونظرية العرض والطلب التي تتحقق توازن السعر والذى يحقق دوره مصلحة البائع والمشترى غير صحيحة حيث تفترض فروضا غير واقعية ، ولعل وجود الاحتكارات والمنافسة غير العادلة والاتفاقيات التالية ونظم العمولات الدولى كل هذا وغيره يجعل العدالة بعيدة تماما عن الاسعار الموجودة في هذه الاسواق ولا تتحقق النتائج وهذا يعني فشل النظرية او عدم وجود نظرية .

وأهم قواعد هذا النظام تحريم الربا : وقد قرر مجمع البحوث الإسلامية الحكم برؤية الفائدة وان الربا محظى بشتى صوره وأشكاله وأن في البنوك الإسلامية البديل بلال نظام الاستثمار بالمشاركات والمضاربات والرابحات التي باركها الله بديلا عما حرم .

وتقوم المبادئ الإسلامية لللاقتصاد على ثلاث :

- ١ - مبدأ الملكية المتعددة الأشكال .
  - ٢ - مبدأ الحرية الاقتصادية المحدودة .
  - ٣ - مبدأ العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي .
- والاقتصاد الإسلامي لا يتماشى مبادئه مع فكرة اليد الخفية او جهاز الثمن آدم سميث .

\* \* \*

يقول الدكتور عزبة المتولى سند (جامعة صنعاء) : أن النظرية الاقتصادية في الإسلام تفترض وجود المجتمع المسلم والذى تتوزع فيه الثروة وفتاً لا يرى ذلك الاسلام كالميراث الشرعى او العمل او الهبة او غير ذلك

\* \* \*

## الباب السابع عشر

### أسلمت التصوف

تقديس الأولياء — والتصوف الصحيح كما يصوره الدكتور أبو الوفا التفتازاني هو الذي يتجه إلى تربية النفس وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمدرسة السلفية وأن نقبل من التصوف ما كان سلوكاً .

ويرى الدكتور موسى شاهين لاشين : إن أخذ النفس بالعبادات والزهد كسلوك وبصفة مستمرة مخالف للإسلام لأن الإسلام طلبهما بقدر ، وعلى فترات لا بصفة السلوك المستمر ، ويقول : لقد اتسع مفهوم التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين واستخدم المصوفة تعبيرات وأصطلاحات غير معهودة في الإسلام بل رأينا شبهها وأضحاها بين حالات التصوف وبين الديانة الهندية فحالة ( الغناء ) عند الصوفية تشبه حالة ( الترفة ) أو النجاة عند اليهود ، وفكرة الطول والاتحاد عند الصوفية تمثل ( التناسخ ) عند الهندو ، ويرى بعض العلماء أن التصوف له صلة وثيقة بالنصرانية لوجود الشبه في حياة الصوفية وتعاليمهم من ناحية ومن حياة المسيح وتعاليمه ورهبانية التنصاري وطرقهم في العبادة واللباس من ناحية أخرى ، كما يلتقي التصوف في بعض أفكاره مع الفلسفة الأفلاطونية ، فهي تقول أن الحقيقة العليا لا تدرك بالفكر وإنما تدرك بالمشاهدة في حالة الفيبية عن النفس والعالم المحسوس والتصوف يقول إن المعرفة تكون بنور يقظة الله تعالى في قلب العبد بعد صفاته ، فسبيل المعرفة واحد عند الصوفية والأفلاطونية وقريب من هذا قول الغزالى : إن العقل يعجز عن كشف ومعرفة الحقيقة اليقينية وأن القلب وحده هو القادر على معرفة الله بالكشف وقوله إن عين التلب تستطيع أن ترى الله في حالة اليقظة كذلك

فإن كلام ابن عربى عن وحدة الوجود والحقيقة الحمدية يشبهه في الفلسفة الأفلاطونية مراتب الوجود التي تعنى العقل الأول والنفس الكلية والمادة غير المصورة والذئون الجزئية ، كما استخدم الصوفية الأشراقيون كثيراً من الألفاظ الأصطلاحية والأفلاطونية كالكلمة والحقيقة والمثل والتقبض والوحدة والكثرة ،

لما كان التصوف في حقيقته هو علم تزكية النفس والسمو بها وتحريرها من مطامع الدنيا على أساس مفهوم الإسلام في أن تكون الدنيا في يد الإنسان وليس في قلبه يجاهد في سبيل الحصول عليها من الحلال وانفاقها في الحلال مؤمناً بأن السعى في سبيل الكسب والرزق فريضة من فرائض الإسلام وأن الإسلام يدعو إلى دخول المجتمع واقتحامه بأسلوب الإيمان في التعامل مع الناس وليس اعتزال هذا المجتمع والهروب منه ، وأن يكون وفق مفهوم العارفين : خدمة المجتمع وتصحيح معوجة التماس جوهر الإسلام في اقتداء واضح بالسلف الأول من الصالحين بعيداً عن المصطلحات الغربية الوافية وعن مفاهيم التصوف الفلسفى وعن كثير مما احتوته كتب العصائر الأخيرة من انحرافات .

وفي العصر الحديث حاول التغريب والغزو الثقافي أثارة مفاهيم ضالة منحرفة عرفتها عصور قديمة وصحتها علماء المسلمين ، كأحدياء فكر ابن عربى والحلاج والسمهورى وابن سبعين وأحياء مذاهب الباطنية ووحدة الوجود والحلول والاتحاد ومفاهيم أخوان الصفا والاعتزال والقرامطة حتى اختلطت الأمور اختلاطاً شديداً ومن ثم فقد وجّب تحرير التصوف من هذا الانضطراب الشديد وأبراز مفهوم التصوف السنى المحرر القائم على نفس المفاهيم والتيم وال المصطلحات التي عرفها السلف الصالح والعصر الأول قبل ظهور الخلاف .

إن هدف التصوف السنى في الحقيقة هو بناء النفس بال التربية والخلق على نحو يقيم المسلم على طريق الله دون أن يوغل في الماديات ، كما يحميء من أن يسرف في الزهد واعتزال الحياة .

إننا مطالبون بتحرير ( رسالة توكيد النفس ) من الفكر الباطنى تحريراً كاملاً على النحو الذى عرفته المدرسة السلفية ( ابن تيمية وابن القيم ) ولم تنكره بوصفه سلوك و التربية فقد كتب ابن تيمية رسائل في التصوف وكان يسميه ( علم السلوك ) وقد أنكر ابن تيمية التصوف الذى يسرف أصحابه في ربطه بالفلسفه ومنها

وتدبروا بذمار الصوفية اجتذاباً للعامة وتغريراً ودسوا في التصوف الحادهم ومقالاتهم الشنيعة في الدين كابن سبعين الشيشلي المتوفى ٦٦٩ واضرابة افساداً لعقائد العامة من المسلمين وهؤلاء ليسوا من الصوفية ولا من التصوف في شيء ، وإنما هم زنادقة ملحدون وقد كشف زيفهم وفند مزاعمهم كثيراً من أئمة الإسلام ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي المتوفى ٧٢٨ والإمام ابن القيم ٧٥١ . وقد أولع بعض الشعراء بالحديث عن رابعة العدوية وما يسمونه الحب الإلهي . وتردد اسمها كثيراً على أنها نموذج من نماذج الزهد والحقيقة أن العقيدة النسوية إلى رابعة العدوية هي عقيدة باطلة ومخالفة للكتاب والسنة وهي أقرب إلى الرهبة والهيبة وإن صحت فهي مخالفة لما أمر الله به رسوله ونبيه ومن هنا فإن هذه الصيحة التي يرددونها تحت اسم مدرسة الحب الإلهي هي مغامرة من مغامرات التفريج الحريص على اذاعة ركل ما يخالف مفهوم السنة والجamaة ، وقد أشار الدكتور عبد فروج أن ما نسب إلى رابعة من الشعر والتراث منسوب إلى غيرها فهناك رابعات كثيرة وظهرت عليه آثار الصنعة والتلكليف مما يوحى بأن كثيراً من تلك الآثار من عمل العصور التالية لعصر رابعة ، كما أن العقيدة المنسوبة إليها ( الله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل حب لك ) هذه العقيدة باطلة لخالفتها لكتاب ربنا وسنة نبينا ولقد بين الله تبارك وتعالى السبيل إلى محبته فقال : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ) فالمحبة لا تتم إلا بالاتباع والانقياد لله وأوامره ( وخالفون أن كنتم مؤمنين ) وأن العقيدة الباطلة مقتضاها تعطيل آيات الله تعالى التي وصف فيها النار وأصحابها وأهولها وذكر الجنة ونعمتها وما أعده الله لعباده الخالصين وقد بين الله تبارك وتعالى عباده وأنبيائه وهم صفة خلقه فقال ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ) فاللهم غب الرجاء والسرعة والرهب الخوف والخشية ومدرسة الحب الإلهي يسمون من عبد الله خوفاً من ناره وطمعاً في جنته أجرى السوء بل إن بعضها منهم يجعل ( الخوف ) من منازل العوام وليس من منازل الخواص فنيليت شعري من أي منزلة يكون الأنبياء والمرسلون وقد جعل الله تبارك وتعالى الخوف من لوازم الإيمان ومحاجاته ( يرجون رحمة ويخافون عذابه ) ، ( فلا تخافوه ) وخالفون أن كنتم مؤمنين ) .

وقال ابن القيم : إن من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبد بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد بالحب فهو زنديق ، ومن عبد بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن موحد .

ونتيجة لهذا الاتحاد الصوفى قاتلت المعارك بين الفقهاء وبين الصوفية فاتتهم الفقهاء الصوفية بخلق البدع بل وبالكفر والالحاد ولو لا الإمام الغزالى في القرن الخامس المجرى لضمر التصوف وانهزم واختفى أئمماً هجوم الفقهاء .

كذلك فقد أضفى المريدون على مشايخهم آيات التقديس والاجلال ونسبوا إليهم أوهاماً وخيالات على الولاية والكرامات وتععدد الطرق المتباعدة واتخذت كل طريقة لباساً خاصاً وعاماً خاصاً وشيخاً ومربيين وتحول كثير من مشايخ الصوفية إلى جباه يفرضون الآتاوات ويفاصلون من أيدي المربيين سحقاً وحراماً .

ان كثيراً من مشايخ الصوفية قد غرسوا في نفوس مربيهم أنهم أولياء الله في أرضه وأنهم وصلوا إلى أن يقولوا للشئ كن فيكون ، وأنهم يعلمون الغيب ويراقبون العبد ونشروا درجات الأولياء التي اخترعها ابن عربى حيث قال بالقطب وهو الغوث وهو عبارة عن واحد في موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان وبالآمامين ، وهم شخصان : أحدهما عن يمين الغوث والآخر عن يساره وبالآواتاد وهم أربعة أشخاص يقرون في أربعة أماكن من العالم وبالبلدان وهم سبعة رجال ، وبالنجباء وهم أربعة مسؤولون عن ... وبالنقباء وهم ثلاثة . وهذا كله بدعة في الدين والدين منه براء .

« وقد بدأ التصوف كظاهرة تطرف إسلامي لمقاومة تطرف البعد عن الإسلام وذلك عندما اتسعت رقعة الدولة ، ودخل في الإسلام من يكيد له ، وازدهرت الدنيا للإسلاميين وفتنت قلوبهم واتجاهت الهواس إلى المآذات وخلف بعض العبادين على دينهم فاعتزلوا وتنكروا وانقطعوا للعبادة ولبسوا الخشن » .

\* \* \*

وقد تولت تحذيرات العلماء المسلمين على مدى تاريخ الفكر الإسلامي من انحراف التصوف : فقد نهى الإمام أحمد بن حنبل عن قراءة كتب (الحارث المحاسبي) والتزام الكتاب والسنة علماً وعملاً وقد نهى الإمام أبو زرعة عن كتب الفت في أصول الديانات وازهد على طريق الصوفية وقال اربال وهذه الكتب فيها بدع وضلالات ، وعليك بالاثر فانك تجد ما يغريك عن هذه الكتب (الرسالة - مارس ١٩٤٢) .

ولقد كانت غيرة أهل السنة والجماعة مركزة على مواجهة الانحرافات ، عبر عن ذلك الشيخ حسين محمد مخلوف حين قال : هناك تصوف كاذب زائف انتحله قداماً فثأم أشريوا تعاملات الباطنية والحلولية

التبليغ والذعوه الى الانفاذ من الصلاة ، والعودة الى التصوف الذى يستمد اصوله من الشريعة .  
وقال الشيخ احمد بن الغباشى في كتابه ( عقد المرجان ) :

الصوفى الحقيقى هو الذى لا يجعل الاستغراق فى العبادة وسيلة للتغريب بالناس وتضليلهم واستغلالهم لأخذ اموالهم فان الحرم كل الحرم فى ان يبحث الانسان عن وسيلة من وسائل الرزق تغنىه عن الناس فاذا كتبها بقيت عبادته لله خالصة .

ومتصوف الحقيقى يجب ان يتبع عن الدائرة لثلا يسقط فى زلة الاعجاب والريبة والدغوى والاختلاف وان اكبر منقذ من الانزلاق ان يستغل من اجل كسب رزقه وان يحترف بحرفة تغنىه عن الناس وتبعده عن الافتقار اليهم .

ولابد ان ينزع الانسان الصالح نفسه عن الدعوى والغفور وان يبعد عن (التعالى والتطاول ) .

وقد سئل الامام ابو بكر الطرطوشى فى ما تقول فى مذهب الصوفية ، يذكرون الله ويدركون النبى ثم انهم يوقدون بالقصب على شيء من الاديم ويقوم بعضهم بيرقص ويتواجد ثم يقع مفشيما عليه ويحضرون شيئا يأكلون .

قال الطرطوشى : هذه بطاله وجمالة وضلال وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله اما الرقص والتواجد فما اول ماحدثه أصحاب السامری لما اتذ لهم عجل جسدا له خوار ، قاموا يرقصون حوله ويتواجدون اما القصب فما اول من اتذذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وكان يجلس النبى مع اصحابه كان على رعوسمهم الطير ولا يحل ل احد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ويعينهم على باطلهم .

( اوردها القرضاوى فى الجامع لاحكام القرآن ج 11 ) .

وقد تناولهم ابن الجوزى فى كتابه ( تلبيس الاليس ) وعدد اخطائهم كما رأها فى عهده ، ومنها سخريتهم من اهل الظاهر واتهامهم بالتصور عن ادراك البواطن وتذوق الماجد .

ويدافع الدكتور ابو الوفا التفتازانى عن التصوف المصرى ويقول انه سلك منها مغايرا لنهاج فلاسفة التصوف وكان نهجهم عمليا اخلاقيا بعيدا عن التطرف والمعالاة والشطط وان تجد فى مشايخ الطرق الصوفية فى مصر نماذج متطرفة كالاحلاج والبساطامى وابن عربى

وبنال شيخ الاسلام عقب ذلك : ذلك ان الحب الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع هواها وصاحبها ائما يحب فى الحقيقة نفسه وقد اتذ الله هرواب ؟ فلهذا كان زنديقا ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالاثائين بوحدة الوجود فان هؤلاء سلوكهم عن هوى ومحبة فقط ليس مع رجاء ولا خوف ( جامع الرسائل ) .

وهكذا فان فكرة الحب الالهى عقيدة باطلة ومخالفة للكتاب والسنن ، ولذلك فان هذا الخلط الذى تظهر فى كتابات بعض المدفوعين الى اشاعة هذه الافكار فى ان مضمونها فى مجال الحب الالهى الامام الشافعى وأحمد البدوى وأبو العباس المرسى والامام البراعى مخطئون .

اما ابن الفارض وابن عربى وابن الحجاج فهوؤلاء لهم موقف آخر فى مفاهيم دخيلة كالاحلوى ووحدة الوجود وقد حدد الاسلام موقفه منهم على نحو الذى قدمه الامام ابن تيمية والامام ابن القيم ، هذا التصوف الفلسفى ليس مفهوما اسلاميا صحيحا وكل اغراق فى النظريات والسطوح فهو بعيد عن التصوف السنى .

ولقد اشار الشيخ صلاح ابو اسماعيل الى غلبة كتب الازداد على قراءة القرآن والى بعض كتب متناوله : مثل مجموع الاوراد الكبير والادعية والاخذاب وحزب الدسوقي الكبير والصفير وحزب الرفاعى الكبير والصفير والى ما فيها :

اولا : من الفاظ غريبة غير مفهومة .

ثانيا : مصطلحات مبتدعة مخالفة للقرآن والسنن على نحو ( وزج بي فى بحار الاحديه وانشلنى من اوحال التوحيد ) او ( انشلنى من اوحال التوحيد واغرقنى فى بحر الوددة ) .

وهناك ما يثار من قضايا مثل قصة ( الحقيقة والشريعة ) حيث لا يعرف الاسلام اسم الحقيقة او الطريقة ، وقد مضى عهد الرسول والصحابة والتابعين وتابع التابعين ولم يعرف الاسلام الا شريعة تسرى احكامها على سائر المسلمين ولم تبرز الى الوجود بدعة ( الحقيقة ) الا مع ظهور الفرق الباطنية التي بدأها عبد الله بن سبأ وتتلذذ عليه امثال الحلاج والبساطامى وابن عربى .

\* \* \*

ولقد جرت المحاولات دائما لتحرير التصوف من هذه الانحرافات وقام العلماء فى كل عصر لاحياء روح

وفي مصر حرص ملاج الدين على تنظيم الصوفية فاقام أول تنظيم للطرق الصوفية وهي الخانقاه . وقد قاموا بدور ضخم في استعادة القدس في مقاومة الحملات الصليبية على دمياط وهزموا التتيس لويس في المنصورة.

\* \* \*

وفيما يتصل بهذا تحدث كتب التاريخ عن جهاد التيجانية والسنوسية والمهدية ( والسنوسية ليست طريقة صوفية ) ولكنها تأخذ اسلوب التربية وتكوين الأفراد وتقيم الزوايا وتد اكت اكث من غيرها الجمع بين الجهاد والعمل الدينوى كالفلاحة والصناعة وكان لهذه الفرق دورها الكبير في نشر الاسلام في المريقنا كما قاومت الفوذ الاجنبى ( الايطاليين في برقة والانجليز في السودان ) .

وقد عرف الصوفية من الحرب والحزم والعزز والتوكيل على الله والتضحية بالنفس في سبيل حماية الذمار ولم يصلوا الى الدعمة والاتحراف الا بعد ان توقفت الحروب .

اما بالنسبة للاتهامات الموجهة الى التصوف وانحرافه عن التصوف السنى الى التصوف الفلسفى : الدكتور أبو الوفا التفتازانى .

الاتهام الموجه الى التصوف من انه يعود في اصوله الاولى الى البوذية والمجوسية والرهبانية ، هذا الاتهام جاء من بعض المستشرقين الذين درسوا التصوف في اوروبا من القرن 16 الى اوائل هذا القرن تقريبا حيث نسبوا التصوف الى مصادر مسيحية وهندية وبوذية وفارسية والذى دعاهم الى ذلك منهج خاطئ في البحث عنه الي المستشرق نيكولسن . والتصوف من حيث هو ( تجربة نفسية ) موجودة في حضارات وديانات سابقة ، فالنفس الإنسانية في كل عصر كانت تهذف الى انواع من الكمال الأخلاقى وهو موجود في الانسان بالفطرة ، تيارات بعض المستشرقين في محاولة ربط التصوف الاسلامي بالديانات السابقة على نحو مفتعل ولا دليل على الارتباط .

فقد تشابه التجربة الصوفية ولكن المضمون مختلف فنجد في الاسلام تلقينا وسلوكنا واقتداء بالرسول .

والتصوف الاسلامي يأخذ طابعا مختلفا عن المسيحية فنجد صوفية الاسلام يعملون بأعمال مختلفة لأنهم يتبعون قول الرسول ( لارهابية في الاسلام ) في حين ان المسيحية عكس ذلك . فالتجربة الصوفية كما يقول تعليم الدارسين المحدثين واحدة من الناحية النفسية ولكنها تختلف من حيث الغاية والهدف .

والمسهورى او لثك الذين مزجوا الفلسفة بالتصوف وتنبروا تأثرا عميقا بالقياسات الفلسفية فশطحوا بانظريات وحدة الوجود والحلول والفناء التي استهجنها اهل زمانهم وعارضوها بشدة .

وأشار الى دور الصوفية في ميدانين كبيرين :

أولا : نشر الاسلام في افريقيا وفتح البلاد امل الدعوة الاسلامية سلميا . فقد انتشر الاسلام في افريقيا عن طريق القادرية والشاذلية والتيجانية .

ثانيا : محاربة اعداء الاسلام وحمل لواء الجهاد ومحاربة الصليبيين وفي طبيعة المصريين : البساطة والاعتدال والسمولة والوسطية .

\* \* \*

وقد جاء رواد التصوف الفلسفى من مثل ابن هربى وابن سبعين الى مصر بحثا عن النفوذ والاتباع وترويج مذاهبهم ففشلوا ولكن مصر لهم مصير كل الدعوات والمذاهب التي تصادم نزعة الاعتدال عند المصريين .

وفي مجال ظهور الطرق الصوفية يقول الدكتور التقازانى :

ظهرت الطرق الصوفية منذ القرن السادس المجرى وارتبط هذا الظهور بحدثين من اهم الاحداث التي تعرض لها العالم الاسلامى وهما :

أولا : سقوط الاندلس .

ثانيا : اندلاع الحروب الصليبية .

ففي الوقت الذي انهار فيه الحكم الاسلامي في الاندلس كانت اولى الحملات الصليبية تحط رحالها على الساحل السورى مفتتحة ملحمة الصراع الحربى التي دامت قرنين كاملين وكما يحدث دائما في اعقاب الكوارث والنكبات يتسائل المسلمون عن سر هزيمتهم واندحارهم ورأى البعض ان السر يكمن في بعدهم عن الله والاقبال على المعاصى ، وأن الخلاص هو في الرجوع اليه والمحافظة على حدوده والابتعاد عن نواهيه وكان هذا التفكير متفقا مع النزعة الصوفية .

\* \* \*

وفي وسط هذه القيمة الكاسحة اشتهد تيار التصوف وارتبط ارتباطا شديدا بروح الجهاد الذى فرضته الاحداث وبصورة اشد في المغرب .

الأنكار كما لا يجوز اختلاط الرجال والنساء وأصل ممارسة الذكر أنها هي تلاوة القرآن أو ممارسة الحديث والدعاء بالتأثير عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاجتماع على ترتيل أسماء الله الحسنى .

\* \* \*

اما التوسل الى الله تعالى فيكون بالعمل الصالح  
اما بالنسبة لأولياء الله الصالحين فنستقاد بعلمهم والاقداء  
بهم في الطريق والاستعانة والمعرفة يكون بالله العلي  
العظيم . ( اياك نعبد وياك نستعين ) .

ان اقامة الافراح والموالد والتماسيركة الموتى هي من الامور الشكلية التي لحقت بالتصوف وليس منه فالتصوف كما قلنا تخلق وسلوك ولا شيء غير هذا ولكن ممارسات العوام من اتباع التصوف قد يكون في بعض الأحيان هو السبب في بعض الظواهر التي تحدث مثل استخدام الطبل والزمر والرقص والغناء والحركات غير اللائقة في حلقات الذكر فهي ليست من التصوف بل دخيلة عليه والأصل في مجال الأنكار أن يكون اجتماعاً لذكر الله بصورة شرعية ولا يجوز استخدام الموسيقى في مجال

\* \* \*

## الباب الثامن عشر

### أسلمة علم النفس

٣— نوع جديد من التراث لم يدون كتابه ولم ينتشر الا من اليهود أنفسهم ولا على الناس انما تصل خطا عن سلف في تلقين شخصي محوط بطابع السرية .

وحيث ان التلمود يستمد مباشرة من التراث الديني اليهودي الصهيوني فان كل الموجودات اليهودية بما فيها (فرويد) بطبيعة الحال ، انما تسلك طريقها وفقاً للتراث الديني اليهودي الصهيوني ، ولما كان التحليل النفسي نتاجاً لأحد هذه الموجودات اليهودية الذي هو (فرويد) كان من المحتم أن يكون التحليل النفسي فكراً يهودياً صهيونياً واداً قيل أن فرويد اراد الم موضوعية ومع الافتراض بأنه ارادها فان السؤال الذي يفرض نفسه : هل كان بوسعه أن يتحققها ، وهل كان من المisor له وهو يخطط لنظام اشتراك فيه مع هرتزل ، وكان له دوره الواضح في هدم الحصانة النفسية وادخال البشرية كلها — ما عدا اليهود — في مفهوم الجنس الاباحي الذي يوجه كل تصرفات الانسان كما يدعى .

ويرى الدكتور صبرى : ان فرويد متبوع بالروح الصهيونية وقد اضططع بمهمة القضاء على المسيحية موضوعياً وعلمياً كما اضططع اليهودية الصهيونية من الفى سنة بمهمة القضاء عليها ايدلوجياً وعملياً وترجع كراهيته للمعتقدات والطقوس الدينية والمسيحية الى الاثر المزوج لمربطته الكاثوليكية الدمية العجوز التي كانت معاملتها له تتخطى على مزيج من الحنان والشدة .

وانه في سبيل اقتناع الناس بأنه محايد فقد ارتدى ثوباً الحادياً مزيناً استطاع من خلاله أن يهاجم المسيحية بالاذان دون الاديان جميعاً وهو الحاد ذهني لم يصل الى وجданه الحاداً زائناً لأنه تركه بذلك منتبهاً لليهودية الصهيونية .

وأشعار الدكتور صبرى جرجس : الى اثر الاوضاع الجانبي التي تواجهها الاقليات في مجتمع طبقي ، مثل انضمامه لجمعية بنى برت وحضور اجتماعاتها والقاء محاضراته في تفسير الاحلام بها وعلاقاته الشخصية

منذ سيطرت قوى التغريب والغزو الثقافي على مناهج الثقافة والفكر فقد طرحت مفاهيمها في العلوم الاجتماعية والانسانية في محيط الفكر الاسلامي الذي حجبت مقرراته عن مجال التعليم والثقافة في البلاد الاسلامية .

وقد تبين منذ اليوم الأول فساد هذه المفاهيم التي تشكل النظيرية الغريبة في علم النفس وعجزها عن العطاء في مجال النفس الاسلامية التي تشكلت على نحو مختلف ومن خلال عقيدة وثقافة وقيم تختلف عن تلك المفاهيم التي شكل منها ادلوبيونج وفرويد مفاهيمهم ، مع الاعتراف بوحدة النفس الانسانية فان هذه النفس تشكلها القيم والعقائد وقد واجه هؤلاء العلماء النفس الغريبة التي تشكلت على تراث اليونان والرومان الوثني وتراث المسيحية المزيلة وقد احتللت في ذلك علم الاصنام اليوناني بأساطير الرومان بتحريفات الخطيئة والصلب والذاء ، ولما برزت نظرية فرويد وتغلبت على نظريات الآخرين كان من وراءها الفكر التلمودي كله وأحداث اليهود على المسيحية والغرب وعلى البشر جمياً .

وقد جاءت قنبلة الدكتور صبرى جرجس سنة ١٩٧٠ عندما اصدر كتابه عن (التراث اليهودي في الفكر الفرويدى) كشف واضح مدعم بالادلة عن أن مذهب التحليل النفسي خرج بكماله من عباءة (التلمود) ممثلاً لأحتقاد اليهود على البشرية كلها وقد تبين أن التحليل النفسي (الذى خدع الناس أكثر من خمسين سنة على أنه (علم) أصيل ، هو عرض عصرى للتراث اليهودي الصهيوني المتمدد مساراً عبر الأجيال ويرى الدكتور صبرى جرجس أن التراث اليهودي الصهيوني يتالف من ثلاثة مصادر :

١— التوراة : وهي وثيقة سياسية عصرية استخدمت العقيدة الدينية لتحقيق مخططها السياسي العنصري .

٢— التلمود : وهو تفسير للتوراة في اطار الفكرة السياسية العنصرية التي بداتها .

وتدخل ويخالف مع قيمها وأصولنا كل الاختلاف بل أنه يهاجم كل القيم التي جاءت بها الأديان من مصدر الخلاف بين المسيحية والعلم في أوروبا ومن هذه الخلافات :

أولاً : ينكرون وجود الله تبارك وتعالى ووجود الروح منفصلة عن الجسد في جوهرها وصفاتها وأعمالها وبقائها حية بعد فنائه لأن هذه الروح لا تقع تحت دائرة الحي ولا يمكن ملاحظتها أو اخضاعها للتجريب .

ثانياً : النظر إلى الدين على أنه يمثل صراغات الإنسان اللاشعورية وهو في جانب منه يزود الإنسان بشباعات بديلة ، وأن الدين مستمد من أسطورة أديب وما يتضمنه من وهم الآب السماوي المحب الذي يبعد المؤمنين بالسعادة في عالم آخر إذا هم تنازلوا عن رغباتهم الغريزية في هذا العالم .

ثالثاً : إنكار البعث والخلود والمسؤولية الفردية وإنكار النظام الأخلاقى واعتبارهما من ضروب المزيف والخراقة .

رابعاً : اخضاع العلوم الإنسانية لما حصلت له العلوم التجريبية .

خامساً : كما ينكر علم النفس الغربي : وجود الله والوجودان الديني كذلك فهو ينكر العقل الذي يسيطر على الغرائز ويعتبر الإنسان حيواناً تسيطر الغرائز وحدها .

سادساً : غلبة الاتجاه المادى في علم النفس بحيث يتصور النفس الإنسانية تصوراً مادياً ، فهو عنده مجموعة غرائز تتطلب الاشباع المادى المباشر والانسان في إطار هذه النزعة المادية مدفوع بقوى لا معقوله ، ومغلوب على أمره تصدر عنه انفعال قهريه وكل ما يملكه العقل من (حيل) : هي (ابرير) هذه الانفعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاتباعها والتسامي بها .

سابعاً : معظم النتائج التي تدهما أصحاب هذا المذهب وعلى رأسهم فرويد استخلصت من الحالات المرضية ثم عممت على حالات الأسواء ثم أقيمت نظرية كامنة في هذا الإطار الزائف .

ثامناً : غلبة المادية على علم النفس ، والمادية فلسفة حياة وجرائمها مختصرة في العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .

تاسعاً : آراء فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسي عامة تواجهه بالنقد العنيف داخل الإطار السيكولوجي نفسه وتقسم دائرة هذا النقد ابتداء من

بأصدقاء يهود ومثل قوله عن يهوديته : إنني مدین بالفضل لطبيعتي اليهودية فيما أملك من صفات مميزة لم يكن في وسعه الغناء عنهما خلال حياتي الشاقة فلأنني يهودي وجدت نفسي خلوا من التميزات التي احتلت غيري دون استخدام ملكاتهم الذهنية وكيهودي كنت مستعداً للانضمام إلى المعارضة وللنصرف دون موافقة الأغلبية الساحقة .

ويرد الدكتور صبرى جرجس : الأصل الفكرى لنظرية العقل الباطن واللاشعور عند فرويد إلى نظرية ( الزوهار ) التي يتحدث عن الاتصال الجنسى بوصفه الكشف عن الغريرة .. ويحاول فرويد حين يسعى إلى الفهم والكشف عن اللاشعور إلى الكشف عن عرى العقل من الإنسان .

اما نظرية تفسير الأحلام عند فرويد فيرجعها الدكتور صبرى جرجس إلى التشابه بين طريقة تفسير الأحلام وبين طريقة تفسير الزوهار للتوراة بفضل الفقرة من سياقها ثم محاولة ايراد الخواطر المرتبطة بهما .

كذلك فإن نظرية الغرائز ومفهوم (اللبيد) لم يكن يتيسر ظهورهما إلا في نطاق الافتراض بأن الإنسان حيوان بشري وأن الذي يقر سلوكه إلى حد كبير هو الأساس البيولوجي لتكوينه وهكذا نرى الدعوة الفرويدية التي تستمد تبعهما من التراث الصهيوني في تعصبه واستعلاله تصوغ مناهجها على أساس أن الإنسان في جوهره هو عبد لغرائزه ، وأن ذلك إنما يمثل الانغطاس المنطقي للمجتمع البرجوازى الذى افقرت فيه في جموده وتحلله الفكرى والخلقى كذلك فإن منهج فرويد في علم النفس يهدف إلى خدمة مصالح المجتمع البرجوازى والرأسمالية .

وأن التحليل النفسي في أساسه ( الذي يقوم على أن الإنسان في جوهره عبد لغرائزه ) يعتمد على الصراعات الناشئة بين الرغبات الفطرية الغريزية والمكتسبة من تاحية وبين الـما الأعلى والذات الواقعة من ناحية أخرى وليس تهدف منها فرويد إلى تبرير الحركة الصهيونية أو إنشاء وطن قومي ليهود حسب وإنما ترمي إلى الهدف الأكبر للصهيونية وهو تدمير الكيان الانساني لوصول الخيط بنظرية دارون من حيث أن الإنسان حيوان ليقول بأنه خاضع للجنس » .

هذا النهج السارى في أفق التعليم والجامعات والثقافة والصحافة في العالم الإسلامي اليوم والذي تجرى عليه محاكمة مختلف قضايا المجتمع هو منهجه غريب علينا

والادراك ويزيد قوة البدن ايضا ومقدرته على الامراض بعكس الحال عند المعرفين في العلاقة الجنسية تناهيك عن مسار الزنا كالأمراض التناصيلية المفتكة .

\*\*\*

### نظريات اخرى :

وهناك مذهب آخر من مذاهب علم النفس يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك فيكون سعيدا وصحيا نفسيا اذا كان عنينا وموريضا نفسيا اذا كان فقيرا . وهذا مخالف للواقع والعقل فان القراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة التفاعة وفضيلة اليمان والله ويلكون ساحتهم البدنية والنفسية وهي احسن من صحة الاغنياء بجماع الآراء والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لها .

وهناك مذهب نفسى آخر ( والكلام للأستاذ سعد حسن لطفي ) يجعل الانسان خاضعا للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة ارضاء الناس وهذا المذهب يشجع على الرياء والتفاق فان القوة والطاعة في المجتمع هي في ارضاء الله ( تبارك وتعالى ) ولو باغضاب الناس لأن قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن فيرضى الله الناس عن ارضاء باغضاب الناس ويفضي الله الناس على من يرضي الناس باغضاب الله .

وهناك مذهب نفسى آخر : يعتبر اليمان مسألة خاصة ونسبية فهو ينكر وجود الله ( جل جلاله ) ويقول ان الانسان لو اعتقاد في اي شيء فانه يتاثر به وعلى هذا فيكون الدين وهم وليس حقيقة . وهذا عكس كلام الله تبارك وتعالى من ان الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تستمع ولا ترى وأن النافع والضار هو الله وحده .

وهذه المذاهب جميعها في نظر الاسلام مرفوضة تماما بسبب تضاربها ولا يجوز التوفيق بينها واتخاذ مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقة ليست وسطا بين خطأين .

ومن وجهة نظر الطب النفسي فان الاستقامة هي اساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو اساس الامراض النفسية وأن اليمان بالله هو العزة والقوة والصحة وعدم اليمان اساس كل الامراض . وأن المؤمنين يتغلبون على السحر والشعودة ولا يخافون من السحر ولابنخدعون منهم وأن التعليم الديني هو الضمان الوحيد لعدم انتشار السحر والدجل والمؤمنون يعتقدون أن السحر كفر بالله وباطل وخرافة وتكثر الامراض

فرويد شخصا وشخصية حتى التحليل النفسي مدرسة ومنهجا وفلسفة حياة .

عاشرا : تقوم نظريات علم النفس التحليلي ( كارل يونج وغيره ) على اعتماد الاساطير التديمية على أنها حقائق علمية ( كما اعتمد فرويد على اسطورتي اوديب والكтуرا واعتماد القصص الخرافية والحياة البدائية وديانات الشرق والغرب والكيمياء القديمة ( حجر الفلسفه ) والتنجيم وقراءة الافكار والتخطاط والتلباثي والاستشفاف والاتشريولوجيا ، وكل هذا الفكر القديم البالى الذى هو ( فكر طفولة البشرية ) باجماع الباحثين هو المصدر الذى يقوم عليه علم النفس محولا الوساوس والهلاوس والهذيات والطقوس البدائية إلى جهانق كاذبة وكذلك طقوس تدشين الطفل ورموز الثعابين والحيات والخيول المحنطة والطيور الرمزية وأسطورة البطل ومداععه مع الالهة ، كل هذه الاساطير التي احياتها ( فريزير ) واعتمدتها علماء النفس البارزون فرويد ويونج وادر وان كان يونج وادر يختلفان مع فرويد في الدافع الجنسي ولكنها يعتمدان كل هذه الاساطير فلا ينخدع بهما أحد ظنا انها اكثرا اصالة .

مذهب ادلر يقوم على حافز طلب القوة ومذهب يونج يقوم على مركب النقص .

\*\*\*

### نظريه الجنس :

يقول يونج : ان فرويد يرى ان اصله الجنس هي صانعة المتابع وقد اعتمد فرويد الدافع الجنسي كمصدر لكل تحركات الانسان : ويتحدث الاستاذ سعد حسن لطفي عن نظرية الجنس فيقول : تعتبر الفريزة الجنسية هي المهيمنة على كل تصرفات الانسان فتضع البشر في مرتبة اقل من مرتبة الحيوان وهذا التغير الخاطئ يجعل الحياة كلها خلاما حول الجنس ، وعلم النساء الى درجة ان غاية الانسان في الحياة هي اشباع الفريزة الجنسية وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس .

وهذا المذهب هو المعمول به في التحليل النفسي وفي العلاج وفي التربية والتعليم مع أنه اكبرها خطأ وابعدها عن الدين والخلق القويم ومن المسلم به أن الصحة النفسية هي في الاعفنة والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد من أن الصحة في الاباحية وأن الامراض النفسية في العفة حيث نسب إليه ما يسميه ( الكبت ) وأن يكتب الانسان شهواهه ويلجمها احکم وأشد حزما من الاباحية والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة الخ

طويلة في طريق هذا العمل الكبير حيث يبني منهجه على قواعد أساسية :

يقول : يزعم رجال مدرسة التحليل النفسي أن النفس البشرية مغلوبة على أمرها رضيت بذلك أم أبى تسيرها دوافع قسرية وتحررها غرائز حيوانية ونزوات انتانية وأن الإنسان مثله مثل الحيوان يسعى لتحقيق حاجاته البيولوجية وأشباع شهواته البهيمية . وأن الشخصية الإنسانية يحكمها قانون الغاب من اداخله ويرى فرويد أن أصحاب مكارم الأخلاق مرضى نفسيون باعتبار أن الإنسان حيوان وحشى مصاب بالشبق الجنسى فلا هم له الا تحقيق لذاته والتنفيذ عن غرائزه الجنسية غان لم يستطع فهو مريض نفسيا ، وأن الإنسان السوى هو الإنسان المتواش ، ويجرى علاج الأمراض النفسية في ضوء عقدي أوديب والكترا وقد اندى فرويد من هذه الشخصية الأسطورية مسرحا لعلاجاته النفسية حيث جعل العلاقة الجنسية المحرمة بين الأم ووليدتها على هذه الصورة المعبرة عن الشخصية الإنسانية وقد روج اليهود في كتبهم لهذه الأسطورة وعملوا على تلقينها للشباب والكهول باعتبارها حقائق يقينية ، بعية هدم العلاقات الأسرية والعمل على التفكك الأخلاقي والغاء القيم الأساسية والمثل العليا من على الأرض وقد استعار عقده (أوديب) ليعطها أساس العلاقة بين الأم ووليدها واستعار عقده (الكترا) لتمثل العلاقة الجنسية بين الأب وابنته وجعل فرويد من الأسطورتين الخياليتين حقيقة واقعة وأخذ ينشر هذه الآراء في المجتمعات الفربرية التي كانت قد سقطت في أوائل هذا القرن في الانحلال الخلقي وتفشي بين الأسر الزنا وال العلاقات غير المشروعة فنوجحت آراءه آذانا صاغية وتمسك بها الشباب الساقط والزوجات العاهرات ليكون مسوغا علميا لتصيرفاتهم الأخلاقية ومبررا لتفعل الفواحش وظهرت روايات وممنوعيات تعاون على ترسير هذه الموجة الانحلالية في عقول الشباب الأوروبي وظهرت مسرحية (المومس الفاضلة) التي عرضت مئات المرات .

هذه القصة تمثل الحالة التي برزت فيها أوروبا في نهاية القرن ١٩ وببداية القرن العشرين حيث أضجع ان الزوجات يمارسن الجنس مع غير أزواجهن وجاءت المسرحية اندفاع عن العهر والعاهرات وتقروي قصة امراة عاهرة احببت شابا من أسرة ملحوظة وذهب اليها الآباء يرجووها أن تترك الشاب فهجرته وتخلت عن ملاكها للعيش بعيدا في كوخ حقير حيث تموت بداء السيل ، والمفزع الخطير القصة أنها تشجع على البغاء وتعاون

النفسية بسبب الخوف من السحر وبسبب العداوة والشر والحقن والرغبة في المرضة .  
ولا يوجد شيء يدفع النفوس الى فعل الخير والبعد عن الشر غير الواقع الديني والطمع في رحمة الله ورضاه والخوف من عقابه . ولقد واجه الفكر الاسلامي مفهوم النفس الغربي الوافد ورد كثيرون على أخطائه وأخطاء فرويد بالذات وخاصة فيما يتعلق بالحاديـث عن (اللاشعور) الفرويدى بكل محتواه الغريزى ، بينما يقدم لنا العلماء المسلمين وخاصة الذين اهتموا بتنمية النفس الى لا شعور أعمق وهو الجزء الذى اذا ما أصبح شعورا ويعينا عمر الایمان الحسى (على حد تعبير الدكتور يحيى الرخـاوى ) .

هذا الاشعور المرتبط بالفضيلة . والسمو والصدق والايمان والذى تتجاهله الحضارة الحديثة تجاهلا تاما .

ولقد تبين لبعض المدارس النفسية الغربية هذا المفهوم الاسلامي العميق والذى يمثل ( حاجة اصيلة في تركيب النفس البشرية والذى يرد اغتراب الانسان ووحدته وشقاوته الى اهمالها او كبتها او انكارها ، فقد تبين ان فرط الحرمان من الفضائل يؤدى الى امراض محددة لها من الاضرار والمضاعفات ما يفوق مثيلاتها من امراض نفسية ، الا ان انتشار امراض نقص الفضائل لا تظهر بیننا بشكل صريح لسببين :

أولاً : إنها أمراض شائعة شبيهة الوباء وكأنها  
القاعدية ولبيت الاستثناء والثانى : أن الحديث عن  
الفضيلة كثيراً ما يغنى عن ممارستها وكأنه التحذير  
المسكن .

ومن ذلك مرض الزيف الذى ينتفع الحرمان من فضيلة المصدق ومرض الظلم الذى يتوجه ليقضى على فضيلة العدل ومرض التعتيد والغموض الناتج من كبت فضيلة السراطنة .

وهذا الذى تكتشفه بعض المدارس النفسية الحديثة هو ماجاء في حديث الإمام أبو حامد الغزالى حيث عرض لأمراض الحسد والعداوة والكفر والعجب والخوف وحب الرئاسة وحيث النفس .

Three small, stylized floral or asterisk-like symbols arranged horizontally, likely used as a section separator or decorative element.

ومن الباحثين المسلمين الذين عنوا بوضع أسس علم نفس إسلامي وشغلوا أنفسهم منذ سنوات بهذه الدأسيات الدكتورة حسن الشقاوى الذى قطع مرحلة

الغرفية بدعوى أن كبتها يولد الأمراض النفسية هؤلاء الأطباء يهبطون بالانسان الى البهيمة والحيوانة .

وقد دعا كثيرون الى بناء علم نفسى دينى اسلامى على نحو ما يقال بوجود علم نفس يهودى او نصرانى لاختلاف خصائص كل دين من هذه الاديان ويرى الدكتور فؤاد ابوحطب ان بناء علم نفسى دينى اسلامى ليس كافيا لأن التركيز على الظاهرة الدينية وجدتها لا يتفق مع خصائص الاسلام الذى لا يضار بين الدين والدنيا وأن المطلوب هو اكبر من مجرد انشاء فرع جديد لعلم النفس ونحو مطالبون بأن تنظر في علم النفس من منظور شمولية الاسلام ليصبح هذا العلم الذى يشمل مختلف جوانب الانسان الدينية والدينوية موجها وجهة اسلامية .

المنحرف على الانحراف وتزعم أن للمهر أخلاقيات. وإن المرأة العاهرة مثلاً للتفضحية والإيثار، وهكذا أعانت فكرة فرويد على الانحلال الخلقي والشذوذ الجنسي، وترويج مفقراته عن طريق اليهود ونشره بين العام والخاص ثم امتدت لتغزو المجتمعات الإنسانية باعتبارها حقيقة علمية لا تحمل التشكيك فيها.

قال سفيتر: وهو اكبر علماء التربية الالمان:

نَحْنُ نَعِيشُ عَصْرَ اَنْهِيَارِ الْحَضَارَةِ بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَرِيرِيَّةِ .

وقد قامت مدارس التحليل النفسي على تبرير السلوك الجنسي الشاذ وتنصح الشباب بالتنفيس عن نزعاتهم الجنسية ومتطلباتهم السلوكيّة واحاجتهم

## الباب التاسع عشر

### أسلامة التراث

اختلط هذا العمل ببعض أعمال الفلسفه والمتكلمين والمعتزلة واصنوف الفلسفه ، وكل ما دخل على الفكر الاسلامي نتيجة ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهنديه وغيرها ، غير أن الفكر الاسلامي الأصيل قد وقف وقفات حاسمه أمام الفكر الوافد وكشف زيفه وصحح الانحرافات التي انجرف اليها الذين حاولوا اصحابه على الفكر الاسلامي الأصيل ، كما فعل المعتزلة والفلسفه وأصحاب التصوف الفلسفى .

هذا التراث كله يقبله المسلمون تماما وينظرون اليه نظرة كاملة ، فلا يبتعدون أجزاء منه من شأنها أن تعيد اذاعة الوثنيات والمجوسيات وفلسفه علم الاصنام وغيرها التي وقع فيها : الفارابي وابن سينا ، او الحلاج وابن عربي وابن سبعين والسمهورى او ما وقع فيه الرازى وابن الراندى وغيرهم ، وتاك هى محاولة الاستشراق التي بداها باديء رسائل اخوان الصفا وغيرها واعانة عليها غلام المستشرقين أمثال : طه حسين وعبد الرحمن بدوى وغيرهم .

ان ابتعاث التراث الاسلامي هو قاعدة البناء الأساسية لليقظة والدعامة الكبرى للصحوة فهو والتاريخ يعطى الشباب المسلم الاحساس القوى بالثقة والإيمان بالآلة التي صنعت الحضارة الاسلامية الإنسانية التي نشرت ضوئها في العالم كله خلال ألف عام وقدمت للبشرية مفهوم التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانساني وحررت العقل من الوثنية والفراغنة العبودية التي فرضتها حضارات الرومان والفراغنة والفرس والهندوك ، هذا التراث الذي تحجبه اليوم جامعات ومعاهد وهيئات في الغرب لتخفي الحقيقة التي يجب ان يعرفها المسلمون عن حقيقة دورهم في بناء الحضارة ، ليس في تقديم المنهج العلمي التجربى فحسب بل وتقديم أصول العلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأن عشرات من النظريات العالية الان انما هي مباثثة في مصادر التراث الاسلامي التي تبلغ أكثر من ربع مليون م杰اد موجودة في مكتبات

ان مفهوم التراث في الفكر الاسلامي يختلف تماما عن مفهومه في الغرب ، ومن هنا يجب أن تختلف النظرة اليه ، ومن ثم فان المنهج الذي يتبعه الغرب في تعميم تراثه والنظر اليه والانتفاع به هي مسألة تخصه بالذات ولا تنسب على التراث الاسلامي بل لا تصلح أصلا لأن يكون أسلوبا صحيحا لتقدير التراث ، ولذلك نحن في حاجة الى أسلامة منهج تقييم التراث . أى اننا يجب ان نقدم أسلوبا مختلفا عن اسلوب الغرب الذي تخضع له الان ، وأن يكون هذا اسلوب مستمد من « النظرة الاسلامية للتراث » فالغربيون ينظرون الى تراثهم على أنه اساطير وكتب قديمة ليست لها قداسة ، وفنون للترفيه وللاغراق في الخيال ويقوم تراثهم القصصى على الصراع بين الآلهة والبشر وعلى عباده جمال الأجساد وقد غلت عليهم النزعه السقراطية في تقبل صور الشذوذ الجنسي والخضوع لمفهوم احتقار الانوثة والبكارة على النحو الذي انتهى بالحضارة الغربية المعاصرة الى عقد زواج رجل على رجل ، او غير ذلك من انواع الانحراف .

كذلك في ميدان الكتب المقدسة فالغربيون ينظرون اليها على أنها من كلام البشر وأنها ليست لها قداسة خاصة وأنها توضع موضع الانتقاد وهكذا فان التراث في الغرب ليست له قيمة تحميء من محاذير الإضافة منه والحذف ، وتغييره والتوصيم في تصوراته ، لأنها تعتد من الأساطير التي يجوز للكاتب أو الشاعر أن يتصرف فيها .

وهذا يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن (جوهر اتراث الاسلامي وعنه النظرة اليه) اتراث الاسلامي هو (أولا) ميراث الرسالة وانبوة الموحى بها للرسول الخاتم (القرآن الكريم) وقد أوتي هذا الكتاب كما أوتي الحكمة (السنة النبوية) وكلاهما مكمل للآخر ، وهذه لها قداستها الكاملة ، وهناك التراث المكتوب من صنع العقل الاسلامي في مجال الفقه والتفسير والعلوم وهو عمل بشرى يلقى الضوء على الرسالة الاسلامية وقد

العلم وتد كشفت الأبحاث الأخيرة كيف ان رجال من دعامت الحضارة الغربية وعصر النهضة كان منهجهما ملحوظا من الفكر الإسلامي : فرنسيس بيكون وديكارت ولقد ترى هذه الحملة الضخمة التي تحملها اقتصاد التغريب على التراث فتدعوه لذلك ، وربما تقول : انهم يريدون الا يعرف المسلمون ( حجم ) الدور الذي قاموا به والذي انكره الغرب تماما واقام حوله ( مؤامرة الصمت ) ولكن الامور اكبر من ذلك وابعد مدى .

وذلك هو ما كشف عنه الباحثون الذين يدعون الى اسلامة المعرفة وفي مقدمتهم الدكتور اسماعيل الفاروقى الذى يقول ما معناه :

ان بناء نهضة اسلامية حقيقة في مجال العلم والحضارة لا يمكن ان تبدا الا من آخر خطوات التراث الاسلامي وأنه لا يمكن ان تبدا الا من آخر خطوات التراث الاسلامي وأنه لا يمكن بناء هذه النهضة على الشظايا المنقولة من حضارة الغرب .

يقول : ليس هناك موقف اسلامي حي اليم ليست له علاقة بتراث الاسلام ولا بد من دراية كاملة بالتراث من حيث نواحي القوة والضعف فيه بل ان الموقف الاسلامي في الحاضر وفي المستقبل يجب ان يأخذ صورة مصاحبة للتراث دائما ولن يست انطلاقا جزريا فحسب .

ذلك انه قبل تفصيل العلاقة والملائمة بين الاسلام وعلم معين يجب ان نكتشف ماذا في تراث الاسلام مما يتصل بهذا العلم ، ان تراث اسلامنا يجب ان يظل بالنسبة انا نقطة الانطلاق وأن اسلامتنا للعلوم ستكون ضحلة جدا اذا لم تأخذ تراثنا في الحسبان ولم ننتفع بنظرات اسلامنا الثاقبة .

وهناك مشكلة الانتفاع بالتراث في بدا مسيرة الباحث الحديث ذلك ان مصنفات العلم الحديث لا توجد ولا حتى اسماها في التراث على هذا انحو ، كذلك فان التراث قد يحتوى على معلومات قيمة لا يمكن تصنيفها طبقا لاي تصنيف جديد ولا ربطها به ، ان العالم المسلم الذى تدرى في الغرب كثيرا ما يفهم امام استغراق التراث عليه ، الامر الذى دفعه بقوه الى الاعراض واليأس والحكم بأن ليس في التراث شيء حول موضوع البحث ، مع ان الحقيقة انه هو الذى لا يخبره له بتصنيفات التراث التي تدرج تحتها مثل تلك المادة الملائمة لموضوعه ، كذلك فان العام المسلم الذى يدرس في الغرب لا يمتلك الاوقات ولا الحيوية المطلوبة للقيام باستطلاع ناجح للمؤلفات الضخمة والكثيرة التي تضم تراث العالم الاسلامي .

كذلك فان أستاذة التراث الاسلامى التقليدى على الرغم من خبرتهم لا يمكنهم أن يكتشفوا أولا أن يقوموا جوانب الملاعنة بين هذا التراث والعلم الحديث نظرا لجهلهم بذلك العلوم وعدم درايتهم بموضوعاتها ومسائلها وقضاياها ، ولا بد من تعريف الخبراء بالعلوم الحديثة وأمدادهم بمثابة التلامع التي يستطيعون استخدامها في أبحاثهم .

\*\*\*

ولا بد من أن نقدم للمسلم المتعلم في الغرب :

- ١ - صفحات من القراء في شكل مختارات تتضمن مادة علمية بكل موضوع .
- ٢ - تحليل كتاباتهم على ضوء الخلفية التاريخية المتصلة بمشاكل عصرهم .

وهكذا نجد ان القضية ذات ابعاد خطيرة لم نكتشفها وربما استهنا بها ولكن الذين يشرون الحرب على التراث يعلمون خطورته من حيث أنه سيحطم القواعد المزيفة التي يحاولون أن يقيمواها من مفهومه الغرب للترااث حتى لا يستطيع التراث الاسلامي ان يصل الى غايتها الحقيقة .

وهذا يفسر أيضا تلك الدعوات الى اعادة النظر في التراث وتفسيره تقسيرا جديدا ، هذا التقسير اما ان يكون ماديا او ماركسي او ما خاضعا لجذور تلمودية وهذا عمل مرفوض ولا عمر له ولا بقاء .

وهناك من يتحدث عن تراث مصرى ( يهودى الذى يقوم به بعض التغريبين : زكي نجيب محمود وطه حسين ، وعبد الرحمن الشرقاوى وغيرهم بل وكتابات كثير من المؤرخين الذين يعملون على اطفاء نور الترااث وبريقه بتحويله الى مادة جامدة ووضعه في اسلوب علمي جاف وتفسيره تقسيرا ماديا .

وهناك من يتحدث عن تراث قوى ( يهودى ومسيحي واسلامى ) وهذه خدعة كاذبة فالتراث الاسلامي متصل وكل ما سبقه فهو مما وقع عليه سيف ( الانتفاضة الحضارى ) فتوقف لأن لفته ماتت ، ولم يعد له وجود حتى بل ان الثقافة الاسلامية لم تعد منذ ظهور الاسلام ثقافة المسلمين بل ثقافة كل من تظلمهم الأرض الاسلامية قياما وتقاليده وعاداته ، فما هذه النعرات الباطلة التي تتعدد على بعض الشعوبين باحياء مايسماونه تراثا مات قبل أربع عشر قرنا وما يحوى سوى الاساطير والخرافات والأوهام وطفولة البشرية .

العلوم العام أكبر مما أثبته الدراسات التي تمت حتى الان ولا يقلل من هذه المكانة أن تعرف لن سبقنا ولغيرنا بماله من جهد ، فمكانة العلوم العربية الإسلامية في تاريخ العلوم لا تقل عن مكانها لدى أمم أخرى ، واثر العلوم العربية في عصر النهضة الأوروبية أوسع واعمق من أن يتصور ليس هذا مجرد رأي أو انتساب ، وإنما هو ثمرة دراسة وبحث في هذه العلوم مدى ثلاثة عاما حاولت فيها بتتبع قصة أثر العلوم العربية الإسلامية في الغرب في عدة مجالات ، وان كان أكثر هذه الحقائق لم تتضح بعد لمؤرخى العلوم وسيستغرق اظهارها في كتبهم وقتا طويلا . لقد قطع المسلمين مرحلة الأخذ والتلذذ وقت تنصير نسبيا ، حتى اذا وصلت الى اواسط القرن الثالث الهجري كان المسلمين قد دخلوا مرحلة الانتساج الأصيل المبتكر ، وهذا الطابع الابداعي نفذ الى جميع العلوم في سرعة وعمق وقد ظل مستمرا دون انقطاع حتى القرن الثامن الهجري ومعنى هذا فان المسلمين في اواسط القرن الثالث الهجري استطاعوا ان يطوروا ما ورثوا عن الاغريق والبابليين والهند والفرس ، وان يصححوا هذا الموروث وان يأتوا بقوانين ومذاهب جديدة وان يستخدموا آلات جديدة في تجاربهم ومقاييسهم وان يضعوا علوما جديدة غير موجودة لدى الاسلام . وقد بدا الغربيون الترجمة من اللغة العربية الى اللاتينية وكانت اقدم ترجماتهم تتعلق بالاسطراطاب وبالهندسة العملية ، ولما لم يجدوا في كثير من الاحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة لاصطلاحات العربية فقد اضطروا الى استخدام المصطلحات العربية كما هي :

وهنا نكتشف حقيقة هامة هي اخطر ما يصل اليه البحث وهو انكار فضل المسلمين جملة تقول :

وقد انطلق اللاتين من مبدأ (الاحتلال) فيما كان الموقف الاسلامي واضحا في اسناد الاقوال الى أصحابها ولما كان اللاتينيين قد أخذوا العلم من اعدائهم المسلمين في الدين والسياسة فقد ادى الاحتلال الى اخفاء المؤلفين الحقيقيين ، وذلك خلاغا لامتنع عند المسلمين فقد كانوا يأخذون من ابناء دينهم وغيرهم دون اى مانع معنوى ثم قاتلت الجامعات في المدن الاوروبية ، على غير مثال اوربي ولم يعرفها الاغريق ولم تعرفها العصور الوسطى الاوروبية ، وهي ليست الا تقليدا لجامعات الاسلامية : اصولها وفروعها وبرامجها .

وقد كانت ظاهرة الاحتلال تقوم على نسبة الكتب العربية الى علماء الاغريق ومن ذلك نسبة كتاب حنين ابن اسحق في العين الى جالينوس ونسبة كتاب نور الدين البطروجى في الفلك الى اسطوا .

ان فهم موقع (تراث الاسلام) من فكرنا الاسلامي فهما صحيحا من شأنه أن يبني روح هذه الامة الاسلامية في نفوس الشباب المسلم بالثقة واليقين والإيمان الخالص بأن العودة الى النابع واستلهام اسلوب الأصالة والرشد الفكري من شأنها أن تطلع فجر النهضة الاسلامية الجديدة التي قامت على اصولها الأولى منذ صحة التوحيد المتجددة ومطالع اليقظة الاسلامية .

هذا الفهم يؤكد لنا عدة حقائق :

الأولى : أن الاسلام هو الذى قدم مفهوم الحضارة الانسانية القائمة على العدل والرحمة والاخاء البشري وحرر الانسان من الوثنية وعبودية الانسان للانسان .

الثاني : ان القرآن هو الذى فتح امام المسلمين أبواب قوانين العلوم وسفن الحضارات والمجتمعات وهو الذى وجه المسلمين الى انشاء النهج العلمي التجربى وعلم المعرفة ذى الجناحين .

الثالث : ان المسلمين لم يقبلوا الفكر اليونانى والمجوسى والوثنى القديم وكشفوا زيفه وما قبلوه من المعرفة القديمة حققهوا واخترعوه وأصلاحوا ما فيه من الخطأ وما قبلوه منه صاغوه كمادة خام في محيط فكرهم القائم على التوحيد والعدل والاخاء البشري .

ومن هنا فقد تقررت القاعدة التي قامت عليها المدنية الاسلامية خلال الف سنة وتركت اكثرا من مليون كتاب من كتب التراث منها ما ذهب ومنها ما حفظته الخزائن في الغرب وفي بلاد الاسلام . وهو ما لم يتم حتى الان تقويمه او التعرف على ابعاده الحقيقة فان كلمة (فضل التراث الاسلامي على الحضارة) هي كلمة ساذجة لا تتناسب مطقا مع الآثار البعيدة التي لم يعرفها حتى الان جيلنا لانه لم يقدر له بعد الكشف عن مذخر هذا التراث على وجه الحقيقة وما استفاده علماء الغرب منه في مجالات القانون والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية وما عرف حتى الان لا يمثل اكثرا من واحد على عشرة ، اى ان ما يقوله الان هو عشر الحقيقة ، وذلك لأن الغرب لا يريد ان يطلع المسلمين على حقيقة معطياتهم ولا على الحجم الحقيقي لهذا العطاء .

ويصور الدكتور فؤاد سزسكيين هذا المعنى بعد عمله خلال ثلاثة عاما في مجال التراث الاسلامي المثار في مكتبات الغرب على وجه اقرب الى الدقة حين يقول : ان المكانة الحقة للعلوم العربية الاسلامية في تأثير

ويشير الى هذا المعنى الأستاذ موسى الموسوى يقول : دخلت العلوم الإسلامية أوروبا في عصر الترجمات واحتلت مكاناً كبيراً في الفكر الأوروبي ولكن أغلبية المستشرقين الأوروبيين بخسنت ذلك وأخذت الكثير من هذه العلوم دون أن تشير إلى المصدر الأساسي الذي هو الإسلام ، كان قانون ابن سينا يدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن الثامن عشر ، وأثار الفرزالي ترجمة إلى اللاتينية ودخلت الفكر الأوروبي وإن ديكارت أخذ كثيراً من آثار الغرب نصاً وروحاً وأن كثيراً من آثاره التي أقام الدنيا وأقعدوها فيما يتعلق بفكرة ( أنا أفكر فإنما موجود ) أو الأدلة التي يستند إليها في اثبات وجود الله كانت موجودة في الفكر الإسلامي .

ويضاف إلى ذلك أمرين : ( الأول ) أن المستشار عبد الحليم الجندي كشف بكتابه الذي صدر ( ١٤٠٤ هـ ) أن فرنسيس بيكون أخذ المنهج العلمي الذي قدمه إلى أوروبا من ثانياً كتاب الرسالة لللام الشافعى .

( الثاني ) : أن كتاب ( المنقد من الضلال ) المترجم إلى الفرنسية وجد في مكتبة ( ديكارت ) وعليه تأشيرات بنقل نصوص منها إلى نظريته .

ويشير الدكتور فؤاد سيف سكين إلى أن ظاهرة حذف أسماء العلماء العرب وذكر أسماء علماء الأغريق ترجع إلى عاملين مهمين :

الأول : ظهور التيار المناهض للغربية وقد نشأ هذا التيار في نهاية القرن ( ١٣ ) ، أوائل ( ١٤ ) م بضراوة وشدة . أنها العقيدة النفسية تجاه أسماء العلماء العرب ورائد هذا التيار المناهض للغربية هو ( رaimon Lullus ) وقد وصل إلينا أكثر من سبعين كتاباً اتضح من بحثها أنهـا جميعاً مؤلفات عربية وقد استمر هذا التيار إلى أواسط القرن ( ١٦ ) م .

ثانيهما : الهمج والولع بالتفوق الحضاري فكانت

\* \* \*

الاكتشافات المهمة للعلماء المسلمين تنسب إلى يومنا هذا إلى علماء أوربيين ومن هذا القبيل اكتشاف الحجرة المظلمة ، في النظريات وكشف المثلثات الكروية والآلة الفلكية المسماة باسم عصا التلوفى وتأسيس التجربة وهى مكتسبات نسبت دون حق إلى لفى بن جرير وذاعت شهرته بها ولم يسجل أحد من الباحثين نفسه كيف يمكن لرجل واحد أن يكتشف هذه الاكتشافات الخطيرة واليوم يعرف المكتشفون الحقيقيون لها وهم من العلماء العرب .

والى جانب الكتب المترجمة فثمة وسائل أخرى لاخفاء الانتاج العلمي الإسلامي : أن الكثير من الأوروبيين بعد أن أدركوا أهمية العلم الإسلامي شرعوا في الرحيل إلى الشرق والإقامة به سنوات طويلة ويعملموا اللغة العربية ودرسوها العلوم وعادوا ومعهم العالم والكتب . ومن ذلك العالم الإيطالى ( لبوناردر نبور اينوس من علماء الرياضيات اللاتين تعلم العربية ودرس الرياضيات في تونس وتنسب إليه اكتشافات خطيرة في تاريخ الرياضيات ومن ذلك كوبرنكوس الذي أخذ نظرياته عن دوران السيلارات عن الفلكيين المسلمين الذين عاشوا في القرن ( ١٣ ، ١٤ ) م .

هذه الاكتشافات هي اقتباسات من الكتب العربية وثمة وسيلة أخرى لاخذ العلوم العربية وهي طريقة النقل الشفوي ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي عرف العلماء اللاتين الذين لا يفهمون العربية الانتاج العلمي يستقينون من تلك الكتب دون أن تكون قد ترجمت في أوروبا أو كذلت ترجمت وخفت ترجمتها على الناس . يبدوا أن الإمبري كان معروفاً ل المسلمين لذا كان عليهم في كتب الحسبة أن يذروا بشكل رسمي من بيع كتب العلم لليهود والنصارى الا ما كان من شريعتهم فانهم يترجمون كتب العلم وينسبوها إلى أهلهم وأساقفتها . وهى من تأليف المسلمين .

## البِابُ الْعَشْرُونَ

### الإسلامية الانتماء في إطار الحلقات الثلاث

(الوطنية - العروبة - الوحدة الإسلامية)

دفعت الرياح في سارية الاقليمية بحكم التمزق الذي قام به القوى السياسية الأجنبية التي سيطرت على البلاد الاسلامية منذ احتلال الجزائر ومصر والسودان ثم الشام والعراق والمغرب حين حاولت أن تنشئ لكل قطر من هذه الاقطارات تاريخاً مستقلاً مفترضاً من التاريخ الاسلامي العام ، ومفهوم قومي للغة والفكر والتربيه والثقافة بعد انتزاع نظم السياسة والاقتصاد والشريعة والمجتمع واحداً لال القانون الوضعي والنظام الديمقراطي الغربي والمصرف الربوی . وبذلك حجبت طوابع الاسلام . وبذلك خلت مناهج التعليم خلوا تماماً من روح الاسلام ، وطوابع الوحدة ، وطوابع الرحمة والعدل والاخاء والايمان التي كانت سائدة في مناهج التربية والتعليم . وحلت محلها مفاهيم أخرى وافدة قائمة على قيم مادية تفرض الصراع والتنافس حول مختلف امور الحياة وخلال المجتمع الاسلامي من طوابع الحياة والغيره ورعاية الاسرة وحماية المرأة وظهرت صور جديدة من الاباحيات والخمور والتحلل والفساد الاجتماعي بانتشار (روائع) الادب الاوربيه القائمة على الكشف والحريره وهكذا دخلت البلاد العربية في دائرة الاقليمية بعد انفصالها عن الدولة العثمانية ، وسقوط الخلافة وانفصال تركيا عن الاسلام وفي هذه الرحلة عمل النتوء الاجنبي على حرب الواحدة وتشجيع التغيرات القومية والوطنية . ودعم الحركات الانفصالية التي عملت على تهيئة الجو لهدم الخلافة الاسلامية وقد بالغ الاستعمار في تقطيع اوصال العالم الاسلامي ولاسيما دولة الخلافة ، وبذلك تحطمت الوحدة الاسلامية وتجرأ الكماليون على الغاء الخلافة واقامة دولة علمانية في تركيا وتبعد اشياعهم في العالم الاسلامي . وكان سقوط الخلافة عامل من عوامل هدم الوحدة ، وتلاكم الحواجز والحدود بين المسلمين بالتاريخ .

« واهتم المستعمرون بالتاريخ لتأكيد الفوارق بين المسلمين ويزيقه الى تاريخ اقبليه وقومي ، وتغريمه من قوته

كان من اكبر اهداف الغزو الفكري القضاء على الانتماء الاسلامي واحلال انتقامه قومي واقليمي ووطني بدلا منه بحيث تتحقق الوجهة الواحدة التي الف بينها القرآن الكريم والاسلام والدفاع عن الكيان وحماية النمار ، والوقوف في وجه العدو الخصم المهاجم ، ايمانا بدعوة الله تبارك وتعالى المسلمين الى الاعتصام بالوحدة والرباط في التغور .

واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا ( )

(يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا).

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ..

ومن منطلق تزيف الانتماء الواحد دخلت الى الامة الاسلامية مفاهيم الفرزق القومي تحت أسماء العناصر العربية والوطنية المرتبطة بالأرض والملتبسة تاريخها في صور زائفة من تاريخ سابق للإسلام لم يعد له بعد الاسلام قدرة على البقاء ايمانا بما تررہ علماء التاريخ والآثار من الانقطاع الحضاري بين ما قبل الاسلام وما بعد .

وقد حاول الغزو الفكري والتغريب احياء نحل  
قديمة كالفرعونية والفينيقية والبابلية وغيرها لرد  
المسلمين اليها بعد انتقامهم من الوحدة الاسلامية  
الجامعة ولكن هذه المحاولات باعت بالفشل ولم تستطع  
أن تتحقق شيئاً لأنها كانت ضد حركة التاريخ ولم يجد  
 أصحاب هذه الدعوات وسائل أو معطيات تمكن لهم  
دعوتهم فقد ذابت اللغات والتقاليد والاساطير والأداب  
الشعبية وتوارت ولم يبق منها الا تراب مطحون من كثرة  
ما داسته الاتدام .

ولند أثرت تصريحات لزعماء التبشير والاستشراق والغزو الفكرى ترکز على تمزيق الوحدة الإسلامية الخامسة والتاسك علماء الاقليميات والقوميات ، وقد

فقد عجزت أن تحقق شيئاً لأنها كانت تجري ضد التيار .

لقد تبين بعد هذا الحشد الضخم الذي بذل لتحقيق الوحدة العربية فشل هذا الجهد وفساده ، لأنه لم يكن منطلقاً من منطلقات الأصالة والتابع ومن روح الإسلام الحقة ومفهومه للعلاقة بين العربية وبين الإسلام .

لقد كانت الدعوة إلى الوحدة عاجزة عن استيعاب مضمون الإسلام فكراً ، فضلاً عن انفلاتها في وجهه الامتداد الإسلامي خارج البلاد العربية وكان واضحاً أن الذين رسموا الخطة هم خصوم للعرب والمسامين جميراً وأنهم إنما كانوا ينطليون على عرب التجمع الإسلامي للجهاد وتحرير فلسطين إلى معركة وهيبة وإلى دعوة بساطة .

ولقد تبين من هذه التجربة الخطيرة حقائق كثيرة أهمها أن العربية لا يمكن أن تكون إلا مرحلة على طريق الوحدة الإسلامية شأنها في ذلك شأن الأقليمية فإذا استغلت لتكون هي منهج حياة عجزت عن تحقيق ذلك وفشل تاماً .

وهذا ما أكدته أبحاث الباحثين الغربيين الذين تصدوا لدراسة هذه الظاهرة وفي مقدمتهم ليوناروباندر في كتابه ( الثورة العقائدية في الشرق الأوسط فقد استطاع بدرسة المد الذي تعلق به تيار العربية ( ١٩٥٥ - ١٩٧٠ ) أن يصل إلى الحقائق الأساسية الآتية :

أولاً : إنها من صنع الاستعمار للقضاء على الوحدة الإسلامية واقامة الوطنية والقوميات والإقليميات فان حركة النضال من أجل مقاومة الاستعمار كانت تستمد قوتها الحقيقة من مفهوم الإسلام الأصيل في الجهاد ومقاومة الغاصب .

ثانياً : إن القوميات التي فرضتها القوى العسكرية في المنطقة لم تنجح بالرغم مما بذل في سبيلها من مال وأنفاق من دعاية وماجرى من كتابات لاقناع الأجيال الجديدة بها

ثالثاً : إن العالم الإسلامي لم يقبل الديمقراطية بمفهومها الغربي المخالف لمفهوم العربية ولم تكن القومية أحسن أشكال الحكم بل كانت وسيلة لخسارة الأيدي المضبة بالدماء والأنابيب والأظافر المسيطرة باسم الاستبداد والدكتاتورية .

رابعاً : إن التعارض بين الدين والقومية في الغرب شيء مستمد من مفهوم الدين في الغرب ، أما الإسلام فإنه

المعنوية التي ترفع روح العزة وتجمع قلوب المسلمين ؛ وعمدوا إلى تفسيره بالمنهج المادي للقضاء على روح الإيمان والقوة المعنوية فيه وعلا صوت التاريخ القديم قبل الإسلام وبذلك أصبح لكل شعب تاريخه المتميز ومفاخره الخاصة ولم يعد الإسلام إلا عابر سهل في عصمنا العصورة التاريخية التي مر بها الشعب وسط القوميون والوطنيون على التاريخ الإسلامي وما فيه من بطولات وأمجاد تركوها نهباً من الأقوام والبلدان بعد أن سلبوها هيئتها الإسلامية فإذا البخاري تركي وطارق ابن زياد ببربرى وصلاح الدين كردي فقد أعادوهم إلى الجنس والولد مع أنهم ثمرة من ثمرات الحضارة الإسلامية لم تصنفهم قومية معينة ولا يد معينة ولكن صنفهم مفهوم القرآن ومنهج الإسلام .

وأثار الغرابة فكرة الأحزاب فمزقوا المسلمين إلى اشتراكى وديمقراطى وتقدمى ووطنى وثورى ومحافظ ويمين ويسار .

\* \* \*

( ٢ )

هذه مرحلة الأقليميات التي ركزت على فصل البلاد العربية في كيانهم لها ملسفتها الخاصة المنفصلة عن الإسلام والمرتبطة بتاريخ قديم عملوا على احيائه عن طريق الحفريات الأثرية .

ولكن الروح الإسلامي العميق المستكين في الأعماق لم يليث أن تتشكل في صورة أخرى عندما خفت وطأة الاحتلال فقد بدأت الدول المجاورة في التعارف مرة أخرى يجمعها إيمان بالعروبة التي حمات رسالة الإسلام إلى كل مكان في هذا الكوكب فكان هذا التنداد بالعروبة وهو نداء يضم روح الإسلام ، فكراً وجوداً تاريخياً وجغرافياً .

ولكن الدعوة إلى العربية التي كانت تتحرك في إطار الإسلام منبعثة من الأرض إلى القوم إلى الفكرة جرت المحاولات لتزيفها فأخذت إلى مفهوم العلاقة بين العربية ، الإسلام تفسيراً عامانياً مسمى ما يضع التجربة الغربية في علاقة القوميات في أوروبا بالوحدة المسيحية وكانتها نموذجاً لحركة العربية .

واستغلت صيحة الدعوة إلى القومية العربية وانقرضت مفهوم الغرب ومن ثم عجزت عن أن تتحقق هدفها لأنها بدت متعارضة تماماً مع الوجدان الإسلامي العربي ، وبالرغم من الفرص الواسعة التي اتيحت لها

ويرى كثير من الباحثين ان القومية العربية (بمفهومها الغربي) كانت وليدة الصهيونية والفنود الغربي والشيوعية التي تعاونت منذ فجر هذا القرن لتدمر الخلافة العثمانية بهدف اقامة دولة اسرائيل على انتقامها .

ومن هنا خفت صوت الفاهمين للعروبة في اطار الاسلام بل اختفى تماما ولم يبق في الساحة الا اصحاب المفهوم الوافد ، من اولئك الذين يقولون ان العروبة دين القرميين من مسلمين ويساريين لأنها وجدت قبل الاسلام وقبل المسيحية ، ويبالغ دعاة القومية الوافدة غيرون أنها يجب ان تنزل من قلوب العرب اينما كانوا منزل وحده الله من قلوب المؤمنين ، ويقول احدهم : ان القومية العربية هي نبوة هذا العصر .

وهكذا نرى ان دعاة القومية كانوا يطمعون في ان تحل العروبة في قلوب الناس محل الاسلام لتكون ديانة وعقيدة وفکرا وفلسفة مستقلة بذاتها كما يقول عم فاخورى (لينهض العرب الا اذا جعلوا العروبة والقومية عقيدة وديانة يتغنون بها ويحاربون كل ما سواها خاصة الاسلام ) (كتابه : كيف ينهض العرب ) .

وقد فتحت القومية ابواب الدمار على المجتمع الاسلامي ، لأن تمزق المسلمين بالقوميات والاقليميات افسح لقومية يهودية الطريق لتسطير في فلسطين وظهور حل واقليات اخرى ذات تاريخ قديم معروفة بعدها للإسلام السنى ومن ثم ظهرت تلك التعادلات بين المارونية والصهيونية وبين البعث والنصرية وغيرهما . وهكذا يتعدد تاريخ الحروب الصليبية والتنار والخشائين على نحو جيد له كل عوامل الخصومة للإسلام من النحل والفرق والاقليات .

\* \* \*

(٤)

ان دعاة القومية يتيمون أيدلوجيتهم على وضع متعارض تماما للإسلام بل ومتناقض معه أساسا فهم يتبنون المفهوم العلماني الغربي من ناحية والمفهوم الماركسي من ناحية اخرى ويخلطون بينهما خلطا يجعلهم في موقف العداء مع الاسلام وال الحرب له .

فدعابة القومية العربية متتفقون تمام الاتفاق في موقفهم من الدين بعامة والاسلام بصورة خاصة فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ويعتبرون الدعوة الى

لا يعارض القومية بل يهذبها ويضئلها في صيغة اخوية مفتوحة .

خامسا : ما تزال العقيدة الاسلامية قادرة على ان تغير كثيرا مما يفرض وتحطم كثيرا مما يقتن وتحول دون القوى الاستعمارية وبين تحقيق كل مآربها .

ونحن اذا راجعنا تاريخ فكرة القومية وجدناها فكرة وافدة جاءت من اوروبا اول من نادى بها نابليون في مصر في محاولة لابعاد مصر والشام عن الدولة العثمانية وأشعار العرب بأنهم مختلفون عن الاتراك وجاء محمد على وابراهيم باشا ورفعوا نفس الشعار واستسلم للدعوة بعد ذلك الشباب العربي المسيحي ابتفاء تقويض الخلافة تحت شعارات ماكراة وكان للمدارس التبشيرية اكبر الاثر في تعميق هذا المفهوم .

وهكذا نجد ان الاقليات هي التي قادت هذه الحركة وكذلك كانت هذه الاقليات دعاة الاشتراكية والثورية والماركسيه بهدف ضرب الاسلام .

ويقتضينا الانصاف ان نقول ان الفكرة القومية كانت - كما كانت الفكرة الوطنية في مرحلة من المراحل من عوامل مقاومة الاستعمار ، ولكن الخطأ هو ان الأيدي المغرضة حماتها لجعلها قضية قائمة بذاتها من ثم أصبحت حاجزا دون اكمال الدائرة بالاندفاع الى الطامة الطبيعى والى المرحلة التالية وهي الاسلام .

وقد أشار ارنولد تويني الى ان الشعوب الملونة اخذت الديمقراطية ولكنها لم تفهمها جيدا ، ونحن نرى ان هذه الشعوب اخذت القومية ، كما اخذت الاشتراكية ، بغير ان تضع لنفسها وحمة واضحة ازاءها ولقد قال محمد اقبال : ان الانسانية لا تستريح ابدا ما دامت تسودها نظرية القومية المشوهة التي تقطعها اربا اربا بحيث لا يكاد الصدع يلائم فضلا عن ان القومية تقييم الحواجز ضد تنقل المنتجات والاموال والصناعات .

\* \* \*

(٣)

ومن يراجع تاريخ العالم الاسلامي في مواجهة القومية يجد أنها من المؤامرات الخطيرة التي حاولت ان تفسد الوحدة الاسلامية والفهم الاسلامي حتى في البلاد التي ليس فيها اديان اخرى كالباكستان مثلا او تركيا .

ترتبط الدين والدولة دعوة رجعية ويحرصون على علمنة الدولة وعلمه قوانينها ، كل ذلك تقليدا وانسياقا مع الخط الذى سلكته الحركات القومية في أوروبا وبخاصة الثورة الفرنسية .

وهم بذلك يتتجاهلون الفرق بين مفهوم الدين في الغرب وبين مفهوم الاسلام فالاسلام يحمل مفهوما جاما بين الروح والمادة ، تترابط فيه القيم الاجتماعية والسياسة الاقتصادية ويربط بين الدين والعلم وليس له خلافات كتلك **الخلافات** التي قامت بين المسيحية في الغرب وبين العلم أو بينها وبين الدولة . ذلك ان فكرة فصل الدين عن الدولة في الغرب نشأت نتيجة ظهور سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية الاقتصادية وتأثيرها في الحكومات المختلفة بل وقيام حكومات رجال الدين : **الحكومات الشيورقاطية** التي لم يعرّفها الاسلام وهم يتتجاهلون أن تاريخ الاسلام لم يشهد قط اي صراع بين علماء الدين ورجال الحكم اذ لم يكن في الاسلام اصلا فئة متميزة تدعى رجال دين والاسلام يعتبر كل فرد من افراده رجل دين اذا تحققت في نفسه وسلوكه تعاليم الدين كما ان الاسلام لا يفرق في الوقت نفسه بين الدين كعبادة والدولة كحكم بل يجعلهما سببا لعلة واحدة هي اظهار الحق :

**( الذين ان ملئاهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المأثك وله عاقبة الأمور ) .**

فلزوم التمكين في الأرض بالحكم والسلطان والدولة غايته اقامة حكم الله والعكس بالعكس ، ولقد كان من الضروري ان يفرق بين واقع الاسلام وتاريخه وواقع المسيحية وتاريخها ولكن وضع القضية على الشابهة مع الاختلاف العميق ، ولعلمهم يعلمون ولكنهم يغالطون .

\* \* \*

( ٥ )

خير من حدد العلاقة بين الحلقات الثلاث ( الوطنية - العربية - الاسلامية ) وترابطها هو الاستاذ الامام الشهيد حسن البنا امام اليقظة الاسلامية المعاصرة حيث يقول :

« ان رابطة العقيدة هي أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض وأن فكرة القومية تذوب أمام فكرة الأخوة الاسلامية التي يبيتها القرآن في نفوس من يعتقدونه جمِيعا ، ولكن اذا كانت الوطنية حب للوطن الذي ولدنا

فيه وحنينا اليه واحتضانا له بالخدمة ، فان الاسلام يحتضنها بل ويعتبرها جزءا من منظومة فكره السياسي فقط يحذر ان يكون جذورها قاصرة على الاقليم الضيق الذى ولد فيه ، اذا كانت الوطنية حب هذه الأرض والفتها والحنين اليها والمعطف نحوها فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة وما يأمر به الاسلام من جهة أخرى ، فقط يطلب منا الاسلام الا تتف بحدودها عند حدود الاقليم الصغير الذى ولدنا فيه فلقد وسع الاسلام حدود الوطن ليشمل القطر الخاص أولا ثم يمتد الى الاقطان الاسلامية ثم يرتفع الى الامبراطورية الاسلامية الأولى ، ثم يسمو حتى يشمل الدنيا جمِيعا . وبذلك يكون الاسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الشير كل الخير للانسان جمِيعا ..

« والمثل التطبيقي لهذه الحلقات والدوائر التي تبدأ بالدائرة الوطنية والدائرة العربية فالدائرة الاسلامية ، أن مصر قطعة من أرض الاسلام وزعيمه أممه ، وفي المقدمة من دول الاسلام وشعوبه .

« المصرية او القومية لها في دعوتنا مكانها ومتزنتها وحقها في الكفاح والنضال ، اتنا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون في سبيل خيره ، وستظل كذلك ما حلينا معتقدين أن هذه هي الحلقة الاولى في سلسلة النهضة المنشودة ، وأنها جزء من الوطن العربي العام ، واننا حين نعمل لصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام والعروبة لها في دعوتنا كذلك مكانها البارز وحقها الوازن فالعرب هم أمّة الاسلام الاولى وشعبه المتأخر وفق مقاله صلى الله عليه وسلم : ( اذا ذلت العرب ذلت الاسلام ) ولن ينهض الاسلام بغير اجتناع كلمة الشعوب العربية وتهضيها ، ونحن نعتقد اتنا حين نعمل للعروبة نعمل للاسلام ولخير العالم كله ، والقرآن عربي ، وهو أساس هذا الدين وركن الصلاة افضل القراءات الى الله وتكله هي الوسيلة العملية التي وحدة اللسان بعد وحدة الایمان .

« العرب هم عصبة الایمان وحراسه ، ومن هنا كانت وحدة العرب امرا لا بد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه ومن هنا وجب على كل مسلم ان يعمـل لاحيـاء الـوـحدـة العـرـبـية وـتـأـيـدـها وـمنـاصـرـتها » .

« الحلقة الأولى الوطنية ، والحلقة الثانية : الوحدة العربية ، والجامعة الاسلامية هي الحلقة الكبرى والسياح الكامل للوطن الاسلامي العام ، لا تتعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار فكل منها تشد ازر الـاخـرى وتحـقـقـ الغـاـيـةـ منها » « فالاسلام يعتبر المسلمين جمِيعا

يقول الدكتور محمد محمد حسين : لقد ارتبطت العروبة بالاسلام منذ انشائها ونمط وتطورت ونضجت داخل اطاره دون أن يكون في ذلك تعارض مع أصول الاديان السماوية الثابت المحدد وقد جعل لها الاسلام شخصيتها المتميزة والعرب اليوم هم اقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة والتي تربطهم بأصول الدين الاسلامي وبحكم تجمعها وتلاصقها في حيز مكاني واحد لا تقوم بين اجزائه فواصل طبيعية وهم بحكم التقارب والتالق واتفاق العادات والأمزجة بهيئون لأن يكونوا نواة اسلامية صلبة تشع على العالم الاسلامي من ثقافة الاسلام وهو ما يطلق عليه (عروبة اسلامية) والسيحيون الذين يخافون على امنهم وسلامتهم وحريتهم في ظل عروبة اسلامية هم اكثر خوفا في ظل عروبة لا دينية لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين نحو عصبية تحطم وتعتدى وتنظم والخطر هو أن ينضم جيل من المسلمين يجهلون الاسلام في ظل العروبة الالادينية . كما حدث في الحكم العثماني بعد عزل عبد الحميد (أى في ظل الاتحاديين) .

اما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقطون مع المسيحيين في الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقفون تحت تأثير ماتوهموه من أن النهضة الاوربية الحديثة كانت .. للرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية وهو وهم لا يثبت للتمحيص فالحركة الدينية البروتستانتية التي تمددت على الكنيسة الكاثوليكية لم تخجل من اصلع الصهيونية وكان همها الاول هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت اكبر المؤسسات التي تناصب اليهود العداء والبروتستانت اليوم هم اشد الطوائف المسيحية عطفا على الصهيونية واكثرها مساندة لهم ماديا ومعنويا ثم ان الازدهار الذي حققه في اوروبا لم ينتفع به احد كما انتفع به اليهود في جمع الثروات في ايديهم والسيطرة على شئون السياسة والاقتصاد مما افسح الطريق امام تعويمهم الى نشر الاتحاد والاحتلال الذي ينفذون منه الى السيطرة على مصائر الامم والامساك بزمامها هذا كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان وهي شعارات لم ينتفع بها غير اليهود ولم ينتفع بها زنوج امريكا وقد اعترف عزيز ميرهم (السياسة الاسيوية ١٩٢٦) بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة في فرنسا وایطاليا هم الماسونية وأن زعماء الثورة الفرنسية كانوا من الماسونون وأنهم هم الذين وضعوا الشعار ا حرية - اخاء - مساواة وان ترجمة ذلك دستورها يفضل محاكمتهم .

والنهضة الاوربية انتهت الى تنتهي الجامعة

امة واحدة ويعتبر الوطن الاسلامي وطننا واحدا ولا ينكر للوطنية ولا للقومية بل يرى الجامعة الاسلامية ثمرة تلى الدائرة القومية والتى تلى هى الأخرى دائرة الوطن الذى نشأ فيه المسلم .

« فقط ينكر الاسلام ويستنكر القومية اذا عنت العصبية الجنسية والفتور الكاذب ، أما اذا عنت بالاعتراض والازايا والتاريخ مما تحتاج اليه الامم الناهضة عندما تواجه التحديات التي تحول بينها وبين النهوض » .

وهكذا وضع الاستاذ البنا قاعدة الائتماء في حلقاته الثلاث التي تتكامل وتحصل الى الغاية من اقامة الوحدة الاسلامية العالمية ، لا أن تنشر في مذاهب الاتالية أو الاممية المعاصرة التي يدعى بها الغربيون والصهيونيون والشيوعيون وكلها ذات ولاء واحد .

وإذا راجعنا نظرية الاستاذ البنا الآن بعد خمسين سنة وبعد تجربة القوميات التي خاضتها البلاد العربية رأينا ان الامر يكشف عن حقائق كثيرة ويقدم تحفظات كثيرة ازاء المحاولات المتتجدة للدعوة الى القومية العربية بمفهومها الوافد المفرغ من عنصره الاسلامي الاصيل ونحن نطالب الان بدعاوة ذات اصلة تضع العروبة في مكانها الصحيح من الوحدة الاسلامية كمقدمة لها ومنطلق اليها ، بعد أن اثبتت التجربة أن الذين قاموا بالدعوة الى القومية لم يكونوا مؤمنين بقاعدة الحلقات الثلاث المترابطة ولم يكونوا ينظرون الى العروبة على أنها حلقة من حلقات الوحدة الاسلامية العامة ، فضلا عن انهم بالغوا ببالغة خطيرة في اعلاء القومية على نحو العنصرية ، اعلاء بلغ بهم الى الحد الذي انكره الاسلام من العصبية واستعلاء العرق والدم الذي جاء الاسلام للقضاء عليه .

ولقد تقرر في فجر البیقة الاسلامية : أن الاسلام وطنية المسلم وقوميته ، وأن العربي منذ اليوم الاول حين اسلم أصبحت حماسته وعصبيته للاسلام لا لقبيلته ولا لغيرها ، يحمي ارض الوطن لأنها نبضة الاسلام ، لأنها المسجد ، فالمسلم مسلم اولا وعربي ثانيا .

\* \* \*

١٦

العلة بين العروبة والاسلام قضية دقيقة يجب ان تتناول من منطلق عقائدى صادق الایمان بالاسلام نفسه ، بعيدا عن مغالطات القوميين الزائف ، وعلى نحو اصيل بعيد عن الظن والخداع .

الأوربية المسيحية وتقسيمها الى دول شتى لكل منها لغتها الخاصة وقوميتها المستقلة .

ويصل الدكتور محمد محمد حسين من هذا الى عمق الفوارق بين مفهوم القومية في الغرب وحلقاتها التاريخية وبين مفهوم (العروبة الإسلامية) ومسارها الحقيقية ، وهى حلقة سابقة ومؤهلة وموسدة للوحدة الإسلامية أساساً ولبيت منفصلة بنفسها أو مؤمنة بفلسفات الاستقلال القومي العربي وهى تغير وحدة التاريخ الإسلامي ووحدة اللغة ووحدة العقيدة منطلقاتها الحقيقة وأبرز ما تحالف فيه الغرب أنه لا يوجد في أفق الإسلام جهازان يتنازعان السلطة ديني وسياسي كما لا توجد سلطة دينية متحكمة كسلطة الكنيسة التي ثار عليها المسيحيون في نهاية القرون الوسطى ولقد كانت مختلف العناصر تساهمن في التطور الحضاري على مدى القرون والأجيال : وخاصة العناصر العربية غير المسلمين لم تجد هذه العناصر غضاضة في بناء الحضارة الإسلامية فالإسلام يمنع هذه العناصر كل حررياتها الدينية ويشترط التضييق عليها أو ممارسة أي كون من الوان الضغط عليها لحملها على ترك دينها ونصل إلى القرآن الكريم في تأمين اليهود والنصارى ورعاية حقوقهم واضحة جلية والدليل الناصع على أن المسلمين اتبعوها على مر الأجيال وعلى اختلاف الدول وعملوا على انصاف أهل الكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى أموالهم وكنائسهم وأعراضهم .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن البلاد العربية ليس لها تاريخ في العروبة يسبق الإسلام بل إن عروبتها في الحقيقة تتبع عن إسلامها ، هذه العروبة لم تجئها إلا من طريق الإسلام وبسبب ذلك أن الإسلام دعا المسلمين أن يحبوا العرب ويلاقوا حول رأيهم ويتخذوا العربية لغة جامعة تشملهم .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في المستدرك : (من أحب العرب قبّحني أحبهم ، ومن أبغض العرب نبغضهم ، أبغضهم) قوله : (احبوا العرب ولقائهم فان لقائهم نور في الإسلام وان فناءهم ظامة في الإسلام) وقوله : (إذا ذلت العرب ذل الإسلام) وقوله : (إن العرب واحد وإن الأب واحد وإن الدين واحد ، من تكلم بالعربية فهو عربي) .

وهكذا نرى أن الإسلام هو الذي أعطى العرب لغتهم ووحدتهم عليها وعلىقيم التي تضمنها كتابه وسنة رسوله فاللهم قلوبهم وعقولهم وأزمنتهم على ما يحلون وما يحرمون وما يحبون وما يكرهون .

وهكذا كانت العلاقة بين العروبة والاسلام فمتي نشأت الفرقة ؟ .. جاءت الفرقة حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القومية العربية ، وكان العرب يشكلون الجزء الأكبر من الدولة العثمانية واتخذت الدعوة شكلًا ثقافيا هو بعث التراث العربي وإنشاء صحفة ومسرح عربي وأن تكون العربية لغة الدواوين والقضاء والتعليم بدلاً من اللغة التركية لقد نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد طائفة لهم صلة بداعية المذهب الانجليزي البروتستانتي من الامريكان : الشرياق ، البستاني ، البازحى ، سليم تقلا ، جرجى زيدان .

كانت الجامعة الإسلامية هي الرابطة التي تربط أجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطة العثمانية التي جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلقب سلاطينها بلقب الخلافة الإسلامية في القرن العاشر المجرى ( ١٦ الميلادي ) وقد زاد نفوذ هذه الجامعة في قلوب الناس منذ أخذ السلطان عبد الحميد يدعهمها ، يدعوا الناس إلى الالتفاف حول رايتهما ، والاعتصام بها في وجه الاطماع الاستعمارية التي كانت تنتظر الوقت الملائم لاقتسام أملاك هذه الدولة .

وكان هناك فريق ثان واقعا تحت تأثير الدعوات الإسلامية كان يرى التفرقة بين الخلافة والسلطنة ، يجعل الخلافة في العرب ، السلطة في الترك وحاجتهم في ذلك أن العرب هم أقدر الناس على قيم الإسلام وتبليغه وكان ذلك أى الكواكب وأصحا في كتابه ( أم القرى ) وادندعوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية .

وكان هناك فريق ثالث واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التي اشتدت حركتها في أوروبا في القرنين ١٨ ، ١٩ وكانتا يتصورون الجامعة تصوراً قومياً خالصاً ويجرونها من كل صلة بالدين وهمهم الأول : إنشاء دولة عربية مستقلة على النمط الغربي : الديمقراطية والجنسين النيابي ويتوصلون بها إلى إنشاء دولة عربية كبيرة مقصورة على الجنسين اليمين لما تسميه الآن بالعالم العربي ، أى القسم الآسيوي وهذه ، وكانوا واقعين تحت نفوذ الفكر المستمد من كتاب الثورة الفرنسية ومفكريها ومن فلاسفة عصر النهضة الالييرالية في أوروبا الذين ولوا في صدامهم مع الكنيسة إلى تسلل السلطة الدينية عن السلطة المدنية هذا الفريق يلتقي في تفكيره مع غالبية القومية من الترك الذين يدعون إلى القومية الطوائفية الذين كان أكثرهم منضماً إلى حزب الاتحاد التركي هكذا نشأت فكرة القومية متلية بمقاهيم وأفداء كان هدف التقدّم الاجنبي والصهيونية أن تصبح حقيقة

المراحل الواسعة على طريق العروبة والاسلام وأصبح لا يقى أمر في هذا الوطن العربى او العالم الاسلامى من دونها وهو خيال ضال بعد اربعة عشر قرنا في طريق التوحيد وأصبح مكرها الاسلامى ولغتها العربية هو فكر المواطنين جميعا وتراثهم جميعا ، وبعد أن ثبت بما لا يدع مجالا للشك لاصحاب الاهواء من حاولوا ذلك من المؤرخين ، ان هناك ( انقطاع حضارى ) لا سبب الى تجاوزه الى ما تخلل رسالة الاديان من الوثنية مرة أخرى او ان ما تبقى من شظايا قليلة الاهمية مما يحاولون بعثه وتجديده يمكن ان يشكل قرائنا او لغة او ثقافة ، او أى مظهر من مظاهر الارتباط او ما يمكن ان يكون عاملا من عوامل الاحياء ، ولقد جاءت المسيحية يوم جاءت تهدم هذا التراث الوثنى وقد حاربته ثلاثة عام وقدمت في سبيل هدمه الوف الشهداء والضحايا لتقر كلمة التوحيد الحقة التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام ثم جاء الاسلام فتفضى على هذا التراث نهائيا .

عبد باد عبد

ولكن ليس معنى هذا ان نغمض الطرف عن الآثار الفرعونية فهى مفترزة من مفاخر هذا الجنس العربى الذى جاء من الجزيرة العربية وعرف اليمان بالله وكانت الموجة الفرعونية أصللا صادرة من جزيرة العرب وهى تمثل مرحلة ضخمة من مراحل الحضارة والتقدم ، وقد ثبت القاموس الذى أعده أحمد كمال باشا ان أغلب الكلمات الفرعونية ذات أصل عربى ومثل هذا يقال في الموجات الفينيقية والاشورية والبابلية والبربرية وذلك تحقيقاً تارىخياً استفرق أعماماً وأعوااماً حتى قيلت فيه كلمة الحق بعد أن استفاته مؤامرات الفرزء الاستعماري والقىافى في الثلاثينيات .

ويقول الاستاذ احمد بهجت : لقد اختارت مصر الاسلام والعروبة منذ ما تقرب من الف سنة ولعبت دورها كامة مسامة عربية على امتداد الالف سنة .

هل تنتمى مصر الى الملك رمسيس الثاني أم تنتمى الى عربتها واسلامها ؟ هل ممكن أن يفخر أحد المصريين اليوم بانتسابه الى الومياوات الحنطة ويجزوز الدجل الفرعونى المثالى ، هل يفضل أحد هذا على نظافة العقل المسلم ودوره كخليفة الله في الأرض ، أن عروبة مصر واسلامها حتمية واقعية الى جوار أنها واقع تاريخى

\*\*\*

مسلم ، ومن ثم جاءت الموجة التالية موجة ساطع الحصرى ومبشيل عفلق ، التي قدمت مفهوم القومية العلمانية المتبعة بالاشتراكية والماسونية وغيرها .

وكان هذا الاتجاه هو التيار الذى سقط سقوطاً شنيعاً لأن الوجдан العربى لم يقبل به ، وبذلك انفسح الطريق لمفهوم الحقيقى : مفهوم الاصالة القائم على حلقات الوطنية والقومية والجامعة الاسلامية .

\*\*\*

( ٧ )

ونصل الآن الى مصر الاسلامية : ما موقفها في قضية الانتقام :

لقد كانت مصر المعاصرة بكل ما تحمله من تفوق فكري أو مركز قيادى أو مكانة اجتماعية هي من عمل الاسلام ، فالاسلام هو الذى اعطىها كل هذا الفضل الذى تميز به ولم تعطها الوراثيات التاريخية من قبله الا امتدادها بالحنينية السماحاء الى الدين الخاتم ، أما ما سوى ذلك فان ذلك التاريخ القديم لم يلبث الا قليلاً حتى ذهب وذهبت معه اللغات القديمة ووقع ذلك الانقطاع الحضارى الذى اقره علماء التاريخ ولم تعد الفرعونية الا مرحلة من مراحل الوثنية وعبادة الاصنام وكل محاولة اليوم لبعث هذه الفرعونية فانا لا نجد من الوسائل التي تعتمد عليها الدعوات شيئاً ما تستطع ان تستند عليه .

ان تراث الوثنية الفرعونية قد قضت عليه المسيحية المنزلة وتنسى عليه من بعدها الاسلام وليس هناك شيء مما يعتز به تاريخ الفرعونية الا وهو من احمد مصطفى :

نبوءة ابراهيم الخالى الحنفيتة ، وتراث الاديان المنزلة او من ميراث العرب الذى جاء الفراعنة منهم موجة من موجات الهجرة من الجزيرة العربية ، شأنها فى ذلك شأن موجات الفينيقية والاشورية والبابلية وغيرها من الموجات التي تحاول أن تستعلى بتنفسها عازلة نفسها عن مصدرها الأصيل .

وإذا كان هناك بعض الذين يعملون في الصحافة والاذاعة من يروجون بتأمر من قوى خارجية لا يسمى ( الایتولاجا ) وهى المصرية القديمة : بحسبانها عقيدة او لغة ولكن هذا كله هباء ، بعد ان قطعت مصر تلك

(٨)

وبعد فان المستقبل هو الوحدة الاسلامية ، وعودة  
الخلافة .

فالاسلام دين عالى ، والشعوب الاسلامية بصرف  
النظر عن الجنسيات والقوميات واللغات انما هم اخوة في  
الكافح المشترك من اجل نشر تعاليم الاسلام والدفاع  
عنها وتطبيقاتها والقضاء على الاضطهاد والاستبعاد  
والتفرقة واستغلال الانسان للانسان والشعوب  
الشعوب الأخرى ، ولذلك فان الطريق بعد سقوط  
الاتليبيات وغشيل القوميات هو الوحدة الاسلامية  
الشاملة وفي سبيل الطريق الى وحدة شاملة يجب كسر

حواجز التغريب والغزو الثقافي والمخططات التلمودية  
الصهيونية واليهودية والماركسيّة والعلمانية وما يواجهه  
الى العقيدة والتاريخ والسيرة واللغة العربية والقرآن  
من شبّهات ومحاولات لاثارة الشكوك والمنهج الاسلامي  
هو العامل الاكبر في جمع المسلمين الى وجهة واحدة .  
ولأن من كسر قيود القانون الوضعي والمنهج الربوي  
وعلمانية التعليم وكل ما يطرح في افق الفكر الاسلامي  
من فلسفات مادية ضالة . لا بد من تجاهلة العلاقة بين  
الديمقراطية الغربية والشوري في الاسلام وما بين  
الاشتراكية والعدل الاجتماعي وما بين القومية الغربية  
والعلاقة بين العروبة والاسلام ولا بد من التحرر من  
المنهجين الشيوعي والرأسمالي لأنهما غربيان عن الاسلام  
والعالم كله يتربّصون اليوم منهجا جديدا وليس سويا  
الاسلام .

\* \* \*

# الباب الحادى والعشرون

## أسلامة المصطلحات المعاصرة

### الفصل الأول

#### مدخل إلى البحث

بميزان الاسلام والعدل ونقيسها على مك الشرعية الغراء ونعمل جاهدين على نبذ واستبدال مالا يصلح منها بمصطلحات اسلامية اقدر على تمثيل ثقافتنا والتعبير عن اخلاقياتنا .

ويجب أن تكون هناك قواعد أساسية في النظر إلى المصطلحات الوافية أهمها الفوارق العميقة بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي فكلمة ليبرالية التي يترجمونها بالحرية لها في الغرب مفهوم مختلف وكذلك الديمocrاطية التي يترجمونها بالشوري في الاسلام ، هناك فارق كبير بين المصطلحين .

وهناك مفهوم ( الخطية ) المرتبط أساساً بمفهوم المسيحية في نظرية فداء السيد المسيح للبشر ، وهو مفهوم لا يقره الاسلام وعن الخطية ينتشر فكر وقصص لا حد لاضطرابه وهو في ميزان الاسلام له مفهوم مختلف .

كذلك فإنه لغبنة النزعة المادية في الفكر الغربي فهناك مصطلحات مختلفة لا يعرفها الفكر الاسلامي مثل ادرية ، ولابيك ، والاغتراب ولمصطلحات أخرى مفهوم مختلف ومتباين . فالعقلانية في الاسلام جزء من تكامل جامع للعقل والروح ، والتطور في مفهوم الاسلام مرتب بالثوابت وفي الفكر الغربي قائم على مفهوم التحول الدائم .

وهكذا دعا الخلاف بين مفهوم الاسلام القائم على التوحيد الخالص واسلام الوجه لله والايمان بالوحى والنبوة وبين مفهوم الفكر الغربي المرتبط بالوثنية اليونانية والعبودية الرومانية والتثليث المسيحي الى خلافات عميقة ..

من القضايا الكبرى التي تواجهها يقظة الفكر الاسلامي هي أسلامة المصطلحات المعاصرة والتحرر من التبعية لها في نطقها ومضمونها الوافد ، وكذلك فعل المسلمين في العصر الأول عندما واجهوا تراث الحضارات القديمة ، وكذلك فعل الاوربيون عندما ترجموا تراث الاسلام العلمي ، ايماناً بأنه لا يمكن فصل المصطلحات عن ملابساتها الفكرية التي تؤمن بها ولا يمكن نقلها كما نقل الفاظ الاختراعات والعلوم .

ويقول الدكتور حسن الشرقاوى : ان تطبيق المفاهيم الفرنسية وفرض مناهجها عسفاً على الأمة الاسلامية في مجال العلوم الانسانية هي بمثابة عملية غزو فكري يحمل في طياته أضراراً مادية وخلقية بالغة الخطورة .

وتكون خطورة العمل بالمصطلحات الغربية عن الاسلام وتطبيقاتها في مجالات العلوم الانسانية في توجيه الفكر توجيهاً بعيداً عن القيم التي تتبناها الأمة والمفاهيم التي تمثل ثقافتها ومتلها وآخلاقها ، ولا شك أن مفاهيم الغرب تتبع من نظرة مادية وعلمانية تفصل بين العلم والدين وتستقى أصولها من موقف الحادى لا يعترف بالله تعالى ربا وحالقا .

وقد أصبح تزويد هذه المصطلحات بوعي أو بغير وعي أمراً ملوفاً لدى غالبية المتعلمين تبدو في عملية التأثير بالسلوك الأخلاقي الغربي ومن ثم في اتباع أسلوبهم في التفكير والنهج والحياة .

ومن هنا كانت ضرورة النظر الى هذه المفاهيم الغربية نظرة الفاحص الليب لا نظرة المفكر ، وعليينا أن نضع مفاهيم الغرب ومصطلحاته في حجمها الطبيعي ونزنها

مفهوم الاسلام الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب على اساس ان الانسان نفسه قبضة الطين ونفخة الروح . وأبرز مفاهيم الاسلام التي يجب ان يكون لها اثيرها العقلي على المصطلحات المعاصرة هي « التكامل » حيث يقرر الاسلام ان الانسان يجمع بين الحس والفهم والعقل وأنه عقل وقلب وتفكير وعاطفة وأن الغاء أحد هم هو بمثابة خروج على افطرة وعكس اطبية الانساني وأن اليقين اصل والشك عرض وتقوم النظرة الاسلامية عن اقتناع العقل وتصديق الفكر . وتمثل في ثقة القلب وطمأنينة الروح وواقع الانسان متكامل ( بيلوجي ونفسى وعقلانى وروحى ) وكلما اهمل أحد الأركان وقع في الأزمة والصراع وواجهه التمزق النفسي وكذلك في عالم الاجتماع فكلما كانت النظرة اقليمية او قومية او وطنية او ادبية تكون ناقصة وغير قادرة على الكمال والشمول .

وإذا كان العالم منقسمًا الآن إلى تيارين : تيار الليبرالية الرأسمالية وتيار الاشتراكية الماركسية ، الأولى تعلق شأن الحرية الفردية والآخرى تعلق الجماعية وتسقط مكانة الفرد .

والعالم اليوم ممزق بين التيارين :

فإن هناك تيار ثالث هو تيار الاسلام الجامع بين الفردية والجماعية في توازن واتساق وفيه خير ملائكة الذهبين ، وقد خلا من شرهما .

فالفرد في الاسلام المجتمع ، والحرية منضبطة . وحق الضمير فريضة وليس هناك اباحة مطلقة وليس الانسان ترسا في آلة والقيمة الخلقية هي القاسم المشترك الاعظم للحياة الاجتماعية والحضارة وقد أعلن الاسلام حقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا وطبقها في مجتمعه منذ ذلك اليوم ، وقد احترم حريات الناس وحق الفئات المختلفة غير المسلمة وأمنها على أموالها وأعراضها ومعابدها .

ومن الدعائم الأساسية في مواجهة المصطلحات الافريقية : مفهوم ( الثوابت والمتغيرات ) الذي قام عليه الاسلام في مواجهة فكرة المطلق وفكرة النسبية الغربيتين وقد عرف الفكر الغربي فكرة ( الثبات المطلق ) التي قال بها أرسطو وعاش عليها الغرب طويلا حتى تغير تحت تأثير المذهب التجريبي الاسلامي فانتقل من فكرة الثبات المطلق الى فكرة الحركة المطلقة او التطور المطلق التي قال بها دارون وسبنسر ووصلت الى قمتها في فكر ( هيجل ) وكل النظريتين مرفوضتان في الاسلام لأن كلها منها تأخذ جانبا واحدا ليس بسيطرة سيطرة كاملة ، أما الاسلام فهو يقر مفهوم ( الثوابت ) التي جاء بها المنهج الديني والقائم على تقرير واضح للأخلاق والقيم

وأخطر هذه المصطلحات : مصطلح ( الشيوقراطية ) الذي لم يعرفه الاسلام وهو مذهب يقوم على سيطرة رجال الأديان على الحكم ، وهى دعوة قائمة على نظرية الحق الالهى الذى يعتبر الميشيشة الالهية مصدرا للسلطة الزمنية .

والاسلام لم يعرف هذه الحكومة في تاريخه ، كما لم يعرف الخلاف بين الدين والعلم كما عرفته اوروبا ولذلك فان مقايسة الفكر الاسلامي على هذه المواقف التي حدثت في تاريخ الغرب هي مقايسة باطلة .

كذلك فان هناك تفسيرات باطلة لمصطلحات اسلامية ، كموقف الاستشراق والفكر الغربي مثلا من ( المعتزلة ) المعتزلة فرقة اسلامية من فرق المتكلمين والعقائid ، دافعت عن الاسلام في وجه المحاورات المسيحية الكلامية ولكنها انحرفت بعد واستعملت عن وجودها الطبيعي في اطار الاسلام ، ولذلك فالمسلمون لم يقبلوا منها وأعادوها الى موقعها الطبيعي من المنظومة الاسلامية الجامعية لكل عناصر الفكر وفرقه .

ولكن المستشرقين شاعت لهم خصومتهم للإسلام أن يصفوهم بأنهم أغارتة الاسلام ، كذلك أعلوا من شأن التصوف الفلسفى الذى يختلف مع مفهوم التوحيد الحالى .

وسيطرة المصطلح الغربى هي التي حملت الكتاب الى اعلاء مايسى ( بالعقلانية ) في محاولة للتقليل من شأن الوحي أو النقل وهو ( القرآن والسنن ) ومن ذلك قولهم انه اذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وهو مفهوم خاطئ فان العقل أداة فحسب أما الوحي فهو الضوء الذي يكتشف الطريق أمام العقل ، والعقل متغير ارای . أما الوحي فثبتت ومن مصطلحات الماركسية : فكرة الحتمية وهى جزء من مفهوم المذهب المادى وهى ان العالم مسيّر لا مخبي ، وكل ما يقع في العالم من احداث هو من عمل الانسان ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعا غالا اختيار الظروف الاقتصادية ( نابليون وكرهومول وقيصر ) .

وهذا كله يختلف مع مفهوم الاسلام الذي يقرر المسؤولية الفردية ويقر اراده الانسان القادره على التغيير ، والتى هي موضع الحساب والجزاء .

وقد تردى الفكر الغربى بين طرفين : المادية والمادية وبين الراهبانية والاباحية وهو اليوم في مرحلة المادية الاباحية ومن ذلك مفهومه الفلسفى القائم على التفسير المادى للتاريخ والحضار ( او هو مفهوم تشتراك فيه الليبرالية والماركسية جميعا ) وهذا المفهوم يختلف عن

أبجديات لاتينية واحدة يفعلون مثل ذلك وقد أشارت الصحف الى المحاولات التي تقوم الأكاديمية الفرنسية بها لتطهير اللغة الفرنسية من المصطلحات الانجليزية ، بل لقد قدمت الأكاديمية عبارات بديلة فطابت باستبدال كلمة ( كليوبنج ) الانجليزية التي تستخدم في مصطلحات الاقتصاد بالكلمة الدارجة ( كومبا لساسيون ) كما طابت بتحاشي استعمال كلمة ( ديسكاونت ) الانجليزية ويجب استبدالها بأى من الكلمات التالية ( ريسوتون - رابية ) الخ وكلمة « لورك » الانجليزية وتوجد في الفرنسية كلمات مثل ( ابرانس أو أسبع ) الخ وأوردت الصحف كلمات أخرى ، وتنصب هذه التحذيرات على بعض النقاط الدقيقة في قواعد النحو الفرنسي . وبالنسبة لما يتردد كثيراً هذه الأيام من كلمات الحرية والعلمانية والعلقانية في عالمنا الإسلامي يقول الدكتور حسن الشرقاوى : ان هناك سوفيسطانية جديدة تحاول أن تجعل من الحق باطلًا ومن الباطل حقاً ، وتحاول من العقليات مركباً تهاجم به الدين القيم والشريعة السمحاء ، دون أن ندرى أن الشوابت التي أدخلت نفسها فيها مغلقة ومحددة وعاجزة عن التعرف على حقيقة الدين ان العقل وحده لا يهدى الى حقيقة الدين ، إنما الدين هاد للعقل وإذا لم يرتبط العقل بالإيمان فانه ينزلق ويقع في المشابهات ورغم أنه المحك والمعيار للتمييز بين الصحيح وال fasid من الأمور المحسوبة والملموسة وكل ماله طول وعرض وعمق ، الا أن العقل لا يستطيع ان يخوض في ساحة المعرفة الربانية دون أن يتسلل بسلاح الإيمان والا وقوع في الضلال والشطط ، وذلك لاتباعه الظن والوهم ، فالعقل اذا أراد أن يتدخل فيما ليس له عام ولا هدى ، يصوغ أفكاره تحت قوالب جامدة ويحدد معاييره في تقيينات محددة ، يحاول بها أن يفرض قانوناً جديداً ما أنزل الله به من سلطان ، ولقد حاول الفلسفه والمفكرون أن يضعوا أنفسهم في قوالب ليثبتوا أو ينفيوا حقيقة الدين ، وفي الحالين أخفقاً كبيراً وكلما صاغ أحد الفلسفه نظرية في أصل الوجود أو ماهية المعرفة جاء فيلسوف آخر فثبتت فلة علمها وتهافت منطقها وضعف حججها وأسانيدها ، ثم جاء بنظرية أخرى ليثبت أصل الوجود وذلك عن طريق قوالب اصطناعها لنفسه ، الا أن نظريته هي الأخرى لا تتصد عن النقد فما يليث أن يظهر غيره تهافتها وضعفها وبعدها عن الحقيقة .

\* \* \*

وهكذا ينافق المفكرون بعضهم بعضاً ، ويعلن أحدهم أنه اكتشف الحقيقة وهو واهم ، وأنه وصل إلى الحق ، وما يتبع إلا الظن أو ما تهوى نفسه ، وهكذا فان

المعروف ان الحدود والضوابط لا تتغير مع فتح باب الحركة والاجتهد والتغير والتطور بما يناسب العصور والبيئات بالنسبة للفرعويات . وهو تطور يجرى في دائرة الثوابت ولا يصادم متغيرات المجتمعات أو الحضارات .

ومن هنا فان نظرتنا الى مصطلح التطور الغربي يجب أن تكون قائمة في إطار مفهومنا الإسلامي ، كذلك فان من خطأ المصطلح الغربي أن يعتبر كل تطور تقدماً وليس هذا صحيحاً على إطلاقه وإنما يعني التطور الانتقال من مرحلة الى مرحلة أخرى نتيجة لظروف وعوامل متغيرة .

والفلسفة المادية والفكر الغربي الحديث يقوم على اساس انكار وجود الله تبارك وتعالى فهي تضع بدلاً من اسمه الأعظم : كلمة الطبيعة . ونحن يجب أن نحترز لذلك تماماً فان الطبيعة هي من صنع الله عز وجل وأنها مخلوق له ولها خالق ولا يمكن القبول بمفهوم ان الطبيعة أوجدت نفسها .

وعلينا أن نحذر أبداً من كل ما يترتب على نظرية الطبيعة وانكار وجود الخالق ، ويقرر الباحثون ان الفلسفه الماديين ملحدة لأنهم قالوا ان للمادة وجوداً مطلقاً وأنها قادرة على الاحركة والحياة ، والدهريون ملحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه بما فيه مبني على الاتفاق كما أن علينا أن نحترز من قول بعض الفلسفه ان الأجسام لا تحيط وان الله تبارك وتعالى جل شأنه لا يعلم الجزيئات او القول بوحدة الوجود فان هذا كله انكار لعلوم من أصل الدين بالضرورة وكان صاحبه كافراً بأصل من أصول الدين .

\* \* \*

وقد خطأ الإمام الفزالي الفلسفه الذين أرادوا أن يزيفوا كل شيء بميزان العقل فكان الدين في أيديهم آلة خادمة للفلسفه فكان خطرهم على الدين والأخلاق ، وكذلك خطأ الذين رفضوا وظائف الاسلام والعبادات واحتقرروا شumar الدين وانكروا الشرائع والنحل وجدوا نضل الاديان والملل . وكذلك خطأ الفلسفه الذين أهملوا احكام الشريعة وتحدىوا عن رفع التكليف فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة .

وليس هذا الذي ندعوه اليه غريباً في الفصل بين الام وثبتت وجه التمييز بينها بل ان هؤلاء الذين تجمعهم

وتعبا . ولما عجز المفكرون المحدثون عن الوصول الىحقيقة واحدة فيما يتعلق بحقائق الدين تركوا أنفسهم للهوى ، وبدأوا في الطعن في حقيقة الدين الذي أنزله الله كهاد للناس واعتبروه معطلاً لتقدير العقل البشري والنشاط العلمي وطعن بعضهم في السنة المحمدية توطئة للطعن في أصل الدين وهذا الأسلوب المعاصر قد خطط له الماركسيون واللحدون حيث فشلوا فشلاً ذريعاً في اخراج المرء عن إيمانه » .

المفكرين الذاتيين برغم استخدامهم عقلهم لم يصل أحد منهم الى حقيقة واحدة متعلقة بأصول الأشياء او بحقائق الواقع او المبادئ الأولى . ان محاولات الفلسفه والمفكرين هي مجرد تخمينات وفرض لم تثبت صحتها كما لم يستطع اي منهم عن طريق القوالب العقلانية التي اصطنعوها كتسليج فكري ان يصطنع منها مقبولاً يوافق الحقائق الكونية ، اما هي تخمينات وتخيلات وأسفات أحلام لا تستطيع ان تقييد المتعطش الى المعرفة الا نسباً

\* \* \*

## الفصل الثاني

اتسع نطاق الفلسفات . فشملت الفلسفة المادية  
وما وراءها من مذاهب وانحرافات .

والفلسفات الفريبية القديمة هي المنطلق لظهور الفلسفة المادية الحديثة وهي في مجموعها تقوم على انكار وجود الله تبارك وتعالى وقد صدرت بمفاهيمها المادية في مواجهة اتحadiات التي قامت بين العلم والكنيسة في العصور السابقة والتي اوجدت هذه الخصومة الشديدة في مواجهة الدين بصفة عامة فهي ترى أن الدين عائق عن التطور وهي تعنى ( الدين الغربي ) الذي صارعته ولكنها لا تعرف أن الدين في الاسلام مفهوم مختلف ، وأن الاسلام ليس دينا لا هو تي اقاصرا على العلاقة بين الله والانسان ولكنه دين جامع يمتد الى العلاقة بين الانسان والمجتمع وأن الاسلام هو الذي انشأ المنهج العلمي التجريبي فلا صراع بينه وبين العلم اساسا ومن الخطأ بين ائتنا ندرس الفلسفة في مدارسنا وخاصة في التعليم الثانوي فتترك في نفوس الناشئة بذرة الشك والالحاد حيث يعتقد الشباب المسلم انه امام ( علم ) وليس امام نظريات وفرضيات قابلة للخطأ والصواب واتها فروض وافدة من حضارة أخرى لها ظروفها وتحدياتها و اذا راجعنا النظريات التي وادتها الفلسفة الغربية تحدوها كلها تقوم على :

١ - النسبة ٢ - المنفعة ٣ - التطور المطلق  
٤ - الجنس ٥ - حيوانية الانسان ٦ - دافع  
المعدة - الع ..

أما الأسس الفلسفية للمذهب المادي فهو يقوم على أن الإنسان سيد نفسه وماك مصريره فهو وحده المسؤول عن أن يشرع لنفسه في السياسة والاقتصاد والاجتماع وسائل نواحي حياته وأنه لا موجود إلا المادة ، وأن المادة أزلية لم تخلق وأن تفني وأن كل ماق الوجود من أشياء إنما تكونت بمحض الصدفة وأن فلا الله ولا ملائكة ولا جن وأن فالآديان كلها باطلة ، وأن فلا بعث ولا نشور ولا حساب ولا جراء ، وأن كل ما نسميه عقلا أو نفسا أو روحًا أو فكرا إنما هو شكل من اشكال المادة وأن كلات المادة هر كاتها خاصصة لقو إنن طبيعية لاتختلف

ان موقف الاسلام من الفلسفة واضح . فقد جاءت الفلسفة لتفسر الغامض الذى كان يبحث عنه الانسان . من شئون الغيبات والمحير وعوالم الجن والمعاد وغيرها وكان الفلسفة يحاولون أن يضعوا تصويراً لهذه الجوانب واجبات لهذه التساؤلات فلما جاء الاسلام ونزل القرآن قدم للبشرية منهاجاً كاملاً لعالم الغيب الذى يسمونه (الميتافيزيقاً) بحيث لم يعد الانسان معه في حاجة الى البحث عن ذلك المجهول ، وقد أراد الحق تبارك وتعالى أن قدم للانسان هذا المنهج حتى لا يشغل وقته ولا يضيع جهده في البحث عن تصورات لن يصل منها الى شيء ، وحتى يدفعه الى السعي في الأرض وعمرانها وتلك مهمته الحقيقة .

ومن هنا كانت نظرة الاسلام الى الفلسفة القديمة فكلها تصورات فلاسفة قائمة على الاحتمال والظن والمحاولة والفرض والتى هي مجال النظرية البشرية التي تخطىء كثيرا . ومن هنا كان من الضروري أن يؤمن المسلم بأنه لا حاجة له مطلقا بهذه الفلسفات المسيطرة بعد أن أمده الله تبارك وتعالى بالمنهج الأصيل .

ولقد وقعت الأزمة الشديدة عندما ترجمت الفلسفة اليونانية وقام بعض المفكرين بالربط بينها وبين مفاهيم الإسلام ( ابن سينا والفارابي ) واختلطت عليهم الأمور وعجزوا عن تقديم ما يوافق التوحيد الخالص وتبين من بعد أنهم كانوا يعملون لحساب حركة الباطنية التي أفرزت ثورتى الزنج والقرامطة والتى كانت تعمل على هدم الدولة الإسلامية وواجه علماء المسلمين هذه المحاولة وكشفوا زيفها ( ابن حنبل والشافعى والغزالى وابن تيمية ) في المقدمة ، ثم أعيدت المحاولة مرة أخرى في العصر الحديث على أيدي دعاة التغريب والغزو الثقافى بهدف تزييف مفهوم الإسلام الأصيل الناصع القائم على التوحيد الخالص . وكان لسيطرة النفوذ الأجنبى أثره العميق في فرض الفلسفات القديمة والمادية على مناهج التعليم وتأثير الشباب المسلم بهما ومن هنا كان لابد لحركة الينظرة الإسلامية من وقفة ازاء هذا الخطر ، خاصة بعد أن

الشخصية ومصالحه وأنه ما انقسم إلى مختلف الشعوب والقبائل والطبقات إلا لأجل ما كان في نفسه من أثرة وحب الذاته ، وما نشأ بين الطبقات والشعوب من الحروب والمنازعات إلا بسبب هذه الأثرة الذاتية والى هذه المصارعة الطبقية يرجع الفضل فيما رزقه الإنسان من تقدم وارتقاء .

وهذا مفهوم زائف وخطيء فالاسلام لا يقر الصراع الطبقي ولا الصراع الاجتماعي ويقيم مناهج الحياة على أساس التعارف والالقاء .

ولقد حاولت الفلسفة أن تكون بديلاً عن الدين في تفسير أمور الطبيعة ولكنها عجزت أن تحقق شيئاً ، ومن ذلك خطأها في الادعاء بأن الدين عائق عن التطور ، كذلك من أخطائها أنها تعتمد على العلم التجريبي المتغير ، والذى يفسد بسرعة ، وما قال الغرب أن الدين عائق عن التطور إلا لأنه عرف اليهودية وال المسيحية فقط ولم يعرف الإسلام ولو عرفه لما قال ذلك بحق ، ولما كان الغرب لا يملك منهاجاً اجتماعياً متكاملاً جاماً بين العقيدة والمجتمع (أذ أن منهجه قائم في اليهودية لا في المسيحية) فإنه يبحث عن أيديولوجيات . أما المسلمين فأنهم لا يحتاجون لذلك .

Three small, dark, five-pointed decorative asterisks arranged horizontally.

ان الفكر الغربي لا يستطيع ان يقدم احكاماً مجردة  
صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهاوى ،  
 فهو حين يتغذى من ردود فعله ضد الكنهوتية قواعد يريد  
ان يفرضها على المجتمعات فانه لا يقدم رؤيا صحيحة او  
سليمة ، والاخذون بها آثمون لا يعترفون أبعاد  
الامور :

ان النظيرية المادية هي رد فعل الكهنوت . وأن النظيرية الماركسيّة هي رد فعل الرأسمالية .

ولذلك كله فنحن في ضوء الاسلام نستطيع أن نقول :

أولاً : أن هناك فرقاً واسعاً وعميقاً بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية في مقاييسها .

**ثانياً** : ان محاولة التوفيق بين العقيدة الاسلامية والفلسفات هي محاولة فاشلة وقد فشلت في التجربة الاولى (العصر العباسي) وانهارت وتصدعت لانها حاولت الجمع بين متناقضين .

وهي في غير حاجة الى اليمان بقوة وراء الكون تحفظه  
وتسره ..

ولا ريب أن هذا المفهوم كله مخادع تماماً لمفهوم الدين الحق ، ولمفهوم الاسلام ومن هنا فان جميع النظريات والفروض والاستجابات التي تصدر عن هذه الفلسفة هي باطلة تماماً ، وهى في تقدير الاسلام اتجهادات قابلة للصواب والخطأ وليس لها صفة الحقائق الثابتة او العمومية ومن ثم فنجيب عدم تطوبع الاسلام لاي مذهب فلسفى باسم التحديد .

ولاريب أن النظريات الثلاث الكبرى التي تقوم على الفلسفة المادية باطلة :

**أولاً :** نظرية هيجل التي تقول ان الحضارة تعيش الآن في خلاصه ما كان في العصور الماضية من عناصر الجد والصلاح وأنه ليس في العصور الغابرة ما يستحق يلتفت اليه أو يهتدى به ، اذ أن أجزاء الماضي التي لم تنتضم الى الحاضر هي أجزاء مرفوضة نبذها الانسان بعد أن اخترها ولم يجد فيها غناهاء .

وتعنى هذه النظرية أساساً الغاء فكرة الدين .

**ثالثاً:** نظرية ماركس في التفسير المادي للتاريخ وهي التي اتّمت حلقات الفلسفة المادية إلى الحياة وهي التي تجعل الإنسان مازال محارباً منذ يداء أمره لاغراضه

\*\*\*

## الفصل الثالث

### علم الكلام

ال Shawahid تردد في النهاية إلى المصدر الإسلامي الأصيل أما مباشرةً أو بطريق غير مباشر .

أما بالنسبة لعلم الكلام فقد ثبتت براعمه واثنت ساقه لتواجهه اعترافات وشبهات مثارة في طريق الإسلام وكان يقتضي الاعداد لهذه المواجهة أن يوضع في الاعتبار فريقان يخاطبهما هذا العلم .

**الفريق الأول :** هو فريق الشبهات المثارة والاعتراضات الموجهة بغية التشويش والبلبلة من قوم هدفهم الحقيقي لا يرتبط بتشذيب الحقيقة ، قدر ما يرتبط بزعزعة الثقة في العقيدة .

**اما الفريق الآخر :** فيضم هؤلاء الذين يظن أن يقعوا فريسة مثل هذه الشبهات من أبناء هذه العقيدة ، ومعنى هذا أن علم الكلام يخاطب من هو خارج الإسلام ويخاطب المسلم الذي يحتاج ثباته ودعم ايمانه إلى طمأنة عقله وراحة وجданه .

واختلاف طبيعة الفريقين يقتضي اختلاف طبيعة المنهج .

ولقد خضع علم الكلام إلى الأغراض السياسية المرحلية ونسى في غمرة الأحداث رسالته الأصلية ، وانقلب سلاحاً فتكاً يقتل وحدة الأمة ويدرك نار العداوة بين طوائفها وطبقاتها . وقد تدخلت عناصر غير إسلامية فشجعت هذا التفرق وزادت في صراع الصراع والحق فرقاً معينة بزمرة المسلمين مع اصطدام الأساس الذي تقوم عليه بمبادئ الإسلام الأولية وقد بذلت جهود للتلميس أصول ونحو صور مثبتة تشير إلى تفرق المسلمين إلى فرق متعددة .

ولهذا انحرف علم الكلام ليخدم لأغراض ذات

#### ما الموقف من علم الكلام :

يقول الدكتور محمد كمال جعفر : إن الفكر يكون إسلامياً على الحقيقة إذا أتيق أو استلهم من القرآن والسنة الصحيحة نصاً أو روها ، أصالة أو باتباعية . وكذلك يكون إسلامياً إذا انطلق من المبادئ العامة الكلية التي تمثل في الواقع قوانين الفكر الأساسية .

أما الذي وقع في التاريخ الإسلامي فهو أن وصمات الكفر واللحاد والزنادقة التي كانت توجه إلى من هم خارج النطاق الإسلامي أطلقت بلا حساب على عثاث ومذاهب نشأت في المحيط الإسلامي .

ومن العقム التركيز على الجوانب التجريبية النظرية المقطعة في كثير من الأحيان عن دنيا الواقع وحياة الناس ، فقد أحالت الفرق الكلامية الدين إلى مجرد مجال نظري للعقيدة بابعادها الفكرية دون أن تقدر التجربة الدينية وجوانبها التطبيقية حق قدرها وكانت النتيجة فتح باب الجدل وأغلاق باب العمل .

وقد اغتال الاغراق في الجدل ولحج المخالفة صفاء اليمان وسلامة القصد والنزاهة الفكرية ليحل محلها العناء والتعصب والتجاذب عن القصد .

وقد نشطت عوامل تأريث الصراع إلى بعد حدود النشاط في كل اتجاه . بهدف واحد ، هو تفتيت وحدة هذه الأمة وتشويه عطائها الفكرى وتبييد جهودها واستفراغ طاقاتها فيما ليس فيه عناء حتى أوصدت أبواب الجهاد دون مبرر مفهوم .

ومن هنا تجاء الدعوة إلى تجميد نطاق الآفاق الأساسية التي يلتقي عليها الفكر السليم المستقيم من كل ما أتيح له من شواهد الصدق واليقين والنفع العام وهذه

ويرى الدكتور محمد كمال جعفر خطأ فكراً دراسة علم الكلام بدرس الفرق الكلامية واختلافاتها ، اذ ما الفائدة التي نحصل عليها عندما تعرف ان الخارج قالوا كذا والاشاعرة قالوا كذا .

ويقول « أنا أ مثل جيلاً أتيحت له فرصة الاطلاع على التراث ولذلك رسمت منهج التوحيد بين الفرق الإسلامية أولاً أن نبحث عن أصول اتفاق بين فرقتين مختلفتين وتبينها ثم ننظر إلى أوجه الخلاف فقد تكون أسباب الخلاف تاريجية لم يعد لها وجود الآن ، أو غرضية ، وقد يكون أسباب الاختلاف في اللفظ .

ان أهل السنة يقولون : ان الله يرى بلا كيفية والمعتزلة يقولون ان الله لا يجد ولا يحصر ، وهو نفس المعنى ، اذن اللغة هي التي تختلف والهدف واحد .

سياسة أيديولوجية لهذا الفريق او ذاك وبذلك جبس نفسه في قوقة الطائفية والطبقية فسلب النظرة الإسلامية الواسعة والأفق الإسلامي الرحب .

\* \* \*

وفي البرهنة على وجود الله ( تبارك وتعالى ) وصفاته لم يسلم علم الكلام من الواقع فريسة لأدلة ما لبست أن صارت موضع اخذ ورد الفلسفية والفقير لعدم متنتها المنطقية وسموها الى مرتبة البرهان لقد نسي علم الكلام النهج القرآني والأدب الإسلامي تجاه مسألة وجود الله ذلك أن القرآن لم يركز على الاستدلال على وجود الله وإنما فصل القول في صفاته وأفعاله وعلاقته بالكون وبالإنسان وليس هذا هو المجال الحقيقي الذي يقيـد الإنسان .

\* \* \*

## الفصل الرابع

### المنطق اليوناني

وقد أدرك علماء السلف خطر المنطق اليوناني على العربية والاسلام ورأوا فيه منطقا خاصا بلغة قوم هم اليونان ، وهو يستمد مصطلحاته وتصوراته من هذه التي تختلف اختلافا بينا عن اللغة العربية التي لها منطقها الخاص ، والتي بها نزل القرآن وجاء الانلام على أساس من مصطلحاتها لذلك رفضه جمهور علماء المسلمين وهاجموه .

\* \* \*

يقول ابن تيمية : ان المنطق ميزان العقلية ومراعاته تعصم الذهن عن ان يغفل في فكره وليس الامر كذلك فان العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بني آدم من أسباب الارراك ولا يقف على ميزان وضعى لشخص معين ، ولا تقليد في العقليات — وجماهير العقلاء في جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهج لوضع أرسطو وهم اذا تبرروا انفسهم وجدوا انفسهم تعلم حقائق الاشياء بدون هذه الضمانة الوضعية ثم ان هذه الصناعة زعموا انها تفيد في تعريف حقائق الاشياء ولا تعرف الا بها وكلها تغطط .

وليسنا هنا في مجال استعراض النكبة التي حلت بالعرب والاسلام بسبب المنطق اليوناني .

يقول الأستاذ محمد رشاد خليل :

قال الامام الشافعى : ما جهل الناس واحتلقو الا بتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسطوطاليس . وأشار الشافعى بذلك الى ما حدث زمن المؤمن من القول بخلق القرآن ونفي الرؤية وغير ذلك من البدع وان سببها الجهل بالعربية .

قال السيوطي : والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتاريخ ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسطو الذى هو في حيز ولسان العرب في حيز ، ولم ينزل القرآن ولا اقت السننة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتحاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان وكل قوم لغة واصطلاح ولقد كان موقف الذين أرادوا ان يجعلوا من المنطق اليوناني أساسا لمنهج البحث في الاسلام هو بداية التصدع لأركان الثقافة العربية الاسلامية الشامخة ، فقد اعتمد المتأخرون على المنطق اليوناني اعتمادا كلبا حتى جعلوه أساسا في مباحث الدراسات الاصولية والفقهية وقد عمت الازمة حين اخذ النحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية .

\* \* \*

## الفصل الخامس

## الاشتقاء

تطور المادة الحية بمقتضى قوانين ذاتية تترافق بمقتضياتها المادة من حال إلى حال بصورة تلقائية خالصة لا تخضع فيها لاله خالق مدبر .

ويذكر هذا المفهوم الخبر الصادق عن رب العالمين  
والذى تقرر فى صورة قاطعة أن آدم عليه السلام هو  
أبو البشر خلقه الله تبارك وتعالى بيديه وفتح فيه من  
روحه وعلمه الأسماء وهداه الى الحق .

ان المزية اللغوية في الاشتقاق وغيره من خصائص العربية الباقيّة هي شاهد لا يكذب على عظمة العقلية العربيّة الإسلاميّة واتساعها ورقيها وابداعها ، وهي في نفس الوقت شاهد على أن هذه العقلية قد قطعت قبل الإسلام شوطا طويلا في الترقى والتقدم عبر المارسة والدرية المتران الى ان اكتملت هذه الحضارة ونمت معها هذه القدرات والملكات .

يقول الاستاذ محمد رشاد خليل :

الاشتقاق في العربية هو اشتقاق شديد المرونة بحيث لا يمكن حصره في أصل واحد أو ضبطه في قاعدة . فما الذي تعنيه مرونة الاشتقاق في اللغة العربية من الوجهة الحضارية .

اللغات في أصلها تعليمها من الله تبارك وتعالى قال تعالى : ( وعلم آدم الأسماء كلها ) وقال : ( خلق الانبياء علمه البيان ) أما نمو اللغات وتشعّبها وازدهارها وتقدمها أو ضمورها وانزوالها وبمعنى آخر حياتها وموتها إنما هو رهن ب أصحابها وعقولهم وظروفهم .

وتقسيم الشعوب الى بدائية وحضارية مرفوض ،  
لأنه يقوم على أصل باطل ، وهو القول بالتطور بالمعنى  
الالحادي الحديث ، والذي يذهب الى أن الإنسان مجرد

\* \* \*

## الفصل السادس

### العقلانية

مصدران رئيسيان ( وان كان أحدهما بكلام النبي ) لا يتصل بهما الزييف وهذا يختلف عن موقف المسيحية من اللاهوت القديم الذي هو من صنع البشر .

وهذا المفهوم وحده الجامع بين النقل والعقل هو الذي أعطى المسلمين — دون غيرهم من الأمم — القدرة على تقديم منهج التجريب الإسلامي ومناهج المعرفة وسفن الحضارات والأمم .

وهي حين أخذت من تراث اليونان أو غيرهم إنما أخذت بعد ما غربلت وصححت ولم تختلف مفهوم التوحيد في هذا النقل ، وليس هنا مما يجعلنا ننسى مؤامرة الترجمة وأخطارها والمسؤولية التي تقع على المؤمن ورجال اللاهوت الذين استقدمهم والذين خلطا بين دينهم وبين تراث اليونان كما خلطا بين فكر أفلاطون وأرسطو ولسنا ننسى مسؤولية المؤمن في قضية خلق القرآن وما فتح الباب واسعا أمام الزندقة والشعوبية والفكر الباطني والالحاد ولقد استعمل العلماء المسلمين ملكرة العقل أعظم استعمال دون أن يفربطا في الأصول الأساسية للوحى التي قام عليها الدين الخاتم ، ولو أن المسلمين كانوا عقلانيين قحسب لما استطاعوا بناء هذه النهضة الضخمة في مجال العلم والحضارة وإنما الذي مكنتهم من ذلك هو أنهم أداروا التجريب والعلم في دائرة الأخلاق والإيمان بالله وال المسلمين مع اليهانهم بقدرة العقل على التمييز والبرهنة والاستنباط لم يقولوا أبدا بكلمة ( سلطان العقل ) الوافية المضللة التي جاءت من الفكر المادى ويفحصونها بعض التفريبيين اليوم .

وليس صحيحا ما يدعوه البعض من أن السهام توجه إلى ملكرة العقل وتم التشكيك في قدراته ما يسمى ( النصوص والمؤلفات ) ، بل إننا نتسائل لماذا يوصف النص القرآني والسنّة المطهرة باتها نصوص ومؤلفات وقد جهوا أننا لا يمكن أن تعطى للمنهج العقلى أكثر مما يستحق ، أو نعليه على مكانه الطبيعي في منظومة الفكر الإسلامي الجامع ، أو أن يجعل له من المكانة ما يتتجاوز

العقلانية نزعة غريبة الطابع مستمدّة من الاعتماد على العقل وبراهينه ومعطياته وأصحابه مصدراً وحيداً للمعرفة وهو مفهوم لا يقبله الإسلام الذي يقرر أن هناك مصادر عدّة للمعرفة منها العقل ولكنه ليس المصدر الوحيد فالعقل هو مناط التكليف في الإسلام ولكنه يتحرك لاتما تحت ضوء الوحي ونور الفطرة ، ذلك أن الإسلام يؤمن بالنظرية الجامعية التي توازن وتواءم وتمزح بين الروح والمادة والعقل والوجودان .

ولكن هناك من يحاول اليوم أن يتحدث عن ( العقلانية الإسلامية ) ويقرّها وحدها بالاعتبار ، وهذه هي معاودة لتجربة قديمة مر بها المسلمين بعد ترجمة الفلسفة اليونانية وهي تجربة المعتزلة الذين اعتبروا العقل مصدراً للمعرفة وأعلوه على الوحي ( النقل ) ودعوا إلى أنه في حالة الخلاف بين العقل والنقد أن يخضع النقل للعقل .

ومن هنا ظهرت فكرة التأويل وهي فكرة لها حدودها التي يجب أن لا تخرج بها عن النص القطعي . وقد كانت هذه أحدى المحاذير التي وقع فيها الفلسفه .

ولقد حاول البعض ( أمثال أحمد أمين وغيره ) الادعاء بأن سقوط الاعتزال كان عاماً من عوامل تأثر المسلمين والحقيقة أن سقوط الاعتزال بعد استعلائه وادعائه أنه هو المنطلق الوحيد للمعرفة الإسلامية كان طبيعياً ( وهو نفس الموقف بالنسبة للقائلين باتخاذ الحدس سبيلاً واحداً للمعرفة ) وهو الذين يعتمدون على الوجودان وحده .

والقرآن الكريم ليس معجزة عقلية فحسب ولكنه معجزة متعددة الجوانب في فنون المعرفة وأساليب مخاطبة الإنسان من ناحية فكره ووجوداته ومن ناحية التاريخ والحكمة والمعجزة والغبيات .

فلا تناقض في أسلوب المعرفة الإسلامي بين النقل والعقل إذ أن النقل في حقيقته هو ( القرآن والسنّة ) وهما

به النص القرآني والسنة المطهرة وهي التي تحمل قوانين  
الإسلام الأصيلة وضوابطه وأصوله الربانية وثوابته  
المنزلة .

كذلك فإن موقف الإسلام من العقل هو موقفه من  
الوجودان تماماً فهما نافذتان للمعرفة يتكاملان في المسلم  
ولا يتعارضان ولا يذهب أحدهما بمكانة الآخر وليس  
الإسلام ديننا كما يدعى بعض الذين كتبوا عن العقلانية  
( عبارة الإسلام الدين ) فإن الإسلام دين بمفهوم الدين  
الحق وليس بمفهوم اللاهوت الغربي وهو دين بمعنى  
الجمع بين العلاقة بين الإنسان والله تبارك وتعالى من  
ناحية وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى وكلاهما يكمل  
الآن ولا يعارضه ونحن بهذا لا نؤمن بأن العقل وحده  
يملك القدرة على ادراك الحقائق .

وفي نفس الوقت لا نراه إلا مرتبطة بالقلب ( ولهم  
قلوب لا يعقلون بها ) فليس هناك فاصل بين العقل  
والقلب ولكن هناك ترابط وتكامل .

ومن هنا فنحن نرفض كل محاولة للقول بأن العقل  
يناقص الفضل أو أن التقليل يخضع للعقل ، أو أن هذا  
الفضل هو مجموعة مأثورات ونصوص ، اذ كيف يمكن  
أن يوصف الوحي بذلك وكيف يمكن أن يوصف القرآن بأنه  
مأثورات أو توصف السنة النبوية بأنها نصوص .

ان هذا القول لا يصدر الا من عقلية مادية علمانية  
لا تعرف تكامل الإسلام مهما تحدثت باسمه ، ولن يكون في  
الإسلام تزامن بين الشريعة والفلسفة ، بل لا بد أن تخضع  
كل معطيات الفكر الإسلامي للمنهج الرباني الذي هو  
الشريعة المنزلة ، التي هي لب رسالة الإسلام إلى النبي  
الختام .

وليس من مفهوم الإسلام الأصيل قبول التأويل لحل  
ما يدعى من تناقض من النصوص التي هي الوحي وبين  
براهمين العقل . وإن كل دعوى حل هذا التناقض بين  
العقل والكتاب باطلة و يجب أن يخضع العقل للوحي  
 تماماً ولن يكون هناك تناقض بالنسبة للوحي وإنما هناك  
تصور ربما بالنسبة للعقل .

وإذا كان الشيخ محمد عبده قد دعا إلى ذلك بتأثيراً

بإله رشد وغيره فتلك نظرة مرحطة اضطر إليها الشيخ  
ولكن ليس في الحقيقة ما هو مقبول في عصر القرآن ،  
فقد كانت تلك الفكرة أشبه بمرحلة المعتزلة باختلافها  
ومحاسنها ولا يمكن اعتبارها قانوناً نافذاً على كل العصور  
بل كانت من الضرورات التي لجأ إليها الشيخ محمد عبده  
للخروج من الدرج والحضار الذي كان يسيطر به المذهب  
المادي على الفكر البشري اذ ذاك أما الآن فان الفكر  
الإسلامي قد انتقل من خلال نضال حركة اليقظة إلى  
المرحلة القرآنية التي لم يعد لديها ما تعتذر به عن  
الأوضاع التي عرفها محمد عبده وفريد وجدي وأقبال  
والعقاد .

لقد جاءت مرحلة الأصالة والطابع القرآني الخالص  
التي صاحب الفكر مما كتب عن السيرة وعن الفكر  
الإسلامي .

ولقد استطاعت هذه المرحلة ان تكشف اخطاء عن علم  
الكلام الذي كان مؤسساً على براهين العقل ، وأخطاء  
المنتزلة ، التي جرت في هذا الطريق شوطاً وهذه مرحلة  
لن تعود ولا يحتاج بها ، والدعاة إليها مخربون يرعنون في  
احياء الفرق القديمة البائدة والخلافات التي كانت مثاراً  
في عصر ترجمة الفكر اليوناني وهي مرحلة مضت  
وانتهت .

وبالجملة فنحن نتحرك من خلال  
مفهوم الإسلام الجامع وغير  
اللاهوت في المسيحية الأوروبية التي تقوم على القلب  
واليمان وليس مثل المعتزلة وعلم الكلام الذي يقوم على  
العقلانية وإنما نحن نؤمن بمفهوم جامع متكامل . وإذا  
قيل أن القرآن معجزة عقلية ، نقول نعم ، هو معجزة  
عقلية ووجودانية تاريخية وعلمية الخ ..

وليس كون العقل مناط التكليف مما يحمل على  
الدعوة إلى قداسته ونحن لا نعزم من قدر التحول  
الذى حدث على يد جمال الدين ومحمد عبده يتحرر  
الفكر الإسلامي من الجبرية الصوفية ولكننا نحب أن  
ينقل ذلك إلى المرحلة الجديدة التي تجاوزت بعض  
محاولات هذه المرحلة هذه المرحلة الجديدة هي المرحلة  
القرننة في الفكر الإسلامي .

## الفصل السابع

### العصريّة

في المذهب الرأسمالي الليبرالي أو الماركسي الاشتراكي ووصلت البشرية من خلال هذين المذهبين إلى صراع رهيب ولم يتحقق لها أملها في بناء المجتمع الرشيد ، وهي الآن تتطلع إلى مذهب جديد ، وليس غير الإسلام .

إن روح العصر تدخل في باب التغيرات ولكن روح الأمة تدخل في باب الثوابت ولابد أن تخضع التغيرات للثوابت وأحيانا تكون روح العصر مجموعة من الاهواء والاندفاعات يختلط فيها الصحيح بالخطأ ، الاستجابة لا تكون للعصر وإنما للحق ، للمنهج ، لمنهج الله تبارك وتعالى . والاسلام قادر على الاستجابة للعصر ، وقدر على استيعاب المتغيرات دون أن يخرج عن قيمه الأساسية وقواعده الصحيحة . والاسلام يقر التقدم ولكنه يجريه في قنوات ثابتة محكمة .

كما أن الاسلام أعطانا القدرة على مواجهة الأحداث متى كانت متعارضة مع منهج الله فليس علينا أن نستسلم للأوضاع المترفة تحت اسم التبرير أو قبول الواقع أو التأويل أو الرخص ودعامة التبرير هؤلاء أعداء التقدم الحقيقي والإيمان بالمنهج الحق والاسلام لا يقر دعاء اللا منتنسي .

وإذا خرج الاسلام من ضوابطه وثوابته فقد انتهت فاعليته ويجب أن نقدر تماما أن الاسلام ليس شأنه شأن المذاهب والأيدلوجيات البشرية ، فهو منهج اجتماعي عمراني شامل يتلخص كل الفلسفات التي ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ، ومن باب أولى كل الأديان السابقة له والتي احتواها كمرحلة نحو وحدته وتكامله .

ومن ثم فهو لا يقبل الخضوع لانحراف المجتمعات نحو الإباحة وأنحراف الحضارات نحو المادّة .

كل دعوة في العصرية يجب أن تكون ذات أصلّة

هناك دعوة مضللة تتحدث دائما عن روح العصر والاسلام له ، وعلى الانسان أن يجعل نفسه جزءا من عصره ، وقد غاب عن الدعاة إلى هذا المذهب أن روح الأمة أعظم من روح العصر وأن روح العصر هي طائفة من التقاليد اعتنقها الناس في عصر معين دون البحث عما اذا كانت صالحة أم فاسدة ، وهل هي نافعة أم ضارة ؟ .

والاسلام يقر مبدأ العصرية ولكنه لا يقر الاسلام لروح العصر اذا كان ذلك من شأنه أن يتجاوز القيم الأساسية له ذلك أن هناك قيمها أساسية لا يمكن تجاوزها وأن هناك حدود وضوابط يجب أن يتحرك المسلم في دائرةها وأن لا يضحي بها في سبيل الحصول على اي قدر من التقدم المادي .

وأن هذا التحفظ على روح العصر لا يحول مطلاقا دون قدرة المسلم على التقدم والتطور والتغيير ومجاراة تحولات العصر والمجتمع وأن الاسلام له من قواه المدحورة ما يمكن المسلمين من الخروج من الازمة دائما ومن الاستجابة للتقدم الجامع بين شطرين المادي والروحي .

ومن شأن الاسلام أن لا يخضع لانحراف المجتمعات ولكنه قادر على ردها إلى طريقها الأصيل الطبيعي .

ونحن الآن نمر بمرحلة خطيرة في حياة المجتمعات والحضارات وهي مرحلة الانحراف الخطير الذي وقعت فيه الحضارة الحديثة في تحولها المادي وغياب عنصرها الديني والأخلاقي وانحرافها عن طريق الله إلى طريق الاستعلاء بالعرق والفساد الخلقي .

ومن هنا فإن الاسلام لا يقر قبول فكرة الاسلام (روح العصر) لأنها تعني الاندفاع في الطريق الخطأ .

لقد انحرف هذا العصر عن طريق الأخلاق والدين والعلم إلى طريق الفلسفة المادية ، والانحرافات سواء

بارتباطها بالمنهج والتاريخ وتنقية الفكرة من الانحرافات التي تضعها الفلسفات في طريقها لتعود إلى المذاهب أولا ولتستمد أصلتها من الرشد الفكري ، ولقد كانت دعوة العصرية التي قامت بها المدرسة العلمانية منذ أوائل القرن الميلادي دعوة منحرفة مضللة ، حاولت احتواء الفكر الإسلامي وتغريبه قبل أن تجئ حركة اليقظة الإسلامية لتصحيح الطريق .

لقد ذهبت الدعوة العصرية إلى آخر الشوط في

فرض نفوذها فهدمت الخلافة وحطمت الوحدة الإسلامية وحجبت الشريعة الإسلامية وفرضت النظام السياسي الغربي والمنهج الريسي الاقتصادي والمنهج العلماني التعليمي ومع ذلك فإن حركة اليقظة الإسلامية كانت قادرة على أن تكشف زيف ذلك كله لا يقر الإسلام فلسفة اللحظة ولا الفردية المفرقة ولا الجماعية التي تأكل الأفراد ولا يقبل انحراف الفنون والآداب ولا وسائل الكسب الحرام أو الاندفاع نحو أهواء الجنس والجريمة وإذا انحراف المجتمع فالإسلام يدعوه مجددا إلى العودة إلى الله .

\* \* \*

## الفصل الثامن

### السلفية

الاسلام دين ودولة قامت على أساس القاعدة التي رسمتها الحركة السلفية ، والتركيز الأساسي الذي بذلته في المحافظة على طريقة ( الاتباع لا التقليد ) ودعمت مقوماتها الراسخة الجامحة بين اخلاص التوحيد الله تعالى وحده واليمان بالوحي طریقاً لمعرفة عالم الغيب مع استسلام الانسان في شئون معاشة لما أمر به الله بواسطه خاتم الرسل وتحرير العقول من الوثنيات وأصر الشرك ليتفرغ فيما يعود على الانسان بالنعم في ميادين العلوم ووسائلها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية .

وقد صور الدكتور مصطفى حلمى الخطوات التي حققتها الحركة السلفية :

أولاً : وقفوا بصلابة أمام محاولات التجزئة والبتر والتؤييلات الكلامية والتخريجات الفلسفية والتفسيرات الرمزية الباطنية .

ثانياً : وقفوا بالمرصاد مبنين الانحرافات عن الاصول الاسلامية والاعتماد على الاصولين الاساسيين : الكتاب والسنّة .

ثالثاً : حاربوا نزعة الجبرية التي ساهمت في ركود الهمم واضعاف الارادة الإنسانية وتغليب سلبيتها على جانبها الايجابي النشيط .

رابعاً : المحافظة على الاسلام في مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته وأنظمته وفتا لطريقة السلف .

ويقول : لقد حاول الاستشراق افساد مفهوم السلفية المشرق الاصيل وقال بعضهم : انه ارتداد عن محاكاة الشخصيات المبدعة المعاصرة الى محاكاة اسلاف القبيلة ، ويعتقد بعض المستشرقين أن الحركة

حاول التغريب والغزو الثقافي أن يصف مصطلح السلفية بأنه مصطلح قديم أو رجعى أو متأخر ، بينما هو في حقيقته مصطلح التجديد والعودة بالاسلام الى المتابع ، والتماس الأصول الصحيحة للاسلام وتحطيمها للتقليد والتجزئة ، وحماية الفكر من أساليب الغزو الفكرى والحضارى ، فقد كان السلفيون في كل عصر من عصور الاسلام هم مجددوه ، والذين دفعوا عنه تحريف الغالين وردوه عنده كيد الفلسفات الوثنية المترجمة والنظريات الوافية وكانوا طليعة المواجهة للاستعمار والغزو الاجنبى السياسي والاجتماعى .

فكيف يجيء اليوم من يدعى هزيمة السلفية في معركة التغريب بدعوى أن تيار التجديد قد جعل تيار السلفية متخلفاً والحقيقة أن تيار التجديد هو الذي انحرف عن الطريق الصحيح بعد أن احتواه التغريب وأخرجه من الأصول الحقيقة والأسس الصحيحة لمفهوم الاسلام وكانت دعوى التغريبين أرنولد توبيني بأنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبد دعوى باطلة ، اذ انهم أوغلوا في التغريب ولم يستطيعوا الصمود في ميدان الاصالة ولقد كان التيار السلفي مقدمة للتيار القرآني فقد حزر العقيدة ومهد النفس المسامة للنفهم الصحيح للإسلام ديناً ونظام مجتمع ويقرر أرنولد توبيني كما يستشهد الدكتور مصطفى حلمى بأن الحضارة الاسلامية لم تمت عضويها كما ماتت الحضارة الاغريقية ويرجع الفضل في بقائها الى نقاء العقيدة وقد ظل دور السلفيين باتياً في احياء عقيدة التوحيد وفهم الاولى للإسلام لأن الاسلام - كما يقول توبيني وقد اعاد توكيد وحدانية الله في مقابل الضعف البادى في تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية وقد استمرت السلفية المحافظة على التوحيد في جوهره النقي فمنع تردد العقيدة الدينية الى صورة من صور الوثنية .

وعندنا ان حركة اليقظة الاسلامية التي دعت الى ان

السلفية الاسلامية هي شبيهة بالحركة الانجليزية الكاثوليكية والاصلاح الديني خلال القرن السادس عشر بانها استعادة استخدام طقوس كانت شائعة خلال القرون الوسطى ثم هجرت والفيت أربعينية سنة .

وهذه المقارنة باطلة تماماً فان العودة الى المتابع الاسلامية تختلف تماماً عن عودة الكنيسة الى طقوس قديمة تجاوزتها الأيام، إذ أنها في الحقيقة عودة الى الاصول الحقة المنزلة .

ومناقشته ورد اباضيله ، ثم قيس ذلك بمقاييس العلم الاسلامي فما وافقه قبنه المسلمين وما خالفه رفضوه ، وكان الرفض من علماء السلف محافظة على شخصية الامة وأصلها ، وقد حارب السلف قائمها مستعمراً وحاكمها مستبدًا فرض علينا لغته وفلسفته وتشريعاته ونظمه في الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

وقد أخذ المستشرقون تقليل صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسعى الى الاسلام فاعلوا شأن الفرق المنشقة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية المنحرفين والفلسفه ، واحياء وتجنيده ومدح نحل ومذاهب مختلفة أما بأسماها المعروفة بها كالاسماعيلية او الباطنية او تحت اسماء جديدة كالبهائية والقديانية ، وبعث الاحاد من جديد تحت ستار العلمانية والماركسيه والدوران مع نشر فكرة وحدة الابيان او التقرب بينها وازالة الحواجز بين الحق بصورته الوحيدة والباطل بصورة المتعددة المتضاربة .

ومن هنا فان السلفية هي الحركة الكبرى التي جددت الدعوة الاسلامية ولو لاها لهان على الغرب ان يستعيد الشرق روحياً وفكرياً الى ابعد حد ومن هنا تعرف ان السلفية التي أحيتها الشیخ محمد بن عبد الوهاب كانت الحلقة الاولى والاساس الداعم لحركة اليقظة الاسلامية اذ جاء بعدها مرحلة الجهاد (السنوسی والمهدی وأحمد بن عرقان وشامل وعبد الكريم وعبد القادر الجزائري ) ثم مرحلة العقلانية والتحرر من الجبرية الصوفية (جمال الدين ومحمد عبده ) ثم جاء حسن البنا بحمل لواء (القرآنية الجامعية ) التي ربطت الحلقات الأربع في عقد واحد (السلفية والجهاد والعقلانية والتربیة) .

ذلك أن الاسلام له أصوله الثابتة التي يجب العودة اليها كلما انحرفت السبيل بالسلامين ودخلت الى العقائد والتحل اخلاقاً فاسدة من المدادات والوثنيات فالسلفية طريقة موضوعية ذات اسس علمية منهجية تعتمد النصوص الشرعية الموثقة ، وتلتزم الثوابت الاساسية : كفارة التوحيد ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات بعامة ونبوءة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في كل ما انحرفوا به عن الشرع المنزل مع تحضن شبكات الملحدين والشركين ، هذا فضلاً عن ثبات الفضائل الأخلاقية وقواعد التطهير والتحريم في المأكل والشرب وتنظيم العلاقات الاجتماعية في الاسرة والمجتمع . واقامة العلاقات الدولية مع سائر الامم وفقاً لاصول الشرع .

\* \* \*

ويقول الدكتور مسطفى حامى : ان السلفيين ظهروا الهجوم المكتسح عندما نقل الفكر الغربي اليوناني واللاتيني حيث أخذوا في دراسته وتحقيقه

\* \* \*

## الفصل التاسع

### العلمانية

ولقد حاولت قوى التفозд الأجنبي عزل الاسلام عن المجتمع حين فرضت نظاماً سياسياً غريباً وقانوناً وضعياً واقتصادياً ربيوياً ومنهجاً تعليمياً مفرغاً من الدين وحاولت أن تصور الاسلام على أنه دين لا هوئي فاصل على العلاقة بين الله والانسان وقائم على العبادات والأخلاق ومن هنا فإن العلمانية لا ليس لها مكان في عالم الاسلام فقد أخذت اورباً بالعلمانية في مواجهة جمود المسيحية وانحرافها، ذلك ان المسيحية التي عبرت الى الغرب هي مسيحية بولس وليت المسيحية الأصلية.

ولقد كانت تجربة تركيا العلمانية هي أولى التجارب في هذا المجال وقد واجهت معارضة وفشلوا لاحظاً لها، وكانت ترمي الى فصل الاسلام عن الدولة من أجل :

١ - الغاء الخلافة .

٢ - تمزيق الوحدة الاسلامية الى قوميات واقليميات .

٣ - التمهيد لسيطرة الصهيونية على فلسطين .

ولا شك أن دعوة الغرب الى العلمانية كانت تهدف أساساً الى تكين الغرب من السيطرة الاقتصادية والاستغلال الاقتصادي لأنها يفسح الطريق أمام السرقة والرشوة مع تعطل الحدود .

ومن هنا فقد تكاثفت القوى الثلاث الزاحفة للسيطرة على الاسلام على تاريخ (العلمانية) والدعوة اليها (الغرب والصهيونية والشيوعية) لأنها في النهاية تنتزع النظام الاسلامي وتحول دون تطبيق شريعة الله .

ويحمل الاتجاه العلماني في طياته : الفلسفة المادية والتفسير المادي للتاريخ ، والنظام الريوبي ، نظام الرأسمالية الليبرالية والديمقراطية بكل مساده وقدرته

العلمانية قضية غير اسلامية ، ولكنها أدخلت الى المجتمع الاسلامي في إطار عملية التغريب والغزو الثقافي ، وهي قضية غير اسلامية لأنها تدعو الى فصل الدين عن الدولة من منطلق تاريخي حيث عجزت المسيحية الغربية عن الملائمة مع متغيرات المجتمعات والاستجابة للتحول الذي وقع بعد خروج المجتمع الغربي من جبرية الربانية ويدو هذا الموقف في مظاهر ثلاثة :

**أولاً :** النظرة الروحية الخالصة التي يقوم عليها الفكر المسيحي والتي ترتبط بالربانية والعزوف عن الحياة الدنيا واحتقار المادة .

**ثانياً :** الادعاء بأن ما جاء في الكتاب المقدس معصوم من الخطأ وأن ما يقوله آباء الكنيسة مقدس لا ينقض .

**ثالثاً :** الخصومة مع العلم وعدم قبول معطياته ، وقيام الحكومة الثيوقراطية التي يسيطر عليها رجال الدين .

ذلك أن اوربا بعد أن تحررت من قيد الربانية وفي ضوء حقائق العلم التجربى الذي وضع منهج المسلمين تغيرت مفاهيم كثيرة وبدأت المواجهة بين العاملاء التجربيون ورجال الكنيسة وقامت الكنيسة باضطهاد رجال العلم ومن ثم انتصروا رجال الدين جملة ودخلوا في مفاهيم جديدة لاقامة ما يسمى دين الإنسانية وغيرها قائماً على التحالف بين الدين والسياسة .

اما في الاسلام فان الأمر يختلف حيث لا يوجد تناقض بين القرآن وبين العلم من ناحية وليس هناك عالم دين له قداسة خاصة ، وليس هناك حكومة رجال دين ، كما أن الاسلام لا يقر العزوف عن الحياة بل يدعو الى السعي في الأرض والعمل والكسب ولا يحتقر المادة وينكر الربانية واعتزال الحياة .

يقول الاستاذ طارق البشري : لقد سمعت العلمانية في اطروحاتها الحديثة التي تقول لنا ان تصاعد الدا الاسلامي مؤخرا ليس الا رد فعل لهزيمة الواقع فقط . ولكن ما اراه الان ان حركات التحرر الوطنى في بلادنا على مدى القرن ١٩ كان يندمج فيها العنصر الاسلامى مع العنصر الوطنى . وتجارب المهدية والوهابية والسنوسية وعبد القادر الجزائري وجمال الدين الافغاني والحزب الوطنى في مصر قبل الحرب الاولى كلها خير دليل على ذلك .

ويقرر الاستاذ محمود عارف ان الذين يثرون قضية العلمانية او فصل الدين عن الدولة تأتى دعواهم لأحد أسباب ثلاثة :

- ١ — اما نتيجة عدم فهم لعظمة مبادئ الاسلام .
- ٢ — او نتيجة للرغبة في معارضه تطبيق الشريعة الاسلامية دون شجاعة المجاهرة بذلك .
- ٣ — او المعارضه في كون الاسلام صالحًا لكل زمان ومكان .

على سيطرة طبقة اولياء النفوذ الاجنبى على البلاد من اجل تكين الرأسمالية الربوية من استنزاف ثروات الامة الاسلامية وتركز الفكره العلمانية على الغاء الاسلام السياسي ( الاسلام دين ودولة ونظام مجتمع ) وتعمل على تأثير القومية والوطنية والاقليمية بما يدعم الانفصال بين اعضاء الكيان الاسلامي الواحد .

ومن هنا نان كل محاولات دعاة العلمانية انما ترمى الى تدعيم مقوله باطلة : هي ان الاسلام دين روحى وليس دينا ودولة على النحو الذى نقله الشیخ على عبد الرزاق في كتابه ( الاسلام وأصول الحكم ) من أصل المستشرق اليهودى مرجلیوت . بينما لم يوجد في بنية الاسلام اي صراع من الصراعات التي فرضت العلمانية في اوروبا او كانت رد فعل لها ومن هنا تفرض العلمانية نفسها على الفلسفة فتروج لآراء دارون وفرويد وماركس وتعمل على كتابة التاريخ من وجهة نظر علمانية . كما عملت القوى المسيطرة على معاملة المجتمعات الاسلامية على أنها مجتمعات غربية نصرانية لا مناصرة لها من فصل الدين عن الدولة واقامة سائر الهيكل الثقافية على اسس لادينية علمانية تقتضى على اخلاق الاسلام ووجهة نظره في السياسة والعلم والتعليم والاعلام <sup>١٠</sup> .

## الفصل العاشر

### الاعلام

ويركز الباحثون على أن التحكم الاستعماري الغربي المركز بوجه عام في مصادر المعلومات والخبرة والانتاج الاعلامي وتكنولوجيا الاعلام ، يعطينا – كما يقول الاستاذ عبد القادر طاش – فكرة واضحة عن الدور الذي يلعبه هذا التحكم في مجال تكريس تبعية الدول النامية والمستضعفنة للمعسكرات الاستعمارية .

ففي مجال الصحافة وفي مجال تناول المعلومات فان وكالات الانباء الغربية الاربعة ( اسوشيد برس ، يونايد برس : روپر ، وكالة الصحافة الفرنسية ، تتحكم في المائة من التوزيع الاخباري في العالم ، وهذه الوكالة الغربية لا تخصص لأخبار الدول النامية اكبر من ٣٠ – ٢٠٪ من تغطيتها الاخبارية بالرغم من ان سكان الدول النامية يلتفون ثلاثة ارباع سكان العالم ، حيث تحتكر هذه الوكالات بالإضافة الى وكالة تاس الشيوعية معظم الطاقات المادية والاتسائية .

وفي مجال الصحافة وتبادل المعلومات – ثلث الدول النامية من عجزها امتلاك وكالات انباء وطنية خاصة بها ، وتجاهل وكالات الانباء الغربية عموما في تغطيتها الاخبارية مشكلات الدول النامية وتطبعاتها فضلا عما يشوب ما تجود به هذه الوكالات من الدس والتحريف والتشويه .

وال المشكلة الأساسية هي أن الصحافة الغربية لاتهام الا بالأخبار المثيرة كأخبار الازمات والاضطرابات والكوارث والصحافة الغربية صحافة تجارية مصلحية لأنها تهتم بالصالح المادي الاقتصادية للدول الغربية وتحاول اشبعا تهم ترائتها الى اخبار الجرائم والاضطرابات والكوارث دون مراعاة للآثار السلبية الى ترتكها هذه النوعية من الأخبار في تشويه الواقع وتضليل الناس .

اما بالنسبة للاذاعة والتلفزيون فان الدول

ان أخطر ما يواجه الامة الاسلامية في مجال الاعلام تلك المعطيات الوافدة التي لا تتنقق مع عقيدةنا وقيمنا وأخلاقنا وأسلوب عيشنا فان الغرب الذي يحارب عالم الاسلام حربا خفية وعلنية ، يهدف من بضاعته التي يصدرها تخريب النفس المسلمة والعقل المسلم وهذا ما نجده في المسلسلات والبرامج الغربية ، حيث توجد مؤسسات متخصصة في انتاج الفاسد من البرامج المكتوبة والمصورة والسموعة ، وكلها مؤسسات تحقق أرباحا طائلة . وقيام هذه المخططات التي ترسمها دول متقدمة وتحرص على تنفيذها بمكر ومهارة بغية تفريغ عقول الناس في اقطار العالم الثالث من محتواها ما تقدمه وكالات الانباء الكبرى التي ما فتئت تسعى الى احتكار موارد الخبر ومساريه لتصوغه على هواها ثم تذيعه في جهات العالم الأربع مصوغا باللون الذي تريده .

ان في العالم قوى عاملة على تخريب الأخلاق وافساد الذم وتقويض الامم والفجور الى نفوس العامة والخاصة في جميع أركان الدنيا بداعف الحقد والكره ، هذا الصنف له دستور مكتوب يسمى ( بروتوكولات صهيون ) والذين يعملون على تنفيذه هم الذين يملكون معظم مؤسسات الاعلام المبثوثة في اقطار الارض وهم يعلمون تحت ستار قوانين الحريات العامة وحقوق الانسان وديمقراطية الشعوب ، وهم يستخدمون وسائل الاعلام استخداما يتعارض مع قيم ديننا ومع قواعد الأخلاق والمرءة .

وقد وضعت الشريعة الاسلامية للاعلام قواعد وأسس ثابتة وفيها حلت ما احلته وحرمت ما حرمت .  
**( قل انما حرم رب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ) .**

**( اذا جاكم فاسق بني فتنينا ان تصيبوا قوما بجهة ) .**

الأخلاق . وذلك عن طريق غياب الرؤية الإسلامية عن المسلسلات والبرامج . وتقديم النموذج الغربي في مختلف قضايا المجتمع ، وهو نموذج يختلف تماماً عن مفاهيمنا الإسلامية . وهذا يعني كما يقول الدكتور إبراهيم أمام إننا أمام غزو ثقافي مقنع وجديد لأن الغزاة لا يقولون إننا نغزو البشر بفكرنا وهو جديد لأنه مختلف من ناحية الأسلوب والمدخل ولكنه ليس جديداً من ناحية الغايات والأهداف لأن هدفه هو زراعة القيم الإسلامية وأبعاد الالتزام الأخلاقي من طريق الحياة الفكرية والأخلاقية للأمة الإسلامية .

وأخطر ما في ذلك أن الإعلانات تعرف وتخاطب الشريحة الإنسانية وكان الإنسان ما هو إلا حيوان عليه أن يشبع غرائزه المادية . ومن العجيب أن المعلنين يستخدمون الغريرة الجنسية حتى في الإعلان عن شفرة العلاقة أو مشروب المياه الغازية .

لقد قام الإعلام الغربي على الإثارة ومن هنا نقل الإعلام الإسلامي هذه الأساليب من الجنس والإثارة ، إذ حدث نوع من الخلط الشديد بين طبيعة المجتمع الإسلامي وما ينبع أن يقال فيه مسؤولية طبيعة المجتمع الغربي وما يمكن أن يقال فيه .

وأحسب أن مسؤولية عودة الوعي الإسلامي أدى القائمين على أجهزة الإعلام مسؤولية ثقيلة لأنها تحتاج إلى نفس طويل وإلى قيادة سياسية وتعلمية راشدة وإلى قاعدة عريضة من الإعلاميين الم التجاوين مع الخط الإسلامي الراشد .

ولقد كان التأثير السىء الذي أحدثه النموذج الغربي على بعض العقليات الإسلامية من أهم أسباب هبوط الإعلام الإسلامي ، ومن هنا فلابد من تكوين أجيال من الإعلاميين المسلمين هن غير طريق الابتعاث ، حيث يركزون هناك على فلسفات غربية عن الإسلام بل معادية له . فالذين سافروا إلى البلاد الشرقية كانوا يلزموهم دراسة النظرية الماركسية الإلینينية باعتبارها القاعدة الفكرية والمنطق التبصري لدراسة الإعلام أو غيره من العلوم الاجتماعية كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا .

اما الطلاب المبتعثون إلى الدول الغربية ( الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وألمانيا ) فلا بد لهم من دراسة الفلسفة البرجمانية ( فلسفة الذرائع ) وفکر ( جون

الصناعية تتحكم في ٩٠ في المائة من الموجات الإذاعية وعدها وأفرا من الإذاعات الموجهة القوية بمختلف اللغات العالمية وال محلية لنشر أفكارها وآرائها السياسية والتبشير لأنماط حياتها ومعيشها بين الشعوب النامية .

وفي مجال السينما تعد الأفلام السينمائية أكبر التجارب الإعلامية ربحاً في الولايات المتحدة حيث بلغت مبيعات ١٩٧٣ ( ٤٠٠ مليون دولار ) هذه هي السيطرة الغربية على المعلومات ووسائل التأثير الإعلامي ومراعي الانتاج التليفزيوني والسينمائي بدعوى السوق الحرة وتحت شعار حرية الصحافة والمعلومات وهي الصورة الجديدة للاستعمار لأن الدول الصناعية الغربية تستخدم هذه السيطرة لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وتسرع هذه السيطرة لتحقيق أهدافها التوسيعية فغزو أنكر الشعوب المستضعفة وأضعاف شخصيتها وتخرير ثقافتها وأبعادها ، بشتى الوسائل عن الاهتمام إلى شخصيتها المستقلة والاعتزاز بحضارتها التمزية ، وعلاقتها بها هي علاقة الضعفاء بالقوى والاتباع بالمتبعين ، وعلى الشعوب المسلمة مواجهة التحديات الحضارية .

\*\*\*

لقد كانت الثقافة والإعلام والمسرح وأدوات التسلية والترفيه وسائل محتواه لتخرير أخلاقيات الأمم والشعوب ولكن يثبت في قلوب الشباب روح الاستهانة بالقيم والسخرية بالضوابط والحدود ، وخلق طابع الشرعية للانحلال والفساد الأخلاقي ولقد استخدمت وسائل الإعلام لبث روح الفرقة والتمزق النفسي والانحلال وخاصة عن طريق الفن الشعبي والفلكلور ولقد شهد كثير من الباحثين والدعاة إلى الله أن التلفزيون أخطر جهاز يهدى المفهوم الإسلامي والدعوة الإسلامية ، وإن البرامج التليفزيونية بمستواها الحالي خلقت أنماطاً استهلاكية ترفية أضرت المجتمع كله . يقول الدكتور إبراهيم أمام أن هذه الأنماط الاستهلاكية التي يعرضها التلفزيون مسؤولة عن الأزمات الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها الأفراد ، أن التلفزيون مفروض فيه أنه وسيلة البناء لا للهدم ، وسيلة للإصلاح لا للفساد ، وسيلة للتحويم لا للتعويم ، للارتفاع بمشاعر الأمة وليس دفع هذه الأمة إلى أسفل الدركات .

ويقرر عدد من الباحثين أن الإعلام ووسائل الترفيه والتسلية قد عمدت إلى تقديم ما يؤدي إلى هبوط

للعرب قلب الامة الاسلامية ودعائمها وفرض واتساع التجزئة واقامة الكيانات الاقليمية مستخدما كل الفزعات العشائرية والقبيلية والعائليه والجنسية والقومية ، ذلك ان ما طرحة النفوذ الاجنبي من شعارات وتداعیات فكرية لم تخرج في الحقيقة عن ان تكون اقنعة اختبلت خلفها الطائفيات والاقليميات التي تحمل الكيد التاريحي للإسلام ..

**خامساً :** استطاعت الدعوة الاسلامية الانتصار في قضية التميز الاسلامي وهي قضية لا تزال في اشد الحاجة الى الترشيد ازاء شراسة المواجهة مع خصوم الاسلام .

**سادساً :** استطاعت الدعوة الاسلامية حل المعادلة الصعبة بين العلم والدين بعد ان كانت تسقط في فريدة ان العلم من لوازم الالحاد .

**سابعاً :** ضرورة تجاوز مرحلة الایمان بالاسلام (مبادئه ومثلاً) الى مرحلة ترجمة المبادئ الى برامج ، واعطاء الزمن الكاف لايضاح كل مرحلة وعدم استعجال الثمرة (لا يكلف الله نفسا الا ويسعها) .

**ثامناً :** نقل الآراء والمبادئ الى واقع المسلمين وربط الاسباب بالنتائج .

**تاسعاً :** الاستمرار في الدفاع عن الواقع الاسلامية المهددة .

**عاشرًا :** الاستمرار في تحرير الاقطان الاسلامية المستهدفة لاستمرار الهجوم (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) ذلك ان الاستمرار في حالة الدفاع يجعل الزمام في يد اعداء الاسلام ويبقى التحكم بمسار المسلمين الفكرى والثقافى في أيديهم مع انهك المسلمين باعادة الشبهات ولذلك فان علينا ان ننتقل من معركة تحقيق الذات الى معركة تقويم الذات .

ديوى ) خاصة في التربية فضلاً عن الاتجاهات الليبرالية الحرية القائمة على مذهب الحرية المرسلة واللذة والرغبة ووضع القوانين العلمية على أساس من الاهواء الشخصية والافكار المعاصرة للانسانية .

هل نفamer بتعريف ابناتنا لهذه الاتطار والمذاهب الهدامة؟ ان افضل اعداد لدراسة الطموح الاجتماعية هو الأساس الاسلامي والمفهوم الشرعي والعقيدة الصحيحة المستمدّة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله والتوقف عن التبعية التعليمية وكفانا ان نعيش عالة على اولاد العم ماركس او ابناء العم سام ، اتنا امة ذات شخصية اسلامية مستقلة و يجب ان تكون امة ذات شخصية اعلامية مستقلة .

اننا في حاجة الى انباع الثقة بقدرة الاسلام على مواجهة المشكلات المعاصرة بما له من تاريخ وتجربة حضارية وأن تكون أولى مهام الدعوة الاسلامية تعزيق الشعور في المسلمين بوحدة العالم الاسلامي و يجب ان نكشف انهيار التبعية الغربية ونجلى اهم العوامل :

**أولاً :** سقوط الحضارة الغربية وعجزها عن الاجابة عن مشكلات الانسان واخفاق خريجي المدارس الاستعمارية وتلامذتها الذين مكن لهم الاستعمار من تحقيق اى امل .

**ثانياً :** استطاعت الدعوة الاسلامية الانتصار في معركة التحدى الحضاري والصراع الفكرى وتحلیص الجماهير المسلمة من مركب النقص أمام الحضارة الاوروبية الغازية المتفوقة مائياً .

**ثالثاً :** استطاعت الاحتفاظ بشعور المسلمين لوحدة العالم الاسلامي واقناعهم بأن ذلك دين لا يجوز التفريط فيه :

(وان هذه امّكم امة واحدة واتا ربكم فاعبادون)

**رابعاً :** الوقوف في وجه محاولة التفتيت والتذويب

\* \* \*

## الفصل الحادى عشر

### الثورة

الحديث لخارج المجتمع الاسلامي من أصلته والقضاء على طابعه الاسلامي . حدث هذا في الحركة التي قام بها مصطفى كمال أتاتورك في تركيا والحركة التي قام بها مصطفى كمال أتاتورك في تركيا والحركة التي قام بها عبد الناصر في مصر فقد كانت كلتاها محاولات تغريبيةتان لخارج المجتمع الاسلامي من طريقه الاسلامي الى التغريب والاقليمية والتبعية تحت أسماء الثورة والتحرير والاشتراكية . وقد جرت الحركتان على طريق فتح الطريق أمام المخططات الصهيونية الطامحة في السيطرة على فلسطين وبيت المقدس واقامة وطن لها من النيل الى الفرات .

وفي كلا الحركتين لم يشترك الشعب على النحو الذي يعطيها اسم ثورة كما حدث في ثورة ١٩١٩ . او الشورات الجماعية التي يشترك فيها الشعب ب مختلف طوائفه . ، وقد ظهرت في السنوات الأخيرة خطة الانقلابات العسكرية في العديد من البلاد العربية والاسلامية . قام بها رجال من الجيش أزاحوا بها الحكومات القائمة . ولكن هذا النموذج لم يحقق ما كانت تتطلع اليه الشعوب باقامة نظام جديد على أساس الشورى او العدل الاجتماعي وإنما كان عاملًا مؤخرًا لحركة اليمامة الاسلامية التي كانت تهدف الى اعادة البلاد الاسلامية والعربيـة الى الشريعة الاسلامية التي كانت مصدر الحكم فيها قبل الغزو العسكري الاجنبـي الذي أوقف النظام الاسلامي في مجال السياسة او الاجتماع او الاقتصاد او التربية والتعليم .

لقد كانت هذه الحركات في الحقيقة مرحلة جديدة من مراحل التغريب ، التي بدأت في ظل النفوذ السياسي الذي كان مرتبطا بالنفوذ الاجنبـي المسيطر عسكريا وسياسيا ، وقد جاء بديلا له بعد انسحاب العسكريـين على اثر نمو الغزو الثقافي وامتداد خطوات التغريب .

ولقد تراوحت البلاد العربية والاسلامية خلال سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية بين الديمقراطية

التي اتخذ مصطلح الثورة عدة تفسيرات مرضها الكتاب تحت تأثير الدعاية لمرحلة من مراحل الحياة السياسية والاجتماعية للأمم ، ومنهم من بالغ في هذا وتصور الثورة اتجاهها دائما متصلا ، ومنهم من غالى في وصف حركات الجيوش التي على أنه ثورة ، ومنهم من وصف حركات البلاد على أنها انقلاب أو ثورة . ولا ريب أن الثورة هي حركة جماعية تضم مختلف عناصر الشعب أو الأمة في حركة خروج عن الأوضاع القائمة المضطربة والمنهارة .

وهو مصطلح غربى دخل على المفاهيم الاسلامية التي تقر كلمة «الاصلاح» وتصور رسالات الانبياء انها دعوة الى الاصلاح والى تغيير الواقع الفاسد ( ان اريد الا اصلاح ما استطعت ) وقد اشار القرآن الكريم الى التغيير ووضع قاعدته ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) .

والاسلام يدعو الى ان تغيير المجتمع لا يتم الا بعد ان يغيروا الناس ما بأنفسهم بمعنى ان يسلمو انفسهم الله وبطبقوا احكامه ويفسدو شرعته ويبنوا المجتمع الربانى الذى يقوم على العدل والرحمة والاخاء البشري .

والمسلمون مطالبون بالخروج من الازمة وتحرير انفسهم من التبعية وان يظلو قادرين على امتلاك ارادتهم ، وان يظلو مرابطين على الحدود ، محافظين على قواهم وأسلحتهم ، مستعدين للمواجهة ، قادرين على الردع لمن يحاول تجاوز حدودهم أو دخول أرضهم أو فرض سلطانه عليهم ولكن هذا المفهوم الاسلامي في القدرة على امتلاك الارادة لا يسميه الاسلام ثورة ، ولكن هو يعني في الحقيقة العودة الى المتابع ، وتحرير الارادة والتماس الأصول الحقيقة للنهاية .

ولقد اخذت فكرة ( الثورة ) اكثر من مرة في العصر

وكل ما تتطلع اليه الأمة الإسلامية اليوم هو إزالة السيطرة الأجنبية وأمتلاك الإرادة الحرة لإقامة المجتمع الإسلامي المتحرر من العلمانية والقومية والحقوق لنظامه الإسلامي السياسي والاقتصادي والاجتماعي في إيمان كامل بأن الديمقراطية الغربية ليست هي الشورى الإسلامي وأن العدل الاجتماعي الإسلامي ليس هو الاشتراكية ويجبء هذا عن طريق الاصلاح والتربية وبناء الأجيال الجديدة ، وفي ظل مفهوم الإسلام الذي لا يقر العنف ولا الانقلاب ولا ارادة الدماء ، وإنما وفق سنة التطور والتدرج ، ويعيدا عن العنف والديكتاتورية على أساس العبودية لله تبارك وتعالى وتحقيق ارادته والذي يعمل على قيام الوحدة الإسلامية الجامعة وبناء المجتمع الإسلامي الرشيد وتبلیغ رسالة الإسلام للعالمين وليس في ذلك ثورة وإنما هي عودة إلى المأباع .

الغربيه وبين الماركسيه الشيوعية ، ولم تستطع التنظيمات سواء مع الاقتصاد الحر أو مع التأمين والاقتصاد الموجه أن تحقق للعالم الإسلامي ما كان يطمح إليه من قيام مجتمعه الأصيل الذي يتحقق فيه العدل والشورى وقد تحولت بعض هذه الحركات إلى أنظمة دكتاتورية تعمل على تأمين وجودها بشيء غير قليل من العنف ، كما تحول بعضها الآخر إلى أسلوب من الانفتاح الاقتصادي والديمقراطي ، وبقيت قضية الاحتلال الصهيوني لفلسطين وبيت المقدس مؤثراً ضخماً على حركة المنطقة العربية كلها مع بروز المطروحات القومية والإقليمية والعلمانية في متابعة للنظم الغربية ، أو النظم الماركسيه والشيوعية ، وما يزال للدولتين الكبيرتين ونظمها انثر كبير على بلاد العالم الإسلامي وارتباطاته الاقتصادية والعسكرية مما يؤدي إلى تبعية واضحة .

\* \* \*

## الوجودية . . .

كل القيم التقليدية ، كما أصبحت الحقيقة بالنسبة له تدور حول وجوده فحسب ، هذا الموقف يعود إلى الاحساس بالاغتراب والى نوع من العبئية واللاعقلانية ، ولعل البير كامو في قصصه وسارتر في رواياته أن يكونا النموذجين الأصلين لهذه الظاهرة ولن يكتب للوجودية ازدهار في العالم الإسلامي والعربي في المستقبل المنظور الذي لا يزال متمسكا بالقيم النابعة من تراثه الإسلامي .

ولن يستعيد العربي شخصيته ويتحرر من حالة الاغتراب إلا بعد أن يهمن على مقدراته القومية أولا ، وثانيا بعد أن يصنع حضارته أو مجتمعه المستقل انطلاقا من قيمه التي تمثل بصفة خاصة بالفكر القرآني والأخلاق القرآن وقد أسفرت كل المحاولات التي قصد بها إلى تفريب العالم العربي رأى اعطاء الشخصيات الغربية عن فشل ذريع حتى الآن ، فقد فشلت الفلسفات الاجتماعية والفلسفة الحديثة والمتمثلة في سلسلة أحزاب تسمى قومية وتقديمية ويسارية عن استيعاب الوجدن الشعبي وظل أنصارها محصورين في طبقة المثقفين الذين تخرجوا في ظل الثقافة الغربية والمؤسسات التربوية التي صنعت على الصورة الغربية .

ويجب أن نقتصر بأنه لا يمكن أن تقوم للعرب قيادة دون الإسلام ، فهو وحده القادر على اعطائهم الشخصية المميزة ، فإذا توقفت لدينا هذه القناعة أصبح من السهل إعادة تشكيل الشخص المسلم بواسطة رؤيا إسلامية أصلية تتصل بالقيم ومناهج الفكر والسلوك والنظم الاجتماعية وغيرها . ١٠ \*

مذهب اجتماعي واعد ، ظهر في فرنسا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية وهو بمثابة رد فعل لشاعر الهزيمة وثمرة التدهير الذي أصاب فرنسا وأوجد في نفوس شبابها احساس بالهزيمة والتمزق والغرابة ، وقد احتوته القوى التlmoidية لاستغلاله لهم نفسية الشباب الفرنسي ومن ثم تحولت الوجودية إلى مذهب ملحد ( هيذر - سارتر - البير كامي ) ، لا يعترف بوجود الله الخالق والانسان في نظرهم وجد في هذا الكون دون أن تكون له ماهية مسبقة ، ودون أن يكون على صلة أو معرفة بالقوة التي دفعته إلى هذا الوجود .

وسارتر الذي قاد مسيرة هذه النظرية منكر للخالق وهو يظن أنه بالحاده ذلك يستطيع أن يخرج الانسان إلى عالم الحرية الذي يريد أن يصنعه للانسان .

ويتصور الوجوديون : ( أنهم جيل بلا أمل ، جيل بلا عمق ، وبلا مستقبل ، أن عمقنا هو الهاوية وحبنا هو الوحشية ، وشبابنا بلا شباب وحياتنا على من الورق ، هاربة وقابلة للتمزق ، أن حياتنا حطام الوحدة والعزلة والسلبية ) والاتجاه الوجودي كما يقول رمضان لاوند - هو تعبير عن الاحساس الجارف بالغرابة عن الحضارة والناس أو بتعبير آخر هو احساس الانسان بالوحدة وهو ينطلق من المسلمة التي تقول ان الأشياء لا تتحدد حقيقتها بما هي بل بوجودها والرأي في الوجودية أنها أعلان عن انفلات الانسان في مواجهة القيم الانسانية العالية لقد أصبح الانسان الغربي والمثقف الغربي ، يؤمن بسقوط

\* \* \*

## الفصل الثاني عشر

### الآثار

في المتاحف أما في الوادي فقد انقرضت كما انقرضت تماسيع النيل في النهر ( انظر مادة فرعونية ) .

ولقد جرت قوى النفوذ الأجنبي لاحتضان الكشوف الآثرية واعتمدت لها مجالع ضخمة لتجعلها وسيلة لتفريغ المسلمين باعادتهم إلى ما قبل الإسلام .

ولكن الحفريات التي جرت في العالم الإسلامي والبلاد العربية قد حققت أشياء كثيرة تؤكد ما جاء في القرآن الكريم ، وما تزال تكشف الحفريات كل يوم جديداً يزيح الستار عن حقيقة تاريخية ، تظاهر ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات جعلها الحق تبارك وتعالى نوراً وهدى للبشرية حتى تؤمن وتصدق ثم تزداد إيماناً بأنه من عند العليم الخبير ، ولقد اكتشفت حفريات كثيرة في شان فرعون عندما جاء (الدكتور موريس بوكاى) وكشف عن فرعون موسى الذي تبين أنه غرق ثم أتجاه الله ليكون نية للناس ، ( فاليمون ننجيك بيدنك لتكون مدن خلفك آية ) .

وكذلك فقد كشفت الحفريات ما يتعلق بشأن القرى المكتفietات التي كانت تفعل الخبائث ومن قبل ذلك كشفت الحفريات كثيرة من شأن قوم ابراهيم وقوم اسماعيل بما صلح كثيراً من الأكاذيب الدعامة التي حاولت رحلة ابراهيم إلى مكة واقامة قواعد البيت مع ابنه اسماعيل عليهما السلام وكان لهذه الكشوف الآثرية أثراً عكسي المضاد لما كان يهدف إليه بعض الدعاة .

وكان من أخطر الأحداث في هذا الصدد ذلك الكشف الآثرى الخطير الذى وقع عام ١٩٤٧ على شاطئ البحر الميت عندما عثر أحد البدو حينما ضلت عزته فذهب ببحث عنها فماهتدى في أحد الكهوف على تلك الجرار الجريرية الغريبة التي تتشتمل على محفوظات دينية أذهلت العالم المسيحي بأسره وقد ثقت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية وتاريخ السيد المسيح نفسه مما يصدق ما جاء في القرآن الكريم .

اتخذت قوى النفوذ الأجنبي الآثار والحفريات والكشف الآثرية أداة لتفريغ المسلمين واحياء مفاهيم سابقة للإسلام ، وكانت مسألة اكتشاف قبر توتو عنخ آمون وغيره من الآثار الفرعونية والassyورية والبابلية احدى مسائل النفوذ الأجنبي في حجب الواقع الإسلامي القريب ومحاولته تجديد ما قبل الإسلام ورد الأمم إلى هذا التاريخ ودعوتهم إلى احياء هذا التاريخ البائد الذي قضى عليه الإسلام فيما قضى من وثنيات ولغات وتقالييد واحيا بدلاً منها مفهوماً جديداً قائماً على التوحيد الخالص .

ولقد أجرى النفوذ الأجنبي اهتماماً كبيراً بحفريات تل العمارقة وأثار اخناتون ومراتب الشمس وغيرها وحاول أن يصف ما قام به ( اخناتون ) بأنه دين التوحيد ، بينما كان عمله هو توحيد الوثنية حول عبادة قرص الشمس ( اتون ) ثم كان ما كان من اكتشاف مقابر تحتمس الرابع والملكة حتشبسوت وسيلة لاعلاء مفاهيم الوثنية الفرعونية .

وما تزال أحاديث تثار حول هذه الحفريات في سبيل احياء الفرعونية في مصر ، وقام كثيرون بكتابه تاريخ هذه الفترة ويتصدى كثير من كتاب الصحف إلى موالة هذه الحفريات تحت اسم الدعوة إلى تشجيع السياحة .

وهي محاولات مضللة ترمي إلى إعطاء هذه المرحلة من تاريخ مصر أكثر من حجمها الحقيقي ، وعندما يعرف أن هذه المرحلة لا يوجد لها أدب ولا ثقافة ولا لغة يمكن الاعتماد عليها في احياناً تبعوا هذه المحاولات وكأنها تهدف إلى تفريغ التاريخ .

ولعل أهم ما يذكر في هذا الصدد ، ما ذكره ارنولد تويني من قوله :

بالبحث عن الحضارة الفرعونية في كيان مصر الحديثة يتبيّن أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من تدمير ، وقال دكتور حمدان إن مصر الفرعونية لم تعد موجودة إلا

## الفصل الثالث عشر

### الفلكلور (الأدب الشعبي)

نشرها الإسلام بتحرير العقل البشري من عبادة الأوثان وكل ما يتعلق بالخرافات والمعارف.

ان انهض هو الردة الى القديم البالى في عصر الوثنية ، وحجب المسلمين عن مفاهيم الحضارة الإسلامية التي قدمتها للبشرية .

ولقد تحدث الباحثون في هذا الصدد فأشاروا :

أولاً : الى أن الأساطير والسير الشعبية والفن ليلة وجموعة الأمثال العالمية لا يمكن أن تقدم تصوراً صحيحاً للمجتمعات الإسلامية .

ثانياً : ان هناك انقطاعاً حضارياً قد تم بين عصور ما قبل الإسلام وعصر الإسلام نفسه وان هذا الفلكلور ليس هو تراث مجتمعاتنا الإسلامية الحقيقي الذي تكون منذ أربعة عشر قرناً .

\*\*\*

وعندنا ان احياء الفلكلور لا تتحقق به المحافظة الشخصية للأمة ولا يمكنها من أن تنمو وتزدهر وتتمكن من الحفاظ على ذاتيتها الخاصة ولا من رد أي عدوان عليها وإنما الذي يستطيع ذلك هو الميراث الإسلامي الحقيقي ( القرآن والسنة ) واللغة الفصحي وتاريخ الإسلام ، ذلك أن الفلكلور يقوم على أوهام الشعوب وأهوائهما وعلى أدنى قدر من العواطف والمشاعر التي تتعلق بها النقوس الضئيلة المحسنة الأفق ، التي لم تصل إلى قدر من الثقافة التي يقدمها الإسلام من حيث تحرر النفس والعقل من الوثنيات والماديات .

وفرق عيق بين التاريخ وبين الفلكلور وبين التراث بل ان الفلكلور نفسه إنما يستهدف احياء الاقليات

يطلق اسم الفلكلور على الكتابات العامية الشعبية المستقاة من المجتمعات الريفية والبدوية عبارة عن ترنيمات وفداهات وعبارات قيلت في مناسبات وجرت مجرى الأمثال تصدر عن العقليات البسيطة الساذجة التي لم تصل إليها الثقافة العربية اتصلت بالقرآن الكريم والحديث النبوي وشعر الشعراء الفحول . وهي تمثل طفولة البشرية وسذاجة المجتمعات قبل تحضرها واتصالها بالأدب الرفيع ، ولم تكن لهذه الكتابات أهمية تذكر لولا أن المستشرقين وداعة الغزو الفكري كانوا قد تنبهوا إلى ذلك منذ وقت بعيد رغبة منهم في اعزاز العامية وخلق تراث لها يمكنهم من الادعاء بأن العامية هي لغة مستقلة تختلف عن اللغة العربية الفصحي وقد وصف الفلكلور بأنه كل ما يتصل بالسذاجة والانحطاط في الحسن الجمالى والفنى .

ومصطلح الفلكلور لا يشمل في مفهوم فنون القول نحسب وإنما هو يشمل كل الفنون والصناعات والعادات والتقاليد والمناسبات الخاصة والاحتفالات المتعاقبة بها والتي يتبعها شعب من الشعوب البدائية وما يتعلق بمعطاءات البيئة ، وحياة الأمم وعاداته مرة أخرى بعد أن عدت الشعوب والأمم هذا التطور ودخلت في الإسلام الذي قدم لها أرقى المفاهيم وأصبحت القيم في مختلف مجالات الميتافيزيقاً ( الغريب ) والحضارة فهي ردة إلى التسل العجمية الساذجة التي قالها الناس في عمود السذاجة والضعف والعجز عن فهم الكون الواسع .

والهدف ماكر خبيث من حيث احياء النكات والأمثال والرقص ومفاهيم الخوف من الطبيعة والأساطير وتقديم النبائح للآلهة .

وكل هذا يهدف إلى اعلاء شأن العجميات التي لا تستطيع أن تغرس إلا عن أدنى المشاعر وهل يمكن أن يوضع هذا في صف أدب الفصحي ومفاهيم الحضارة التي

والتفرغ الى قبول أمر الله والرضا به والايام بكل قدر الله .

وهذا كله يصل بنا الى ان نشجب القول بأن التراث الشعبي للمجتمع هو المرأة التي تعكس ما استقر في الوجدان الاجتماعي من توهّمات عرّفتها طفولة البشرية عبر التصور والأجيال ، هذا الوجدان وجدان زائف مبطل ولا يصح القياس عليه لأنه انحرف عن مفهوم الاسلام .

وهذا كله كذب والقول بأن المواويل والاغانى  
والفكاهات والنكتات هى تراث شعبي يصور نفسية الامة  
ويدل عليها وهم باطل وانما الحقيقة أن هذا كله ركام زائف  
ما عرفته الامم في عصر بدوتها وفي مرحلة طفولتها قبل أن  
تدخل مرحلة الرشد الفكري الذى أدخلها اليه الاسلام .

والوثنيات والتقاليد والعادات التي انحرفت عن مفهوم العقائد الصحيحة مما صنعته الانسان البدائي الساذج في حالات الفرح والحزن وفي خلال مراحل الالقاء الاجتماعي العام وهي في مجموعها خارجة عن أصول الدين الحق الذي هدينا اليه ، ولذلك فان احياء هذا النوع من التراث هو احياء لدعوة التفرقة والجهل والتمزق ، ذلك أن قدرًا كبيراً من هذا التراث يتعارض مع القيم الأساسية التي بناها الاسلام في نفوس اهله .

والمعروف أن المواويل والأغانى هى مجموعة خواطر ساذجة سواء في الافراح أو الأحزان وهى في مجموعها تعارض المفهوم الإسلامي الذي يرتفق من الندب واللطم .

卷之三

اسلة المصطلحات المعاصرة  
دراسة مستقلة نظم ١٥٠ مصطلحاً  
تصدر في هذه الموسوعة

دارالعلوم للطباعة  
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى . قصر العينى .  
٣٥٥١٧٤٨ .

رقم ايداع بدار الكتب ٤٢٠١ - ١٩٨٦  
الترقيم الدولى ٨ - ١٣٢ - ١٤٢ - ٩٧٧